فهرست الجزء الاول من كتاب الملل والنحل للشهرستاني

٢	المقدمة الاولى في بيان انساب اهل الاسلام جملة مرسلة
٣	المقدمة الثانية في بيان قانون يبتنى عليه تعديل الفرق الاسلامية
٤	المقدمة الثالثة في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها
٧	المقدمة الرابعة في بيان اول شبهة وقعت في الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها
١٣	المقدمة الخامسة في السبب الذي اوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب
١٦	ارباب الديانات والملل من المسلمين واهل الكتاب وممن له شبهة كتاب المسلمون
١٨	اهل الاصول المختلفون في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل
١٩	في المعتزلة
٢٠	الواصلية اصحاب واصل بن عطاء
٢٢	الهذيلية
٢٤	النظامية
٢٤	الخابطية
٢٥	البشرية
٢٩	المعمرية
٣١	المزدارية والثمامية اصحاب ثمامة بن اشرس كان جامعا بين سخافة الذهن وخلاعة النفس
٣٢	الهشامية اصحاب هشام بن عمرو الفوطي كان لا يقول بان الله خلق الكافر
٣٣	الجاحظية اصحاب الجاحظ كان في ايام المعتصم يقول بان القرآن جسد يقلب تارة رجلا وتارة امرأة
٣٤	الخياطية والجبائية
٣٧	الجبرية هي التي لا تثبت للعبد فعلا
٣٨	الجهمية اصحاب جهم بن صفوان يقول ان الجنة والنار تفنيان
٣٩	النجارية
٤٠	الضرارية والصفاتية
٤١	الاشعرية
٤٢	المشبهة
٤٩	الكرامية
٥٣	الخوارج والمحكمة هم الخارجون على امير المؤمنين ع على عهد مسئلة الحكمين
٥٥	الازارقة اصحاب نافع بن الازرق خرجوا على ابن الزبير
٥٦	النجدات العاذرية خرجوا في اليمامة كانوا يعذرون في الذنوب مع الجهل
٥٧	البهسية خرجوا في ايام الحجاج
٥٩	البجارده ينكرون كون سورة يوسف من القرآن والصلتية والميمونية هم يجوزون نكاح بنات البنات وبنات اولاد الاخوة والاخوات والحمزية
٦٠	الخلفية الاطرافية الشعيبية
٦٠	الخارمية الثعالبة الاخنسية يقولون بتزويج المسلمات من المشركين
٦١	المعبدية الرشيدية الشيبانية المكرمية هم يكفرون اصحاب الكبائر
٦٢	المعلومية والمجهولية
٦٢	الاباضية الحفصية
٦٣	الحارثية اليزيدية اصحاب يزيد بن انيسة يقول ان الله سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا على مذهب الصابئة
٦٣	الصفرية رجال الخوارج
٦٤	المرجئة اليونسية العبيدية اصحاب عبيد المكتب يقول ان مادون الشرك مغفور لا محالة
٦٥	الغسانية يقولون ان من لم يصل على انه معتقد ان الصلاة واجبة غير انه لا يعلم ان الكعبة بالهند ام بالشام وكذلك من اكل لحم الخنزير على ان اكله حرام لكن لا يعلم ان الشاة هي الخنزير ام بالعكس هو مسلم مع اعتقاده بالله ورسوله
	الثوبانية
	الثومنية الصالحية
٦٦	الشيعة الكيسانية يجوزون البداء على الله تعالى
٦٩	المختارية الهاشمية
٦٩	البيانية مناسخية الرزامية قالوا ان الله

Digitized by Google

هو

هو معرفة الامام فقط لا العبادات
الزيدية ٧٣ الجارودية السليمانية
الصالحية ٧٥ الامامية
الباقرية والجعفرية الناوسية
الافطحية الشميطية الموسوية والمفضلية
اسامي الائمة الاثنا عشر الاسمعيلية
توقفوا في الامام الى محمد بن اسمعيل
الاثنى عشرية هم اثنا عشر فرقة من
الروافض وكلهم مختلفون في الامام والامامة
الغالية هم الذين غلوا في حق ائمتهم
واخرجوهم الى حد الالهة ومنهم من يقول
ان عليا فوق السحاب والرعد صوته
السبائية اكفروا جميع الصحابة لتركهم تنصيب
علي واكفروا عليا لتركه حقه الكاملية
العلبائية يقولون ان عليا بعث محمدا
يدعوا الناس اليه فدعى محمد لنفسه
المغيرية اصحاب المغيرة العجلي ادعى الامامة
اولا ثم ادعى النبوة ثانيا
المنصورية يقولون ان الكسف الساقط من السماء هو علي
الخطابية ما اشبع بدع هذه الطائفة واصلها
الكيالية ٨٧ الهشامية ٨٨ النعمانية
النصيرية والاسحاقية رجال الشيعة والزيدية
الامامية والاسمعيلية ٩٤ الفروع المختلفون
اصحاب الحديث واصحاب الراي
الخارجون عن الملة الاسلامية اليهود والنصارى
اليهود خاصة ١٠٣ العنانية

١٠٤ العيسوية المقاربة واليوذغانية
١٠٥ السامرة ١٠٦ النصارى امة المسيح
١٠٧ الملكانية
١٠٨ النسطورية اصحاب نسطور الحكيم
ظهر في زمن المامون وغيره وبدل في
الاثناء جيل برايه
١٠٩ اليعقوبية (١١١) من له شبهة
كتاب المجوس واصحاب الاثنين
والمانوية وساير فرقهم
١١٣ المجوس الكيومرثية
١١٤ الزروانية (١١٥) الزوادشتية
١٢٠ الثنوية يجعلون النساء والاموال
مباحة كاباحة النار والماء بين
١٢١ العالم المانوية ثم اختلف المانوية
في المزاج وسببه والخلاص وسببه في المزدكية
١٢٢ الديصانية (٢٣) المرقونية الكينونية والصابئة

فهرست الجزء الثاني اهل الاهواء والنحل

١٢٧ الصابئة اصحاب الروحانية مناظرات مجاورات
١٣٠ بين الصابئة والحنفاء وهي
من اهم ما في هذا الكتاب
١٥٢ حكم هرمس (١٥٤) اصحاب الهياكل والاشخاص
١٥٧ الحربانية (١٥٨) الفلاسفة
١٦٠ الحكماء السبعة الذين هم اساطين الحكمة
راي ثاليس
١٦٠ راي انكساغورس

١٦٣ راي انكسيمانس (١٦٤) راي ايندقلس
١٦٧ راي فيثاغورس (١٧٣) راي سقراط
١٧٦ راي افلاطن
١٨١ راي فلوطرخيس راي كسنوفانس
١٨٢ راي زينون ١٨٣ ذيمقراطيس وشيعته
١٨٤ فلاسفة
١٨٥ راي هرقل الحكيم ابيقورس حكم سولون
١٩٠ بقراط (١٩٢) ذيمقراطيس
١٩٣ اوقليدس
١٩٤ بطليموس حكماء اهل المظال وهم خروسيس وزينون
١٩٥ راي ارسطاليس (٢٢) حكم الاسكندر الرومي
٢٠٩ ديوجانس الكلبي الشيخ اليوناني
٢١٣ ثاوفرسطيس برقلس راي ثامسطيوس ٢١٦
٢١٧ راي اسكندر الافروديسي فرفوريوس ٢١٨
٢١٨ المتاخرون من فلاسفة الاسلام
٢٢٠ ابو علي بن سينا كلامه في المنطق
٢٢٩ في الالهيات في الطبيعيات ٢٦٩
٢٧٠ اراء العرب في الجاهلية معطلة العرب ٢٧٢
٢٧٣ المحصلة من العرب ومن هنا يعلم معارفهم
٢٧٩ اراء الهند البراهمة اصحاب البدرة ٢٨٠
٢٨١ اصحاب الفكرة والوهم البكرنيتسنية ٢٨٢
اصحاب التناسخ اصحاب الروحانيات
٢٨٣ الباسوية الباهودية الكابلية البهادونية
٢٨٤ عبدة الكواكب الشمس القمر الاصنام
٢٨٥ المهالكية البركسهيكية الدهكينية
الجلهكية
٢٨٦ الاكنو اطريه الحكماء الهند تمت

(RECAP) 2274 .87 .364
Digitized by Google

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعائمه كلها حمدا كثيرا طيبا مباركا موافيا
وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمة خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين صلوة
دائمة بركتها الى يوم الدين اما بعد فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات اهل العالم من ارباب
الديانات والملل واهل الاهواء والنحل والوقوف على مصادرها وموارداتها واقتناص اوابدها
وشواردها اردت ان اجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة
لمن استبصر واستبصارا لمن اعتبر وقبل الخوض فيما هو الغرض قدم خمس مقدمات **المقدمة**
الاولى في بيان اقسام اهل العالم جملة مرسلة **المقدمة الثانية** في تعيين قانون
يبنى عليه تعديد الفرق الاسلامية **المقدمة الثالثة** في بيان اول شبهة وقعت
في الخليقة ومصدرها ومظهرها **المقدمة الرابعة** في بيان اول شبهة وقعت في الملة
الاسلامية وكيفية انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها **المقدمة الخامسة** في السبب
الذي اوجب ترتيب الكتاب على طريق الحساب **المقدمة الاولى** في بيان اقسام اهل
العالم جملة مرسلة من الناس من قسم اهل العالم بحسب الاقاليم السبعة واعطى اهل كل اقليم حظه من اختلاف
الطبايع والانفس التي تدل عليها الالوان والالسن ومنهم من قسمهم بحسب الاقطار الاربعة الشرق والغرب
والجنوب والشمال ونظر لكل قطر حصته من اختلاف الطبايع وتباين الشرايع ومنهم من قسمهم بحسب الامم
اربعة العرب والعجم والروم والهند ثم تاوج بين امة وامة فذكر ان الهند والعرب يتقاربان على مذهب
واحد واكثر ميلهم الى تفريع خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والحقايق واستعمال الامور الروحانية والروم والعجم
يتقاربان

تقاربان على مذهب واحد واكثر ميلهم الى تقرير طبايع الاشياء والحكم باحكام الكيفيات والكميات
واستعمال الامور الجسمانية ومنهم من تتميم بحسب الاراء والمذاهب وذلك عرضنا في تاليف هذا فهم
منقسمون بالقسمة الصحيحة الاولى الى اهل الديانات والملل واهل الاهواء والنحل فارباب الديانات
مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين واهل الاديان والاهواء مثل الفلاسفة والدهرية
والصابية وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة ويفترق كل منهم فرقا فاهل الاهواء ليست
تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم واما اهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها
فافترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على احدى وسبعين والنصارى على اثنين وسبعين فرقة
والمسلمون على ثلث وسبعين والناجية ابدا من الفرق واحدة اذ الحق من القضيتين المتقابلتين
في واحدة ولا يجوز ان يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرايط التقابل الا
وان يقتسما الصدق والكذب فيكون الحق في احديهما دون الاخرى فمن المحال الحكم على المتخاصمين
المتضادين في اصول المعقولات بانهما محقان صادقان واذا كان الحق في كل مسئلة عقلية واحدا
فالحق في جميع المسائل يجب ان يكون مع فرقة واحدة وانما عرفنا هذا بالسمع وعنه اخبر التنزيل في
قوله تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون واخبر النبي ص ستفترق امتي على ثلث
وسبعين فرقة والناجية منها واحدة والباقون هلكى قيل ومن الناجية قال اهل السنة
والجماعة قيل وما السنة والجماعة قال ما انا عليه اليوم واصحابي وقال ص لا تزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق الى يوم القيمة وقال لا تجتمع امتي على الضلال **المقدمة الثانية**
في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الاسلامية اعلم ان لاصحاب المقالات طرقا في تعديد
الفرق الاسلامية لا على قانون مستند الى نص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود فما وجدت
مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق ومن المعلوم الذي لا مراء فيه ان ليس كل
من يتميز عن غيره بمقالة ما في مسئلة ما عد صاحب مقالة فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر
والعد ويكون من انفرد بمسئلة في احكام الجواهر مثلا معدودا في عداد اصحاب المقالات
فلا بد اذا من ضابط في مسائل هي اصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعتبر مقالة
ويعد صاحب صاحب مقالة وما وجدت لاحد من ارباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط
الا انهم استرسلوا في ايراد مذهب الامة كيف اتفق على الوجه الذي وجد لا على قانون مستقر واصل
مستمر فاجتهدت على ما تيسر من التقرير ويقدر من التيسير حتى حصرتها في اربع قواعد هي اصول الكتاب

القاعدة الاولى الصفات والتوحيد فيها وهي تشتمل على مسائل الصفات الازلية اثباتا عند
جماعة ونفيا عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل
وفيها الخلاف بين الاشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة القاعدة الثانية القدر
والعدل فيه وهي تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب وارادة الخير والشر والمقدور
والمعلوم اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية والجبرية
والاشعرية والكرامية القاعدة الثالثة الوعد والوعيد والاسماء والاحكام
وهي تشتمل على مسائل الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل اثباتا على
عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والاشعرية و
الكرامية القاعدة الرابعة السمع والعقل والرسالة والامامة وهي تشتمل على مسائل التقبيح
والتحسين والصلاح والاصلح واللطف والعصمة في النبوة وشرائط الامامة نصا عند جماعة
واجماعا عند جماعة وكيفية انتفائها على مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها على مذهب من قال بالاجماع والخلاف
فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية واذا وجدنا انفراد واحد من ائمة
الامة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهبا وجماعته فرقة وان وجدنا واحدا انفرد
بمسئلة فلا نجعل مقالته مذهبا وجماعته فرقة بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن وافق ما سوى مقالته
ورددنا باقي مقالاته الى الفروع التي لا تعد مذهبا منفردا فلا تذهب المقالات الى غير نهاية واذا
تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف تبينت اقسام الفرق وتحصر كبارها في اربع بعد ان يدخل
بعضها في بعض كبار الفرق الفرق الاسلامية اربعة القدرية الصفاتية الخوارج
الشيعة ثم يركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة اصناف فتصل الى ثلث وسبعين فرقة
ولاصحاب كتب المقالات طريقان في الترتيب احدهما انهم وضعوا المسائل اصولا ثم اوردوا في كل
مسئلة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة والثاني انهم وضعوا الرجال واصحاب المقالات
اصولا ثم اوردوا مذاهبهم في مسئلة مسئلة وترتيب هذا المختصر على الطريقة الاخيرة لاني وجدتها
اضبط للاقسام واليق بابواب الحساب وشرطي على نفسي ان اورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من
غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله وان كان لا يخفى على
الافهام الزكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل المقدمة الثالثة
في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها في الاول ومن مظهرها في الاخر اعلم ان اول

شبهة

شبهة وقعت في الخليقة شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره
الهوى في معارضة الامر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهو
الطين وانشعبت عن هذه الشبهات سبع شبهات صارت في الخليقة وسرت في اذهان الناس حتى صارت مذهب
بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة في شرح الاناجيل الاربعة ومذكورة في التورية متفرقة
على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه اني سلمت
ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر فلا يسئل عن قدرته ومشيته فانه مهما اراد شيئا قال له
كن فيكون وهو حكيم الا انه يتوجه الى مساق حكمته اسولة قالت الملئكة ما هي وكم هي قال لعنه الله
سبعة الاول منها انه علم قبل خلقي ايش يصدر عني ويحصل منه فلم خلقني اولا وما الحكمة في خلقه اياي
والثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيته فلم كلفني بمعرفته وطاعته والزمت تكليفه
وما الحكمة في التكليف بعد ان لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية والثالث اذ خلقني وكلفني و
والزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت واطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة
في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع اذ خلقني وكلفني
على الاطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذ لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة وما الحكمة
في ذلك بعد ان لم ارتكب قبيحا الا قولي لا اسجد الا لك الخامس اذ خلقني وكلفني مطلقا وخصوصا
فلم اطع فلعنني وطردني فلم طرقني الى ادم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستي من دخول
الجنة استراح مني ادم وبقي خالدا فيها والسادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم
طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين ادم فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يرونني
وتوثر فيهم وسوستي ولا يوثر في حولهم وقوتهم واستطاعتهم وقدرتهم وما الحكمة في ذلك بعد
ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشون طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بهم
واليق بالحكمة والسابع سلمت هذا كله خلقني وكلفني مطلقا ومقيدا واذ لم اطع لعنني وطردني
واذا اردت دخول الجنة مكنني وطرقني واذ عملت عملي اخرجني ثم سلطني على بني ادم فلم اذا استمهلته
امهلني فقلت انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة
في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم اليس بقاء العالم على
نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر قال لعنه الله فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسئلة قال
شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة عليهم السلام قولوا له انك في التسليمة الاولى اني

الشبهة

فاكل من الشجرة المنهي عنها واخرجه من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد ان لو منعني

Digitized by Google

الهك والله الخلق غير شاق ولا مخاص اذ لو صدقت اني له الحالمين ما احتكمت على علم فانا الله
الذي لا اله الا انا لا اسئل عما افعل والخلق مسئولون هذا الذي ذكرته مذكور في التورية ومسطور
في الانجيل على الوجه الذي ذكرته وكنت برهة من الزمان افكر واقول ان من العلوم الذي لا مرية فيه
ان كل شبهة وقعت في بني ادم انما وقعت من اضلال الشيطان الرجيم ووساوسه نشأ من شبهاته
واذا كانت الشبهات محصورة في سبع عادت كبار البدع والضلال الى سبع لا يجوز ان تعد والشبهات
فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق فانها بالنسبة الى انواع
الضلالات كالبذور ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في
مقابلة النص هذا ما جادل به نوحا وهودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمدا
المصطفى صلى الله عليه وعليهم اجمعين ومن خالفهم من قوامهم كلهم نسجوا على منوال اللعين الاول في
اظهار شبهاته وحاصلها يرجع الى دفع التكليف عن انفسهم وجحدوا اصحاب الشرايع والتكاليف
باسرهم انه لا فرق بين قولهم ابشر يهدوننا وبين قوله اسجد لمن خلقت طينا عن هذا صار مفصل
الخلاف ومحل الافتراق ما هو في قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله
بشرا رسولا فبين ان المانع من الايمان هو هذا المعنى كما قال المتقدم في الاول حين ما قال عز وجل له
ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه وقال المتاخر من ذريته كما قال المتقدم انا خير من
هذا الذي هو مهين وكذلك لو تعقبنا احوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لاقوال
المتاخرين كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد كانوا يؤمنوا بما كذبوا
به من قبل فاللعين الاول لما ان تحكم بالعقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق
في الخلق او حكم الخلق في الخالق والاول غلو والثاني تقصير فثار من الشبهة الاولى مذهب
الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غلوا في شخص من الاشخاص حتى وصفوه
بصفة من صفات الجلال وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا
في وصفه تعالى بصفات المخلوقين والمعتزلة مشبهة الافعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم
اعور باي عينيه شاء فان من قال انما يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الخالق
بالخلق ومن قال يوصف الباري تعالى بما يوصف به الخلق ويوصف الخلق بما يوصف به الباري عز
اسمه فقد اعتزل عن الحق وسنخ القدرية طلب العلة في كل شيء وذلك من سنخ اللعين الاول اذ طلب
العلة في الخلق ولا لحكمة في التكليف ثانيا والفائدة في تكليف السجود لادم عم ثالثا ونشأ عنه مذهب الخوارج

اذ لا فرق

والضلالات

وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم نوحا ونبيه فتبع الاراب فتبع ما اتبعه عليه

اذ لا فرق بين قولهم لا حكم الا لله ولا تحكم الرجال وبين قوله لا اسجد الا لك ءاسجد لبشر خلقته من صلصال
ءاسجد لمن خلقت طينا وبالجملة كلا طرفي قصد الامور ذميم فالمعتزلة غلوا في التوحيد بزعمهم حتى
وصلوا الى التعطيل لنفي الصفات والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الاجسام والروافض غلوا
في النبوة والامامة حتى وصلوا الى الحلول والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال وانت ترى ان
هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الاول وتلك في الاول مصدرها وهذه في الاخر مظهرها
واليه اشار التنزيل في قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله
عليه وآله وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة
والمشبهة يهود هذه الامة والروافض نصاراها فقال عليه السلم لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو القذة
بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه **المقدمة الرابعة** في بيان اول
شبهة وقعت في الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها وكما قررنا ان الشبهات
التي وقعت في اخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في اول الزمان كذلك يمكن ان تقرر في زمان كل
نبي ودور صاحب كل ملة وشريعة ان شبهات امته في اخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من
الكفار والمنافقين واكثرها من المنافقين وان خفي علينا في الامم السالفة لتمادي الزمان فلم
يخف في هذه الامة ان شبهاتها نشات كلها من شبهات منافقي زمن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يامر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للكفر فيه ولا مسرى و
سالوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه اعتبر
حديث ذي الخويصرة التميمي اذ قال اعدل يا محمد فانك لم تعدل حتى قال ع ان لم اعدل
فمن يعدل فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وذلك خروج صريح على
النبي ص ولو صار من اعترض على الامام الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول الحق اولى ان يصير
خارجيا او ليس ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى في مقابلة النص واستكبارا على
الامر بقياس العقل حتى قال عليه السلم سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية الخبر بتمامه واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم احد اذ قالوا هل لنا من الامر من شيء
وقولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فهل ذلك الا تصريح
بالقدر وقول طائفة من المشركين لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وقول طائفة انطعم من لو يشاء الله
اطعمه تصريح بالجبر واعتبر حال طائفة اخرى حيث جادلوا في ذات الله تعالى تفكرا في جلاله وتصرفا في افعاله

حتى منعهم

Digitized by Google

حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى ويرسل عليهم الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد
المحال فهذا ما كان في زمانه عليه السلام وهو صلى عليه وسلم على شوكته وقوته وصحة بدنه و
المنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون النفاق وانما يظهر نفاقهم في كل وقت بالاعتراض
على حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع واما الاختلافات
الواقعة في حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة فهي اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها
اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين فاول تنازع وقع في مرضه صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه
محمد بن اسمعيل البخاري باسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال لما اشتد بالنبي صلى الله عليه
وآله وسلم مرضه الذي مات فيه قال ائتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر
رضي الله عنه ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال قوموا عنه لا ينبغي عندي
التنازع قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ص والخلاف الثاني في مرضه انه
قال جهزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنها فقال قوم يجب علينا امتثال امره واسامة قد برز عن
المدينة وقال قوم اشتد مرض النبي ص فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه فنصبر حتى ننظر اليه
يكون من امره وانما اوردت هذين التنازعين لان المخالفين ربما عدوا ذلك من الخلافات المؤثرة
في امر الدين وليس كذلك فان الغرض كله اقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة
المؤثرة عند تقلب الامور الخلاف الثالث في موته ص قال عمر رض من قال ان محمدا قد مات قتلته
بسيفي هذا وانما رفع الى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليهما السلام وقال ابو بكر من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد اله محمد فانه حي لا يموت وقرأ هذه الاية وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فرجع القوم الى قوله وقال عمر كاني
ما سمعت هذه الاية حتى قرأها ابو بكر الخلاف الرابع في موضع دفنه ص اراد اهل مكة من المهاجرين
رده الى مكة لانها مسقط راسه ومانس نفسه وموطن اهله وموضع رحله واراد اهل المدينة من الانصار
دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ودار نصرته واراد جماعة نقله الى بيت المقدس لانه موضع دفن
الانبياء ومنه معراجه الى السماء ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روي عنه ص انه قال الانبياء يدفنون
حيث يموتون الخلاف الخامس في الامامة واعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف في الاسلام
على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة في كل زمان وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الاول
فاختلف المهاجرون والانصار فيها فقالت الانصار منا امير ومنكم امير واتفقوا على رئيسهم سعد بن

Digitized by Google

عبادة الانصاري فاستدركه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما في الحال بان حضرا سقيفة بني ساعدة وقال عمر كنت
ازور في نفسي كلاما في الطريق فلما وصلنا الى السقيفة اردت ان اتكلم فقال ابو بكر مه يا عمر فحمد الله
واثنى عليه وذكر ما كنت اقرره في نفسي كانه يخبر عن غيب وقبل ان تشتغل الانصار بالكلام مد يده
اليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الفتنة الا ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها
فمن عاد الى مثلها فاقتلوه ومن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانهما تغرة يجب ان يقتلا وانما
سكنت الانصار عن دعواهم لرواية ابي بكر رض عن النبي ص الائمة من قريش وهذه البيعة هي التي جرت
في السقيفة ولما عاد الى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة سوى جماعة من بني هاشم وابي سفيان
من بني امية وامير المؤمنين علي رض كان مشغولا بما امره النبي ص من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من
غير منازع ولا مدافع الخلاف السادس في امر فدك والتوارث عن النبي ص ودعوى فاطمة عليها السلام
وراثة تارة وتملكا اخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي ص نحن معاشر الانبياء
لا نورث ما تركناه صدقة الخلاف السابع في القتال لمانعي الزكوة قال قوم لا نقاتلهم قتال
الكفرة فقال قوم بل نقاتلهم حتى قال ابو بكر رض لو منعوني عقالا مما اعطوا رسول الله ص لقاتلتهم
عليه ومضى بنفسه لقتالهم ووافقه الصحابة باسرهم فقد ادى اجتهاد عمر رض في ايام خلافته الى
رد السبايا والاموال اليهم واطلاق المحبوسين منهم الخلاف الثامن في تنصيص ابي بكر رض على عمر
بالخلافة وقت الوفاة فمن الناس من قال قد وليت علينا فظا غليظا وارتفع الخلاف بقول ابي
بكر لو سئلني ربي يوم القيمة لقلت وليت عليهم خير اهلهم وقد وقع في زمانهما اختلافات كثيرة
في مسائل ميراث الجد والاخوة والكلالة وفي عقد الاصابع وديات الاسنان وحدود بعض الجرائم
التي لم يرد فيها نص وانما هم امورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم وفتح الله تعالى الفتوح
على المسلمين وكثرت السبايا والغنائم وكانوا كلهم يصدرون عن راي عمر رض وانتشرت الدعوة
وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم الخلاف التاسع في امر الشورى واختلاف الاراء فيها
حتى اتفقوا كلهم على بيعة عثمان رض وانتظم الملك واستقرت الدعوة في زمانه وكثرت الفتوح
وامتلأ بيت المال وعاشر الخلق على احسن الخلق وعاملهم بابسط يد غير ان اقاربه من بني امية
قد ركبوا نهابر فركبته وجازوا فجير عليه فوقعت اختلافات كثيرة واخذوا عليها احداثا كلها
محالة على بني امية منها رده مروان بن الحكم بن امية الى المدينة بعد ان طرده النبي ص وكان يسمى
طريد رسول الله ص وبعد ان تشفع الى ابي بكر وعمر رض ايام خلافتهما فما اجابا الى ذلك ونفاه

عمر

عمر رض من مقامه باليمن اربعين فرسخا ومنها نفيه اباذر رض الى الربذة وتزويجه مروان بن الحكم ابنته
وتسليم خمس غنائم افريقية له وقد بلغت مائتي الف دينار ومنها ايواؤه عبد الله بن سعد بن ابي سرح
بعد ان اهدر النبي دمه وتوليته اياه مصرا باعماله لها وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى احدث فيها
ما احدث الى غير ذلك مما نقموا عليه به وكان امراء جنوده معاوية بن ابي سفيان عامل الشام وسعد بن
العاص عامل البصرة وبعده عبد الله بن عامر والوليد بن عقبة عامل الكوفة وعبد الله بن سعد بن
ابي سرح عامل مصر وكلهم خذلوه ورفضوه حتى اتى قدره عليه وقتل مظلوما في داره وثارت الفتنة
من الظلم الذي جرى عليه ولم تسكن بعد الخلاف العاشر في زمان امير المؤمنين رض بعد الاتفاق عليه
وعقد البيعة فاولا خروج طلحة والزبير الى مكة ثم حمل عائشة الى البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف
ذلك بحرب الجمل والحق انهما رجعا وتابا اذ ذكرهما امرا فتذكر فاما الزبير فقتله ابن جرموز وقت الانصراف
وهو في النار لقوله ع وبشر قاتل ابن صفية بالنار واما طلحة فرماه مروان بن الحكم وقت الاعراض
بسهم فخر ميتا واما عائشة رض فكانت محمولة على البغلة ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت
والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن
العاص ابا موسى الاشعري وبقاء الخلاف الى وقت الوفاة مشهور وكذلك الخلاف بينه وبين الشراة
المارقين بالنهروان عقدا وقولا ونصب القتال معه فعلا ظاهرا معروف وبالجملة كان علي مع الحق و
الحق معه وظهر في زمانه الخوارج مثل الاشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين
الطائي وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الخوارج الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبا وجماعة معه و
من الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول رسول الله ص يهلك فيك اثنان محب غال
ومبغض قال وانقسمت الاختلافات بعده الى قسمين احدهما الاختلاف في الامامة والثاني
الاختلاف في الاصول فالاختلاف في الامامة على وجهين احدهما القول بان الامامة تثبت بالاتفاق
والاختيار والثاني القول بان الامامة تثبت بالنص والتعيين فمن قال ان الامامة تثبت بالاتفاق
قال بامامة كل من اتفقت عليه الامة او جماعة معتبرة من الامة اما مطلقا واما بشرط ان يكون قرشيا
على مذهب قوم وبشرط ان يكون هاشميا على مذهب الى شرائط اخر كما سيأتي ومن قال بالاول قال
بخلافة معاوية واولاده وبعدهم بخلافة مروان واولاده والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد
منهم بشرط ان يبقى على مقتضى اعتقادهم ويجري على سنن العدل في معاملاتهم والا خذلوه وخلعوه
وربما قتلوه ومن قال ان الامامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي رض فمنهم من قال انما نص على ابنه محمد بن

الحنفية

[illegible]

الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال انه لم يمت ويرجع فيملأ العالم عدلا
ومنهم من قال انه مات وانتقلت الامامة بعده الى ابنه ابي هاشم وافترقت هؤلاء ايضا فمنهم من قال
الامامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية ومنهم من قال انه انتقلت الى غيره واختلفوا في ذلك
الغير فمنهم من قال هو شبان بن سمعنا النهدي ومنهم من قال هو علي بن عبد الله بن عباس ومنهم من قال
هو عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب
وهؤلاء كلهم يقولون ان الدين طاعة رجل وينا ولون احكام الشرع كلها على شخص معين كما سبق
مذاهبهم اما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية قال بالنص على الحسن والحسين وقال الامامة في
الاخوين الا الحسن والحسين ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من اجرى الامامة في اولاد الحسن وقال بعده بامامة
ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم اخيه ابرهيم الامامين وقد خرجا ايام المنصور فقتلا في ايامه
ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الامام ومنهم من اجرى الوصية في اولاد الحسين وقال بعده
بامامة ابنه علي زين العابدين نصا عليه ثم اختلفوا بعده فقالت الزيدية بامامة ابنه زيد ومذهبهم
ان كل فاطمي خرج وهو عالم زاهد شجاع سخي كان اماما واجب الاتباع وجوزوا رجوع الامامة الى اولاد
الحسن ثم منهم من وقف وقال بالرجعة ومنهم من ساق وقال بامامة كل من هذا حاله في كل زمان وسيأتي
تفصيل مذاهبهم واما الامامية فقالوا بامامة محمد بن علي الباقر نصا عليه ثم بامامة جعفر بن محمد وصية
اليه ثم اختلفوا بعده في اولاده من المنصوص عليهم وهم خمسة محمد واسمعيل وعبد الله وموسى وعلي
فمنهم من قال بامامة محمد وهم العمارية ومنهم من قال بامامة اسمعيل وانكر موته في حيوة ابيه وهم
المباركية ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته ومنهم من ساق الامامة في اولاده نصا بعد نص
الى يومنا هذا وهم الاسمعيلية ومنهم من قال بامامة عبد الله الافطح وقال برجعته بعد موته لانه
مات ولم يعقب ومنهم من قال بامامة موسى نصا عليه اذ قال والده سابعكم قائمكم الا وهو سمي
صاحب التورية ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته اذ قال لم يمت هو ومنهم
من توقف في موته وهم المطورة ومنهم من قطع بموته وساق الامامة الى ابنه علي بن موسى الرضا وهم القطعية
ثم هؤلاء اختلفوا في كل ولد بعده فالاثنا عشرية ساقوا الامامة من علي الرضا الى ابنه محمد ثم
الى ابنه علي ثم الى ابنه الحسن العسكري ثم الى ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشر وقالوا هو حي
لم يمت يرجع فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وغيرهم ساقوا الامامة الى الحسن العسكري ثم
قالوا بامامة اخيه جعفر فقالوا بالشك في حال محمد ولهم خبط طويل في سوق الامامة

ح بالتوقف عليه اذ قال الواقفة

والتوقف

والتوقف والقول بالرجعة بعد الموت والقول بالغيبة ثم الرجعة بعد الغيبة فهذه جملة اختلافات
في الامامة وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب اما الاختلافات في الاصول فحدثت في ايام الصحابة
بدعة معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري في القول بالقدر وانكار اضافة الخير والشر الى
القدر ونسج على منوالهم واصل بن عطا الغزال وكان تلميذ الحسن البصري ويتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه
في مسائل القدر وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص ايام بني امية ثم والى المنصور وقال بامامته ومدحه
المنصور يوما فقال نثرت الحب للناس فلقطت غير عمرو بن عبيد والوعيدية من الخوارج والمرجئة
من الجبرية والقدرية ابتدؤا بدعتهم في زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن استاده بالقول بالمنزلة
بين المنزلتين فسمي هو واصحابه معتزلة وقد تلمذ له زيد بن علي واخذ الاصول منه فلذلك صارت
الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن علي بانه خالف اصول ابائه في المذهب وفي التبري والتولي من وهم
اهل الكوفة وكانوا جماعة سميت رافضة ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين
فسرت ايام المامون فخلطوا مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم الكلام
اما لان اظهر مسئلة تكلموا فيها وتقابلوا عليها هي مسئلة الكلام فسمي النوع باسمها واما لمقابلتهم
الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون العلم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان وكان ابو هذيل
العلاف شيخهم الاكبر ووافق الفلاسفة في ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته وكذلك قادر
بقدرة وقدرته ذاته وابدع بدعا في الكلام والارادة وافعال العباد والقول بالقدر والاجال و
الارزاق كما سيأتي في حكاية مذهبه وجرت بينه وبين هشام بن الحكم مناظرات في احكام التشبيه
وابو يعقوب الشحام والادمي صاحبا ابي الهذيل وافقاه في ذلك كله ثم ابرهيم بن سيار النظام
في ايام المعتصم كان اعلى في تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في القدر والرفض وعن
اصحابه بمسائل تذكروا ومن اصحابه محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن عمران والفضل الحدثي واحمد بن
حائط ووافقه الاسواري في جميع ما ذهب اليه من البدع وكذلك الاحكافية اصحاب ابي جعفر الاسكاف
والجعفرية اصحاب الجعفر بن جعفر بن مبشر وجعفر بن جرير ثم ظهرت بدع بشر بن المعتمر من القول بالتولد
والافراط فيه والميل الى الطبيعيين من الفلاسفة والقول ان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل واذا
فعل فهو ظالم الى غير ذلك مما انفرد به من اصحابه وتلمذ له ابو موسى المردار واهب المعتزلة وانفرد عنه
بابطال اعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة وفي ايامه جرت اكثر التشديدات على السلف لقولهم
بقدم القرآن ويتلمذ له الجعفران وابو زفر ومحمد بن سويد صاحبا المردار وابو جعفر الاسكافي

Digitized by Google

وعيسى بن الهيثم صاحبا جعفر بن حرب الاشج وممن بالغ في القول بالقدر هشام بن عمرو الفوطي والاصم
من اصحابه وقدحا في امامة علي رض بقولهما ان الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة عن بكرة ابيهم والفوطي
والاصم اتفقا على ان الله تعالى يستحيل ان يكون عالما بالاشياء قبل كونها ومنعا كون المعدوم شيئا
وابو الحسن الخياط واحمد بن علي الشطوي صحبا عيسى الصوفي ثم لزما ابا مجالد وتلمذ الكعبي لابي الحسن
الخياط ومذهبه بعينه مذهبه واما معمر بن عباد السلمي وثمامة بن اشرس النميري وعمرو بن بحر الجاحظ
كانوا في زمان واحد متقاربين في الراي والاعتقاد منفردين عن اصحابهم بمسائل نذكرها والمتاخرون
منهم ابو علي الجبائي وابنه ابو هاشم والقاضي عبد الجبار وابو الحسين البصري قد لخصوا طرق اصحابهم و
انفردوا عنهم بمسائل سياتي ذكرها ورونق علم الكلام ابتداؤه فمن الخلفاء العباسية هارون والمامون و
المعتصم والمتوكل والواثق وانتهاؤه فمن الصاحب ابن عباد وجماعة من الديالمة وظهرت جماعة من المعتزلة
متوسطين مثل ضرار بن عمرو وحفص الفرد والحسين النجار من المتاخرين خالفوا الشيوخ في مسائل وتبع
اثرهم جهم بن صفوان في ايام صفوان في ايام نصر بن سيار واظهر بدعته في الجبر بترمذ وقتله سالم بن احوز
المازني في اخر ملك بني امية بمرو وكانت بين المعتزلة وبين السلف في كل زمان اختلافات في الصفات
وكانت السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي بل على قول اقناعي ويسمون الصفاتية فمن مثبت
صفات الباري تعالى معاني قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق وكلهم يتعلقون بظواهر
الكتاب والسنة ويناضلون المعتزلة في قدم الكلام على قول ظاهر وكان عبد الله بن سعيد الكلابي
وابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي اشبههم اتقانا وامتنهم كلاما وجرت مناظرة بين ابي
ابي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري وبين استاذه ابي علي الجبائي في بعض مسائل النحسين وامتنع
فالزمه الاشعري استاذه امورا لم يخرج عنها بجواب فاعرض عنه وانحاز الى طائفة السلف ونصر
مذهبهم على قاعدة كلامية فصار ذلك مذهبا وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضي ابي
بكر الباقلاني والاستاذ ابي اسحق الاسفرايني والاستاذ ابي بكر بن فورك وليس بينهم كثير اختلاف
ونبغ رجل متلمس بالزهد من سجستان يقال له ابو عبد الله بن الكرام قليل العلم قد قمش من كل
مذهب ضغثا واثبته في كتابه وروجه على اغناء غرجة وغور وسواد بلاد خراسان فانتظم ناموسه
وصار ذلك مذهبا قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلاء على اصحاب الحديث
والشيعة من جهتهم وهو اقرب مذهب الى مذهب الخوارج وهم مجسمة وحاش غير محمد بن هيصم فانه
مقارب المقدمة الخامسة في السبب الذي اوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب

منهم

ومنها

Digitized by Google

وفيها اشارة الى مناهج الحساب لما كان مبنى الحساب على الحصر والاختصار وكان غرضي من تأليف هذا الكتاب
حصر المذاهب مع الاختصار اخترت طريق الاستيفاء ترتيبا وقدرت اعراضي على مناهج تقسيما
وتبويبا واردت ان ابين كيفية طرق هذا العلم وكمية اقسامه لئلا يظن بي اني من حيث انا فقيه
ومتكلم اجنبي النظر في مسالكه ومراسمه اعجمي القلم بمداركه ومعالمه فاثرت من طرق الحساب احكمها
واحسنها واقمت عليه من حجج البرهان اوضحها وامتنها وقدرتها على علم العدد وكان الواضع الاول
منه استمد المدد فاقول مراتب الحساب تبتدي من واحد وتنتهي الى سبع ولا تجاوزها البتة المرتبة
الاولى صدر الحساب وهو الموضوع الذي يرد عليه التقسيم الاول وهو فرد لا زوج له باعتبار وجملة
يقبل التقسيم والتفصيل باعتبار فمن حيث انه فرد فهو لا يستدعي اختا تساويه في الصورة والمدة ومن حيث
هو جملة فهو قابل للتفصيل حتى ينقسم الى قسمين وصورة المدة يجب ان يكون من الطرف الى الطرف
ويكتب تحتها حشو مجملات التفاصيل ومرسلات التقدير والتفسير والنقل والتحويل وكليات
وجوه المجموع وحكايات الالحاق والموضوع ويكتب تحتها بارزا من الطرف الايسر كميات مبالغ المجموع
والمرتبة الثانية منها الاصل وشكلها محقق وهو التقسيم الاول الذي ورد على المجموع الاول
وهو زوج ليس بفرد ويجب حصره في قسمين لا يعدون الى ثالث وصورة المدة يجب ان يكون اقصر
من الصدر بقليل اذ الجزء اقل من الكل ويكتب تحتها حشو ما يخصها من التوجيه والتثنية والتفصيل
ولها اخت تساويها في المدة وان لم يجب ان تساويها في المقدار المرتبة الثالثة من ذلك
الاصل وشكله محقق ايضا وهو التقسيم الثاني الذي ورد على الموضوع الاول والثاني لا يجوز وذلك
ان ينقص من قسمين ولا ان يزيد على اربعة اقسام ومن جاوزه من اهل الصنعة فقد اخطا وما علم وضع
الحساب وسنذكر السبب فيه وصورة مدة اقصر من مدة منها الاصل بقليل وكذلك يكتب تحتها
ما يليق بها حشوا وبارزا المرتبة الرابعة منها المطموس وشكله هكذا ما وذلك يجوز ان يجاوز
الاربعة واحسن الطرق ان يقتصر على الاقل ومدتها اقصر مما مضى المرتبة الخامسة من ذلك
الصغير وشكله هكذا من ذلك وذلك يجوز الى حيث ينتهي التقسيم والتبويب والمدة اقصر
مما مضى المرتبة السادسة منها المعوج وشكله هكذا ما وذلك يجوز الى حيث ينتهي التفصيل
المرتبة السابعة من ذلك العقد وشكله هكذا من ذلك ولكن يمد من الطرف الى
الطرف لا على انه اخت صدر الحساب بل من حيث انه النهاية التي تشاكل البداية فهذه كيفية صورة
الحساب نقشا وكمية ابوابها جملة ولكل قسم من هذه الابواب اخت تقابله وزوج تساويه في المدة

لا يجوز

لا يجوز اغفال ذلك بحال وبحساب تاريخ وتوجيه والآن نذكر كيفية هذه الصور وانحصار الاقسام
في سبع ولم صار الصدر الاول فردا لا زوج له في الصورة ولم انحصرت منها الاصل في قسمين لا يعدوان
الى ثالث ولم انحصرت من ذلك الاصل في اربعة ولم خرجت الاقسام الاخر عن الحصر فاقول ان العقلاء
الذين تكلموا في العدد والحساب اختلفوا في الواحد اهو من العدد ام هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد
وهذا الاختلاف انما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد فان
الاثنين لا معنى له الا واحد واحد مكرر اول تكرير وكذلك الثلاثة والاربعة ويطلق ويراد به ما
يحصل منه العدد اي هو علته ولا يدخل في العدد اي لا يتركب منه العدد وقد تلازم الواحد مع جميع
الاعداد الا على ان العدد تركب منها بل كل موجود فهو في جنسه او نوعه او شخصه واحد يقال انسان واحد
وشخص واحد وفي العدد كذلك فان الثلثة في انها ثلثة واحدة فالواحدة بالمعنى الاول داخلة في العدد
وبالمعنى الثاني علة للعدد وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد وليس من الاقسام الثلثة قسم يطلق على
الباري تعالى معناه فهو واحد لا كالآحاد اي هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه
انقسام بوجه من وجوه القسمة واكثر اصحاب العدد على ان الواحد لا يدخل في العدد فالعدد مصدر الاول
اثنان وهو ينقسم الى زوج وفرد فالفرد الاول ثلثة والزوج الاول اربعة وما وراء الاربعة فهو
مكرر كالخمسة فانها مركبة من عدد وفرد ويسمى العدد الدائر والستة مركبة من فردين ويسمى العدد
التام والسبعة مركبة من فرد وزوج ويسمى العدد الكامل والثمانية مركبة من زوجين وهي بداية
اخرى وليس ذلك من غرضنا فصدر الحساب في مقابلة الواحد الذي هو علة العدد وليس يدخل فيه ولذلك
هو فرد لا اخت له ولما كان العدد مصدره من الاثنين صار منها المحقق محصورا في قسمين ولما كان العدد
منقسما الى فرد وزوج صار من ذلك الاصل محصورا في اربعة فان الفرد الاول ثلثة والزوج الاول
اربعة وهي النهاية وما عداها مركب منها فكان البسائط العامة الكلية في العدد واحدا واثنان
وثلثة واربعة وهي الكمال وما زاد عليها فمركبات كلها ولا حصر لها فلذلك لا تنحصر الاواب
الاخر في عدد معلوم بل تتناهى بما تتناهى به الحساب ثم تركيب العدد وتقدير البسيط على المركب فمن علم
آخر وسنذكر ذلك عند ذكرنا مذهب قدماء الفلاسفة فاذ تحررت المقدمات على اوفى تقرير
واحسن تحرير شرعنا في ذكر مقالات اهل العالم من لدن آدم الى يومنا هذا العلة لا يشذ من اقسامها
مذهب ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكرا حتى يعرف لم وضع ذلك اللفظ لذلك الباب
ونكتب تحت الفرقة المذكورة ما يعم اصنافها مذهبا واعتقادا وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به

Digitized by Google

عن صحابة وتستر في اثنتين الفرق الاسلامية ثلثا وسبعين فرقة وتقتصر في اقسام الفرق بحاذية
عن الملة الحنيفية على ما هو اشهر واعرف لصلاة وقاعدة مقدم ما هو اولى بالتقديم ونؤخر ما هو حري بالتاخير
وشرط الصناعة الحسابية ان يكتب بازاء المدود من الخطوط ما يكتب حتوا وشرط الصناعة
الكتابية ان يترك الحواشي على الرسم المعهود عفوا فراعيت شرط الصناعتين ومددت الابواب على
شرط الحساب وتركت الحواشي على رسم الكتاب وبالله استعين وعليه توكل **مذهب** اهل العالم
من ارباب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل من القرون الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب منزل
محقق مثل اليهود والنصارى وممن له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية وممن له حدود واحكام دون
كتاب مثل الصابئة الاولى والدهرية وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة تذكر اربابها واصحابها
ونقل ماء خذها وصارها عن كتب طائفة على موجب اصطلاحها بعد الوقوف على مناهجها و
الفحص الشديد عن مباديها وعواقبها ثم ان التقسيم الصحيح الذي بين النفي والاثبات هو قولنا
ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب الى اهل الديانات والى اهل الاهواء فان الانسان اذا اعتقد
عقدا وقال قولا فاما ان يكون فيه مستفيدا من غيره او مستبدا برايه فالمستفيد من غيره مسلم
مطيع والدين هو الطاعة والتسليم والمطيع المتدين والمستبد برايه محدث مبتدع وفي الخبر
عن النبي عم ما شقي احد عن مشورة ولا سعد باستبداد براي وربما يكون المستفيد من غيره مقلدا
قد وجد مذهبا اتفاقيا بان كان ابواه او معلمه على اعتقاد باطل فيقلده منه دون ان يتفكر
في حقه وباطله وصوب القول فيه وخطائه فحينئذ لا يكون مستفيدا لانه ما حصل على فائدة
وعلم ولا اتبع استاذا على بصيرة ويقين الا من شهد بالحق وهم يعلمون شرط عظيم فليعتبر وربما يكون
المستبد مستنبطا ما استفاده على شرط ان يعلم موضع الاستنباط وكيفيته فحينئذ لا يكون
مستبدا حقيقة لانه حصل العلم بقوة تلك الفائدة لعلمه الذين يستنبطونه منهم وكن عظيم
فالمتقل فالمستبدون بالراي هم المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة وهم
لا يقولون بشرايع واحكام امرية بل يضعون حدودا عقلية حتى يكبهم التغابن عليها و
المستفيدون هم القائلون بالنبوات ومن قال بالاحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية
ولا ينعكس **ارباب** الديانات والملل من المسلمين واهل الكتاب وممن له شبهة
كتاب فنتكلم ههنا في معنى الملة والدين والشرعة والمنهاج والاسلام والحنيفية والسنة و
الجماعة فانها اعيان ورد في التنزيل ولكل واحد منها معنى يخصها وحقيقة توافقها لغة
واصطلاحا

منها

واصطلاحا وقد بينا معنى الدين انه الطاعة والانقياد وقد قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقد يرد بمعنى الجزاء كما يقال كما تدين تدان وقد يرد بمعنى الحساب ذلك الدين القيم فالمتدين هو المسلم
المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد قال الله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا ولما كان
نوع الانسان محتاجا الى اجتماع مع اخر من بني جنسه في اقامة معاشه والاستعداد لمعاده وذلك
الاجتماع يجب ان يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو له ويحصل بالتعاون
ما ليس له فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة والطريق الخاص الذي يوصل الى هذه الهيئة هو
المنهاج والشرعة والسنة والاتفاق على تلك السنة هي الجماعة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة الا بواضع شارع يكون مخصوصا من عند الله بايات
تدل على صدقه وربما تكون الاية مضمنة في نفس الدعوى وربما تكون متاخرة وربما تكون ملازمة
ثم اعلم ان الملة الكبرى هي ملة ابرهيم ع وهي الحنيفية التي تقابل الصبوة تقابل التضاد وسنذكر
كيفية ذلك ان شاء الله تعالى قال الله تعالى ملة ابيكم ابرهيم والشريعة ابتدات من نوح عليه السلم قال
الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والحدود والاحكام ابتدات من ادم وشيث وادريس ع
وختمت الشرايع والملل والمناهج والسنن باكملها واتمها حسنا وجمالا قال الله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقد قيل خص ادم بالاسماء وخص نوحا بمعاني تلك
الاسماء وخص ابرهيم بالجمع بينهما ثم خص موسى بالتنزيل وخص عيسى بالتاويل وخص المصطفى ص
بالجمع بينهما على ملة ابيكم ابرهيم ثم كيفية التقرير الاول والتكميل بالتقرير الثاني يجب ان يكون
مصدقا كل واحد ما بين يديه من الشرايع الماضية والسنن السالفة تقديرا للامر على الخلق و
توفيقا للدين على الفطرة فمن خاصية النبوة ان لا يشاركهم فيها غيرهم وقد قيل ان الله عز وجل اسس دينه
على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على وحدانيته المسلمون
من ذلك قد ذكرنا معنى الاسلام ونفرق ههنا بين الاسلام والايمان والاحسان ونبين ما المبدا
وما الوسط وما الكمال والخبر المعروف في دعوة جبرئيل عليه السلام حيث جاء على صورة اعرابي
وجلس حتى الصق ركبته بركبة النبي ص وقال ما الاسلام فقال ان تشهد ان لا اله الا الله واني
رسول الله وان تقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه
سبيلا قال صدقت ثم قال ما الايمان قال ص ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ثم قال ما الاحسان قال ان تعبد الله

يوم المعاد والتناد قال تعالى

بمحمد صلى الله عليه وآله

من ذلك

يا رسول الله

كانك

كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال متى الساعة قال عليه السلام ما المسؤل عنها
باعلم من السائل ثم قام وخرج فقال النبي ص هذا جبرئيل ع جاءكم يعلمكم دينكم ففرق بين الاسلام
والايمان اذ الاسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهرا ويشترك فيه المنافق والمؤمن قال الله تعالى قالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ففرق التنزيل بينهما فكان الاسلام بمعنى التسليم
والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك فهو المبدأ ثم اذا كان الاخلاص معه بان يصدق الله وملئكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر ويقر عقدا بان لقدر خيره وشره من الله تعالى بمعنى ان ما اصابه لم يكن ليخطئه
وما اخطأه لم يكن ليصيبه كان مؤمنا حقا ثم اذا جمع بين الاسلام والتصديق وقرن المجاهدة
بالمشاهدة وما رغبه شهادة فهو الكمال فكان الاسلام مبدأ والايمان وسطا والاحسان كمالا
وعلى هذا شمل لفظ المسلمين الناجي والهالك وقد يرد الاسلام قرينة الاحسان قال الله تعالى
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن وعليه يحمل قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ان
الدين عند الله الاسلام وقوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقوله فلا تموتن الا
وانتم مسلمون وعلى هذا خص الاسلام بالفرق الناجية **اهل** الاصول المختلفون
في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل نتكلم ههنا في معنى الاصول والفروع وسائر
الكلمات قال بعض المتكلمين الاصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل
بآياتهم وبيناتهم وبالجملة كل مسئلة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الاصول ومن المعلوم ان
الدين اذا كان منقسما الى معرفة وطاعة والمعرفة اصل والطاعة فرع فمن تكلم في المعرفة والتوحيد
كان اصوليا ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا والاصول هو موضوع علم الكلام والفروع
هو موضوع علم الفقه وقال بعض العقلاء كل ما هو معقول ويتوصل اليه بالنظر والاستدلال
فهو من الاصول وكل ما هو مظنون ويتوصل اليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع واما التوحيد
فقد قال اهل السنة وجميع الصفاتية ان الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته الازلية
لا نظير له وواحد في افعاله لا شريك له فلا قديم غير ذاته ولا قسيم له في افعاله ومحال وجود قديمين
ومقدور بين قادرين وذلك هو التوحيد والعدل وعلى مذهب اهل السنة والجماعة ان الله تعالى
عدل في افعاله بمعنى انه متصرف في ملكه وملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالعدل وضع الشيء
موضعه وهو التصرف في الملك على مقتضى المشية والظلم بضده فلا يتصور منه جور في الحكم
وظلم في التصرف وعلى مذهب اهل الاعتزال العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو اصدار الفعل
على وجه الصواب والمصلحة اما الوعد والوعيد فقال اهل السنة الوعد والوعيد كلامه الازلي

وعد على

في التفصيل صح

منها صح

وقال اهل العدل ان الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له ولا صفة له وواحد في افعاله لا شريك له صح

Digitized by Google

وعد على ما امر واوعد على ما نهى وكل من نجى واستوجب الثواب فبوعده وكل من هلك واستوجب العقاب
فبوعيده فلا يجب عليه شيء من قضية العقل وقال اهل العدل لا كلام في الاول وانما امر ونهى
ووعد واوعد بكلام محدث فمن نجى فبفعله استحق الثواب ومن خسر فبفعله استوجب العقاب و
العقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك واما السمع والعقل فقال اهل السنة الواجبات كلها بالسمع
والمعاف كلها بالعقل فالعقل لا يحسن ولا يقبح ولا يقتضي ولا يوجب والسمع لا يعرف اي لا يوجد
المعرفة بل يوجب وقال اهل العدل المعارف كلها معقولة بالعقل وواجبة بنظر العقل وشكر
المنعم واجب قبل ورود السمع والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح هذه القواعد هي
المسائل التي تكلم فيها اهل الاصول وسنذكر مذهب كل طائفة مفصلا ان شاء الله تعالى
ولكل علم موضوع ومسائل قد ذكرنا باقصى الامكان

المعتزلة

وغيرهم من الجبرية والصفاتية والمختلطة منهم الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلتان
تقابل التضاد وكانت القدرية والجبرية والمرجئة والوعيدية والشيعة والخوارج وهذا التضاد
بين كل فريق وفريق كان حاصلا في كل زمان ولكل فرقة مقالة على حيالها وكتب صنفوها
ودولة عاونتهم وصولة طاوعتهم

المعتزلة

ويسمون اصحاب
العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا لفظ القدرية
يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله احترازا من وصمة اللقب ان كان الذم به متفقا عليه
لقول النبي عم القدرية مجوس هذه الامة وكانت الصفاتية تعارضهم فالاتفاق على ان الجبرية
والقدرية متقابلتان تقابل التضاد وكيف يطلق لفظ الضد على الضد وقال النبي عم القدرية
خصماء الله في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لا يتصور على مذهب من يقول
بالتسليم والتوكل واحالة الاحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم فالذي يعم طائفة المعتزلة
من الاعتقاد القول بان الله قديم والقدم اخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة اصلا فقالوا هو
عالم لذاته قادر لذاته حي لذاته لا بعلم وقدرة وحيوة هي صفات قديمة ومعانيها قائمة بذاته لو شاركته
الصفات في القدم الذي هو اخص الوصف لشاركته في الالهية واتفقوا على ان كلامه محدث مخلوق
في محل وهو حروف وصوت كتب امثاله في المصاحف حكايات عنه فانما وجد في المحل عرض قد فنى في الحال
واتفقوا على ان الارادة والسمع والبصر ليست بمعان قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحال
معانيها كما سيأتي واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل

والخصومة في القدر

Digitized by Google

جهة ومكانا وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا وتاثرا واوجبوا تاويل الايات المتشابهة فيها
وسموا هذا النمط توحيدا واتفقوا على ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على ما
يفعله ثوابا وعقابا في الاخرة والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية
لانه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا واتفقوا على ان الله لا يفعل الا الصلاح و
الخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد واما الاصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم
وسموا هذا النمط عدلا واتفقوا على ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب و
العوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في
النار لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا واتفقوا على ان
اصول المعرفة وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق
الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك وورود التكاليف الطاف للباري تعالى ارسلها الى العباد
بتوسط الانبياء امتحانا واختبارا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة واختلفوا
في الامامة والقول فيها نصا واختيارا كما سياتي عند مقالة كل طائفة من ذلك والآن نذكر ما يختص
بطائفة طائفة من المقالة التي تميزت بها عن اصحابه

الواصلية

من ذلك اصحاب واصل بن عطا الغزال كان تلميذ الحسن البصري يقرء عليه العلوم والاخبار
وكانا في ايام عبد الملك وهشام بن عبد الملك وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة في بلد
ادريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب في ايام ابي جعفر المنصور يقال لهم الواصلية و
اعتزالهم يدور على اربع قواعد احديها القول بنفي صفات الباري من العلم والقدرة والارادة
والحياة وكانت هذه المقالة في بدوها غير نضيجة وكان واصل بن عطا يشرع فيها على قول ظاهر وهو
الاتفاق على استحالة وجود الهين قديمين ازليين قال من اثبت معنى وصفة قديمة فقد
اثبت الهين وانما شرعت اصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها الى
رد جميع الصفات الى كونه عالما قادرا ثم الحكم بانهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات
القديمة كما قاله الجبائي او حالتان كما قاله ابو هاشم وميل ابي الحسن البصري الى ردهما الى صفة
واحدة وهي العالمية وذلك عين مذهب الفلاسفة وسنذكر تفصيل ذلك وكانت السلف
تخالفهم في ذلك اذ وجدوا الصفات مذكورة في الكتاب والسنة

القاعدة الثانية

القول بالقدر وانما سلك في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي وقرر واصل

بن عطا

الحكيم

طائفة

القاعدة الاولى

بن عطا هذه القاعدة اكثر ما كان يقرر قاعدة الصفات فقال ان الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز ان يضاف
اليه شر وظلم ولا يجوز ان يريد من العباد خلاف ما يامر ويحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل
للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازي على فعله والرب تعالى اقدره على
ذلك كله وافعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم قال يستحيل
ان يخاطب العبد بافعل وهو لا يمكنه ان يفعل وهو يحسن في نفسه الاقتدار والفعل ومن انكره
فقد انكر الضرورة واستدل بايات على هذه الكلمات ورايت رسالة نسبت الى الحسن البصري كتبها
الى عبد الملك بن مروان فقد سئله عن القول بالقدر والجبر فاجابه بما وافق مذهب القدرية
واستدل فيها بايات من الكتاب ودلائل من العقل ولعلها لواصل بن عطا فما كان الحسن ممن
يخالف السلف في ان القدر خيره وشره من الله فان هذه الكلمة كالمجمع عليها عندهم والعجب انه
حمل هذا اللفظ الوارد في الخبر على البلاء والعافية والشدة والراحة والمرض والشفاء والموت
والحياة الى غير ذلك من افعال الله تعالى دون الخير والشر والحسن والقبيح الصادرين من اكتساب العباد
وكذلك اورده جماعة المعتزلة في المقالات من اصحابهم **القاعدة الثالثة** القول
بالمنزلة بين المنزلتين والسبب فيه انه دخل واحد على الحسن البصري فقال يا امام الدين لقد ظهرت
في زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكباير والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج
وجماعة يرجون اصحاب الكباير والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل على مذهبهم ليس من الايمان
ركنا ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجية الامة فكيف تحكم لنا في
ذلك اعتقادا فتفكر الحسن في ذلك وقبل ان يجيب قال واصل بن عطا انا لا اقول ان صاحب
الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قال واعتزل
الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما اجاب به على جماعة من اصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل
عنا واصل فسمي هو واصحابه معتزلة ووجه تقريره انه قال ان الايمان عبارة عن خصال الخير اذا
اجتمعت سمي المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا يستحق اسم المدح فلا
يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلق ايضا لان الشهادة وساير اعمال الخير موجودة فيه لا وجه
لانكارها لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من اهل النار خالدا فيها اذ ليس في
الاخرة الا الفريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكنه يخفف عليه العذاب ويكون دركته
فوق دركة الكفار وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد ان كان موافقا له في القدر واركان الصفات

ركنا

القاعدة

القاعدة الرابعة قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين أحدهما مخطئ لا بعينه
وكذلك قوله في عثمان رض وفي قاتليه وخاذليه قال أحد الفريقين فاسق لا محالة كما ان احد الثلاثة
فاسق لا بعينه وقد عرفت قوله في الفاسق واقل درجات الفريقين انه لا تقبل شهادتهما كما لا
تقبل شهادة المتلاعنين فلم يجوز شهادة علي وطلحة وعلي يأفة بقتل وجوز ان يكون عثمان وعلي
على الخطأ هذا قول وهو رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في اعلام الصحابة وائمة العترة وواقفه
عمرو بن عبيد على مذهبه وزاد عليه في تفسيق احد الفريقين لا بعينه بان قال لو شهد رجلان
من احد الفريقين مثل علي رض ورجل من معسكره او طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما وفيه تفسيق
الفريقين وكونهما من اهل النار وكان عمرو بن عبيد من رواة الحديث معروفا بالزهد واصل
مشهورا بالفضل والادب عندهم **الهذيلية** ومن ذلك الصحابة
ابي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة وكتابه
عليها اخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطا ويقال اخذ واصل عن ابي هاشم
عبد الله بن محمد بن الحنفية ويقال اخذ عن الحسن بن ابي الحسن البصري وانما انفرد عن اصحابه بقوله
احدها ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حي بحياة وحيوته ذاته
وانما اقتبس هذا الراي من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه وانما
الصفات التي هي ذاته الذات معاني قائمة بذاته بل هي ذاته ويرجع الى السلوب واللوازم كما سبق والفرق
بين قول القائل عالم لذاته لا بعلم وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته ان الاول نفي الصفة والثاني
اثبات ذات هو بعينه صفة واثبات صفة هي بعينها ذات وان اثبت ابو الهذيل هذه الصفات
وجوها للذات فهي بعينها اقانيم النصارى والحال ابي هاشم **الثانية** انه اثبت ارادات لا محل
لها يكون الباري تعالى مريدا بها وهو اول من احدث هذه المقالة وتابعه عليها المتأخرون عليها
الثالثة قال في كلام الباري ان بعضه لا في محل وهو قوله كن وبعضه في محل كالامر
والنهي والخبر والاستخبار وكان امر التكوين عنده غير وامر التكليف غير **الرابعة** قوله
في القدر مثل ما قال اصحابه الا انه قدر في الاولى جبر في الاخرة فان مذهبه في حركات اهل الخلدين
في الاخرة انها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها وكلها مخلوقة للباري تعالى اذ كانت مكتسبة
للعباد كانوا مكلفين بها **الخامسة** قوله ان حركات اهل الخلدين تنقطع وانهم يصيرون
الى سكون دائم جمودا ويجتمع اللذات في ذلك السكون لاهل الجنة ويجتمع الالام في ذلك السكون

لاهل

لاهل النار وهذا قريب من مذهب جهم اذ حكم بفناء الجنة والنار وانما التزم ابو هذيل هذا المذهب
لانه لما الزم في مسئلة حدوث العالم ان الحوادث التي لا اول لها كالحوادث التي لا آخر لها اذ كل واحدة
لا تتناهى قال اني لا اقول بحركات لا تتناهى اخرا كما لا اقول بحركات لا تتناهى اولا بل يصيرون الى سكون
دائم وكانه ظن ان ما الزم في الحركة لا يلزمه فيما يلزمه في السكون **السادسة** قوله في الاستطاعة
انها عرض من الاعراض غير السلامة والصحة وفرق بين افعال القلوب وافعال الجوارح فقال لا يصح
وجود افعال القلوب منه مع عدم القدرة والاستطاعة معها في حال الفعل وجوز ذلك في افعال
الجوارح وقال بتقدمها فيفعل بها في الحال الاولى وان لم يوجد الفعل الا في الحالة الثانية قال
فحال يفعل غير حال فعل ثم ما تولد من فعل العبد فهو فعله غير اللون والطعم والرائحة
وكل ما لا يعرف كيفيته وقال في الادراك والعلم الحادثين في غيره عند اسماعه وتعليمه ان الله
تعالى يبدعهما فيه وليسا من افعال العباد **السابعة** قوله في المفكر قبل ورود السمع انه يجب
عليه ان يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وان قصر في المعرفة استوجب العقوبة ابدا ويعلم ايضا
حسن الحسن وقبح القبيح فيجب عليه الاقدام على الحسن كالصدق والعدل والاعراض عن القبيح كالكذب
والجور وقال ايضا بطاعات لا يراد بها الله تعالى ولا يقصد بها التقرب اليه كالقصد الى النظر الاول
فانه لم يعرف الله تعالى بعد والفعل عبادة وقال في المكروه اذا لم يعرف التعريض والتورية فيما اكره
عليه فله ان يكذب ويكون وزره موضوعا عنه **الثامنة** قوله في الآجال والارزاق ان الرجل
ان لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يجوز ان يزاد في العمر وينقص والارزاق على وجهين احدهما
ما خلق الله تعالى من الامور المنتفع بها يجوز ان يقال خلقها رزقا للعباد فعلى هذا من قال ان احدا
اكل وانتفع بما لم يخلق الله رزقا فقد اخطأ لما فيه ان في الاجسام ما لم يخلقه الله رزقا والثاني
ما حكم الله به من هذه الارزاق للعباد فما احل منها فهو رزقه وما حرم فليس رزقا اي ليس مامورا
بتناوله **التاسعة** حكى الكعبي عنه انه قال ارادة الله غير المراد فارادته لما خلق هي خلقه
له وخلقه للشيء عنده غير الشيء بل الخلق عنده قول لا في محل وقال انه تعالى لم يزل سميعا بصيرا
بمعنى سيسمع وسيبصر وكذلك لم يزل غفورا رحيما محسنا خالقا رازقا مثيبا معاقبا مواليا
معاديا آمرا ناهيا بمعنى ان ذلك سيكون **العاشرة** حكى عنه جماعة انه قال الحجة لا تقوم فيما غاب
الا بخبر عشرين فيهم واحد من اهل الجنة او اكثر ولا تخلو الارض عن جماعة هم اولياء الله معصومون
ولا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر اذ يجوز ان يكذب جماعة ممن لا يحصون

عددا

عدداً اذا لم يكونوا اولياء الله ولم يكن فيهم واحد معصوم وصحب ابا الهذيل ابو يعقوب الشحام والادمي
وهما على مقالته وكان سنه مائة سنة توفي في اول خلافة المتوكل سنة خمس وثلثين ومائتين

النظامية ومن ذلك

اصحاب ابرهيم بن سيار النظام
وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وانفرد عن اصحابه بمسائل
الاولى منها انه زاد على القول بالقدر خيره وشره منا قوله ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على
الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للباري تعالى خلافاً لاصحابه فانهم قضوا بانه قادر عليها
لكنه لا يفعلها لانها قبيحة ومذهب النظام ان القبح اذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من
الاضافة اليه فعلاً ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح ايضاً فيجب ان يكون مانعاً ففاعل العدل
لا يوصف بالقدرة على الظلم وزاد ايضاً على هذا الاختيار فقال انما يقدر على فعل ما يعلم ان فيه
صلاحاً لعباده ولا يقدر على ان يفعل بعباده في الدنيا ما ليس في صلاحهم هذا في تعلق قدرته
بما يتعلق بامور الدنيا واما امور الاخرة فقال لا يوصف الباري تعالى بالقدرة على ان يزيد في عذاب
اهل النار شيئاً ولا ان ينقص منه شيئاً وكذلك لا ينقص من نعيم اهل الجنة ولا ان يخرج احداً
من اهل الجنة وليس ذلك مقدوراً له وقد الزم عليه ان يكون الباري تعالى مطبوعاً مجبوراً على
ما يفعله فان القادر على الحقيقة من يتخير بين الفعل والترك فاجاب ان الذي الزمتموني في
القدرة يلزمكم في الفعل فان عندكم يستحيل ان يفعله وان كان مقدوراً فلا فرق وانما اخذ
هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بان الجواد لا يجوز ان يدخر شيئاً لا يفعله فما
ابدعه واوجده فهو المقدور ولو كان في علمه ومقدوره شيء ما هو احسن واكمل مما ابدعه نظاماً
وترتيباً وصلاحاً لفعل **الثانية** قوله في الارادة ان الباري تعالى ليس موصوفاً بها على
الحقيقة فاذا وصف بها شرعاً في افعاله فالمراد بذلك انه خالقها ومنشئها على حسب ما علم واذا
وصف بكونه مريداً لافعال العباد فالمعنى به انه امر بها وعنه اخذ الكعبي مذهبه في الارادة
الثالثة قوله ان افعال العباد كلها حركات فحسب والسكون حركة اعتماد والعلوم و
الارادات حركات النفس ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة وانما الحركة عنده مبدأ تغير ما
كما قالت الفلاسفة من اثبات حركات في الكيف والكم والوضع والاين ومتى الى اخواتها
الرابعة وافقهم ايضاً في قولهم ان الانسان في الحقيقة هو الروح والنفس والبدن آلتها
وقالبها غير انه تقاصر عن ادراك مذهبهم فمال الى قول الطبيعية منهم ان الروح جسم لطيف

مشابك

مشابك للبدن مداخل للقالب باجزائه مداخلة المائية في الورد والدهنية في السمسم والسمنية
في اللبن وقال ان الروح هي التي لها قوة واستطاعة وحياة ومشية وهي مستطيعة بنفسها و
الاستطاعة قبل الفعل **الخامسة** حكى الكعبي عنه ان كلما جاوز محل القدرة من الفعل فهو من فعل
الله تعالى بايجاب الخلقة اي ان الله تعالى طبع الحجر طبعا وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغ قوة
الدفع مبلغها عاد الحجر الى مكانه طبعا وله في الجواهر واحكامها خبط مذهب يخالف المتكلمين و
الفلاسفة **السادسة** وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزى واحدث القول بالطفرة لما
الزم مشي نملة على صخرة طاحونة من طرف الى طرف انها قطعت ما لا يتناهى وكيف يقطع ما يتناهى
ما لا يتناهى قال تقطع بعضها بالمشي وبعضها بالطفر وشبه ذلك بحبل شد على خشبة معترضة
وسط بئر طوله خمسون ذراع وعليه دلو معلق الى راس البئر وقد قطع مائة ذراع بحبل طوله خمسون
ذراعا في زمان واحد وليس ذلك الا ان بعض القطع بالطفرة ولم يعلم ان الطفرة قطع مسافة ايضا موازية
لمسافة فالالزام لا يندفع عنه وانما الفرق بين المشي والطفرة يرجع الى سرعة الزمان وبطئه
السابعة قال ان الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت ووافق هشام بن الحكم في قوله ان الالوان
والطعوم والروائح اجسام فتارة يقضي بكون الاجسام اعراضا وتارة يقضي بكون الاعراض اجساما
الثامنة من مذهبه ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليها الان معادن
ونباتا وحيوانا وانسانا ولم يتقدم خلق ادم عليه السلم خلق اولاده غير ان الله تعالى كمن بعضها في بعض
فالتقدم والتاخر انما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها وانما اخذ هذه المقالة
من اصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة واكثر ميله ابدا الى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون
الالهيين **التاسعة** قوله في اعجاز القران انه من حيث الاخبار عن الامور الماضية والاتية
ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا حتى لو خلاهم لكانوا
قادرين على ان ياتوا بسورة مثله بلاغة وفصاحة ونظما **العاشرة** قوله في الاجماع انه ليس بحجة
في الشرع وكذلك القياس في الاحكام الشرعية لا يجوز ان تكون حجة وانما الحجة في قول الامام
المعصوم **الحادية عشر** ميله الى الرفض ووقيعته في كبار الصحابة قال اولا لا امامة
الا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا وقد نص النبي صلى الله عليه واله وسلم على علي رض في مواضع
واظهره اظهارا لم يشتبه على الجماعة الا ان عمر كتم ذلك وهو الذي تولى بيعة ابي بكر رضي الله عنهما
يوم السقيفة ونسبه الى الشك يوم الحديبية في سؤاله عن الرسول ص حين قال السنا على الحق اليسوا

وحبل طوله خمسون ذراعا علق عليه معلق فيجر به الحبل المتوسط فان الدلو يصل

على الباطل

على الباطل قال نعم قال عمر فلم نعط الدنية في ديننا قال هذا شك في الدين ووجد ان خرج في النفس
مما قضى وحكم وزاد في الفرية فقال ان عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى القت المحسن من بطنها وكان
يصيح احرقوها بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلم وقال تغريبه نصر بن
الحجاج من المدينة الى البصرة وابداعه التراويح ونهيه عن متعة الحج ومصادرته العمال كل ذلك احداث
ثم وقع في عثمان وذكر احداثه من رده الحكم بن امية الى المدينة وهو طريد رسول الله ص ونفيه ابا ذر
وهو صديق رسول الله الى ربذة وتقليده الوليد بن عقبة الكوفة وهو من افسد الناس ومعاوية
الشام وعبد الله بن عامر البصرة وتزويجه مروان بن الحكم ابنته وهم افسدوا عليه امره وضربه
عبد الله بن مسعود على احضار المصحف وعلى القول الذي شافهه به كل ذلك احداثه ثم زاد على خزيه
ذلك بان عاب عليا وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما لقولهما اقول فيها برأي وكذب ابن مسعود
في روايته السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وفي روايته انشقاق القمر وتشبيه
الجن بالبط وقد انكر الجن راسا الى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة في الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
الثانية عشر قوله في المفكر قبل ورود السمع انه اذا كان عاقلا متمكنا من النظر يجب عليه
تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف
فيه من افعاله وقال لا بد من خاطرين احدهما يامر بالاقدام والاخر بالكف ليصح الاختيار الثالثة
عشر قد تكلم في مسائل الوعد والوعيد فزعم ان من خان في مائة وتسعة وتسعين درهما بالسرقة
او الظلم لم يفسق بذلك حتى بلغ خيانته نصاب الزكوة وهو مائتا درهم فصاعدا فحينئذ
يفسق وكذلك في سائر نصب الزكوة وقال في المعاد ان الفضل على الاطفال كالفضل على البهائم
ووافقه الاسواري في جميع ما ذهب اليه وزاد عليه بان قال ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على ما
علم انه لا يفعله ولا على ما اخبر انه لا يفعله مع ان الانسان قادر على ذلك لان قدرة العبد صالحة
للضدين ومن المعلوم ان احد الضدين واقع وفي المعلوم انه سيوجد دون الثاني والخطاب
لا ينقطع عن ابي لهب وان اخبر الرب تعالى انه سيصلى نارا ذات لهب ووافقه ابو جعفر الاسكافي
واصحابه من المعتزلة وزاد عليه بان قال ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء وانما يوصف بالقدرة
على ظلم الاطفال والمجانين وكك الجعفران جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وافقاه وما زاد
عليه الا جعفر بن مبشر قال في فساق الامة هو شر من الزنادقة والمجوس وزعم ان اجماع الصحابة
على حد شارب الخمر كان خطأ اذ المعتبر في الحدود النص والتوقيف وزعم ان سارق الحبة الواحدة

فاسق

فاسق مخلع من الايمان وكان محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن عمران من اصحاب النظام الا انهم خالفوه
في الوعيد وفي المنزلة بين المنزلتين وقالوا صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان بمجرد ارتكاب الكبيرة وكان
ابن مبشر يقول في الوعيد ان استحقاق العقاب والخلود في النار بالكفر يعرف قبل ورود السمع
وسائر اصحابه يقولون التخليد لا يعرف الا بالسمع ومن اصحاب النظام الفضل الحدثي واحمد بن حايط
قال ابن الراوندي انهما كانا يزعمان ان للخلق خالقين احدهما قديم وهو الباري تعالى والثاني محدث
وهو المسيح لقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها وكذبه الكعبي في رواية الحدثي خاصة
لحسن اعتقاده فيه **الحائطية** ومن ذلك اصحاب احمد بن
حائط وكذلك الحدثية اصحاب فضل الحدثي كانا من اصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة
ايضا وضما الى مذهب النظام ثلث بدع **الاولى** اثبات حكم من احكام الالهية في المسيح موافقة
للنصارى على اعتقادهم ان المسيح هو الذي يحاسب الخلايق في الاخرة وهو المراد بقوله تعالى وجاء ربك و
الملك صفا صفا وهو الذي ياتي في ظلل من الغمام وهو المعني بقوله او ياتي ربك وهو المراد بقول
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورة الرحمن وقوله يضع الجبار قدمه في النار وزعم
احمد بن حايط ان المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى
الثانية القول بالتناسخ زعما ان الله تعالى ابدع خلقه اصحاء سالمين عقلاء بالغين
في دار سوى هذه الدار التي هم فيها اليوم وخلق فيهم معرفته والعلم به واسبغ عليهم نعمه ولا يجوز
ان يكون اول ما يخلقه الا عاقلا ناظرا معتبرا فابتداهم بتكليف شكره فاطاعه بعضهم في جميع
ما امرهم به وعصاه بعضهم في جميع ذلك واطاعه بعضهم في البعض دون البعض فمن اطاعه في الكل
اقره في دار النعيم التي ابتداهم فيها ومن عصاه في الكل اخرجه من تلك الدار الى دار العذاب
وهي النار ومن اطاعه في البعض وعصاه في البعض اخرجه الى دار الدنيا فالبسه هذه الاجسام الكثيفة
وابتلاه بالباساء والضراء والشدة والرخاء والالام واللذات على صور مختلفة من صور
الناس وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم فمن كانت معاصيه اقل وطاعته اكثر كانت صورته
احسن والامه اقل ومن كان ذنوبه اكثر كانت صورته اقبح والامه اكثر ثم لا يزال يكون الحيوان في
الدنيا كرة بعد كرة وصورة بعد اخرى ما دامت معه ذنوبه وطاعاته وهذا عين القول با
لتناسخ وكان في زمانهما شيخ المعتزلة احمد بن ايوب ابن مانوس وهو ايضا من تلامذة النظام
قال مثل ما قال ابن حايط في التناسخ وخلق البرية دفعة واحدة الا انه قال متى صارت النوبة

الى البهيمة ارتفعت التكاليف ومتى صارت النوبة الى رتبة النبوة والملك ارتفعت التكاليف ايضا
وصارت النوبتان الى عالم الجزاء ومن مذهبهما ان الديار خمس داران للثواب احديهما اكل وشرب و
بعال وجنات وانهار والثانية دار فوق هذه ليس فيها اكل وشرب وبعال بل ملاذ روحانية
وروح وريحان غير جسمانية والثالثة دار العقاب المحض وهي نار جهنم ليس فيها ترتيب بل هي على نمط
التشاؤم الرابعة دار الابتداء التي خلق الخلق فيها قبل ان يهبطوا الى الدنيا وهي الجنة الاولى والخامسة
دار الابتداء التي كلف الخلق فيها بعد ان اجترحوا في الاولى وهذا التكوير والتكرير لا يزال في الدنيا
حتى يمتلي المكيالان مكيال الخير ومكيال الشر فاذا امتلأ مكيال الخير صار العمل كله طاعة و
المطيع خيرا خالصا فينقل الى الجنة ولم يلبث طرفة عين فان مطل الغني ظلم وفي الخبر اعطوا
الاجير اجره قبل ان يجف عرقه واذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية والعاصي شريرا
محضا فينقل الى النار ولم يلبث طرفة عين وذلك قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون **البدعة الثالثة** حملهما كلما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالى مثل
قوله عم انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته على رؤية العقل الاول
التي هو اول مبدع وهو العقل الفعال الذي منه يفيض الصور على الموجودات واياه عنى النبي صلعم اول ما
خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا
احسن منك بك اعز وبك اذل وبك اعطي وبك امنع فهو الذي يظهر يوم القيمة ويرتفع الحجب بينه
وبين الصور التي فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر فاما واهب العقل فلا يرى البتة ولا يشبه
الا مبدع وقال ابن حايط ان كل نوع من انواع الحيوانات امة على حيالها ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم وفي كل امة رسول من نوعه لقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير ولهما طريقة اخرى
في التناسخ وكانهما مزجا كلام التناسخية والفلاسفة والمعتزلة بعضها ببعض

البشرية ومن ذلك اصحاب بشر بن المعتمر كان من
افضل علماء المعتزلة وهو الذي احدث القول بالتولد وافرط فيه وانفرد عن اصحابه بمسائل
ست **الاولى** منها انه زعم ان اللون والطعم والرائحة والادراكات كلها من السمع والرؤية
يجوز ان تحصل متولدة من فعل الغير في الغير اذا كانت اسبابها من فعله وانما اخذ هذا من الطبيعيين
الا انهم لا يفرقون بين المتولد والمباشر بالقدرة وربما لا يثبتون القدرة على منهاج المتكلمين
وقوة الفعل وقوة الانفعال غير القدرة التي يثبتها المتكلم **الثانية** قوله ان الاستطاعة

هي سلامة

الحجاب

امثالكم

هي سلامة بنيته وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وقال لا اقول يفعل بها في الحالة الاولى ولا في الحالة
الثانية لكني اقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الا في الثانية **الثالثة** قوله ان الله
تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل لكان ظالما اياه الا انه لا يستحسن ان يقال في حقه بل يقال
لو فعل ذلك كان الطفل بالغا عاقلا عاصيا بمعصية ارتكبها مستحقا للعقاب وهذا كلام
متناقض **الرابعة** حكى الكعبي انه قال ارادة الله تعالى فعل من افعاله وهي على وجهين صفة
ذات وصفة فعل فاما صفة الذات فهو جل وعز لم يزل مريدا لجميع افعاله ولجميع طاعات عباده
فانه حكيم ولا يجوز ان يعلم الحكيم صلاحا وخيرا الا يريده واما صفة الفعل فان اراد بها فعل نفسه
في حال احداثه فهي خلق له وهي قبل الخلق لان ما به يكون الشيء لا يجوز ان يكون معه **الخامسة**
قال ان عند الله لطفا لو اتى به لامن جميع من في الارض ايمانا يستحقون عليه الثواب استحقاقهم
لو آمنوا من غير وجوده واكثر منه وليس على الله تعالى ان يفعل ذلك بعباده ولا يجب عليه رعاية الاصلح
لانه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح فما من اصلح الا وفوقه اصلح وانما عليه ان يمكن العبد
بالقدرة والاستطاعة ويزيح العلل بالدعوة والرسالة والمفكر قبل ورود السمع يعلم الباري تعالى
بالنظر والاستدلال واذا كان مختارا في فعله استغنى عن الخاطرين فان الخاطرين لا يكونان
من قبل الله وانما هما من الشيطان والمفكر الاول لم يتقدمه شيطان يخطر الشك بباله ولو تقدم
فالكلام في الشيطان كالكلام فيه **السادسة** من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاقه
العقوبة الاولى فانه قبل توبته بشرط ان لا يعود **المعمرية** ومن ذلك
ومن ذلك اصحاب معمر بن عباد السلمي وهو اعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات
ونفي القدر خيره وشره من الله والتكفير والتضليل على ذلك وانفرد عن اصحابه بمسائل منها
انه قال ان الله لم يخلق شيئا غير الاجسام فاما الاعراض فانها من اختراعات الاجسام اما طبعا كالنار
التي تحدث الاحراق والشمس الحرارة والقمر التلوين واما اختيارا كالحيوان يحدث الحركة والسكون
والاجتماع والافتراق ومن العجب ان حدوث الجسم وفناؤه عنده عرض فكيف يقول انهما من فعل
الاجسام واذا لم يحدث الباري تعالى عرضا فلم يحدث الجسم وفناؤه فان الحدوث عرض فيلزمه ان لا
يكون لله تعالى فعل اصلا ثم الزم كلام الباري تعالى انه عرض او جسم فان قال هو عرض فقد احدثه
الباري تعالى فان المتكلم على اصله من فعل الكلام او يلزمه ان لا يكون لله تعالى كلام وهو عرض فان
قال هو جسم فقد ابطل قوله انه احدثه في محل فان الجسم لا يقوم بالجسم فاذا لم يقل هو باثبات

وان اراد بها عباده فهو الامر به صح

الا

الصفات الازلية ولا قال بخلق الاعراض فلا يكون لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه واذا لم يكن
له كلام لم يكن آمرا ناهيا واذا لم يكن امر ونهي لم يكن شريعة اصلا فادى مذهبه الى خزي عظيم
ومنها ان قال الاعراض لا تتناهى في كل نوع وقال كل عرض قائم بمحل فانما يقوم به لمعنى اوجب القيام
وذلك يؤدي الى القول بالتسلسل وعن هذه المسئلة سمي هو واصحابه اصحاب المعاني وزاد
على ذلك فقال الحركة انما خالفت السكون لابنائها بلا معنى اوجب المخالفة وكذلك مغايرة
المثل المثل ومماثلته وتضاد الضد الضد كل ذلك عنده لمعنى ومنها ما حكي الكعبي عنه
ان الارادة من الله تعالى لشيء غير الله وغير خلقه للشيء وغير الحكم والامر والاخبار فاشار الى امر
مجهول لا يعرف وقال ليس الانسان فعل سوى الارادة مباشرة كانت او توليدا واما الكيفية
من القيام والقعود والحركة والسكون في الخير والشر كلها مستندة الى ارادته لا على طريق المباشرة
ولا على التوليد وهذا عجب غير انه انما بناه على مذهبه في حقيقة الانسان وعنده الانسان معنى او جوهر غير
الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا متكون ولا ممكن ولا يرى ولا يمس
ولا يحس ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان ولا يحصره زمان لكنه مدبر الجسد وعلاقته مع
البدن علاقة التدبير والتصرف وانما اخذ هذا القول من الفلاسفة حيث فضلوا باثبات نفس
الانسان امرا ما هو جوهر قائم بنفسه لا متحيز ولا ممكن واثبتوا من جنس ذلك موجودات
عقلية مثل العقول المفارقة ثم لما كان ميل معمر بن عباد الى مذهب الفلاسفة بين
بين افعال النفس التي سماها انسانا وبين القالب الذي هو جسده فقال فعل النفس هو الارادة
فحسب والنفس انسان فعل الانسان هو الارادة وما سوى ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات
فهي من فعل الجسد ومنها انه يحكى عنه انه كان ينكر القول بان الله تعالى قديم لان القديم اخذ
من قدم يقدم فهو قديم وهو فعل كقولك اخذ منه ما قدم وما حدث وقال ايضا هو يشعر باتصاف
الزمان ذو وجود الباري تعالى ليس بزماني ويحكى عنه انه قال الخلق غير المخلوق والاحداث غير المحدث
وحكى جعفر بن حرب عنه انه قال ان الله تعالى محال ان يعلم نفسه لانه يؤدي الى ان يكون العالم والمعلوم
واحدا ومحال ان يعلم غيره كما يقال محال ان يقدر على الموجودات من حيث هو موجود ولعل هذا النقل
فيه خلل فان عاقلا لا يتكلم بمثل هذا الكلام الغير المعقول لعمري لما كان الرجل يميل الى الفلاسفة
ومن مذهبهم انه ليس علم الباري تعالى علما انفعاليا اي تابعا للمعلوم بل علمه علم فعلي فهو من حيث
هو فاعل عالم وعلمه هو الذي اوجب الفعل وانما يتعلق بالموجود حال حدوثه لا محالة ولا يجوز

وعنده الانسان

ولا يحل

تعلقه

تعلقه بالمعلوم على استمرار عدمه وانه علم وعقل وكونه عقلا وعاقلا ومعقولا شيء واحد فقال ابن
عباد لا يعلم نفسه لانه يؤدي الى تمايز بين العالم والمعلوم ولا يعلم غيره لانه يؤدي الى ان يكون
علمه من غيره بحصل فاما ان لا يصح النقل واما ان يحمل على مثل هذا المحمل ولسنا من رجال ابن عباد
فنطلب لكلامه وجها ومن ذلك؟

المزدارية

اصحاب عيسى بن صبيح المكنى بابي موسى الملقب بالمزدار وقد تلمذ لبشر بن المعتمر واخذ العلم منه
وتزهد ويسمى راهب المعتزلة وانما انفرد من اصحابه بمسائل الاولى منها قوله في الله ان الله
يقدر ان يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان الها كاذبا ظالما تعالى عن قوله الثانية قوله في
التولد مثل قول استاذه وزاد عليه بان جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد
الثالثة قوله في القرآن ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظما وبلاغة وهو
الله بالغ في القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه فانه قد اثبت قديمين وكفر ايضا من لا يرى السلطان
وزعم انه لا يرث ولا يورث وكفر من قال ان اعمال العباد مخلوقة للباري ومن قال انه مرئي بالابصار
وغلا في التكفير حتى قال هم كافرون في قولهم لا اله الا الله وقد سئله ابرهيم السندي عن اهل الارض
جميعا فاكفرهم فاقبل عليه ابرهيم وقال الجنة التي عرضها كعرض السموات والارض لا يدخلها ثلثة
وافتوك فخرج ولم يجبه جوابا وقد تلمذ له ايضا الجعفران وابو زفر ومحمد بن سويد وصحب ابو جعفر
محمد بن عبد الله الاسكافي وعيسى بن الهيثم وجعفر بن حرب الاشج وحكى الكعبي عن الجعفرين انهما
قالا ان الله تعالى خلق القرآن في اللوح المحفوظ لا يجوز ان ينتقل اذ يستحيل ان يكون الشيء الواحد
في مكانين في حالة واحدة وما نقرؤه فهو حكاية عن المكتوب الاول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا
وخلقنا قال وهو الذي اختاره من الاقوال المختلفة في القرآن وقالا في تحسين العقل وتقبيحه
ان العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع احكامه وصفاته قبل ورود الشرع وعليه ان يعلم ان قصر ولم يعرفه
ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة فاثبتا التخليد واجبا بالعقل الثامنة ومن ذلك
ومن ذلك اصحاب ثمامة بن اشرس النميري كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده
بان الفاسق يخلد في النار اذا مات على فسقه من غير توبة وهو في حال الحيوة في منزلة بين المنزلتين
وانفرد عن اصحابه بمسائل منها قوله ان الافعال المتولدة لا فاعل لها اذ لم يمكنه اضافتها
الى فاعل اسبابها حتى يلزم ان يضيف الفعل الى ميت مثل ما اذا فعل السبب ومات ووجد
المتولد بعده ولم يمكنه اضافتها الى الله تعالى لانه يؤدي الى فعل القبيح وذلك قبيح فتحير فيه

الا استحيا

وقال

وقال ان المتولدات افعال لا فاعل لها ومنها قوله في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى
والزنادقة يصيرون في القيمة ترابا وكذلك قوله في البهايم والطيور وصبيان المؤمنين ومنها قوله
الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وهي قبل الفعل ومنها قوله ان المعرفة
متولدة من النظر وهي فعل لا فاعل له كساير المتولدات ومنها قوله في تحسين العقل وتقبيحه و
ايجاب المعرفة قبل ورود السمع مثل قول اصحابه غير انه زاد عليهم فقال من الكفار من لا يعلم خالقه
وهو معذور وقال ان المعارف كلها ضرورية وان من لم يضطر الى معرفة الله تعالى فهو مسخر للعباد
كالحيوان ومنها قوله لا فعل للانسان الا الارادة وما عداها فهو حدث لا محدث له وحكى ابن
الراوندي عنه انه قال العالم فعل الله تعالى بطباعه ولعله اراد بذلك ما تريد الفلاسفة من الايجاب
بالذات دون الايجاد على مقتضى الارادة لكن يلزمه على اعتقاده ذلك ما لزم الفلاسفة من القول
بقدم العالم اذ الموجب لا ينفك عن الموجب وكان ثمامة في ايام المامون وعنده بمكان

الهشامية ومن ذلك

ومن ذلك اصحاب هشام بن عمرو
الفوطي ومبالغته في [illegible] اشد واكثر من مبالغة اصحابه وكان يمتنع من اطلاق اضافات افعال
الى الباري تعالى وان ورد [illegible] التنزيل منها قوله تعالى ان الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم
المؤتلفون باختيارهم وقد ورد في التنزيل ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ومنها
قوله ان الله تعالى لا يحبب الايمان الى المؤمنين ولا يزينه في قلوبهم وقد قال تعالى حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم ومبالغته في نفي اضافات الطبع والختم والسد وامثالها اشد واصعب
وقد ورد بجميعها التنزيل قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقال بل طبع الله عليها
بكفرهم وقال وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وليت شعري ما يعتقده الرجل انكار
الفاظ التنزيل وحيا من الله تعالى فيكون تصريحا بالكفر وانكار ظواهرها من نسبتها الى الباري
تعالى ووجوب تاويلها وذلك غير مذهب اصحابه ومن بدعه في الدلالة على الباري تعالى قوله ان الاعراض
لا تدل على كونه خالقا ولا تصلح الاعراض دلالات بل الاجسام تدل على كونه خالقا وهذا اعجب
ايضا ومن بدعه في الامامة قوله انها لا تنعقد في ايام الفتنة واختلاف الناس وانما يجوز عقدها في
حال الاتفاق والسلامة وكذلك ابو بكر الاصم من اصحابه وكان يقول الامامة لا تنعقد الا باتفاق
الامة عن بكرة ابيهم وانما زاد بذلك الطعن في امامة علي رض اذ كانت البيعة في ايام الفتنة من غير
اتفاق من جميع الصحابة اذ بقي في كل طرف طائفة على خلافه ومن بدعه ان الجنة والنار ليستا

مخلوقتين

والدهرية انهم

مخلوقتين الآن اذ لا فائدة في وجودهما جميعا وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما وبقيت
هذه المسئلة منه اعتقادا للمعتزلة وكان يقول بالموافاة وان الايمان هو الذي يوافي الموت وقال
من اطاع الله جميع عمره وقد علم الله انه ياتي بما يحبط اعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقا للوعد وكذلك
على العكس وصاحبه عباد من المعتزلة وكان يمتنع من اطلاق القول بان الله تعالى خلق الكافر كفر وانسان
والله لا يخلق الكفر وقال النبوة جزاء على عمل وانها باقية ما بقيت الدنيا وحكى الاشعري عن عباد
انه زعم انه لا يقال ان الله لم يزل قائلا ولا غير قائل ووافقه الاسكافي على ذلك قالا ولا يسمى متكلما
وكان الفوطي يقول ان الاشياء قبل كونها معدومة ليست اشياء وهي بعد ان تعدم عن وجود تسمى
اشياء ولهذا المعنى كان يمنع القول بان الله تعالى قد كان لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها فانها
لا تسمى اشياء قال وكان يجوز القتل والغلبة على المخالفين لمذهبه واخذ اموالهم غصبا وسرقة
لاعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم واموالهم

الجاحظية ومن ذلك

ومن ذلك اصحاب عمرو بن بحر الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم وقد طالع كثيرا
من كتب الفلاسفة وخلط وروج بعبارته البليغة وحسن براعته اللطيفة وكان في ايام المعتصم
والمتوكل وانفرد عن اصحابه بمسائل منها قوله ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شيء من ذلك
من افعال العباد وليس للعباد كسب سوى الارادة ويحصل افعاله منه طباعا كما قال ثمامة ونقل
عنه ايضا انه انكر اصل الارادة وكونها جنسا من الاعراض فقال اذا انتفى السهو عن الفاعل و
كان عالما بما يفعله فهو المريد على التحقيق واما الارادة المتعلقة بفعل الغير فهي ميل النفس اليه
وزاد على ذلك باثبات الطبايع للاجسام كما قالت الطبيعيون من الفلاسفة واثبت لها افعالا
مخصوصة بها وقال باستحالة عدم الجواهر فالاعراض تتبدل والجواهر لا يجوز ان تفنى ومنها قوله في اهل
النار انهم لا يخلدون فيها عذابا بل يصيرون الى طبيعة النار وكان يقول النار تجذب الى اهلها
نفسها دون ان يدخل احد فيها ومذهبه مذهب الفلاسفة في نفي الصفات وفي اثبات القدر
خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة وحكى الكعبي عنه انه قال يوصف الباري تعالى بانه مريد
بمعنى انه لا يصح عليه السهو في افعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر وقال ان الخلق كلهم من
العقلاء عالمون بان الله خالقهم وعارفون بانهم محتاجون الى النبي وهم محجوبون بمعرفتهم ثم هم
صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به فالجاهل معذور والعالم محجوج ومن انتحل دين الاسلام فان
اعتقد ان الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى بالابصار وهو عدل لا يجور ولا يريد المعاصي وبعد

لان الكافر

لان الكافر

منها

الاعتقاد

الاعتقاد واليقين اقر بذلك كله فهو مسلم حقا وان عرف ذلك كله ثم جحده وانكره او دان بالتشبيه
والجبر فهو مشرك كافر حقا وان لم ينظر في شيء من ذلك واعتقد ان الله ربه وان محمدا رسول الله فهو
مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف غير ذلك وحكى ابن الراوندي عنه انه قال ان القرآن جسد يجوز ان
يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا وهذا مثل ما يحكى عن ابي بكر الاصم انه زعم ان القرآن جسم مخلوق وانكر
الاعراض اصلا وانكر صفات الباري تعالى ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة الا
ان الميل منه ومن اصحابه الى الطبيعيين منهم اكثر منه الى الالهيين **الخياطية** ومن ذلك
ومن ذلك اصحاب ابي الحسن بن ابي عمرو الخياط استاذ ابي القاسم بن محمد الكعبي وهما من معتزلة
بغداد على مذهب واحد الا ان الخياط غالى في اثبات كون المعدوم شيئا وقال له لشيء ما يعلم ويخبر منه
والجوهر جوهر في العدم والعرض عرض وكذلك اطلق جميع الاجناس والاصناف حتى قال السواد سواد
في العدم فلم يبق الا صفة الوجود او الصفات التي تلزم الوجود والحدوث واطلق على المعدوم لفظ الثبوت
وقال في نفي صفات الباري تعالى مثل ما قاله اصحابه وكذا القول في القدر والسمع والعقل وانفرد الكعبي
عن استاذه بمسائل منها قوله ان ارادة الباري تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا ارادته
حادثة في محل او لا في محل بل اذا اطلق عليه انه مريد فمعناه انه مريد عالم قادر غير مكره في فعله ولا
كاره ثم اذا قيل هو مريد لافعاله فالمراد به انه خالق لها على وفق علمه واذا قيل هو مريد لافعال عباده
فالمراد به انه آمر بها راض عنها وقوله في كونه سميعا بصيرا راجع الى ذلك ايضا فهو سميع بمعنى انه عالم
بالمسموعات وبصير بمعنى انه عالم بالمبصرات وقوله في الرؤية كقول اصحابه نفيا واحالة غير ان اصحابه
قالوا يرى الباري تعالى ذاته ويرى المرئيات وكونه مدركا لذلك زائدا على كونه عالما وقد انكر الكعبي
ذلك وقال معنى قولنا يرى ذاته فترى المرئيات انه عالم بها فقط **الجبائية** ومن ذلك
ومن ذلك البهشمية اصحاب علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وابنه ابي هاشم عبد السلام وهما
من معتزلة البصرة انفردا عن اصحابهما بمسائل وانفرد احدهما عن صاحبه بمسائل اما المسائل التي انفردا
بها عن اصحابهما فمنها انهما اثبتا ارادات حادثة لا في محل يكون الباري تعالى بها موصوفا مريدا وتعظيما
لا في محل اذا اراد ان يعظم ذاته وفناء لا في محل اذا اراد ان يفني العالم واخص اوصاف هذه الصفات ترجع
اليه من حيث انه تعالى ايضا لا في محل واثبات موجودات هي اعراض او في حكم الاعراض لا محل لها كاثبات
موجودات هي جواهر او في حكم الجواهر لا مكان لها وذلك قريب من مذهب الفلاسفة حيث اثبتوا
عقلا هو جوهر لا في محل ولا في مكان وكذلك النفس الكلي والعقول المفارقة ومنها انهما

حكما

حكما بكونه تعالى متكلما بكلام يخلقه في محل وحقيقة الكلام عندهما اصوات مقطعة وحروف منظومة
والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام الا ان الجبائي خالف اصحابه خصوصا بقوله بحدث الله تعالى عند
قراءة كل قارئ كلاما لنفسه في محل القراءة وذلك حين الزم الذي يقرأ القارئ ليس بكلام الله والمسموع
منه ليس كلام الله فالتزم هذا المحال من اثبات امر غير معقول ولا مسموع وهو اثبات كلامين في محل
واحد واتفقا على نفي رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار وعلى القول باثبات الفعل للعبد خلقا
وابداعا واختراعا في الخير والشر والطاعة والمعصية استقلالا واستمدادا وان الاستطاعة قبل الفعل
وهي قدرة زائدة على سلامة البنية وصحة الجوارح واثبتا البنية شرطا في قيام المعاني التي تشترط
في ثبوتها الحياة واتفقا على ان المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبح واجبات عقلية واثبتا
شرعية عقلية ورد الشريعة النبوية الى مقدرات الاحكام وموقتات الطاعات التي لا يتطرق
اليها عقل ولا يهتدي اليها فكر وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي
الا ان التائب والتخليد فيه يعرف بالسمع والايمان عندهما اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير اذا
استجمعت سمي المتحلي بها مؤمنا ومن ارتكب كبيرة فهو يسمى في الحال فاسقا لا مؤمنا ولا كافرا وان لم
يتب ومات عليها فهو مخلد في النار واتفقا على ان الله تعالى لم يدخر عن عباده شيئا انما علم انه اذا
فعل بهم اثوابا الطاعة والتوبة من الصلاح والاصلح واللطف لانه قادر عالم جواد حكيم لا يضره
الاعطاء ولا ينقص من خزانته المنع ولا يزيد في ملكه الادخار وليس الاصلح هو الاذبل هو الاعود
في العاقبة والاصوب في العاجل وان كان مولما مكروها وذلك كالحجامة والفصد وشرب الادوية
ولا يقال انه تعالى يقدر على شيء هو اصلح مما فعله بعباده والتكاليف كلها الطاف وبعثة الانبياء
عليهم السلام وشرع الشرائع وتمهيد الاحكام والتنبيه على الطريق الاصوب كلها الطاف
ومما تخالفا فيه اما في صفات الباري تعالى فقال الجبائي الباري تعالى عالم لذاته حي قادر لذاته
ومعنى قولنا لذاته اي لا يقتضي كونه عالما صفة هي علم او حالا يوجب كونه عالما وعند ابي هاشم هو عالم
لذاته بمعنى انه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتا موجودا وانما يعلم الصفة على الذات لا بانفرادها
فاثبت احوالا هي صفات لا موجودة ولا معدومة ولا معلومة ولا مجهولة او هي علم على حيالها لا تعرف
كذلك مع الذات قال والعقل يدرك فرقا ضروريا بين معرفة الشيء مطلقا وبين معرفته على صفة فلا
من عرف الذات عرف كونه عالما ولا من عرف الجوهر عرف كونه متحيزا قابلا للعرض ولا شك ان الذات
يدرك اشتراك الموجودات في قضية وافتراقها في قضية وبالضرورة يعلم انما اشتركت فيه غير ما افترقت

Digitized by Google

به وهذه القضايا العقلية لا ينكرها عاقل وهي لا ترجع الى الذات ولا الى الاعراض وراء الذات فانه
يؤدي الى قيام العرض بالعرض فتعين بالضرورة انها احوال فكون العالم عالما حال هي صفة وراء كونه
ذاتا اي المفهوم منها غير المفهوم من الذات وكذلك كونه قادرا حيا ثم اثبت للباري تعالى حالة اخرى
اوجبت تلك الاحوال وخالفه والده وساير منكري الاحوال في ذلك وردوا الاشتراك والافتراق
من الالفاظ واسماء الاجناس وقالوا ليست الاحوال تشترك في كونها احوالا وتفترق في خصايص
كك نقول في الصفات والا فيؤدي الى اثبات الحال للحال ويفضي الى التسلسل بل هي اما راجعة الى
مجرد الالفاظ اذ وضعت في الاصل على وجه يشترك فيها الكثير لا ان مفهومها معنى او صفة ثابتة
على وجه يشمل اشياء ويشترك فيها الكثير فان ذلك مستحيل او يرجع ذلك الى وجوه واعتبارات
عقلية هي المفهومة من قضايا الاشتراك والافتراق وتلك الوجوه كالنسب والاضافات والقرب
والبعد وغير ذلك مما لا يعد صفات بالاتفاق وهذا هو اختيار ابي الحسين البصري وابي الحسن
الاشعري وبنوا على هذه المسئلة مسئلة المعدوم شيء فمن مثبت كونه شيئا كما نقلنا من المعتزلة
فلا يبقى من صفات الثبوت الا كونه موجودا فعلى ذلك لا تثبت القدرة في ايجادها اثرا سوى الوجود
والوجود على مذهب نفاة الاحوال لا يرجع الا على اللفظ المجرد وعلى مذهب مثبتي الاحوال هو حالة لا توصف
بالوجود والعدم وهذا كما ترى من التناقض والاستحالة ومن نفاة الاحوال من يثبت شيئا ولا يسميه
بصفات الاجناس وعند الجبائي اخص وصف الباري هو القدم والاشتراك في الاخص يوجب
الاشتراك في الاعم وليت شعري كيف يمكنه اثبات الاشتراك والافتراق والعموم والخصوص
حقيقة وهو من نفاة الاحوال فاما على مذهب ابي هاشم فلعمري هو مطرد غير ان القدم اذا بحث
عن حقيقته رجع الى نفي الاولية والنفي يستحيل ان يكون اخص وصف واختلفا في كونه سميعا
بصيرا فقالت الجبائي معنى كونه سميعا بصيرا انه حي لا آفة به وخالفه ابنه وساير اصحابه اما
ابنه فصار الى ان كونه سميعا حالة وكونه بصيرا حالة سوى كونه عالما لاختلاف القضيتين
والمفهومين والمتعلقين والاثرين وقال غيره من اصحابه معناه كونه مدركا للمبصرات مدركا
للمسموعات واختلفا ايضا في بعض مسائل اللطف فقال الجبائي فيمن يعلم الباري تعالى من حاله انه
لو امن مع اللطف لكان ثوابه اقل لقلة مشقته ولو امن بلا لطف لكان ثوابه اكثر لعظم مشقته
انه لا يحسن منه ان يكلفه الا مع اللطف ويسوي بينه وبين المعلوم من حاله انه لا يفعل الطاعة
على كل وجه الا مع اللطف ويقول ان كلفه مع عدم اللطف لوجب ان يكون مستفيدا حاله

غير

Digitized by Google

غير مربح لعلته ويخالفه ابو هاشم في بعض المواضع وفي هذه المسئلة فالحسن منه تعالى ان يكلفه الآلام
على اشق الوجهين بلا لطف واختلفا في فضل الالام للعوض قال الجبائي يجوز ذلك ابتداء لاجل العوض
وعليه بنى آلام الاطفال وقال ابنه انما يحسن ذلك بشرط العوض والاعتبار جميعا وتفصيل مذهب
الجبائي في الاعواض على وجهين احدهما انه يقول التفضل بمثل الاعواض غير انه يعلم انه لا ينفصل عن
الاعلى الم مقدم والوجه الثاني انه انما يحسن ذلك لان العوض مستحق والتفضل غير مستحق والثواب
عندهم ينفصل عن التفضل بامرين احدهما تعظيم واجلال للمثاب يقترن بالنعيم والثاني قدر زائد
على التفضل فلم يجب اذا اجرى العوض مجرى الثواب لانه لا يتميز عن التفضل بزيادة مقدار ولا بزيادة
صفة وقال ابنه يحسن الابتداء بمثل العوض تفضلا والعوض منقطع غير دائم وقال الجبائي يجوز
ان يقع الانتصاف من الله تعالى للمظلوم من الظالم باعواض يتفضل بها عليه اذا لم يكن للظالم على الله عوض
شق ضرره به وزعم ابو هاشم ان التفضل لا يقع به الانتصاف لان التفضل ليس بحق فعله فقال الجبائي
وابنه لا يجب على الله شيء لعباده في الدنيا اذا لم يكلفهم عقلا وشرعا فاما اذا كلفهم فعل الواجب في
عقولهم واجتناب القبائح وخلق فيهم شهوة القبيح والنفور من الحسن وركب فيهم اخلاقا الذمية فانه
يجب عليه عند هذا التكليف كمال العقل ونصب الادلة والقدرة والاستطاعة وتمكينه الآلة بحيث
يكون متمكنا لعلمهم فيما امرهم ويجب عليه ان يفعل بهم ادعى الامور الى فعل ما كلفهم وازجل الاشياء
لهم عن فعل القبيح الذي نهاهم عنه ولهم في مسائل هذا الباب خبط طويل واما كلام جميع المعتزلة في النبوة
والامامة فخالف كلام البصريين فان من شيوخهم من يميل الى الرفض ومنهم من يميل الى الخوارج والجبائي
وابنه ابو هاشم قد وافقا اهل السنة في الامامة انها بالاختيار وان الصحابة مترتبون في الفضل
ترتيبهم في الامامة غير انهم ينكرون الكرامات اصلا للاولياء من الصحابة وغيرهم ويبالغون في عصمة
الانبياء عن الذنوب كبائرها وصغائرها حتى منع الجبائي القصد الى الذنب الا على تاويل واكثرون
من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وغيره انتهجوا طريقة ابي هاشم وخالفه في ذلك ابو الحسين البصري
وتصفح ادلة الشيوخ واعترض على ذلك بالتزييف والابطال وانفرد عنهم بمسائل منها نفي الحال ومنها
نفي المعدوم شيئا ومنها نفي الاكوان اعراضا ومنها قوله ان الموجودات تتمايز باعيانها وذلك من توابع
نفي الحال ومنها رده الصفات كلها الى كون الباري تعالى عالما قادرا مريدا كما وله ميل الى مذهب هشام بن
الحكم وان الاشياء لا تعلم قبل كونها والرجل فلسفي المذهب

الجبرية

الجبر في الفعل حقيقة عن العبد واضافته الى الرب تعالى والجبرية اصناف فالجبرية الخالصة

الواو اذا ربع كلام على ما ترى
في معرض الكلام فراجع عليهم
لتقدمه منهم بمسالك
الذاهب
ومنع ثالث

هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل اصلا والجبرية المتوسطة ان يثبت للعبد قدرة
غير مؤثرة اصلا فاما من اثبت للقدرة الحادثة اثرا ما في الفعل وسمى ذلك كسبا فليس بجبري
والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة اثرا ما في الابداع والاحداث استقلالا لا جبريا
ويلزمهم ان يسموا من قال من اصحابهم بان المتولدات افعال الفاعل لها جبريا اذ لم يثبتوا للقدرة
الحادثة فيها اثرا والمصنفون في المقالات عدوا البخارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة من
الكلابية من الصفاتية والاشعرية يسمونهم تارة حشوية وتارة جبرية ونحن سمعنا اقرارهم على انفسهم
من البخارية والضرارية فعددناهم من الجبرية ولم نسمع اقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية

الجهمية

ومن ذلك من ذلك اصحاب جهم بن صفوان وهو
من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن احوز المازني بمرو في آخر ملك بني امية
ووافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية وزاد عليهم باشياء منها قوله لا يجوز ان يوصف الباري تعالى
بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضي تشبيها فنفى كونه حيا عالما واثبت كونه قادرا فاعلا
خالقا لانه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق ومنها واثباته علوما حادثة للباري
لا تحل قال لا يجوز ان يعلم الشيء قبل خلقه لانه لو علم ثم خلق افيفيد علمه كما كان ام لا فان بقي فهو
جهل فان العلم بان سيوجد غير العلم بان قد وجد وان لم يبق فقد تغير والمتغير مخلوق لدين يقدم
ووافق في هذا مذهب هشام بن الحكم كما تقرر وقال اذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو اما ان يحدث في ذاته
تعالى وذلك يؤدي الى التغير في ذاته وان يكون محلا للحوادث واما ان يحدث في محل فيكون المحل
موصوفا به لا الباري تعالى فتعين انه لا محل لها فاثبت علوما حادثة بعدد المعلومات الموجودة ومنها
قوله في القدرة الحادثة ان الانسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وانما هو مجبور في
افعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار وانما يخلق الله تعالى الافعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات
وتنسب اليه الافعال مجازا كما تنسب الى الجمادات كما يقال اثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت
الشمس وغربت وتغيمت السماء وامطرت واهتزت الارض فانبتت الى غير ذلك والثواب والعقاب
جبر كما ان الافعال جبر قال واذا ثبت الجبر والتكليف ايضا كان جبرا ومنها قوله ان حركات اهل الخلدين
تنقطع والجنة والنار بجميعها اذ لا يتصور حركات لا تتناهى اخرا كما لا يتصور حركات لا تتناهى اولا
وحمل قوله تعالى خالدين فيها على المبالغة والتاكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلد الله
ملك فلان واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما

تنفيان بعد دخول اهلها فيها وتلذذ اهل الجنة بنعيمها وتالم اهل النار

Digitized by Google

ربك فالآية اشتملت على شرط واستثناء والخلود والتابيد لا شرط فيه ولا استثناء ومنها
قوله من اتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لان العلم والمعرفة لا تزول بالجحد فهو مؤمن وقال
الايمان لا يتبعض اى لا ينقسم الى عقد وقول وعمل ولا يتفاضل اهله فيه فايمان الانبياء وايمان الامة
على نمط واحد اذ المعارف لا تتفاضل وكان السلف كلهم من اشد الرادين عليه ونسبته الى التعطيل
المحض وهو ايضا موافق للمعتزلة فى نفى الرؤية واثبات خلق الكلام وايجاب المعارف بالعقل قبل
ورود السمع

ومن ذلك النجارية

ومن ذلك اصحاب الحسين
بن محمد النجار واكثر معتزلة الرى وجوابها على مذهبه وهم وان اختلفوا اصنافا الا انهم لم يختلفوا
فى المسائل التى عددناها اصولا وهو بن غوثية وزعفرانية ومستدركة واتفقوا المعتزلة فى نفى الصفات
من العلم والقدرة والارادة والحيوة والسمع والبصر واتفقوا الصفاتية فى خلق الاعمال قال النجار
الباري تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه فالزم عموم التعلق فالتزم وقال هو مريد الخير والشر و
النفع والضر وقال ايضا معنى كونه مريدا انه غير مستكره ولا مغلوب وقال هو خالق اعمال العباد خيرها
وشرها وحسنها وبينها والعبد مكتسب لها واثبت تاثيرا للقدرة الحادثة وسمى ذلك كسبا على حسب
ما اثبته الاشعرية وواقفه ايضا فى ان الاستطاعة مع الفعل واما فى مسئلة الرؤية فانكر رؤية
الله تعالى بالابصار واحالها غير انه قال يجوز ان يحول الله تعالى القوة التى فى القلب من المعرفة الى العين
فيعرف الله بها ويكون ذلك رؤية وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة باشياء منها قوله
ان كلام الباري اذا قرئ فهو عرض واذا كتب فهو جسم ومن العجب ان الزعفرانية قالت كلام الله غيره
وكل ما هو غيره فهو مخلوق ومع ذلك قالت كل من قال القرآن مخلوق فهو كافر ولعلهم ارادوا بذلك
الاختلاف والا فالتناقض ظاهر والمستدركة منهم زعموا ان كلامه غيره وهو مخلوق ولكن النبى ص
قال كلام الله غير مخلوق والسلف اجتمعت على هذه العبارة فوافقناهم وحملنا قولهم غير مخلوق اى على
هذا الترتيب والنظم من الحروف والاصوات وهو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها وهذه حكاية
عنها وحكى الكعبى عن النجار انه قال الباري تعالى يحل مكان ذاته وجوده لا بمعنى العلم والقدرة
والزمه محالات على ذلك وقال فى المفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة انه يجب عليه تحصيل
المعرفة بالنظر والاستدلال وقال فى الايمان انه عبارة عن التصديق ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير
توبة عوقب على ذلك ويجب ان يخرج من النار فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار فى الخلود ومحمد
بن عيسى الملقب برغوث وبشر بن غياث المريسى والحسين النجار متقاربون فى المذهب وكلهم اشتغلوا

Digitized by Google

كونه تعالى مريدا لم يزل لكل ما علم انه سيحدث من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وعامة
المعتزلة يابون ذلك ومن ذلك **الضرارية** اصحاب
ضرار بن عمرو وحفص الفرد واتفاقهما في التعطيل انهما قالا الباري تعالى عالم قادر على معنى انه
ليس بجاهل ولا عاجز واثبتا لله ماهية لا يعلمها الا هو وقالا ان هذه المقالة محكية عن ابي
حنيفة وجماعة من اصحابه واراد بذلك انه يعلم نفسه شهادة لا بدليل ولا خبر ونحن نعلمه بدليل وخبر
واثبتا حاسة سادسة للانسان يرى بها الباري تعالى يوم الثواب في الجنة وقالا افعال العباد مخلوقة
للباري تعالى حقيقة والعبد يكتسبها حقيقة وجوزا حصول الفعل من فاعلين وقالا يجوز ان يقلب الله
الاعراض اجساما والاستطاعة والعجز بعض الجسم وهو جسم ولا محالة يبقى زمانين وقالا الحجة بعد رسول
الله ع في الاجماع فقط فانه نقل عنه في احكام الدين من اخبار الآحاد غير مقبول ويحكى عن ضرار انه كان
ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف ابي بن كعب ويقطع بان الله تعالى لم ينزله فقال في المفكر قبل ورود
السمع انه لا يجب عليه بعقله شيء حتى ياتيه الرسول فيامره وينهاه ولا يجب على الله تعالى شيء بحكم العقل
وزعم ضرار ايضا ان الامامة تصلح لغير قريش حتى اذا اجتمع قرشي ونبطي قدم النبطي اذ هو اقل عددا واضعف
وسيلة فيمكننا خلعه اذا خالف الشريعة والمعتزلة وان جوزوا الامامة في غير قريش الا انهم
لا يقدمون النبطي على القرشي **الصفاتية** واعلم ان
جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والارادة والحيوة
والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات
الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين
والوجه ولا ياولون ذلك الا انهم يقولون هذه الصفات وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية
ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات الى حد التشبيه بصفات المحدثات وافضى بهم علم صفات ذات
الافعال عليها على ما وردت به الخبر فافترقوا فيه فرقتين منهم من اولها على وجه يحتمل اللفظ ومنهم من توقف
في التاويل وقال عرفنا بمقتضى العقل ان الله تعالى ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء من المخلوقات فلا
نشبه شيئا منها وقطعنا بذلك الا انا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله الرحمن على العرش
استوى ومثل قوله خلقت بيدي ومثل قوله وجاء ربك الى غير ذلك ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير
هذه الآيات وتاويلها بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بانه لا شريك له وليس كمثله شيء وذلك
قد اثبتناه يقينا ثم ان جماعة من المتاخرين زادوا على ما قالته السلف فقالوا لا بد من اجراء الظاهر

والسلف يثبتون سمى السلف صفاتية والمعتزلة معطلة فبلغ بعض السلف في اثبات الصفات م

Digitized by Google

ظاهرها والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتاويل ولا توقف في الظاهر فوقعوا في التشبيه
الصرف وذلك على خلاف ما اعتقده السلف ولهذا كان التشبيه صرفا خالصا في اليهود لا في كلامهم بل
في القرائين منهم اذ وجدوا في التوراة الفاظا كثيرة تدل على ذلك ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا
في غلو وتقصير اما الغلو فتشبيه بعض ائمتهم بالاله تعالى وتقدس واما التقصير فتشبيه الاله بواحد من
الخلق ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف جعلت بعض فرق الروافض عن الغلو والتقصير وقعوا
في الاعتزال وتخلصت جماعة من السلف الى تفسير الظاهر فوقعت في التشبيه واما السلف الذين لم
يتعرضوا للتاويل ولا تهدفوا للتشبيه فمنهم مالك بن انس اذ قال الاستواء معلوم والكيفية
مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومثل احمد بن حنبل وسفيان وداود الاصفهاني ومن
تابعهم حتى انتهى الزمان الى عبد الله بن سعيد الكلابي وابي العباس القلانسي والحارث بن اسد المحاسبي
وهؤلاء كانوا من جملة السلف الا انهم باشروا علم الكلام وايدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين
اصولية وصنف بعضهم ودرس بعض حتى جرى بين ابي الحسن الاشعري وبين استاذه مناظرة في مسئلة
من مسائل الصلاح والاصلح فتخاصما وانحاز الاشعري الى هذه الطائفة فايد مقالتهم بمناهج كلامية
وصار ذلك مذهبا لاهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية الى الاشعرية ولما كانت الشبهة
والكرامية من مثبتي الصفات عدناهم فرقتين من جملة الصفاتية **الاشعرية** ومن ذلك
اصحاب ابي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما وسمعت من عجيب
الاتفاقات ان ابا موسى الاشعري كان يقرر ما يقرره الاشعري بعينه في مذهبه وقد جرت مناظرة بين
عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو ان احدا اخاصم اليه ربي فقال ابو موسى انا ذلك المتحاكم
اليه قال عمرو ايقدر على شيء ثم يعذبني عليه قال نعم قال عمرو ولم قال لانه لا يظلمك فسكت عمرو
ولم يحر جوابا قال الاشعري الانسان اذا فكر في خلقته من اي شيء ابتداء وكيف تدرج في اطوار الخلقة
كورا بعد كور حتى حصل الى كمال الخلقة وعرف يقينا انه بذاته لم يكن ليدبر خلقته ويبلغه من درجة
الى درجة ويرقيه من نقص الى كمال عرف بالضرورة ان له صانعا قادرا مريدا اذ لا يتصور صدور هذه الافعال عالما
المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة وتبين آثار الاحكام والاتقان في الخلقة وله صفات
دلت افعاله عليها لا يمكن جحدها وكما دلت الافعال على كونه عالما قادرا مريدا دلت على العلم و
القدرة والارادة لان وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا وايضا لا معنى للعالم حقيقة الا
انه ذو علم ولا للقادر الا انه ذو قدرة ولا للمريد الا انه ذو ارادة فيحصل بالعلم الاحكام والاتقان
ويحصل

ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث ويحصل بالارادة التخصيص بوقت دون وقت وقدر دون
قدر وشكل دون شكل وهذه الصفات لا يصح ان يوصف بها الذات الا وان يكون الذات حيا بجهة
للدليل الذي ذكرنا والزم منكري الصفات الزاما لا محيص لهم عنه وهو انكم واضطرونا اوقام الدليل على
كونه عالما قادرا فلا يخ اما ان يكون مفهوما من صفتين واحدا او زائدا فان كان واحدا فيجب ان يعلم
بقادريته ويقدر بعالميته ويكون من علم الذات مطلعا على كونه عالما قادرا وليس الامر كذلك فعرف
ان الاعتبارين مختلفان ثم لا يخ اما ان يرجع الاختلاف الى مجرد اللفظ او الى الحال او الى الصفة
وبطل رجوعه الى اللفظ المجرد فان العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين لو قدر عدم الالفاظ
راسا ولا يرتاب العقل فيما تصوره وبطل رجوعه الى الحال فان اثبات صفة لا توصف بالوجود ولا
بالعدم اثبات واسطة بين الوجود والعدم والاثبات والنفي وذلك محال فتعين الرجوع الى الصفة
قائمة بالذات وذلك مذهبنا على ان القاضي ابا بكر الباقلاني من اصحاب الاشعري قد رد قوله في
اثبات الحال ونفيها وتقريرها على الاثبات ومع ذلك اثبت الصفات معاني قائمة به لا حالا
وقال الحال الذي اثبته ابو هاشم هو الذي نسميه صفة خصوصا لاثباته حالة اوجبت تلك الصفات
قال ابو الحسن الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحيوة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير
ولم في البقاء اختلاف اي قال وهذه صفات ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا غيره والدليل
على انه متكلم بكلام قديم مريد بارادة قديمة قال قام الدليل على انه تعالى ملك والملك من له الامر
والنهي فهو آمر ناهي فلا يخ اما ان يكون امرا بامر قديم او بامر محدث فان كان محدثا فلا يخ اما ان يحدث
في ذاته او في محل اولا في محل ويستحيل ان يحدث في ذاته لانه يؤدي الى ان يكون محلا للحوادث والذات
مح ويستحيل ان يكون في محل لانه يوجب ان يكون المحل به موصوفا ويستحيل ان يحدث لا في محل لان
ذلك غير معقول فتعين انه قديم قائم به صفة له وكذلك القسم في الارادة والسمع والبصر قال
وعلة واحد يتعلق بجميع المعلومات المستحيل والجائز والواجب والموجود والمعدوم وقدرته واحدة
يتعلق بجميع ما يصح وجوده من الجائزات وارادته واحدة يتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه
واحد يتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد وهو امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد
وهذه الوجوه ترجع الى اعتبارات في كلامه لا الى عدد في نفس الكلام والعبارات والالفاظ المنزلة
على السن الملائكة الى الانبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الازلي والدلالة مخلوقة ومحدثة
والمدلول قديم ازلي والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كالفرق بين الذكر والمذكور

اذا اثبت له

ولا هو ولا غيره

Digitized by Google

فالذكر محدث والمذكور قديم وخالف الاشعري بهذا التدين جماعة من الحشوية اذ قضوا بكون الحروف
والكلمات قديمة وعند المعتزلة المتكلم من فعل الكلام وما اتى به كلاما سوى العبارة والكلام عند
الاشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة بل العبارة دلالة عليه من الانسان فالمتكلم عنده من قام به
الكلام وعند المعتزلة من فعل الكلام غير ان العبارة يسمى كلاما اما بالمجاز واما باشتراك اللفظ
قال وارادته ازلية متعلقة بجميع المرادات من افعاله الخاصة وافعال عباده من حيث انها مخلوقة له
لا من حيث انها مكتسبة لهم فمن هذا قال اراد الجميع خيرها وشرها ونفعها وضرها وكما اراد وعلم
اراد من العباد ما علم وامر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذي لا يتغير
ولا يتبدل وخلاف المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع وتكليف ما لا يطاق جائز على مذهب المعتزلة
التي ذكرناها ولان الاستطاعة عنده عرض والعرض لا يبقى زمانين وفي حال التكليف لا يكون المكلف
قط قادرا ولان المكلف لن يقدر على احداث ما امر به فاما تجويز ذلك في حق من لا قدرة له اصلا
على الفعل فمحال وان وجد ذلك في كتابه منصوصا عليه قال والعبد قادر على انها اذا الانسان يجد
في نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات الاختيار والارادة والتفرقة
راجعة الى ان الحركات الاختيارية الحاصلة تحت القدرة المتوقفة على اختيار القادر فمن هذا قال
المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة والحاصل تحت القدرة الحادثة ثم على اصل ابي الحسين
لا تاثير للقدرة الحادثة في الاحداث لان جهة الحدوث لا تؤثر في حدوث كل محدث حتى يصلح لاحداث
الالوان والطعوم والروائح ويصلح لاحداث الجواهر والاجسام فتوقفنا الى تجويز وقوع السماء والارض
بالقدرة الحادثة غير ان الله تعالى اجرى سنته بان يخلق عقيب القدرة الحادثة او مقارنها او معها
الفعل الحاصل اذا اراده العبد وتجرد له ويسمى هذا الفعل كسبا من العبد حاصلا تحت
قدرته والقاضي ابو بكر الباقلاني تخطى عن هذا القدر قليلا فقال الدليل قد قام على ان
القدرة الحادثة لا تصلح للايجاد لكن ليس يقتضي صفات الفعل ووجوهه واعتباراته على جهة
الحدوث فقط بل فيه هنا وجوه اخر وراء الحدوث من كون الجوهر جوهرا متحيزا قابلا للعرض ومن كون
العرض عرضا ولونا وسوادا وغير ذلك وهذه احوال عند مثبتي الاحوال قال وجهة كون الفعل
حاصلا بالقدرة الحادثة او مقارنها نسبة خاصة يسمى ذلك كسبا وذلك هو اثر القدرة
الحادثة قال فاذا جاء على اصل المعتزلة ان يكون تاثير القدرة او القادرية القديمة في حال
هو الحدوث والوجود او في وجه من وجوه الفعل فلم لا يجوز ان يكون تاثير القدرة الحادثة في حالة

قضية واحدة لا تختلف بالنسبة الى الجوهر والعرض فلو اثرت في قضية الحدوث صح

فيكون خلقا من الله تعالى ابداعا واحداثا وكسبا صح

حتى صفة ٩

Digitized by Google

هي صفة للحادث او في وجه من وجوه الفعل وهو كون الحركة مثلا على هيئة مخصوصة وذلك ان المفهوم
من الحركة مطلقا غير المفهوم من القيام والقعود وهما حالتان متمايزتان فان كل قيام حركة وليس كل حركة
قياما ومن المعلوم ان الانسان يفرق فرقا ضروريا بين قولنا اوجد وبين قولنا صلى وصام وقام وقعد
وكما لا يجوز ان يضاف الى الباري تعالى جهة ما يضاف الى الباري تعالى فاثبت القاضي تاثيرا للقدرة
الحادثة واثرها هي الحالة الخاصة وهي جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة با
لفعل وتلك الجهة هي المتعينة لان تكون مقابلة بالثواب والعقاب فان الوجود من حيث هو وجود
لا يستحق عليه ثواب وعقاب خصوصا على اصل المعتزلة فان جهة الحسن والقبح هي التي تقابل با
لجزاء والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود فالموجود من حيث هو موجود ليس بحسن ولا قبيح
قال فاذا جاز لكم اثبات صفتين هما حالتان جاز لي اثبات حالة هي متعلقة بالقدرة الحادثة
ومن قال هي حالة مجهولة فبينا بجهة الامكان جهتها وعرفناها ايش هي ومثلناها كيف هي
ثم ان امام الحرمين ابا المعالي الجويني قدس الله روحه تخطى غير هذا البيان قليلا وقال اما نفي
القدرة والاستطاعة فمما يأباه العقل والحس واما اثبات قدرة بوجه لا تاثير لها بوجه فهو
كنفي القدرة اصلا واما اثبات تاثير في حالة لا تعقل كنفي التاثير خصوصا والاحوال على
اصلهم لا توصف بالوجود والعدم فلا بد اذا من نسبة فعل العبد الى قدرته حقيقة لا على وجه
الاحداث والخلق فان الخلق يشعر باستقلال ايجاده من العدم والانسان كما يحس من نفسه الاقتدار
يحس منه ايضا عدم الاستقلال فالفعل يستند وجودا الى القدرة والقدرة تستند وجودا
الى سبب اخر فيكون نسبة القدرة الى ذلك السبب كنسبة الفعل الى القدرة وكذلك يستند
سبب الى حتى ينتهي الى مسبب الاسباب فهو الخالق للاسباب ومسبباتها المستغني على الاطلاق فان
كل سبب مستغني من وجه ومحتاج من وجه والباري تعالى هو الغني المطلق الذي لا حاجة له ولا فقر وهذا
الراي انما اخذه من الحكماء الالهيين وابرزه في معرض الكلام وليس يختص نسبة السبب الى السبب على
اصلهم بالفعل والقدرة بل كل ما يوجد من الحوادث فذلك حكمه وحينئذ يلزم القول بالطبع و
تاثير الاجسام في الاجسام ايجادا وتاثير الطبايع في الطبايع احداثا وليس ذلك مذهب الاسلاميين
كيف وراي المحققين من الحكماء ان الجسم لا يؤثر في ايجاد الجسم قالوا الجسم لا يجوز ان يصدر عن جسم ولا
عن قوة ما في جسم فان الجسم مركب من مادة وصورة فلو اثر لاثر من جهتيه اعني مادته وصورته والمادة
لها طبيعة عدمية فلو اثرت بمشاركة العدم والتالي مح فالمقدم ايضا مح فنقيضه حق وهو ان

ومن العرض مطلقا
ح

الى العبد فكذلك لا يجوز
ان يضاف الى العبد جهة
ما يضاف
ع

لا اثرت ع

الجسم

الجسم وقوة ما في الجسم لا يجوز ان يؤثر في الجسم وتخطى من هو اشد تحقيقا واغوص تفكرا عن الجسم وقوة في الجسم
الى كل ما هو جائز بذاته فقال كل ما هو جائز بذاته لا يجوز ان يحدث شيئا ما لانه ان احدث لاحدث
بمشاركة الجواز والجواز له طبيعة عدمية فلو خلى الجائز وذاته كان عدما فلو اثر الجواز بمشاركة العدم
لادى ذلك الى ان يؤثر العدم في الوجود وذلك محال فاذا لا موجود على الحقيقة الا واجب الوجود
بذاته وما سواه من الاسباب معداة لقبول الوجود لا محدثات لحقيقة الوجود ولهذا شرح سنذكره ومن
العجب ان ياخذ كلام الامام ابي المعالي ويقرره هو الكلام اذا كان بهذه المثابة فكيف يمكن اضافة الفعل الى
الاسباب حقيقة هذا ونعود الى كلام صاحب المقالة قال ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه اذا كان
الخالق هو الباري تعالى لا يشاركه في الخلق غيره فاخص وصفه تعالى هو القدرة على الاختراع قال وهذا
هو تفسير اسمه تعالى وقال الشيخ الامام ابو اسحق الاسفرايني اخص وصفه هو كون يوجب تميزه عن الاكوان
كلها وقال بعضهم يعلم يقينا ان ما من موجود الا ويتميز عن غيره بامر ما والا فيقتضي ان تكون الموجودات
كلها مشتركة متساوية والباري تعالى موجود فيجب ان يتميز عن ساير الموجودات باخص وصف لان العقل
لا ينتهي الى معرفة ذلك الاخص ولم يرد فيه سمع فيتوقف ثم هل يجوز ان يدركه العقل فيه خلاف
ايضا وهذا قريب من مذهب ضرار غير انه اطلق لفظ المهية وهو من حيث العبارة منكر ومن مذهب
الاشعري ان كل موجود فيصح ان يرى فان المصحح للرؤية انما هو الوجود والباري تعالى موجود فيصح ان
يرى وقد ورد السمع بان المؤمنين يرونه في الاخرة قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
الى غير ذلك من الايات والاخبار قال ولا يجوز ان تتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة
واتصال شعاع او على سبيل انطباع فان ذلك مستحيل وله قولان في مهية الرؤية احدهما انه علم
مخصوص ويعني بالخصوص انه يتعلق بالوجود دون العدم والثاني انه ادراك وراء العلم لا يقتضي
تاثيرا في المدرك ولا تاثرا عنه واثبت السمع والبصر للباري تعالى صفتين ازليتين هما ادراكان وراء
العلم يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل واحد بشرط الوجود واثبت اليدين والوجه صفات خبرية
فيقول ورد بذلك السمع فيجب الاقرار به كما ورد وقد جرى على طريقة السلف في ترك التعرض
للتاويل وله قول ايضا في جواز التاويل ومذهبه في الوعد والوعيد والاسماء والاحكام والسمع
والعقل مخالف للمعتزلة من كل وجه قال الايمان هو التصديق بالقلب واما القول باللسان والعمل
بالاركان ففروعه فمن صدق بالقلب اي اقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا
به بالقلب صح ايمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا ولا يخرج من الايمان الا بانكار شيء

علي بن اسمعيل
على الحقيقة

من ذلك

من ذلك وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه الى الله تعالى اما ان يغفر له برحمته واما
ان يشفع فيه النبي ص اذ قال شفاعتي لاهل الكبائر من امتي واما ان يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة
برحمته ولا يجوز ان يخلد في النار مع الكفار لما ورد به السمع من الاخراج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من الايمان قال ولو تاب لا اقول بانه يجب على الله تعالى قبول توبته بحكم العقل اذ هو الموجب فلا يجب
عليه شيء بل ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك في خلقه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد فلو ادخل الخلائق باجمعهم الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم النار لم يكن جورا
اذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف او وضع الشيء في غير موضعه وهو المالك المطلق فلا
يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور وقال والواجبات كلها سمعية والعقل ليس يوجب شيئا ولا يقتضي
تحسينا ولا تقبيحا فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل وبالسمع تجب قال الله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وكذلك شكر المنعم واثابة المطيع وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل ولا يجب على الله تعالى
شيء ما بالعقل لا الصلاح ولا الاصلح ولا اللطف وكل ما يقتضيه العقل من الحكمة الموجبة
فيقتضي نقيضه وجها اخر واصل التكليف لم يكن واجبا على الله تعالى اذ لم يرجع اليه نفع ولا يندفع به عنه ضرر
وهو القادر على مجازاة العبيد ثوابا وعقابا وقادر على الافضال عليهم ابتداء تكرما وتفضلا
والثواب والتفضل والنعيم واللطف كله منه فضل والعقاب والعذاب كله منه عدل لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة ولكن بعد
الانبعاث تاييدهم بالمعجزات وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات اذ لا بد من طريق للمستمع
يسلكه فيعرف به صدق المدعي ولا بد من ازاحة العلل لئلا يقع في التكليف تناقض والمعجزة فعل
خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم عن المعارضة يتنزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة
وهو منقسم الى خرق المعتاد والى اثبات غير المعتاد والكرامات للاولياء حق وهي من وجه تصديق
للانبياء وتاكيد للمعجزات والايمان والطاعة بتوفيق الله تعالى والكفر والمعصية بخذلانه
والتوفيق عنده خلق القدرة على الطاعة والخذلان خلق القدرة على المعصية وعند بعض اصحابنا
تيسير اسباب الخير هو التوفيق وبضده الخذلان وما ورد به السمع من الاخبار عن الامور الغائبة مثل
القلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار فيجب اجراؤها على ظاهرها والايمان بها كما جاءت
اذ لا استحالة في اثباتها وما ورد من الاخبار عن الامور المستقبلة في الاخرة مثل سؤال القبر و
الثواب والعقاب فيه ومسئلة العبد عن الخير والشر مثل الميزان والحساب والصراط وانقسام

Digitized by Google

الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير حق يجب الاعتراف بها واجراؤها على ظاهرها اذ لا استحالة
في وجودها والقران عنده معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة اذ خير العرب بين السيف وبين
المعارضة فاختاروا اشد القسمين اختيار عجز عن المعارضة ومن اصحابه من اعتقد ان الاعجاز في القران
من جهة صرف الدواعي وهو المنع عن المعارضة والمعتاد ومن جهة الاخبار عن الغيب وقال الامامة تثبت
بالاختيار والاتفاق دون النص والتعيين اذ لو كان ثم نص لما خفي والدواعي تتوفر على نقله واتفقوا
في سقيفة بني ساعدة على ابي بكر رض ثم اتفقوا بعد تعيين ابي بكر على عمر رضي الله عنهما واتفقوا بعد
الشورى على عثمان رض واتفقوا بعده على علي رض وهم مرتبون في الفضل ترتيبهم في الامامة وقال لا
نقول في عائشة رضي الله عنهما وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ولا نقول في معاوية وعمرو بن
العاص الا انهما بغيا على الامام الحق فقاتلهم علي رض مقاتلة اهل البغي واما اهل النهروان فهم
الشراة المارقون عن الدين بخبر الرسول عليه السلم ولقد كان علي رض على الحق في جميع احواله يدور
الحق معه حيث دار **المشبهة** ومن ذلك اعلم ان السلف
من اصحاب الحديث لما راوا توغل المعتزلة في الكلام ومخالفة السنة التي عهدوها من الائمة الراشدين
ونصرهم جماعة من امراء بني امية على قولهم بالقدر وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات
وخلق القران تحيروا في تقرير مذهب اهل السنة والجماعة في متشابهات آيات القران واخبار الرسول
صلى الله عليه وسلم فاما احمد بن حنبل وداود بن علي الاصفهاني وجماعة من الائمة السلف فجروا
على منهاج السلف المتقدمين عليهم من اصحاب الحديث مثل مالك بن انس ومقاتل ابن سليمان و
وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتاويل بعد ان نعلم
ان الله تعالى لا يشبه شيئا من المخلوقات وان كل ما يتمثل في الوهم فهو خالقه ومقدره وكانوا
يحترزون عن التشبيه الى غاية قالوا من حرك يده عند قراءة قوله تعالى خلقت بيدي واشار باصبعه
عند رواية قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وجب قطع يده وقطع اصبعه قالوا انما
امتنعنا عن تفسير الاية وتاويلها لامرين احدهما المنع الوارد في التنزيل في مثل قوله تعالى في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا فنحن نحترز عن الزيغ والثاني ان التاويل امر مظنون با
لاتفاق والقول في صفات الباري تعالى بالظن غير جائز فربما اولنا الاية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا
في الزيغ بل نقول كما قال الراسخون في العلم كل من عند ربنا امنا بظاهره وصدقنا بباطنه

المقابلة ل

وقال لا نقول في عائشة وطلحة والزبير الا انهم رجعوا عن الخطاء م

توقفنا ل

Digitized by Google

ووكلنا علمه الى الله تعالى ولسنا من المكلفين بمعرفة ذلك اذ ليس ذلك من شرايط الايمان واركانه
واحتاط بعضهم اكثر احتياطا حتى لم يفسر اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس
ذلك بل ان احتاج في ذكرها الى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ فهذا هو طريق السلامة وليس هو
من التشبيه في شيء غير ان جماعة من الشيعة الغالية وجماعة من اصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه
مثل الهشاميين من الشيعة ومثل مضر وكهمس واحمد الهجيمي وغيرهم من السنة قالوا معبودهم صورة
ذات اعضاء وابعاض اما روحانية او جسمانية يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار
والتمكن فاما مشبه الشيعة فسيأتي مقالتهم في باب الغلاة واما مشبه الحشوية فحكى الاشعري عن محمد
بن عيسى انه حكى عن مضر وكهمس واحمد الهجيمي انهم اجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وان المخلصين
من المسلمين يعانقونه في الدنيا والاخرة اذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد الى حد الاخلاص والاتحاد
المحض وحكى الكعبي عن بعضهم انه كان يجوز الرؤية في الدنيا وان يزوروه ويزورهم وحكى عن داود
الجواري انه قال اعفوني عن الفرج واللحية واسئلوني عما وراء ذلك وقال ان معبوده جسم ولحم ودم
وله جوارح واعضاء من يد ورجل وراس ولسان وعينين واذنين ومع ذلك جسم لا كالاجسام ولحم
لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك ساير الصفات وهو لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه
شيء ويحكى عنه انه قال هو اجوف من اعلاه الى صدره مصمت ما سوى ذلك وان له وفرة سوداء
وله شعر قطط واما ما ورد في التنزيل من الاستواء واليدين والوجه والجنب والمجيء والاتيان و
الفوقية وغير ذلك فاجروها على ظاهرها اعني ما يفهم عند الاطلاق على الاجسام وكذلك ما
ورد في الاخبار من الصورة في قوله عليه السلام خلق الله ادم على صورة الرحمن وقوله حتى يضع الجبار
قدمه في النار وقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله خمر طينة ادم بيده اربعين
صباحا وقوله وضع يده على كتفي حتى وجدت برد انامله بين ثديي الى غير ذلك اجروها على ما يتعارف
في صفات الاجسام وزادوا في الاخبار اكاذيب وضعوها ونسبوها الى النبي ص واكثرها مقتبسة
من اليهود فان التشبيه فيهم طباع حتى قالوا اشتكت عيناه فعادته الملئكة وبكى على طوفان
نوح عليه السلام حتى رمدت عيناه وان العرش لياط من تحته كاطيط الرحل الحديد وانه
ليفضل من كل جانب اربع اصابع وروت المشبهة عن النبي ص انه قال لقيني ربي فصافحني
وكافحني ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد انامله في صدري وزادوا على التشبيه قولهم
في القران ان الحروف والاصوات والرقوم المكتوبة قديمة ازلية وقالوا لا نعقل كلاما ليس بحرف

او كفه ع

ولا كلمة

ولا كلمة واستدلوا فيه باخبار منها ما روي عن النبي ص انه قال ينادي الله يوم القيمة بصوت يسمعه
الاولون والاخرون وروي ان موسى ع كان يسمع كلام الله كجر السلاسل وقالوا اجتمعت السلف
على ان القران كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم ولا نعرف من القران الا ما
هو بين اظهرنا فنبصره ونسمعه ونقرؤه ونكتبه والمخالفون اما معتزلة فوافقونا على ان هذا
الذي في ايدينا كلام الله وخالفونا في القدم وهم محجوجون باجماع الامة واما الاشعرية فوافقونا
على ان القران قديم وخالفونا في ان الذي في ايدينا ليس في الحقيقة كلام الله وهم محجوجون ايضا باجماع
الامة ان المشار اليه كلام الله فاما اثبات كلام هو صفة قائمة بذات الباري تعالى لا نبصرها ولا
نكتبها ولا نقرؤها ولا نسمعها فهو مخالفة الاجماع من كل وجه فنحن نعتقد ان ما بين الدفتين كلام
الله انزله على لسان جبرئيل ع فهو المكتوب في اللوح المحفوظ وهو الذي يسمعه المؤمنون في الجنة من
الباري تعالى بغير حجاب ولا واسطة وذلك معنى قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقوله تعالى لموسى اني انا
الله رب العالمين ومناجاته من غير واسطة حين قال وكلم الله موسى تكليما وقال اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي وروي عن النبي ص انه قال ان الله وا كتب التورية بيده وخلق جنة عدن بيده
وغرس شجرة طوبى بيده وخلق ادم بيده وفي التنزيل وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء قالوا نحن لا نريد من انفسنا شيئا ولا نتدارك بعقولنا امرا لم يتعرض له السلف
قالوا ما بين الدفتين كلام الله قلنا هو كذلك واستشهدوا عليه بقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله ومن المعلوم انه ما سمع الا هذا الذي نقرؤه وقال انه لقران كريم في كتاب
مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وقال في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة
بايدي سفرة كرام بررة وقال انا انزلناه في ليلة القدر وقال شهر رمضان الذي انزل فيه القران الى
غير ذلك من الايات ومن المشبهة من مال الى مذهب الحلولية فقال يجوز ان يظهر الباري تعالى بصورة
شخص كما كان جبرئيل ع ينزل في صورة اعرابي وقد تمثل لمريم بشرا سويا وعليه حمل قوله ع رايت ربي
في احسن صورة وفي التورية عن موسى ع شافهت الله تعالى فقال لي كذا والغلاة من الشيعة مذهبهم
الحلول ثم الحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل كما سياتي تفصيل مذهبهم ومن ذلك

الكرامية اصحاب ابي عبد الله محمد بن الكرام وانما عددناه
من الصفاتية لانه كان ممن يثبت الصفات الا انه ينتهي فيها الى التجسيم والتشبيه وقد ذكرنا كيفية
خروجه وانتسابه الى اهل السنة وهم طوائف يبلغ عددهم الى اثني عشرة فرقة واصولها ستة

في المصاحف وهو م

انه قال ان الله وا م

العابدية والتونية والزيتية والاسحاقية والواحدية والصمصمية وهم اقوام لكل واحد رأي لا
اغتنام
انه لما لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين بل عن سفهاء اغبياء جاهلين لم نفرد لها مذهبا واورد مذاهب
صاحب المقالات واشرنا الى ما يتفرع منه ونص ابو عبد الله على ان معبوده على العرش استقرارا وعلى انه
بجهة الفوق ذاتا واطلق عليه اسم الجوهر وقال في كتاب المسمى بعذاب القبر انه احد الذات احد
الجوهر وانه مماس للعرش من الصفحة العليا وجوز الانتقال والتحول والنزول ومنهم من قال انه على بعض
اجزاء العرش وقال بعضهم امتلأ العرش به وصار المتأخرون منهم الى انه تعالى بجهة فوق جهة ومحاذ
للعرش ثم اختلفوا فقالت العابدية ان بينه وبين العرش من البعد والمباينة والمسافة ما لا نهاية
والمسافة ما لو قدر مشغولا بالجواهر لاتصلت قسمته وقال محمد بن الهيصم ان بينه وبين العرش مباينة العالم
بعد لا يتناهى وانه
بينونة ازلية ونفى التحيز والمحاذاة واثبت الفوقية والمباينة واطلق اكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون
منهم قالوا معنى كونه جسما انه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم وبنوا على هذا ان من حكم القائمين
بانفسهما ان يكونا متحاذيين او متباينين فقضى بعضهم بالتحاذي مع العرش وحكم بعضهم بالتباين
وربما قالوا كل موجودين فاما ان يكون احدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر واما ان يكون بجهة منه
والباري تعالى ليس بعرض اذ هو قائم بنفسه فيجب ان يكون بجهة من العالم من اعلى الجهات واشرفها جهة فوق
فقالوا هو بجهة فوق بالذات حتى اذا رئي من تلك الجهة ثم لهم اختلاف في النهاية فمن المجسمة من اثبت
النهاية له من جهات ومنهم من اثبت النهاية من جهة تحت ومنهم من انكر النهاية وقال هو عظيم ولهم
في معنى العظمة خلاف فقال بعضهم معنى عظمته انه مع وحدته على جميع اجزاء العرش والعرش تحته
وهو فوق كله لا على الوجه الذي هو فوق جزء منه وقال بعضهم معنى عظمته انه يلاقي مع وحدته من
جهة واحدة اكثر من واحد وهو يلاقي جميع اجزاء العرش وهو العلي العظيم ومن مذهبهم جميعا جواز
قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى ومن اصلهم ان ما يحدث في ذاته انما يحدث بقدرته وما يحدث
مباينا له فانما يحدث بواسطة الاحداث ويعنون بالاحداث الايجاد والاعدام الواقعين
في ذاته بقدرته من الاقوال والارادات ويعنون بالمحدث ما باين ذاته من الجواهر والاعراض ويفرقون بين
الخلق والمخلوق والايجاد والموجود وكذلك بين الاعدام والمعدوم فالمخلوق انما يقع بالخلق والخلق
والموجود
يقع في ذاته بالقدرة والمعدوم انما يصير معدوما بالاعدام الواقع في ذاته بالقدرة وزعموا ان في ذاته
سبحانه حوادث كثيرة مثل الاخبار عن الامور الماضية والآتية والكتب المنزلة على الرسل
عليهم السلام والقصص والوعد والوعيد والاحكام ومن ذلك التسمعات والتبصرات فيما يجوز

Digitized by Google

ان يسمع ويبصر والايجاد والاعدام هو القول والارادة وكذلك قوله كن للشيء الذي يريد كونه وارادته
لوجود ذلك الشيء وقوله للشيء كن فيكون صورتان وفسر محمد بن الهيصم الايجاد والاعدام بالارادة
والايثار قال وذلك مشروط بالقول شرعا اذ ورد في التنزيل انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون وعلى قول الاكثرين منهم الخلق عبارة عن القول والارادة ثم اختلفوا في التفصيل فقال
بعضهم لكل موجود ايجاد والزم بعضهم لو افتقر كل موجود او كل جنس الى ايجاد فليفتقر كل ايجاد الى
قدرة فالتزم تعدد القدرة تعدد الايجاد وقال بعضهم ايضا يتعدد القدرة بتعدد الاجناس المحدثات
واكثرهم على انها تتعدد بتعدد اجناس الحوادث التي تحدث في ذاته من الكاف والنون والارادة والتسمع
والتبصر وهي خمسة اجناس ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة على التسمع والتبصر ومنهم من اثبت
ان لله تعالى السمع والبصر ازلا والتسمعات والتبصرات هي اضافة المدركات اليهما وقد اثبتوا لله تعالى
مشية قديمة متعلقة باصول المحدثات وبالحوادث التي تحدث في ذاته واثبتوا ارادة حادثة تتعلق
بتفاصيل المحدثات واجمعوا على ان الحوادث لا توجب لله تعالى وصفا ولا هي صفات له فتحدث في ذاته
هذه الحوادث من الاقوال والارادات والتسمعات والتبصرات ولا يصير بها قائلا ولا مريدا ولا سميعا ولا
بصيرا ولا بخلق هذه الحوادث محدثا ولا خالقا وانما هو قائل بقائليته وخالق بخالقيته ومريد
بمريديته وذلك قدرته على هذه الاشياء ومن اصلهم ان الحوادث التي يحدثها في ذاته واجبة البقاء
حتى يستحيل عدمها اذ لو جاز عليها العدم لتعاقب على ذاته الحوادث ولشارك الجوهر في هذه القضية
وايضا لو قدر عدمها فلا يخ اما ان يقدر عدمها بالقدرة لانه يؤدي الى ثبوت المعدوم في ذاته وشرط
الموجود والمعدوم ان يكونا متباينين لذاته ولو جاز وقوع معدوم في ذاته بالقدرة من غير واسطة اعدام
لجاز حصول سائر المعدومات بالقدرة ثم يجب طرد ذلك في الموجود حتى يجوز وقوع موجد محدث في ذاته
وذلك محال عندهم ولو فرض اعدامها بالاعدام لجاز تقدير عدم ذلك الاعدام فتسلسل فارتكبوا
لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث في ذاته ومن اصلهم ان المحدث انما يحدث في ثاني حال ثبوت الاحداث
بلا فصل ولا اثر للاحداث في حال بقائه ومن اصلهم ان ما يحدث في ذاته من الامر فينقسم الى امر
التكوين وهو فعل يقع تحته المفعول والى ما ليس امر التكوين وذلك اما خبر واما امر التكليف ونهي
التكليف وهي افعال من حيث دلت على القدرة ولا يقع تحتها مفعولات هذا هو تفصيل مذاهبهم في
محل الحوادث وقد اجتهد بن الهيصم في ارمام مقالة ابي عبد الله في كل مسئلة حتى ردها من المحال
الفاحش الى نوع يفهم فيما بين العقلاء مثل التجسم فانه اراد بالجسم القائم بالذات بالنفس ومثل الفوقية فانه

انما قولنا للشيء اذا اردنا ان نقول له كن فيكون وقوله ح
ولكل معدوم اعدام
وقال بعضهم ايجاد واحد يصلح لموجدين اذا كانا من جنس واحد واذا اختلف الجنس تعدد الايجاد ح

يصير ح

او باعدام يخلقه في ذاته ولا يجوز ان يكون عدمها بالقدرة ح

حمها

حملها على العلو واثبت اليمنونة الغير المتناهية وذلك الخلاء الذي اثبته بعض الفلاسفة ومثل
الاستواء فانه نفى المجاورة والمماسة والتمكن بالذات غير مسئلة محل الحوادث فانه ما قبلت
المرية فالتزمها كما ذكرنا وهي من اشنع المحالات عقلا وعند القوم ان الحوادث تزيد على عدد المحدثات
تكثيرا فيكون في ذاته اكثر من عدد المحدثات عوالم من الحوادث وذلك محال شنيع وما اجمعوا عليه من اثبات
الصفات لهم ان الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحيوة شاء بمشيئة وجميع هذه الصفات قديمة
بذاته وبما زادوا السمع والبصر كما اثبته الاشعري وبما زادوا اليدين والوجه صفات قائمة بذاته وقالوا
لم يدلا كالايدي ووجه لا كالوجوه واثبتوا جواز رؤيته من جهة الفوق دون سائر الجهات وزعم ابن الهيصم
ان الله اطلقه المشبهة على الله عز وجل من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة والوفرة والمصافحة
والمعانقة وغير ذلك لا يشبه سائر ما اطلقه الكرامية من انه خلق ادم بيده وانه استوى على عرشه
وانه يجيء يوم القيمة لمحاسبة الخلق وذلك لانا لا نعتقد شيئا على معنى فاسد من جارحتين وعضوين
تفسير اليدين ولا مطابقة المكان واستقلال العرش بالرحمن تفسير للاستواء ولا نرد ذا في
الاماكن التي يحيط به تفسير اللحي وانما ذهبنا في ذلك الى اطلاق ما اطلقه القرآن فقط من غير
تكييف وتشبيه ما لم يرد به القرآن والخبر فلا نطلقه كما اطلقه سائر المشبهة والمجسمة وقال الباقي
انه عالم في الازل بما سيكون على الوجه الذي يكون وشاء لتنفيذ علمه في معلوماته فلا ينقلب علمه
جهلا ومريدا لما يخلق في الوقت الذي يخلق بارادة حادثة وقائل لكل ما يحدث بقوله كن حتى يحدث
وهو الفرق بين الاحداث والمحدث والخلق والمخلوق وقال الخر نثبت القدر خيره وشره من الله
وانه اراد الكائنات كلها خيرها وشرها وخلق الموجودات كلها حسنها وقبيحها ونثبت للعباد فعلا
بالقدرة الحادثة يسمى ذلك كسبا والقدرة الحادثة مؤثرة في اثبات فائدة زائدة على كونه
مفعولا مخلوقا للباري تعالى وتلك الفائدة هي مورد التكليف والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب
واتفقوا على ان العقل يحسن ويقبح قبل الشرع ويجب معرفة الله تعالى بالعقل كما قالت المعتزلة
الا انهم لم يثبتوا رعاية الصلاح والاصلح واللطف كما قالت المعتزلة وقالوا الايمان هو الاقرار
بالله تعالى فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما
يرجع الى الاحكام الظاهرة والتكليف وفيما يرجع الى احكام الاخرة والجزاء فالمنافق عندهم مؤمن
في الدنيا على الحقيقة مستحق للعقاب الابدي في الاخرة وقالوا في الامامة بانها تثبت بالاجماع لا بنص
دون النص والتعيين كما قال اهل السنة الا انهم جوزوا عقد الامامة لامامين في قطر من اقطار

ان لية قائمة بذ

عقلا مع

البيعة له

Digitized by Google

اثبات امامة معاوية في الشام باتفاق الجماعة من الصحابة واثبات امامة امير المؤمنين علي رض بالمدينة والعراقين
باتفاق جماعة من الصحابة ايضا وراوا تصويب معاوية فيما استبد به من الاحكام الشرعية قتالا على طلب
قتلة عثمان واستقلالا بمال بيت المال ومذهبهم الاصلي اتهام علي رض في الصبر على ما جرى مع عثمن
والسكوت عنه وذلك عرق نزع ومن ذلك

الخوارج

والمرجئة والوعيدية كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج
في ايام الصحابة على الائمة الراشدين او كان بعدهم على التابعين لهم باحسان وعلى الائمة في كل زمان
والمرجئة صنف اخر تكلموا في الايمان والعمل الا انهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق
بالامامة والوعيدية داخلة في الخوارج وهم القائلون بتكفير اصحاب الكبائر وتخليدهم في النار
فذكرنا مذاهبهم في اثناء مذهب الخوارج

ومنها م

الخوارج

اعلم ان اول من خرج على امير المؤمنين علي رض جماعة ممن كان معه في حرب صفين واشدهم خروجا
عليه ومروقا من الدين الاشعث بن قيس ومسعود بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي حين
قالوا القوم يدعوننا الى كتاب الله وانت تدعوننا الى السيف حتى قال انا اعلم بما في كتاب الله انفروا الى
بقية الاحزاب انفروا الى من يقول كذب الله ورسوله وانتم تقولون صدق الله ورسوله فقالوا لترجعن
الاشتر عن قتال المسلمين والا لنفعلن بك مثل الذي فعلنا بعثمان فاضطر الى رد الاشتر بعد ان
هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقي منهم الا شرذمة فيهم حشاشة قوة فامتثل الاشتر امره وكان من امر

قليلة م

الحكمين ان الخوارج حملوه على التحكيم اولا وكان يريد ان يبعث عبد الله بن عباس فما رضي الخوارج بذلك
فقالوا هو منك فحملوه على بعث ابي موسى الاشعري على ان يحكما بكتاب الله فجرى الامر على خلاف
ما رضي به فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا لم حكمت بالرجال لا حكم الا لله وهم المارقة
الذين اجتمعوا بنهروان وكبار فرق الخوارج ستة الازارقة والنجدات والعجاردة والثعالبية
والاباضية والصفرية والباقون فروعهم ويجمعهم القول بالتبري عن عثمان وعلي رض ويقدمون
ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات الا على ذلك ويكفرون اصحاب الكبائر ويرون الخروج
على الامام اذا خالف السنة حقا واجبا

ومن ذلك م

المحكمة الاولى

هم الذين خرجوا على امير المؤمنين
علي رض حين جرى امر الحكمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة وراسهم عبد الله بن الكوا وعتاب
بن الاعور وعبد الله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم المحاربي وحرقوص بن زهير
البجلي المعروف بذي الثدية وكانوا يومئذ في اثني عشر الف رجل اهل صيام وصلاة واعني به

Digitized by Google

يوم النهروفيهم قال النبي صلعم تحقر صلاة احدكم في جنب صلاتهم وصوم احدكم في جنب صومهم ولكن لا يجاوز
ايمانهم ترائبهم وهم المارقة الذين قال فيهم عليه السلام سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية وهم الذين اولهم ذو الخويصرة واخرهم ذو الثدية وانما كان خروجهم
في الزمن الاول على وجهين احدهما بدعتهم في الامامة اذ جوزوا ان يكون الامام من غير قريش وكل من
ينصبونه برأيهم وعاش الناس على ما مثلوه من العدل واجتناب الجور كان اماما ومن خرج عليه يجب
نصب القتال معه وان غير السيرة وعدل عن الحق يجب عزله او قتله وهم اشد الناس قولا بالقياس
وجوزوا ان لا يكون في العالم امام اصلا وان احتيج اليه ان يكون عبدا او حرا او نبطيا او قرشيا
والثاني انهم قالوا اخطأ علي في التحكيم اذ حكم الرجال ولا حكم الا لله وانكروا على علي رض من وجهين
احدهما في التحكيم انه حكم وليس ذلك صدقا لانهم هم الذين حملوه على التحكيم والثاني ان تحكيم الرجال
جائز فان القوم هم الحاكمون في هذه المسئلة وهم رجال ولهذا قال علي رض كلمة حق اريد بها باطل
وتخطوا عن التخطئة الى التكفير ولعنوا عليا فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فقاتل
الناكثين واغتنم اموالهم وما سبي ذراريهم ونساءهم وقاتل القاسطين وما اغتنم اموالهم وما سبي ذراريهم
رضي بالتحكيم وقاتل المارقين واغتنم اموالهم وسبي ذراريهم وطعنوا في عثمان للاحداث التي عددوها
عليه وطعنوا في اصحاب الجمل واصحاب صفين فقاتلهم علي رض بالنهروان مقاتلة شديدة فما نجا
منهم الا اقل من العشرة وما قتل من المسلمين الا اقل من العشرة فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان
الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة وواحد الى تل موزون باليمن وظهرت بدع
الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت الى اليوم واول من بويع من الخوارج بالامامة عبد الله بن وهب
الراسبي في منزل زيد بن حصين بايعه عبد الله بن الكوا وعروة بن جرير وزيد بن عاصم المحاربي
وجماعة معهم وكان يمتنع عليهم تحرجا ويستفتيهم ويومي الى غيره تحرزا فلم يقنعوا الا به وكان
يوصف بالرأي والنجدة فتبرأوا من الحكمين ومن رضي بقولهما وصوب امرهما وكفروا امير المؤمنين عليا
رض وقالوا انه ترك حكم الله وحكم الرجال وقيل اول من تلفظ بهذا رجل من بني سعد ابن زيد مناة
بن تميم يقال له الحجاج بن عبد الله يلقب بالبرك وهو الذي ضرب معوية على انفه لما سمع بذكر الحكمين
وقال التحكيم في دين الله ولا حكم الا لله يحكم بما حكم القرآن به فسمعها رجل فقال لعن الله فانفذ
فسموا المحكمة بذلك فلما سمع امير المؤمنين علي رض هذه الكلمة قال كلمة عدل يراد بها جور انما
يقولون لا امارة ولا بد من امارة بر او فاجرة فقال ان اول سيف سل من سيوف الخوارج سيف

اسرين ٥

فيجوزهم

وقد كان بواد

مقاتلة

Digitized by Google

عروة بن اذنية وذلك انه اقبل على الاشعث فقال يا هذه الريبة قال يا اشعث وما هذا التحكيم
اشرط اوثق من شرط الله تعالى ثم شهر السيف والاشعث تولى فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة
فنفرت اليمانية فلما راى ذلك الاحنف مضوهم واصحابه الى الاشعث فسئلوه الصفح ففعل وعروة
بن اذنية نجا بعد ذلك من حرب النهر وبقى الى ايام معاوية ثم اتى الى زياد بن ابيه ومعه مولى له
فسئله زياد عن ابى بكر وعمر رض عنهما فقال فيهما خيرا فسئله عن امير المؤمنين عثمان فقال كنت
اتولى احوال عثمان فى خلافته سنة او سنتين ثم تبرات منه بعد ذلك للاحداث التى شهد عليه
بالكفر وسئله عن امير المؤمنين على رض فقال كنت اتولاه الى ان حكم ثم انكر امره بعد ذلك وشهد
عليه بالكفر فسئله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سئله عن نفسه فقال ان اولك ان تنبه
وان اخرك لدعوة وانت فيما بينهما عاصيا ربك فامر زياد بضرب عنقه فدعا مولاه فقال له
صف لى امره واصدق فقال اطنب ام اختصر فقال ما ابقيته بطعام فى نهار قط ولا فرشت له فرشا
بليل قط هذه معه لمته واجتهاده وذلك خبثه واعتقاده ومن ذلك **الازارقة**
اصحاب ابى راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز فغلبوا عليها وعلى
كورها وما وراها من بلد فارس وكرمان فى ايام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحى
وكان مع نافع من امراء الخوارج عطية بن اسود الحنفى وعبيد الله بن ماخور واخوه عثمان والزبير
وعمرو بن عمير العنبرى وقطرى بن الفجاة المازنى وعبيدة بن هلال وصحر بن جبنا التميمى
وصالح بن مخراق العبدى وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير فى زهاء ثلثين الف فارس ممن رضى
برايهم وتخرط فى سلكهم فانفذ اليهم عبد الله بن حرث بن نوفل النوفلى بصاحب جيشه مسلم بن
عنبس بن كرز بن حبيب فقتله الخوارج وهزموا اصحابه فاخرج اليهم حارثة بن بدر الغدانى فى جيش
كثير فهزموه وخشى اهل البصرة على انفسهم وبلدهم من الخوارج فاخرج اليهم المهلب بن ابى
صفرة فبقى فى حرب الازارقة تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم فى ايام الحجاج ومات نافع وقتل
المهلب مع الازارقة وبايعوا بعده قطرى بن الفجاة وسموا امير المؤمنين وبدع الازارقة ثمانية
احدها انه كفر عليا وقال ان الله تعالى انزل فى شانه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا
ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام وصوب عبد الرحمن بن ملجم وقال ان الله تعالى انزل
فى شانه ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله وقال عمران بن حطان وهو مفتى
الخوارج وزاهدهم وشاعرهم الاكبر فى ضربة ابن ملجم لعنهما الله يا ضربة من ضربة ما اراد بها

الدنية ٤ ذ

ستة سنين ٤ ذ

نقال بلا اختصر م

الشكرى اخو محرز بن هلال م

ايضا عثمان بن عبد الله بن ماهر التيمى فهزموه فاخرج اليهم

تصويبه ٤ ذ

Digitized by Google

الا ابلغ من ذي العرش رضوانا اني لاذكره يوما فاحسبه اوفى البرية عند الله ميزانا

وعلى هذه البدعة مضت الازارقة وزاد عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار والثانية انه كفر القعدة وهو اول من اظهر البراءة من القعدة عن القتال وان كان موافقا على دينه وكفر بها جرايه والثالثة اباحة قتل اطفال المخالفين والنسوان والرابعة اسقاط الرجم عن الزاني اذ ليس في القران ذكره واسقاط حد القذف عن من قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء والخامسة حكمه بان اطفال المشركين في النار مع آبائهم والسادسة ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل والسابعة تجويزه ان يبعث الله تعالى نبيا يعلم انه يكفر بعد نبوته او كان كافرا قبل البعثة والكبائر والصغائر اذ كانت عنده بمثابة وهي كفر وفي الامة من جوز الكبائر والصغائر على الانبياء عليهم السلم وهي الكفر والثامنة اجمعت الازارقة على ان من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفرا ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدلوا بكفر ابليس وقالوا اما ارتكب الا كبيرة حيث امر بالسجود فامتنع والا فهو عارف بوحدانية الله تعالى

لادم

ومن ذلك **النجدات** العاذرية اصحاب نجدة بن عامر الحنفي وقيل عاصم وكان من شانه انه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالازارقة فاستقبله ابو فديك وعطية بن اسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الازرق فاخبروه بما احدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الاحداث والبدع وبايعوا نجدة وسموه امير المؤمنين ثم اختلفوا في نجدة فاكفره قوم منهم لامور نقموها عليه منها انه بعث ابنه مع جيش الى اهل القطيف فقتلوا وسبوا نساءهم وفرقوها على انفسهم وقالوا ان صارت قسمتهن في حصصنا فذاك والا رددنا الفضل ونكحوهن قبل القسمة واكلوا من الغنيمة قبل القسمة فلما رجعوا الى نجدة فاخبروه بذلك قال لن يسعكم ما فعلتم قالوا لم نعلم ان ذلك لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم واختلف اصحابه بعد ذلك فمنهم من وافقه وعذر بالجهالات في الحكم الاجتهادي وقالوا الدين امران احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم والاقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب على الجميع والجهل به لا يعذر فيه والثاني ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه الا ان تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام قالوا ومن خاف العذاب على المجتهد المخطي في الاحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر واستحل نجدة دماء اهل العهد والذمة واموالهم في دار البغية

بن عاصم

Digitized by Google

ويحكم بالبراءة من حرمها قال واصحاب الحدود من مواقيه لعل الله تعالى يعفو عنهم وان عذبهم فمصيرهم
النار ثم يدخلهم الجنة فلا يجوز البراءة عنهم وقال من نظر نظرة او كذب كذبة صغيرة واصر عليها فهو مشرك
ومن زنا او سرق غير مصر عليها فهو غير مشرك وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظا شديدا ولما كاتب
عبد الملك بن مروان واعطاه الرضا نقم عليه اصحابه فاستتابوه واظهر التوبة فترك النقمة عليه
والتعرض له فندمت طائفة على هذه الاستتابة وقالوا اخطانا وما كان لنا ان نستتيب الامام
وما كان له ان يتوب باستتابتنا فتاب ابو فديك من ذلك وقالوا له تب من توبتك والا تبرأنا منك فتاب من
توبته وفارقه ابو فديك وعطية وورث عليه ابو فديك فقتله ثم برئ ابو فديك من عطية
وعطية من فديك وانفذ عبد الملك بن مروان سمير بن عبد الله بن عبد الله بن معمر الى حرب
ابي فديك فحاربه اياما فقتله ولحق عطية بارض سجستان ويقال لاصحابه العطوية ومن اصحاب
عبد الكريم بن عجرد زعيم العجاردية وانما قيل للنجدات العاذرية لانهم عذروا بالجهالات في احكام الفرو ع
وحكى الكعبي عن النجدات ان التقية جايزة في القول والعمل كله وان كان في قتل النفوس قال واجمعت
النجدات على انه لا حاجة للناس الى امام قط وانما عليهم ان ينتصفوا فيما بينهم فانهم راوا ان ذلك
لا يتم الا بامام يحملهم عليه فاقاموه ثم افترقوا بعد نجدة الى عطوية وفديكية وبرئ كل واحد منهما
عن صاحبه بعد قتل نجدة وصارت الدار لابي فديك الا من تولى نجدة واهل سجستان وخراسان
وكرمان وفارس من الخوارج على مذهب عطية وقيل كان نجدة بن عامر ونافع بن الازرق قد اجتمعا
بمكة مع الخوارج على ابن الزبير ثم تفرقا عنه واختلف نافع ونجدة فصار نافع الى البصرة ونجدة الى
اليمامة وكان سبب اختلافهما ان نافعا قال التقية لا تحل والقعود عن القتال كفر واحتج بقوله تعالى
افتخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وبقوله تعالى يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة
لائم وخالفه نجدة وقال التقية جايزة واحتج بقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة وبقوله تعالى وقال
رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه قال والقعود جايز والجهاد اذا امكنه افضل وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما قال نافع هذا في اصحاب النبي صلعم حين كانوا مقهورين اما في غيرهم مع الامكان
فالقعود كفر لقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ومن ذلك

البيهسية

اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وهو احد بني سعد بن ضبيعة وقد كان الحجاج طلبه ايام الوليد
فهرب الى المدينة وطلبه بها عثمان بن حيان المري فظفر به وحبسه وكان يسامره الى ان ورد
كتاب الوليد بان يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به كذلك وكفر ابو بيهس ابرهيم

وشرب ع

اذا افرق منهم

ع

وميمون في اختلافهما في بيعة الامة وكذلك كفر الواقفية وزعم انه لا يسلم احد حتى يقر بمعرفة الله
تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة ما جاء به الرسول والولاية لاولياء الله تعالى والبرائة من اعداء الله فمن
جملة ما ورد به الشرع مما حرم الله وقد جاء به الوعيد فلا يسعه الا معرفته بعينه وتفسيره والاحتراز
عنه ومنه ما ينبغي ان يعرفه باسمه ولا يضره ان لا يعرفه بتفسيره حتى يبتلى به وعليه ان يقف عنده
ما لم يعلم ولا ياتي بشيء الا بعلم وبرئ ابو بيهس عن الواقفية لقولهم انا نقف فيمن واقع الحرام
وهو لا يعلم احلال واقع ام حرام قال كان من حقه ان يعلم ذلك والايمان هو ان يعلم كل حق من باطل وان
الايمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل ويحكى عنه انه قال الايمان هو الاقرار والعلم وليس هو
احد الامرين دون الاخر وعامة البيهسية على ان العلم والاقرار والعمل كله ايمان وذهب قوم
منهم الى ان لا محرم سوى ما في قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه وما سوى ذلك فكله
حلال ومن البيهسية قوم يقال لهم العونية وهم فرقتان فرقة تقول من رجع من دار الهجرة الى القعود
برئنا منه وفرقة تقول بل نتولاهم لانهم رجعوا الى امر كان حلالا والفرقتان اجتمعتا على ان الامام
اذا كفر كفرت الرعية الغائب منهم والحاضر ومن البيهسية صنف يقال لهم اصحاب التفسير زعموا
ان من شهد من المسلمين شهادة اخذ بتفسيرها وكيفيتها وصنف يقال لهم اصحاب السؤال قالوا
ان الرجل قد يكون مسلما اذا شهد الشهادتين وتبرأ وتولى وآمن بما جاء من عند الله جملة وان
لم يعلم فيسئل ما افترض الله عليه ولا يضره ان لا يعلم حتى يبتلى به فيسئل وان واقع حراما ولم
يعلم تحريمه فقد كفر وقالوا في الاطفال بقول الثعلبية ان اطفال المؤمنين مؤمنون وان اطفال
الكافرين كافرون ووافقوا القدرية في القدر وقالوا ان الله تبارك وتعالى فوض الى العباد
فليس له في اعمال العباد مشية فبرئت منهم عامة البيهسية وقال بعضهم ان واقع الرجل حراما
لم يحكم بكفره حتى يرفع الى الامام امره والوالي ويحده وكل ما ليس فيه حد فهو مغفور وقال بعضهم
ان السكر اذا كان من شراب حلال فلا يواخذ صاحبه بما قال فيه وفعل وقالت العونية السكر
كفر ولا يشهدون انه كفر ما لم ينضم اليه كبيرة اخرى من ترك الصلوة او قذف المحصن ومن الخوارج
اصحاب صالح بن مسرح ولم يبلغنا انه احدث قولا تميز به عن اصحابه فخرج على بشر بن مروان فبعث اليه
بشر الحارث بن عميرة او الاشعث بن عميرة الهمداني انفذه الحجاج لقتاله فاصابت صالحا جراحة
في قصر حلولا فاستخلف مكانه شبيب بن يزيد الشيباني ويكنى بابي الضحاري وهو الذي غلب على
الكوفة وقتل من جيش الحجاج اربعة وعشرين اميرا كلهم امراء الجيوش ثم انهزم الى الاهواز و

فرقة م

فقد م

غزو

غرق في نهر الاهواز وذكر اليمان ان الشبيبية يسمون من جيئة الخوارج لما ذهبوا اليه من الوقف
في امر صالح ويحكى عنه انه برئ عنه وفارقه ثم خرج يدعي الامامة لنفسه ومذهب شبيب ما ذكرنا
من مذاهب البيهسية الا ان شوكته وقوته ومقاماته مع المخالفين مما لم يكن لخارج من الخوارج
وقصته مذكورة في التواريخ

العجاردة

اصحاب عبد
الكريم بن عجرد وافق النجدات في بدعهم وقيل انه كان من اصحاب ابي بيهس ثم خالفه وتفرد بقوله تجب
البراءة عن الطفل حتى يدعي الاسلام ويجب دعاؤه اذا بلغ واطفال المشركين في النار مع ابائهم ولا
يرى المال فيئا حتى يقتل صاحبه وهم يتولون القعدة اذا عرفوهم بالديانة ويرون الهجرة فضيلة لا
فرضا ويكفرون بالكبائر ويحكى عنهم انهم ينكرون كون سورة يوسف من القران ويزعمون انها قصة
من القصص قالوا ولا يجوز ان يكون قصة العشق من القران ثم ان العجاردة افترقت اصنافا ولكل صنف
مذهب على حياله الا انهم لما كانوا من جملة العجاردة اوردناهم على حكم التفصيل في الجدول والضلع

الصلتية

اصحاب عثمان بن ابي الصلت والصلت بن
ابي صلت تفردوا عن العجاردة بان الرجل اذا
اسلم توليناه وتبرانا من اطفاله حتى يدركوا
فيقبلوا الاسلام ويحكى عن جماعة منهم انهم قالوا
ليس لاطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة
حتى يبلغ او يدعوا الى الاسلام فيقروا او ينكروا

الحمزية

اصحاب حمزة بن ادراك وافقوا الميمونية في القدر
وفي سائر بدعها الا في اطفال مخالفيهم والمشركين
فانهم قالوا هؤلاء كلهم في النار وكان حمزة من
اصحاب الحصين بن الرقاد الذي خرج بسجستان
من اهل اوق وخالفه خلف الخارجي في القول بالقدر
واستحقاق الرياسة فبرئ كل واحد منهما عن صاحبه وجوز حمزة
امامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة ولم يقهر الاعداء

الميمونية

اصحاب ميمون بن خالد كان من جملة العجاردة الا انه تفرد
عنهم باثبات القدر خيره وشره من العبد واثبات
الفعل للعبد خلقا وابداعا واثبات الاستطاعة
قبل الفعل والقول بان الله تعالى يريد الخير دون الشر وليس
له مشية في معاصي العباد وذكر الحسين الكرابيسي
في كتابه الذي حكى فيه مقالات الخوارج ان الميمونية
يجيزون نكاح بنات البنات وبنات اولاد الاخوة
والاخوات وقال ان الله تعالى حرم نكاح البنات وبنات
الاخوة والاخوات ولم يحرم نكاح بنات هؤلاء و
حكى الكعبي والاشعري عن الميمونية انكارها سورة كون
يوسف من القرآن وقالوا بوجوب قتل السلطان
وحده ومن رضي بحكمه فاما من انكره فلا يجوز قتاله الا اذا
اعان عليه او طعن في دين الخوارج او صار دليلا
للسلطان واطفال الكفار عندهم في الجنة

الخلفية

اصحاب خلف الخارجي وهم خوارج كرمان ومكران خالفوا الحمزية في القول بالقدر واضافوا القدر خيره وشره الى الله تعالى وسلكوا في ذلك مذهب السنة وقالوا الحمزية ناقضوا حيث قالوا لو عذب الله تعالى على افعال قدرها عليهم او على ما لم يفعلوه كان ظالما وقضوا بان اطفال المشركين في النار ولا عمل لهم ولا شرك فهذا من اعجب ما يعتقد من التناقض

الاطرافية

فرقة على مذهب حمزة في القول بالقدر الا انهم عذروا اصحاب الاطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة اذا اتوا بما يعرفون لزومه من طريق العقل واثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية ورئيسهم غالب بن شاذل من سجستان وخالفهم عبد الله السرتوري وتبرأ منهم ومنهم المحمدية اصحاب محمد بن زرق وكان من اصحاب الحصين بن الرقاد ثم تبرأ منه

الشعيبية

الشعيبية اصحاب شعيب محمد وكان مع ميمون من جملة العجاردة الا انه برئ منه حين اظهر القول بالقدر وقال شعيب ان الله تعالى خالق اعمال العباد والعبد مكتسب لها قدرة وارادة مسؤول عنها خيرا وشرا مجازى عليها ثوابا وعقابا ولا يكون شيء في الوجود الا بمشية الله تعالى وهو على بدع الخوارج في الامامة والوعيد وعلى بدع العجاردة في حكم الاطفال وحكم القعدة والتولي والتبري

الخارمية

اصحاب خارم بن علي وهم على قول شعيب في ان الله تعالى خالق اعمال العباد ولا يكون في سلطانه الا ما يشاء وقالوا بالموافاة فان الله تعالى انما يتولى العباد على ما علم انهم صائرون اليه في آخر امرهم من الايمان وتبرأ منهم على ما علم انهم صائرون اليه في آخر امرهم من الكفر وانه سبحانه لم يزل محبا لاوليائه مبغضا لاعدائه ويحكى عنهم انهم يتوقفون في امر علي رض ولا يصرحون بالبراءة عنه ويصرحون بالبراءة في حق غيره

الثعالبة

ومن ذلك

اصحاب ثعلبة بن عامر كان مع عبد الكريم بن عجرد يدا واحدة الى ان اختلفا في امر الطفل فقال ثعلبة انا على ولايتهم صغارا وكبارا حتى نرى منهم انكارا للحق ورضى بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة ونقل عنه ايضا انه قال ليس لهم حكم في حال الطفولية من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا فان قبلوا فذاك وان انكروا كفروا وكان يرى اخذ الزكوات عن عبيدهم اذا استغنوا واعطاهم منها اذا افتقروا

الاخنسية

اصحاب اخنس بن قيس من جملة الثعالبة وانفرد عنهم بان قال اتوقف في جميع من كان في دار التقية من اهل القبلة الا من عرف منه ايمان فاتولاه عليه او كفر فاتبرأ منه وحرموا الاغتيال وهو القتل والسرقة في السر ولا يبتدأ احد من اهل القبلة بالقتال

Digitized by Google

حتى يدعى الى الدين فان امتنع قوتل سوى من عرفوه
بعينه على خلاف قولهم وقيل انهم جوزوا تزويج
المسلمات من مشركي قومهم اصحاب الكبائر
وهم على اصول الخوارج في سائر المسائل

الشيبانية

اصحاب شيبان بن سلمة الخارجي في ايام ابي مسلم وهو
المعين له ولعلي بن الكرماني على نصر بن سيار
وكان من الثعالبة فلما اعانهما برئت منه الخوارج
فلما قتل شيبان ذكر قوم بتوبته فقالت الثعالبة
لا يصح توبته لانه قتل الموافقين لنا في المذهب
واخذ اموالهم ولا يقبل توبة من قتل مسلما واخذ
ماله الا بان يقص من نفسه ويرد الاموال او يوهب
له ذلك ومن مذهب شيبان انه قال بالجبر وافق
جهم بن صفوان في مذهبه الى الجبر ونفي القدرة
الحادثة وينقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيباني
ابي خالد انه قال ان الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه
علما وان الاشياء انما تصير معلومة عند حدوثها
ووجودها ونقل عنه انه برئ من شيبان وكفره
حين نصر الرجلين فوقعت عامة الشيبانية بجرجان
ونسا وارمنية والدي تولى شيبان وقال
بتوبته عطية الجرجاني واصحابه

المكرمية

اصحاب مكرم العجلي من جملة الثعالبة وينفرد
عنهم بان قال تارك الصلاة كافر لا من اجل ترك الصلوة ولكن لجهله بالله تعالى وذلك ان
العارف بوحدانيته تعالى وانه المطلع على سره وعلانيته المجازي على طاعته ومعصيته ان

المعبدية

اصحاب معبد بن من جملة الثعالبة خالف
الاخنس في الخطا الذي وقع له في تزويج المسلمات
وخالف ثعلبة فيما حكم من اخذ الزكوات من عبيدهم
وقال اني لا ابرا منه بذلك ولا ادع اجتهادي
في خلافه وجوز ان يقسم سهام الصدقة
سهما واحدا في حال التقية

الرشيدية

اصحاب رشيد الطوسي ويقال لهم العشرية
واصلهم ان الثعالبة يرجون فيما سقي
بالانهار والفتى نصف العشر فاخبرهم زياد
بن عبد الرحمن ان فيها العشر ولا يجوز البراءة
قبل هذا فقال الرشيد ان لم تجز البراءة
منهم فانا نعمل بما عملوا فافترقوا في ذلك فرقتين

المعلومية

والجهولية كانوا في الاصل خارمية الا ان
المعلومية قالت من يعرف الله تعالى بجميع اسمائه
وصفاته فهو جاهل به حتى يصير عالما بجميع ذلك
فيكون مؤمنا وقالت الاستطاعة مع الفعل
والفعل مخلوق العبد وبرئت منهم الخارمية
واما الجهولية قالت من علم بعض اسماء الله
وصفاته وجهل بعضها وقد عرفه بها وقالت
ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى

عبد الرحمن

ممن قال فيها نصف العشر

وطرد هذا في كل من يجهله الانسان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

يتصور منه الاقدام على المعصية والاجتراء على المخالفة ما لم يغفل عن هذه المعرفة ولا يبالي
بالتكليف فيها وعن هذا قال النبي صلعم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق
وهو مؤمن الخبر وخالفوا الثعالبة في هذا القول وقالوا بايمان الموافات والحكم بان الله تعالى انما
يوالي عباده ويعاديهم على ما هم صائرون اليه من موافات الموت لا على اعمالهم التي هم فيها فان ذلك
ليس بموثوق به اصرارا عليه ما لم يصل المرء الى اخر عمره ونهاية اجله فحينئذ ان بقي على ما يعتقده فذلك
هو الايمان فيواليه وان لم يبق فيعاديه ذلك في حق الله تعالى حكم الموالات والمعادات على ما
علم فيه حال **الاباضية** اصحاب عبد الله بن اباض
الذي خرج في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة وقيل ان عبد
الله بن يحيى الاباضي كان رفيقا له في جميع احواله واقواله وقال ان مخالفينا من اهل القبلة كفار
غير مشركين ومناكحتهم جايزة وموارثتهم حلال وغنيمة اموالهم من السلاح والكراع عند الحرب
حلال وما سواه حرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة الا بعد نصب القتال واقامة الحجة وقالوا
ان دار مخالفيهم من اهل الاسلام دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغي واجازوا شهادة
مخالفيهم على اوليائهم وقالوا في مرتكبي الكبائر انهم موحدون لا مؤمنون وحكى الكعبي عنهم ان
الاستطاعة عرض من الاعراض وهي قبل الفعل بها يحصل الفعل وافعال العباد مخلوقة لله تعالى
احداثا وابداعا ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا ولا يسمون امامهم امير المؤمنين ولا انفسهم
مهاجرين وقالوا العالم كله يفنى اذا فني اهل التكليف قال واجمعوا على ان من ارتكب كبيرة من
الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة وتوقفوا في اطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام
واجازوا ان يدخل الجنة تفضلا وحكى الكعبي عنهم انهم قالوا بطاعة الله تعالى لا يراد بها الله تعالى
كما قال ابو الهذيل ثم اختلفوا في النفاق ايسمى شركا ام لا قالوا ان المنافقين في عهد رسول الله صلعم
كانوا موحدين الا انهم ارتكبوا الكبائر فكفروا بالكبيرة لا بالشرك وقالوا كل شيء امر الله تعالى
به فهو عام ليس بخاص وقد امر به الكافر والمؤمن وليس في القران خصوص وقالوا لا يخلق الله شيئا الا
دليلا على وحدانيته ولا بد ان يدل به واحد وقال قوم منهم يجوز ان يخلق الله تعالى رسولا بلا دليل
ويكلف العباد بما يوحى اليه ولا يجب عليه اظهار المعجزة ولا يجب على الله تعالى ذلك الا ان يظهر دليلا
ويخلق معجزة وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة **الحفصية**
منهم اصحاب حفص بن ابي المقدام تميز عنهم بان قال ان بين الشرك والايمان خصلة واحدة وهي

الموافات و من ذلك صح

وحرام صح

معرفة الله تعالى

بمعرفة الله تعالى وحده فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول او كتاب او قيامة او جنة او نار او ارتكب الكبائر
من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر لكنه بريء من الشرك **الحارثية**
اصحاب الحرث الاباضي خالف الاباضية في قوله بالقدر على مذهب المعتزلة وفي الاستطاعة قبل الفعل
وفي اثبات الطاعة لا يراد بها الله تعالى **اليزيدية** اصحاب يزيد بن انيسة الذي
قال يتولى المحكمة الاولى قبل الازارقة وتبرأ ممن بعدهم الا الاباضية فانه يتولاهم وزعم ان الله تعالى
سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة
المصطفى عليه السلم ويكون على ملة الصابية المذكورة في القران وليس هي الصابية الموجودة
بحران وواسط وتولى يزيد من شهد للمصطفى عليه السلم من اهل الكتاب بالنبوة وان لم يدخل في
دينه وقال ان اصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير او كبير فهو شرك ومن ذلك
الصفرية الزيادية اصحاب زياد بن الاصفر خالفوا الازارقة
والنجدات والاباضية في امور منها انهم لم يكفروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين في الدين
والاعتقاد ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم وقالوا التقية
جايزة في القول دون العمل وقالوا ما كان من الاعمال عليه حد واقع ولا يتعدى باهله الاسم الذي لزم
به الحد كالزنا والسرقة والقذف فيسمى سارقا زانيا قاذفا لا كافرا مشركا وما كان من الكبائر
مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلوة فانه يكفر بذلك ونقل عن الضحاك منهم انهم جوزوا
تزويج المسلمات من قومهم في دار التقية دون دار العلانية ورأى زياد بن الاصفر جميع الصدقات كفار
سهما واحدا في حال التقية ويحكى عنه انه قال نحن مؤمنون عند انفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا
من الايمان عند الله وقال الشرك شركان شرك هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الاوثان
والكفر كفران كفر بالنعمة وكفر بانكار الربوبية والبرائة برائتان برائة من اهل الحدود سنة و
براءة من اهل الجحود فريضة **رجال الخوارج من المتقدمين** عكرمة وابو هارون العبدي ولنختم المذاهب بذكر
وابو الشعثاء واسمعيل بن سميع **ومن المتاخرين** اليمان بن رباب ثعلبي ثم بيهسي وعبد الله بن
يزيد ومحمد بن حرب ويحيى بن كامل الاباضي **ومن شعرائهم** عمران بن حطان وحبيب بن جدرة صاحب
ضحاك بن قيس ومنهم ايضا جهم بن صفوان وابو مروان غيلان بن مسلم ومحمد بن عيسى وبرغوث كلثوم
بن حبيب المهلبي وابو بكر محمد بن عبد الله بن شبيب البصري وعلي بن حرملة وصالح بن صبيح بن عمر
ومونس بن عمران البصري وابو عبد الله بن مسلمة والفضل بن عيسى الرقاشي وابو زكريا يحيى بن

Digitized by Google

اصفح وابو الحسين محمد بن مسلم الصالحي وابو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدي ومحمد بن صدقة
وابو الحسين علي بن زيد الاباضي وابو عبد الله محمد بن الكرام وكلثوم بن حبيب المرائي البصري والذين
اعتزلوا الى جانب ولم يكونوا مع علي رض في حروبه ولا مع خصومه وقالوا لا ندخل في غمار الفتنة من الصحابة
عبد الله بن عمر وسعد بن ابي وقاص ومحمد بن مسلمة الانصاري واسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال قيس بن ابي حازم كنت مع علي في جميع احواله وحروبه حتى قال يوم صفين
انفروا الى بقية الاحزاب انفروا الى من يقول كذب الله ورسوله وانتم تقولون صدق الله ورسوله
فعرفت ايش كان يعتقد في حق الجماعة فاعتزلت عنه **المرجئة** ومنها
الارجاء على معنيين احدهما التاخير قوله تعالى ارجه واخاه اي اخره وامهله والثاني اعطاء الرجا
اما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الاول فصحيح كانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد و
اما بالمعنى الثاني فظاهر فانهم كانوا يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة
وقيل الارجاء تاخير حكم صاحب الكبيرة الى القيمة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من اهل
الجنة او من اهل النار فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان وقيل الارجاء تاخير
علي عن الدرجة الاولى الى الرابعة فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان والمرجئة
اصناف اربعة مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة ومحمد بن
شبيب والصالحي والخالدي من مرجئة القدرية ونحن ههنا انما نعد مقالات المرجئة الخالصة
ان شاء الله تعالى ومن ذلك **اليونسية** اصحاب
يونس النميري زعم ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب
فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولا يضر تركها
حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك اذا كان الايمان خالصا واليقين صادقا وزعم ان ابليس
لعنه الله كان عارفا بالله عز وجل غير انه كفر باستكباره عليه ابى واستكبر وكان من الكافرين قال
ومن تمكن في قلبه الخضوع لله تعالى والمحبة له على خلوص ويقين لم يخالفه في معصية وان صدرت
منه معصية فلا يضر يقينه واخلاصه والمؤمن انما يدخل الجنة باخلاصه ومحبته لا بعمله وطاعته
ومن ذلك **العبيدية** اصحاب عبيد المكتب حكي
عنه انه قال ما دون الشرك مغفور لا محالة وان العبد اذا مات على توحيده لم يضره ما اقترف
من الآثام واجترح من السيئات وحكى اليمان عن عبيد المكتب واصحابه انهم قالوا ان علم الله تعالى

Digitized by Google

ومن ذلك

ورد شيئا غيره وان كلام الله لم يزل شيئا غيره وكذلك دين الله لم يزل شيئا غيره وزعم ان الله تعالى
صورة الانسان وهل تجوز الصلاة عليه وسلم ان الله تعالى على آدم على صورة الرحمن **الغسانية**
الحسن بن غسان الكوفي زعم ان الايمان معرفة الله ورسوله والاقرار بما انزل الله مما جاء به الرسول
في الجملة دون التفصيل والايمان يزيد وينقص وزعم ان قائلا لو قال اعلم ان الله عز وجل قد حرم
اكل الخنزير ولا ادري هل الخنزير الذي حرمه هذه الشاة لم يخرجها كان مؤمنا ولو قال اعلم ان الله
فرض الحج الى الكعبة غير اني لا ادري ان الكعبة ببكة او بالهند كان مؤمنا ومقصوده ان
اشال هذه الاعتقادات امور وراء الايمان لانه كان شاكا في هذه الامور فان قائلا لا يجوز
ان يقول ان الكعبة على ابي جهل ولن الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر ومن العجب ان غسانا كان
يحكي عن ابي حنيفة رض مثل هذه مبدعة من المرجئة ولعله كذب عليه ولعمري كان يقال لابي
حنيفة واصحابه مرجئة السنة وعده كثير من اصحاب المقالات من جملة المرجئة ولعل السبب فيه
انه لما كان يقول الايمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنوا به انه يؤخر العمل عن الايمان
والرجل مع تخريجه في العمل كيف يخفى بترك العمل ولعل سبب آخر وهو انه كان يخالف القدرية و
المعتزلة الذين كانوا يقولون كل من خالفهم في القدر مرجئا وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد
ان القب انما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج **الثوبانية** ومن ذلك
اصحاب ثوبان المرجي الذين زعموا ان الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله عليهم السلام
وبكل ما لا يجوز في العقل ان يفعله وما جاز في العقل تركه فليس من الايمان واخراج العمل كله من
الايمان ومن القائلين بمقالته ابو مروان غيلان بن مروان الدمشقي وابو شمر ومويس بن عمران
والفضل الرقاشي ومحمد بن شبيب والعتابي وصالح قبة وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره
من العبد وفي الامامة انها تصلح في غير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا
لها وانها لا تثبت الا باجماع الامة والعجب ان الامة اجمعت على انها لا تصلح لغير قريش بعد
وقت الانصار عن دعواهم منا امير ومنكم امير فقد جمع خصلا غيلان ثلثا القدر والارجاء
والخروج والجماعة التي عدناها انفقوا على ان الله تعالى لو عفا عن عاص في القيمة عفا عن كل مؤمن هو
في مثل حاله وان اخرج واحدا من النار اخرج من هو في مثل حاله ومن العجب انهم لم يجيزوا القول
بان المؤمنين من اهل التوحيد يخرجون من النار لا محالة ويحكى عن مقاتل بن سليمان ان الجنة
لا تفرغ لصاحب التوحيد والايمان انه لا يدخل النار مؤمن والصحيح من المقالة عنه ان المؤمن

ومن ذلك

ظهر وانى الصدر الاول
والمعتزلة

عاص

Digitized by Google

العاصي يعذب يوم القيمة على الصراط وهو على متن جهنم يصيبه لفح النار ولهبها فيتألم بذلك
على مقدار المعصية فيدخل الجنة ومثل ذلك بالجنة على المقلاة المؤججة بالنار ونقل عن بشر بن
عتاب المريسي انه قال ان ادخل اصحاب الكبائر النار فانهم سيخرجون عنها بعد ان عذبوا بذنوبهم
واما التخليد فيها فمحال وليس بعدل وقيل ان اول من قال بالارجاء الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب وكان
يكتب فيه الى الامصار الا انه ما اخر العمل عن الايمان كما قالت المرجئة اليونسية والعبيدية
لكنه حكم بان صاحب الكبيرة لا يكفر اذ الطاعات وترك المعاصي ليست اصلا من الايمان حتى يزول
الايمان بزوالها ومن ذلك **التومنية** اصحاب ابي معاذ التومني
الذي زعم ان الايمان هو ما عصم من الكفر وهو اسم الخصال التي اذا ترك التارك كفر وكذلك ولو ترك
خصلة واحدة منها كفر ولا يق للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان وكل معصية كبيرة
او صغيرة لم يجمع عليها المسلمون فانها كفر لا يقال لصاحبها فاسق ولكن يقال فسق وعصى وقال
تلك الخصال هي المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص بما جاء به الرسول قال ومن ترك الصلوة
والصيام مستحلا كفر وان تركها على نية القضاء لم يكفر ومن قتل نبيا او لطمه كفر لا من اجل القتل
واللطم ولكن من اجل الاستخفاف والعداوة والبغض والى هذا المذهب مال ابن الراوندي وبشر
المريسي قالا الايمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعا والكفر هو الجحود والانكار والسجود
للشمس والقمر والصنم ليس بكفر في نفسه ولكنه علامة الكفر **الصالحية**
اصحاب صالح بن عمرو الصالحي ومحمد بن شبيب وابو شمر وغيلان كلهم جمعوا بين القدر والارجاء
ونحن وان شرطنا ان نورد مذاهب المرجئة الخالصة الا انه بدا لنا في هؤلاء لانفرادهم عن المرجئة
باشياء فاما الصالحي فقال الايمان هو المعرفة بالله تعالى على الاطلاق وهو ان للعالم صانعا
فقط والكفر هو الجهل به على الاطلاق قال وقول القائل ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر الا
من كافر وزعم ان معرفة الله هي المحبة والخضوع له ويصح ذلك مع جحد الرسول ويصح في العقل
ان يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله غير ان الرسول عليه السلم قال من لا يؤمن بي فلا يؤمن بالله تعالى
وزعم ان الصلاة ليس بعبادة الله تعالى وانه لا عبادة له الا الايمان به وهو معرفته وهو خصلة
واحدة ولا يزيد ولا ينقص وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص واما ابو شمر المرجئ
القدري فانه زعم ان الايمان هو المعرفة بالله عز وجل والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار به
انه واحد ليس كمثله شيء ما لم تقم عليه حجة الانبياء عليهم السلم فاذا قامت الحجة فالاقرار

والاقرار صح

ومن ذلك صح

Digitized by Google

بهم وتصديقهم بالايمان والمعرفة والاقرار بما جاؤا به من عند الله غير داخل في الايمان الاصلي وليس
كل خصلة من خصال الايمان ايمانا ولا بعض ايمان واذا اجتمعت كان كلها ايمانا وشرط في خصال
الايمان معرفة العدل بريد به القدر خيره وشره من العبد من غير ان يضاف الى الله تعالى شيء منه واما
غيلان بن مروان من القدرية المرجئة زعم ان الايمان هو المعرفة الثابتة بالله تعالى والخضوع له والمحبة م
والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله فالمعرفة الاولى فطرية ضرورية والمعرفة على اصله
نوعان فطرية وهو علمه بان للعالم صانعا ولنفسه خالقا وهذه المعرفة لا تسمى ايمانا انما الايمان
هو المعرفة الثابتة المكتسبة ثم رجال المرجئة كما نقل الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب وسعيد بن
جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار ومقاتل بن سليمان وذر وعمر بن ذر وحماد
بن ابي سليمان وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد بن جعفر وهؤلاء كلهم ائمة الحديث
لا يكفرون اصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافا للخوارج والقدرية
ومن ذلك **الشيعة** هم الذين شايعوا عليا
عليه السلام على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية اما جليا او خفيا واعتقدوا ان الامامة
لا تخرج من اولاده وان خرجت فبظلم تكون من غيره او بتقية من عنده قالوا وليست الامامة قضية
مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم بل هي قضية اصولية هي ركن الدين
لا يجوز على الرسول اغفالها واهمالها ولا تفويضها الى العامة وارسالها ويجمعهم القول بوجوب التعيين
والتنصيص وثبوت عصمة الائمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتبري والتولي قولا وفعلا
وعقدا الا في حال التقية وتخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعديد الامامة كلام وخلاف
كثير وعند كل تعديد وتوقف مقالة ومذهب وهم خمس فرق كيسانية وزيدية وامامية وغلاة وخطاب
واسمعيلية وبعضهم يميل في الاصول الى الاعتزال وبعضهم الى السنة وبعضهم الى التشبيه
الكيسانية اصحاب كيسان مولى امير المؤمنين علي عليه السلام
وقيل تلميذ لسيد محمد بن الحنفية رض يعتقدون فيه اعتقادا فوق حده ودرجته من
احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيد بن الاسرار جملتها من علم التاويل والباطن
وعلم الآفاق والانفس ويجمعهم القول بان الدين ظاهر رجل حتى حملهم ذلك على تاويل الاوامر
الشرعية من الصلاة والصوم والزكوة والحج وغيرها على رجال فحمل بعضهم على ترك اقتضاء
الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم

على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت فمن مقتصر على واحد معتقد انه لا يموت ولا يجوز ان
يموت حتى يرجع ومن معد حقيقة الامامة الى غيره ثم متحسر عليه متحير فيه ومن مدع حكم الامامة وليس
من الشجرة وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد ان الدين طاعة رجل ولا من رجل له فلا دين له نعوذ بالله
من الحيرة والحور بعد الكور ومن ذلك

المختارية

اصحاب المختار بن عبيد كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا قال بامامة محمد بن
الحنفية بعد امير المؤمنين علي رض وقيل لا بل بعد الحسن والحسين وكان يدعو الناس اليه ويظهر انه
من رجاله ودعاته ويذكر علوما من خرفة ينوطها به ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه و
اظهر لاصحابه انما نمس على الخلق ذلك ليتمشى امره ويجتمع الناس عليه وانما انتظم له ما انتظم بامرين
احدهما انتسابه الى محمد بن الحنفية علما ودعوة والثاني قيامه بثار الحسين عليه السلام واشتغاله ليلا
ونهارا بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين فمن مذهب المختار انه يجوز البداء على الله
والبداء له معنى البدء في العالم وهو ان يظهر له خلاف ما علم ولا اظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد
والبداء في الارادة وهو ان يظهر له صواب على خلاف ما اراده وحكم والبداء في الامر وهو ان يامر
شيئا ثم يامر بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن ان الاوامر المختلفة في الاوقات المختلفة
متناسخة وانما صار المختار الى اختيار القول بالبداء لانه كان يدعي علم ما يحدث من الاحوال اما
بوحي يوحى اليه او برسالة من قبل الامام فكان اذا وعد اصحابه بكون الشيء وحدوث حادثة فان وافق
كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه وان لم يوافق قال قد بدا لربكم وكان لا يفرق بين النسخ
والبداء قال اذا جاز النسخ في الاحكام جاز البداء في الاخبار وقد قيل ان السيد محمد بن الحنفية
تبرأ من المختار حين وصل اليه انه قد لبس على الناس انه من دعاته ورجاله وتبرأ من الضلالات
التي ابتدعها من التاويلات الفاسدة والمخاريق الموهمة فمن مخاريقه انه كان عنده كرسي قديم
غشاه بالديباج وزينه بانواع الزينة وقال هذا من ذخائر امير المؤمنين علي رض وهو عندنا
بمنزلة التابوت لبني اسرائيل فكان اذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول قاتلوا ولكم
الظفر والنصرة وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني اسرائيل وفيه السكينة والبقية
والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهواء وقد اخبرهم
قبل ذلك بان الملائكة تنزلون على صورة الحمامات البيض معروف والاسجاع التي الفها ابرد
تاليف مشهورة وانما حمله على الانتساب الى محمد بن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه واستلاء القلوب

المختاره

Digitized by Google

بحبته والسيد كان كثير العلم غزير المعرفة وقاد الكثرة مصيب الخاطر في الغرائب وقد اخبرني
عن احوال الملاحم والطلعة على مدارج المسالك فاخبرني الغزالة واثر يحول على الشهر وقد قيل فيه انه
كان مسترعا علم الامامة حتى سلم الامامة الى اهلها وما فارق الدنيا حتى اقرها في مستقرها وكان
السيد الحميري وكثير الشاعر من شيعته قال كثير فيه الا ان الائمة من قريش ولاة الحق اربعة
سواء علي والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس فيهم خفاء فسبط سبط ايمان وبر وسبط
غيبته كربلاء وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء يغيب فلا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء وكان السيد الحميري ايضا يعتقد انه لم يمت وانه في جبل رضوى بين اسد
ونمر يحفظانه وعنده عينان تضاحكان تجريان بعسل وماء ويعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلا
كما ملئت جورا وهذا حكم بالغيبة والعودة بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك في بعض الجماعة
حتى اعتقدوه دينا وركنا من اركان التشيع ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية
في سوق الامامة وصار كل اختلاف مذهبا

ومن ذلك الهاشمية

اتباع ابي هاشم محمد بن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية الى رحمة الله ورضوانه وانتقال الامامة
الى ابنه ابي هاشم قالوا فانه افضى اليه اسرار العلوم والطلعة على مناهج تطبيق الافاق على الانفس
وتقدير التنزيل على التاويل وتصوير الظاهر على الباطن قالوا ان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل
روحا ولكل تنزيل تاويلا ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم والمنتشر من الافاق
من الحكم والاسرار مجتمع في الشخص الانساني وهو العلم الذي استاثر به علي ابنه محمد ابن الحنفية
رض وهو افضى في ذلك السر الى ابنه ابي هاشم فكل من جمع فيه هذا العلم فهو الامام حقا واختلف
بعد ابي هاشم شيعته خمس فرق قالت فرقة ان ابا هاشم مات بمصر فامر الشام بارض الشراة
واوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وانحصرت في اولاده الوصية حتى صارت الخلافة الى بني
العباس قالوا ولهم في الخلافة حق لاتصال النسب وقد توفي رسول الله صلعم وعم العباس اولى بالامامة
وفرقة قالت ان الامامة بعد موت ابي هاشم لابن اخيه الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية وفرقة قالت
لا بل ان ابا هاشم اوصى الى اخيه علي بن محمد وعلي اوصى الى ابنه الحسن فالامامة عندهم في بني الحنفية
لا تخرج الى غيرهم وفرقة قالت ان ابا هاشم اوصى الى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وان الامامة
خرجت من بني هاشم الى عبد الله وتحولت روح ابي هاشم اليه والرجل ما كان يرجع الى علم ودين
فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فاعرضوا عنه وقالوا بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله

هو الاول

بن جعفر

Digitized by Google

بن جعفر بن ابي طالب وكان من مذهب عبد الله ان الارواح تتناسخ من شخص الى شخص وان الثواب والعقاب
كلهما في هذه الاشخاص اما اشخاص بني ادم واما اشخاص الحيوانات قال روح الله تناسخت حتى وصلت
اليه وحلت فيه وادعى الالهية والنبوة معا وانه يعلم الغيب فعبده شيعة الحمقى وكفروا بالقيمة
لاعتقادهم ان التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص وتاولوا قوله تعالى
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية على ان من وصل الى الامام وعرفه
ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ووصل الى الكمال والبلاغ وعنه نشات الخرمية والمزدكية
بالعراق وهلك عبد الله بخراسان وافترقت اصحابه فمنهم من قال انه بعد حي لم يمت و
يرجع ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه الى اسحق بن زيد بن حارث الانصاري وهم الحارثية الذين
يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه وبين اصحاب عبد الله بن معوية وبين اصحاب
محمد بن علي خلاف شديد في الامامة فان كل واحد منهما يدعي الوصية من ابي هاشم اليه ولم يثبت
الوصية على قاعدة يعتمد ومن ذلك **البنانية**

اتباع بنان بن سمعان النهدي قالوا بانتقال الامامة من ابي هاشم اليه وهو من الغلاة القائلين
بالهية امير المؤمنين علي عليه السلام قال حل في علي جزء الهي واتحد بجسده فيه وكان يعلم الغيب اذا اخبر عن
الملاحم وصح الخبر وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر وبه قلع باب خيبر وعن هذا قال والله
ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة ملكوتية نور ربها
مضيئة فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة والنور الالهي كالنور في المصباح قال
وربما يظهر علي في بعض الازمان وقال في تفسير قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من
الغمام والملائكة وقضي الامر اراد به عليا فهو الذي ياتي في الظلل والرعد صوته والبرق تبسمه
ثم ادعى بنان انه قد انتقل اليه الجزء الالهي بنوع من التناسخ ولذلك استحق ان يكون اماما وخليفة
وذلك الجزء الذي استحق به ادم عليه السلام سجود الملائكة وزعم ان معبوده على صورة انسان
عضو فعضو وجزء فجزء وقال يهلك كله الا وجهه لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه ومع هذا
الخزي الفاحش كتب الى محمد بن علي بن الحسين الباقر ودعاه الى نفسه وفي كتابه اسلم تسلم وترتقي
من مسلم فانك لا تدري حيث يجعل الله النبوة فامر الباقر ان ياكل الرسول قرطاسه الذي جاء به
فاكل فمات في الحال وكان اسم الرسول عمر بن ابي عفيف وقد اجتمعت طائفة على بنان بن سمعان وادانوا بمذهبه
فقتله خالد بن عبد الله القسري على ذلك ومن ذلك **الرزامية**

اتباع

اتباع رزام ساقوا الامامة من علي الى ابنه محمد رضي الله عنهما ثم الى ابنه ابي هاشم ثم منه الى علي
بن عبد الله بن العباس بالوصية ثم ساقوها الى محمد بن علي واوصى محمد الى ابنه ابرهيم الامام وهو صاحب
ابي مسلم الذي دعا اليه وقال بامامته وهؤلاء ظهروا بخراسان في ايام ابي مسلم حتى قيل ان ابا مسلم كان
على هذا المذهب لانهم ساقوا الامامة الى ابي مسلم فقالوا له حظ في الامامة وادعوا حلول روح الاله
فيه ولهذا ايده على بني امية حتى قتلهم عن بكرة ابيهم وقالوا بتناسخ الارواح والمقنع الذي
ادعى الالهية لنفسه على مخاريق اخرجها كان في الاول على هذا المذهب وتابعه مبيضة ما وراء النهر
وهؤلاء صنف من الخرمية دانوا بترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط ومنهم من قال
الدين امران معرفة الامامة واداء الامانة ومن حصل له الامران فقد وصل الى حال الكمال وارتفع
عنه التكليف ومن هؤلاء من ساق الامامة الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من ابي هاشم بن محمد
بن الحنفية وصية اليه لا من طريق اخر وكان ابو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في
الاول واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها واحس منهم ان هذه العلوم مستودعة فيهم فكان
يطلب المستقر فيه فنفذ الى الصادق جعفر بن محمد اني قد اظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالات
بني امية الى موالات اهل البيت فان رغبت فيه فلا مزيد عليك فكتب اليه الصادق ما انت
من رجالي ولا الزمان زماني فحاد الى ابي العباس بن محمد وقلده الخلافة

الزيدية

ومن ذلك

اتباع زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ساقوا الامامة في اولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا
ثبوت الامامة في غيرهم الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة يكون
اماما واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة
محمد وابرهيم الامامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا في ايام منصور وقتلا على ذلك
وجوزوا خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة وزيد
بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب اراد ان يحصل الاصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ في
الاصول لواصل بن عطاء الغزال راس المعتزلة مع اعتقاد واصل بان جده علي بن ابي طالب رض
في حروبه التي جرت بينه وبين اصحاب الجمل واصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب وان احد الفريقين
منهما كان على الخطاء لا بعينه فاقتبس منه الاعتزال وصارت اصحابه كلها معتزلة وكان من مذهبه
جواز امامة المفضول مع قيام الافضل فقال كان علي بن ابي طالب عم افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت
الى ابي بكر لمصلحة راوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة

فان عهد الحروب التي جرت في ايام النبوة كان قريبا وسيف امير المؤمنين مزد ماء المشركين من قريش
وضربهم لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثار كامنة فما كانت القلوب تميل اليه كل
الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد فكان من المصلحة ان يكون للقيام بهذا الشأن من عرف
باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى انه لما
اراد في مرضه الذي مات فيه بالامر عمر بن الخطاب رض نهض الناس وقالوا لقد اوليت علينا فظا
غليظا فما كانوا يرضون بامير المؤمنين عمر لشدته وصلابته وغلظه في الدين ومحافظته على الاحكام
حتى سكنهم ابي بكر رض كذلك يجوز ان يكون المفضول اماما والافضل قائما فيراجع في الاحكام
ويحكم في القضايا ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه عرفوا انه لا يتبرأ عن الشيخين
رضوه حتى اقدروه عليه فنهبت وافضته وجرت بينه وبين اخيه محمد الباقر مناظرات لا
من هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطا ويقتبس العلم ممن يجوز الخطاء على جدته في
قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر على خلاف ما ذهب اليه اهل البيت ومن حيث
انه كان يشترط الخروج في كون الامام اماما حتى قال له يوما على قضيته مذهبك ذا اوادعيه
بامام فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالامامة بعده يحيى
زيد ومضى الى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة وقد وصل اليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد
بانه يقتل كما قتل ابوه ويصلب كما صلب ابوه فجرى عليه الامر كما اخبره وفوض الامر بعده الى محمد
ابرهيم الامامين وخرجا بالمدينة ومضى ابرهيم الى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا ايضا
فاخبرهما الصادق بجميع ما تم عليهم وعرفهم ان اباه عليه السلام اخبره بذلك كله وان بني امية
يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يتشعرون بغض اهل البيت
ولا يجوز ان يخرج واحد من اهل البيت حتى اذن الله بزوال ملكهم وكان يشير الى ابي العباس
وابي جعفر ابني علي بن عبد الله بن عباس انا لا نخوض في الامر حتى يتلاعب به هذا واولاده اشار
الى المنصور وزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة قتله هشام بن عبد الملك ويحيى بن زيد قتل
بجوزجان خراسان قتله امير هراة ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان وابرهيم الامام
قتل بالبصرة امر بقتلهما المنصور ولم ينتظم امر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر
الاطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الى بلاد الديلم والجبل ولم يخلوا بدين الاسلام
بعد فدعى الناس دعوة الى الاسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشئوا عليه

بحكمه

عبرة

محمد بن ح

Digitized by Google

وبقيت الزيدية في البلاد ثلاث ظاهرين وكان يخرج واحد من الائمة ويلي امرهم وخالفوا بعضهم
من الموسوية في مسائل الاصول وقالت اكثر الزيدية بامامة المفضول وطعنت في الصحابة لطعن الائمة
وهم اصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد
ومن ذلك **الجارودية** اصحاب
ابي جارود زعموا ان النبي صلعم نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية والامام بعده علي وانما
قصروا حيث لم يعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف فانما نصبوا ابا بكر باختيارهم فكفروا بذلك
وقد خالف ابو الجارود في هذه المقالة امامة زيد بن علي فانه لم يعتقد هذا الاعتقاد واختلف
الجارودية في التوقف والسكوت فمال بعضهم الامامة من علي الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى علي بن
الحسين زين العابدين ثم الى زيد بن علي ثم منه الى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن و
قالوا بامامته وكان ابو حنيفة على بيعته ومن جملة شيعته حتى رفع الامر الى المنصور فحبسه
حبس الاحدوث وقيل انه انما بايع محمد بن عبد الله الامام المنصور ولما قتل الامام محمد
بالمدينة بقي ابو حنيفة على تلك البيعة يعتقده والاة اهل البيت فرفع حاله الى المنصور ونم عليه
ماتم والذين قالوا بامامة محمد الامام اختلفوا فمنهم من قال انه لم يقتل وهو بعد حي وسيخرج
فيملأ الارض عدلا ومنهم من اقر بموته وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن علي بن الحسين بن علي
صاحب الطالقان وقد ثار في ايام المعتصم وحمل اليه فحبسه في داره حوثات ومنهم من قال بامامة يحيى بن
عمر صاحب الكوفة فخرج ودعى الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في ايام المستعين وحمل راسه
راسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر حتى قال فيه بعض العلوية قتلت اعز من ركب المطايا ومبتك
استلبتك في الكلام وعز علي ان اقاتلك الا وفيما بيننا حد الحسام وهو يحيى بن عمر بن يحيى
بن الحسين بن زيد بن علي واما ابو الجارود وكان يسمى سرحوب سماه بذلك ابو جعفر محمد بن علي الباقر
وسرحوب شيطان يسكن البحر قاله الباقر تفسيرا ومن اصحاب ابي الجارود فضيل الرسان وابو خالد الواسطي
وهم مختلفون في الاحكام والسير فبعضهم يزعم ان علم ولد الحسن والحسين رضي الله عنهما كعلم النبي عليه السلام
فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة وبعضهم يزعم ان العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجايز ان
يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة ومن ذلك **السليمانية**
اصحاب سليمان بن جرير وكان يقول ان الامامة شورى فيما بين الخلق ويصح ان يعقد بعقد رجلين من خيار
المسلمين وانها تصح في المفضول مع وجود الافضل واثبت امامة ابي بكر وعمر رض حقا باختيار الامة

بعد واحد صح

وما لت ذ ل

اعمى

Digitized by Google

حقا اجتهاديا وربما كان يقول ان الامة اخطات في البيعة لهما مع وجود علي خطاء لا يبلغ درجة الفسق
وذلك الخطاء خطاء اجتهادي غير انه طعن في عثمن للاحداث التي احدثها واكفره بذلك واكفر
عايشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم باقدامهم على قتال علي ثم انه طعن في الرافضة فقال ان ائمة الرافضة
قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر احد قط عليهم احديهما القول بالبداء فاذا اظهروا اقوالا انه
سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الامر على ما اخبروه قالوا بدا لله في ذلك والثانية التقية
فكلما ارادوا تكلموا به فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا انما قلناه تقية وفعلنا
تقية وتابعه على القول بجواز امامة المفضول مع قيام الافضل قوم من المعتزلة منهم جعفر بن مبشر
وجعفر بن حرب وكثير النوى وهو من اصحاب الحديث قالوا الامامة من مصالح الدين ليس يحتاج اليها
بالعقل في معرفة معرفة الله تعالى وتوحيده فان ذلك حاصل بالعقول لكنها يحتاج اليها لاقامة الحدود والقضاء بين
المتحاكمين وولاية اليتامى والايامى وحفظ البيضة واعلاء الكلمة ونصب القتال مع الاعداء
الدين وحتى يكون للمسلمين جماعة ولا يكون الامر فوضى بين العامة فلا يشترط فيها ان يكون الامام
افضل الامة علما واقدمهم رايا وحكمة اذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والافضل
وما لت [illegible] من اهل السنة الى ذلك حتى جوزوا ان يكون الامام غير مجتهد ولا خبير بمواقع
الاجتهاد لكن يجب ان يكون معه من يكون من اهل الاجتهاد فيراجعه في الاحكام ويستفتي منه
في الحلال والحرام ويجب ان يكون في الجملة ذا راي متين وبصر في الحوادث نافذ ومن ذلك

الصالحية

اصحاب الحسن بن صالح بن حي والبترية اصحاب
كثير النوى الابتر وهما متفقان في المذهب وقولهم في الامامة كقول السليمانية الا انهم توقفوا في امر
عثمان اهو مؤمن ام كافر قالوا اذا سمعنا الاخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة
قلنا يجب ان نحكم بصحة اسلامه وايمانه وكونه من اهل الجنة واذا راينا الاحداث التي احدثها
من استهتاره بتربية بني امية واستبداده بامور لم توافق سيرة الصحابة قلنا يجب ان نحكم بكفره
فتحيرنا في امره وتوقفنا في شانه وحاله ووكلناه الى احكم الحاكمين واما علي فهو افضل الناس
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاهم بالامامة لكنه سلم الامر لهم راضيا وفوض الامر اليهم طايعا
وترك حقه راغبا فنحن راضون بما رضي المسلمون لما سلم لا يحل لنا غير ذلك ولو لم يرض علي
بذلك لكان ابو بكر هالكا وهم الذين جوزوا امامة المفضول وتاخير الفاضل والافضل اذا
كان الافضل راضيا بذلك وقالوا من شهر سيفه من اولاد الحسن والحسين وكان عالما زاهدا

شجاعا

شجاعا فهو الامام وشرط بعضهم صباحة الوجه ولهم خبط عظيم في امامين وجد فيهما هذه الشرايط
وشهر اسيفهما ينظر الى الافضل والازهد وان تساويا ينظر الى الامتن رايا والاحزم امرا وان تساويا
تقابلا فينقلب الامر عليهم كلا ويعود الطلب جدعا والامام ماموما والامير مامورا ولو كانا في
قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره ويكون واجب الطاعة في قومه ولو افتى احدهما بخلاف الاخر كان كل
واحد منهما مصيبا وان افتى باستحلال دم الامام الاخر واكثرهم في زماننا مقلدون لا يرجعون
الى راي واجتهاد اما في الاصول فيرون راي المعتزلة حذو القذة بالقذة ويعظمون ائمة الاعتزال
اكثر من تعظيمهم ائمة اهل البيت واما في الفروع فهم على مذهب ابي حنيفة الا في مسائل قليلة
يوافقون فيها الشافعي رض والشيعة رجال الزيدية ابو الجارود زياد بن منذر العبدي جعفر بن محمد رض
والحسن بن صالح بن حي ومقاتل بن سليمان والداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن
علي بن الحسين بن علي والداعي الاخر صاحب طبرستان الحسين بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن
بن زيد بن الحسن بن علي رضوان الله عليهم ومحمد بن نصر

الامامية ومن ذلك

هم القائلون بامامة علي رض بعد النبي ص نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل اشارة
اليه بالعين قالوا وما كان في الدين والاسلام امر اهم من تعيين الامام حتى يكون مفارقة الدنيا
عن فراغ قلب من امر الامة فانه اذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز ان يفارق الامة ويتركهم
هملا يرى كل واحد منهم رايا ويسلك طريقا لا يوافقه غيره على ذلك بل يجب ان يعين شخصا هو
المرجوع اليه وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه وقد عين عليا رض في مواضع تعريضا
وفي مواضع تصريحا اما تعريضاته فمثل ان بعث ابا بكر رض ليقرأ سورة البرائة على الناس في المشهد
وبعث بعد عليا رض بعده ليكون هو القاري عليهم والمبلغ عنه اليهم وقال نزل علي جبرئيل عليه السلام
فقال يبلغه رجل منك او قال من قومك وهو يدل على تقديمه عليا عليه ومثل ما كان يؤمر
على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما غيرهما من الصحابة في البعوث وقد امر عليهما عمرو بن العاص في بعث
واسامة بن زيد في بعث وما امر على علي رض احدا قط واما تصريحاته فمثل ما جرى في نأناة الاسلام
حين قال من الذي يبايعني على ماله فبايعه جماعة ثم قال من الذي يبايعني على روحه وهو وصي و
ولي بهذا الامر من بعدي فلم يبايعه احد حتى مد امير المؤمنين علي رض يده اليه فبايعه على روحه
ووفى بذلك حتى كانت قريش تعير ابا طالب انه امر عليك ابنك ومثل ما جرى في كمال الاسلام
وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل

ما يفتي

فما

فما بلغت رسالته فلما وصل الى غدير خم امر بالدوحات فقممن ونادوا الصلوة جامعة ثم قال عليه السلام
وهو على الرحال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل
من خذله وادر الحق معه حيث دار الا هل بلغت ثلثا فادعت الامامية ان هذا نص صريح فاما النظر
من كان النبي مولى له باي معنى فنطرد ذلك في حق علي وقد فهمت الصحابة من التولية كل ما
فهمناه حتى قال عمر رض حين استقبل عليا رض طوبى لك يا علي اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة
قالوا وقول النبي اقضاكم علي نص في الامامة لا معنى لها الا ان يكون اقضى القضاة في كل حادثة الحاكم
على المتخاصمين في كل واقعة وهو معنى قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فالوا
الامر من اليه القضاء والحكم حتى وفى مسئلة الخلافة لما تخاصمت المهاجرون والانصار كان القاضي
هو امير المؤمنين علي دون غيره فان النبي عليه السلم كما حكم لكل واحد من الصحابة باخص وصف له
فقال افرضكم زيد اقرؤكم ابي بالحلال والحرام معاذ كذلك حكم لعلي باخص وصفه وهو قوله اقضاكم
علي والقضاء يستدعي القضاء ثم ان الامامية تحطت عن هذه الدرجة الى الوقيعة في كبار الصحابة
طعنا وتكفيرا واقله ظلما وعدوانا وقد شهدت نصوص القران على عدالتهم والرضا من جملتهم
قال الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وكانوا اذ ذاك الفا واربعمائة
وقال تعالى ثناء على المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة وقال وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وفي ذلك دليل عظم قدرهم عند الله وكرامتهم ودرجتهم
عند الرسول فليت شعري كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر اليهم وقد قال النبي
عشرة في الجنة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن
عوف وابو عبيدة الجراح الى غير ذلك من الاخبار الواردة في حق كل واحد منهم على الانفراد وان
نقلت هناة من بعضهم فليتدبر النقل فان اكاذيب الروافض كثيرة ثم ان الامامية لم يثبتوا في
تعيين الائمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين رضي الله عنهم على راي واحد واختلافاتهم اكثر
من اختلافات الفرق كلها حتى قال بعضهم ان نيفا وسبعين من الفرق المذكورة في الخبر هو في
الشيعة خاصة ومن عداهم فانهم خارجون عن الامة وهم متفقون في سوق الامامة الى جعفر بن محمد
الصادق والمختلفون في المنصوص بعده اذ كانت له خمسة اولاد وقيل ستة محمد واسحق وعبد الله
وموسى واسمعيل وعلي ومن ادعى منهم النص والتعيين محمد وعبد الله وموسى واسمعيل ثم منهم

في ذلك

اعرفكم

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم

عليه

من نادى

من مات واعقب منهم من لم يعقب ومنهم من قال بالتوقف والانتظار والرجعة ومنهم من قال بالسوق
والتعدية كما سيأتي اختلافهم عند ذكر طائفة طائفة وكانوا في الاول على مذهب ائمتهم في الاصول
ثم لما اختلفت الروايات عن ائمتهم وتمادى الزمان اختار كل فرقة طريقة وصارت الامامية بعضها
معتزلة اما وعيدية واما تفضيلية وبعضها اخبارية اما مشبهة واما سلفية ومن ضل الطريق
وتاه لم يبال الله في اي واد هلك ومن ذلك **الباقرية**
والجعفرية الواقفية اصحاب ابي جعفر محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق وقالوا بامامتهما وامامة
والدهما زين العابدين الا ان منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الامامة الى اولادهما ومنهم من
ساق وانما ميزنا هذه الفرقة دون الاصناف المتشيعة التي نذكرها لان من الشيعة من توقف
على الباقر وقال برجعته كما توقف القائلون بامامة ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وهو ذو
علم غزير في الدين والادب كامل في الحكمة في الدنيا وزهد بالغ في الدين وورع تام عن الشهوات وقد اقام
بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض الموالين له اسرار العلوم ثم دخل العراق و
اقام بها مدة ما تعرض قط ولا نازع احدا في الخلافة ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعلى
الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط وقيل من انس بالله توحش عن الناس ومن استانس بغير الله نهبه
الوسواس وهو من جهة الاب ينتسب الى شجرة النبوة ومن جانب الام ينتسب الى ابي بكر وقد تبرأ عما كان ينسبه
بعض الغلاة اليه وتبرأ عنه ولعنه وبرئ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول
بالغيبة والرجعة والبدا والتناسخ والحلول والتشبيه لكن افترق الشيعة بعده فانتحل
كل واحد منهم مذهبا واراد ان يروجه على اصحابه فنسبه اليه وربطه به والسيد برئ من ذلك
ومن الاعتزال والقدر ايضا فهذا قوله في الارادة ان الله تعالى اراد بنا شيئا واراد منا شيئا فما اراد
بنا طواه عنا وما اراد منا اظهره لنا فما بالنا نشتغل بما اراده بنا عما اراده منا وهذا قوله
في القدر هو امر بين امرين لا جبر ولا تفويض وكان يقول في الدعاء اللهم لك الحمد ان اطعتك ولك
الحجة ان عصيتك لا صنع لي ولا لغيري في احسان ولا حجة لي ولا لغيري في اساءة فنذكر الاصناف
الذين اختلفوا فيه وبعده لا على انهم من تفاصيل اشياعه بل على انهم منتسبون الى اهل شجرته و
فرع اولاده **الناوسية** اتباع رجل يقال له ناوس وقيل نسبوا
الى قرية يقال لها ناوسا قالت ان الصادق حي بعد لم يمت حتى يظهر امره وهو القائم المهدي
وروي عنه انه قال لو رايتم راسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فاني صاحبكم صاحب السيف

للامامة م

جانب د

فيظهر

وحكى ابو حامد الزوزني ان الناووسية زعمت ان عليا مات وستنشق الارض عنه يوم القيمة فيملأ العالم عدلا **الافطحية** قالوا بانتقال الامامة من الصادق الى ابنه عبد الله الافطح وهو اخو اسمعيل من ابيه وامه وامهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن وكان اسن اولاد الصادق وزعموا انه قال الامامة في اكبر اولاد الامام من يجلس مجلسي وهو الذي جلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا ياخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام وهو الذي تولى ذلك كله ودفع الصادق وديعة الى بعض اصحابه وامره ان يدفعها الى من يطلبها منه وان يتخذه اماما وما طلبها منه احد الا عبد الله ومع ذلك ما عاش بعد ابيه الا سبعين يوما ومات فلم يعقبه ولدا ذكرا **الشميطية** اتباع يحيى بن ابي شميط قالوا ان جعفر قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان ولد لك ولد فسميته باسمي فهو الامام بعده ابنه محمد **الموسوية** المفضلية فرقة واحدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا عليه بالاسم حيث قال الصادق سابقكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم الا وهو سمي صاحب التورية ولما رات الشيعة ان اولاد الصادق على تفرق فمن مات في حال حيوة ابيه لم يعقب ومن مختلف في موته ومن قائم بعد موته مدة يسيرة فمات غير معقب وكان موسى هو الذي تولى الامر وقام به بعد موت ابيه رجعوا اليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمر وزرارة بن اعين وعمارة السباطي وروت الموسوية عن الصادق انه قال لبعض اصحابه عد الايام فعدها من الاحد حتى بلغ الى السبت فقال له كم عددت قال سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور من لا يلهو ولا يلعب وهو سابقكم وقائمكم هذا واشار الى موسى فقال فيه ايضا انه شبيه بعيسى ثم ان موسى لما خرج واظهر الامامة حمله هرون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر ثم اشخصه الى بغداد وحبسه عند السندي بن شاهك وقيل عند يحيى بن خالد بن برمك وسمه في رطب فقتله وهو في الحبس ثم اخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد واختلف الشيعة بعده فمنهم من توقف في موته وقال لا ندري امات ام لم يمت ويقال لهم الممطورة وسماهم بذلك علي بن اسمعيل وقال ما انتم الا كلاب ممطورة ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية ومنهم من وقف عليه وقال سيخرج بعد الغيبة ويقال لهم الواقفية **الاسمعيلية** الواقفية قالوا ان الامام بعد جعفر اسمعيل نصا عليه باتفاق من اولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حيوة ابيه فمنهم من قال لم يمت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس

وقال الامام

بن علي

حيوة

امات

انه لم يمت

وعقد

Digitized by Google

وعقد بحضرة الشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع فيه
والفائدة في النص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره فالامام بعد اسمعيل محمد بن
اسمعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية ومنهم من وقف على محمد بن اسمعيل وقال برجعته بعد غيبته
ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية
وسنذكر مذهبهم على الانفراد وانما هذه فرقة الوقف على اسمعيل بن جعفر ومحمد بن اسمعيل
والاسمعيلية المشهورة في الفرق هم الباطنية التي لهم مقالة مفردة فاما في الائمة الاثني عشر
عدا الامامة المرتضى والمجتبى والشهيد والشجاع والباقر والصادق والكاظم والرضى والتقي
والنقي والزكي والحجة القائم المنتظر ومن ذلك **الاثنا عشرية**
الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وتيقنوا قطعيته وساقوا الامامة بعده في اولاده
فقالوا الامام بعده موسى على الرضا ومشهده بطوس ثم بعده محمد التقي وهو في مقابر قريش
ثم بعده علي بن محمد النقي ومشهده بقم وبعده الحسن العسكري وبعده ابنه محمد القائم المنتظر
الذي هو يستر من راى وهو الثاني عشر هذا هو طريق الاثني عشرية في زماننا الا ان الاختلاف
الذي وقع في حال كل واحد من هؤلاء الاثني عشر والمنازعات التي جرت بينهم وبين اخوتهم وبني
اعمامهم وجب ذكرها لئلا يشذ عنا مذهب لم نذكره ومقالة لم نوردها فاعلم ان من الشيعة
من قال بامامة احمد بن موسى بن جعفر دون اخيه علي الرضا ومن قال بعلي شك اولا في محمد بن علي
اذ مات ابوه وهو صغير غير مستحق للامامة ولا علم عنده بمناهجها فثبت قوم على امامته و
اختلفوا بعد موته ايضا فقال قوم بامامة جعفر بن علي وقال قوم بامامة محمد بن الحسن بن علي
وكان رئيس يقال له علي بن فلان الطاحن وكان من اهل الكلام قوي اسبابا جعفر بن علي وامال
الناس اليه واعانه فارس بن حاتم بن ماهويه وذلك ان محمدا قد مات وخلف الحسن العسكري
وقالوا امتحنا الحسن فلم نجد عنده علما ولقبوا من قال بامامة الحسن بالحسينية وقوي امر جعفر بعد
موت الحسن واحتجوا بان الحسن مات بلا خلف فبطلت امامته لانه لم يعقب والامام لا يكون الا
يكون له خلف وعقب وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعاوي ادعاها عليه انه فضل ذلك من حبل في
جواريه وغيره وانكشف امرهم عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة من
قال بامامة الحسن وتفرقوا اصنافا كثيرة فثبتت هذه الفرقة على امامة جعفر ورجع اليهم كثير ممن قال
بامامة الحسن على نزفضاوهم من اجل اصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث ثم قالوا بعد جعفر

التعليمية

الزكي

العسكري

المعلى

بعلي بن جعفر وفاطمة بنت علي اخت جعفر وقال قوم بامامة علي بن جعفر دون فاطمة السيدة ثم اختلفوا
بعد موت علي وفاطمة اختلافا كثيرا وعلا بعضهم في الامامة علو ابي الخطاب الاسدي واما الذين
قالوا بامامة الحسن افترقوا بعد موته احدى عشر فرقة وليست لهم الفاظ مشهورة ولكنا نذكر اقاويلهم
الفرقة الاولى قالت ان الحسن لم يمت وهو القائم ولا يجوز ان يموت ولا ولد له ظاهرا لان
الارض لا تخلو من امام وقد ثبت عندنا ان القائم له غيبتان وهذه احدى الغيبتين ويظهر
ويعرف ثم يغيب غيبة اخرى الثانية قالت ان الحسن مات لكنه يجيء وهو القائم لانا
راينا ان معنى القائم هو القائم بعد الموت فنقطع بموت الحسن لا نشك فيه ولا ولد له فيجب ان
يجيء بعد الموت الثالثة قالت ان الحسن قد مات واوصى الى جعفر اخيه ورجعت الامامة
الى جعفر الرابعة قالت ان الحسن قد مات والامام جعفر وانا كنا مخطئين في الايتمام به
اذ لم يكن اماما فلما مات ولا عقب له تبين ان جعفرا كان محقا في دعواه والحسن مبطلا الخامسة
قالت ان الحسن قد مات وكنا مخطئين في القول به وان الامام كان محمد بن علي اخو الحسن وجعفر
ولما ظهر لنا فسق جعفر واعلانه به وعلمنا ان الحسن كان على مثل حاله الا انه كان يتستر عرفنا انهما
لم يكونا امامين فرجعنا الى محمد ووجدنا له عقبا وعرفنا انه كان هو الامام دون اخويه
السادسة قالت ان للحسن ابنا وليس الامر على ما ذكروا انه مات ولم يعقب ولد قبل
ابيه بسنتين فاستتر خوفا من جعفر وغيره من الاعداء واسمه محمد وهو الامام القائم المنتظر
السابعة قالت ان له ابنا ولكن ولد بعد موته ولد بثمانية اشهر وقول من ادعى انه مات وله ابن باطل
لان ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان الثامنة قالت صحت وفاة الحسن وصح ان لا ولد
له وبطل ما ادعى من الحبل في سرية له وثبت ان الامامة بعد الحسن وهو جائز في المعقول ان
يرفع الله الحجة عن اهل الارض لمعاصيهم وهي فترة وزمان الامام فيه والارض اليوم بلا حجة
كما كانت الفترة فيه قبل مبعث النبي عليه السلام التاسعة قالت ان الحسن قد مات وصح
موته وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ولا ندري كيف هو ولا نشك انه قد ولد له ولد ابن
ولا ندري قبل موته او بعد موته الا انا نعلم يقينا ان الارض لا تخلو من حجة وهو الخلف الغائب
فنحن نتولاه ونتمسك باسمه حتى ظهر بصورته العاشرة قالت نعلم ان الحسن قد مات ولا بد للناس
من امام ولا تخلو الارض من حجة ولا ندري من ولده او من غيره الحادية عشر فرقة توقفت
في هذه المخابط وقالت لا ندري على القطع حقيقة الحال لكنا نقطع في الرضا ونقول بامامته

القيام خ ل

وفي كل

وفي كل موضع اختلف الشيعة فيه فنحن من الواقفية في ذلك الى ان يظهر الله الحجة ويظهر بصورته
فلا يشك في امامته من ابصره ولا يحتاج الى معجزة وكرامة وبينة بل معجزته اتباع الناس باسرهم
اياه من غير منازعة ومدافعة فهذه جملة الفرق الاثني عشرية قطعوا على كل واحد واحد منهم
ثم قطعوا على الكل باسرهم ومن العجب انهم قالوا الغيبة قد امتدت مائتين ونيفا وخمسين سنة
وصاحبنا قال ان خرج القائم وقد طعن في الاربعين فليس بصاحبكم ولسنا ندري كيف ينقضي
مائتان وخمسون سنة في اربعين سنة واذا سئل القوم عن هذه الغيبة كيف يتصور قالوا ليس الخضر
والياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من آلاف سنة لا يحتاجان الى طعام وشراب فلم لا يجوز
ذلك في واحد من اهل البيت قيل لهم مع اختلافكم هذا كيف يصح لكم دعوى الغيبة ثم الخضر ع
ليس مكلفا بضمان جماعة والامام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل والجماعة مكلفون بالاقتداء به والاستنان بسنته ومن لا يرى كيف يقتدى به فلهذا سارت الامامية متمسكين
بالعدلية في الاصول والمشبهة في الصفات متحيرين تائهين وبين الاخبارية منهم والكلامية
سيف وتكفير وكك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل اعاذنا الله من الحيرة ومن
العجب ان القائلين بامامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه احكام
الالهية ويتاولون قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون
الى عالم الغيب والشهادة قالوا هو الامام المنتظر الذي يرد اليه علم الساعة ويدعون فيه انه لا يغيب
عنا وسيخبرنا باحوالنا حين يحاسب الخلق الى تحكمات باردة عن العقول ردة شعر لقد طفت
في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم فلم ار الا واضعا كف حائر على ذقن
او قارعا سن نادم ومنها

الغالية

هؤلاء الذين غلوا في حق ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية وربما
شبهوا واحدا من الائمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرف الغلو والتقصير وانما
نشات شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى شبهت
الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في اذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بالاحكام الالهية في
حق بعض الائمة وكان التشبيه في الاصل والوضع في الشيعة وانما عادت الى بعض اهل السنة
بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما راوا ان ذلك اقرب الى المعقول وابعد من التشبيه والحلول
وبدع الغلاة محصورة في اربع التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ ولهم القاب وبكل بلد

عن مدة ذ

كلمات م

اذ اليهود شبهت الخالق بالخلق م

اقب

يقال لهم

لقب باصفهان الخرمية والكودية وبالري المزدكية والسنباذية وباذربيجان الزقولية وبموضع المحمرة
وما وراء النهر المبيضية ومن ذلك **السبائية**
اصحاب عبد الله بن سبا الذي قال لعلي رض انت انت يعني انت الاله فنفاه الى المدائن فزعموا
انه كان يهوديا فاسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى صلوات الله عليهما مثل ما قال
في علي وهو اول من اظهر القول بالفرض بامامة علي ومنه انشعبت اصناف الغلاة زعموا ان عليا حي
لم يقتل وفيه الجزء الالهي ولا يجوز ان يستولي عليه وهو الذي يخفى في السحاب والرعد صوته والبرق
سوطه وانه سينزل الى الارض بعد ذلك فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وانما اظهر ابن سبا هذه
المقالة بعد انتقال علي رض واجتمعت عليه جماعة وهم اول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة
وقالت بتناسخ الجزء الالهي في الائمة بعد علي وقالت هذا المعنى مما كان يعرفه الصحابة وان كانوا على خلاف مراده
هذا عمر رض كان يقول فيه حين فقأ عين واحد الحد في الحرم ورفعت القصة اليه ماذا اقول في يد الله
فقأت عينا في حرم الله تعالى فاطلق عمر اسم الالهية عليه لما عرف منه ذلك ومن ذلك
الكاملية اصحاب ابي كامل اكفر جميع الصحابة بتركها
بيعة علي وطعن في علي ايضا بتركه طلب حقه ولم يعذره في القعود قال وكان عليه ان يخرج ويظهر
الحق على انه غلا في حقه وكان يقول الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك النور في شخص يكون
نبوة وفي شخص يكون امامة وربما يتناسخ الامامة فتصير نبوة وقال تتناسخ الارواح وقت الموت
والغلاة على اصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة
في كل امة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابية ومذهبهم ان
الله تعالى قديم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر وذلك معنى الحلول وقد
يكون الحلول بجزء هو كاشراق الشمس في كوة او كاشراقها على البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور
ملك بشخص او شيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربعة المسخ والنسخ والفسخ والرسخ وسيأتي
شرح ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل واعلى المراتب مرتبة الملكية او النبوة واسفل
المراتب الشيطانية او الجنية وهذا ابو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهرا من غير تفصيل مذهبهم
ومن ذلك **العلبائية** اصحاب العلبا بن ذراع الدوسي
وقال قوم هو الاسدي وكان يفضل عليا على النبي صلعم وزعم انه الذي بعث محمدا وسماه الها
وكان يقول بذم محمد لعن الله العلبا وصلى الله على محمد وزعم انه بعث ليدعو الى علي فدعى

وقد يكون بكل اما الحلول بجزء صح

Digitized by Google

الى نفسه ويسمون هذه الفرقة الذميمة ومنهم من قال بالهيتهما جميعا ويقدمون عليا في احكام
الالهية ويسمونهم العينية ومنهم من يقول بالهيتهما جميعا ويفضلون محمدا في الالهية و
يسمونهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة اشخاص اصحاب الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين
وقالوا خمستهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الاخر وكرهوا ان يقولوا
فاطمة بالتانيث بل قالوا فاطم وفي ذلك يقول بعض شعرائهم تولت بعبد الله في الدين خمسة
نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما ومنها **المغيرية**
اصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ادعى ان الامام بعد محمد بن علي بن الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن
بن الحسن الخارج بالمدينة وزعم انه حي لم يمت وكان المغيرة مولى لخالد بن عبد الله القسري
وادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه وغلا في حق علي غلوا لا
يعتقده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه فقال ان الله تعالى صورة وجسم ذو اعضاء على
مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على راسه تاج من نور وله قلب ينبع منه الحكمة وزعم
ان الله تعالى لما اراد خلق العالم تكلم باسم الاعظم فطار فوقع على راسه تاجا فقال وذلك قوله تعالى
اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى ثم كتبها على كفه اعمال العباد فغضب من المعاصي فعرق فاجتمع
من عرقه بحران احدهما مالح والاخر عذب فالمالح ظلم والعذب نير ثم اطلع في البحر النير فابصر ظله
فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وافنى باقي ظله وقال لا ينبغي ان يكون معي اله غيري
قال ثم خلق الخلق كله من البحرين فخلق المؤمنين من البحر النير والكافرين من البحر المظلم وخلق ظلال الناس
واول ما خلق هو ظل محمد وعلي قبل ظلال الكل ثم عرض على السموات والارض والجبال ان يحملن الامانة
وهي ان يمتحن علي بن ابي طالب من الامامة فابين ذلك ثم عرض ذلك على الناس فامتحن عمر بن الخطاب
ابا بكر ان يتحمل منعه من ذلك وضمن ان يعينه على الغدر به على شرط ان يجعل الخلافة له من بعده
فقبل وقدما على المنع متظاهرين فذلك قوله وحملنا الانسان انه كان ظلوما جهولا وزعم
انه نزل في عمر قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك ولما ان قتل
المغيرة اختلف اصحابه فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ومنهم من قال بانتظار امامة محمد كما كان يقول
بانتظاره وقد قال المغيرة لاصحابه انتظروه فانه يرجع وجبرئيل وميكائيل بايعاه بين
الركن والمقام ومن ذلك **المنصورية**
اصحاب ابي منصور العجلي وهو الذي عزى نفسه الى ابي جعفر محمد بن علي الباقر رض في الاول فلما تبرأ منه تبرأ

اطلع على اعمال العباد وقدمه

وطرده

Digitized by Google

وطرده زعم انه هو الامام ودعى الناس الى نفسه ولما توفى الباقر قال انتقلت الامامة الى وتظاهر بذلك
وخرجت جماعة منهم بالكوفة فى بنى كندة حتى وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى ايام هشام
بن عبد الملك على قصته وبحث عن دعوته فاخذه وصلبه وزعم العجلى ان عليا رض هو الكسف الساقط
من السماء وربما قال الكسف الساقط من السماء هو الله عز وجل وزعم حين ادعى الامامة لنفسه انه عرج به
الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده راسه وقال له يا بنى انزل فبلغ عنى ثم اهبطه الى الارض فهو
الكسف الساقط من السماء وزعم ايضا ان الرسل لا تنقطع ابدا والرسالة لا تنقطع وزعم ان الجنة
رجل امرنا بموالاته وهو الامام الوقت وان النار رجل امرنا بمعاداته وهو خصم الامام وتاول المحرمات
كلها على اسماء رجال امر الله بمعاداتهم وتاول الفرائض على اسماء رجال امرنا بموالاتهم واستحل
اصحابه قتل مخالفيهم واخذ اموالهم واستحلال نسائهم وهم صنف من الخرمية وانما مقصودهم
من حمل الفرائض والمحرمات على اسماء الرجال هو ان ظفر بذلك الرجل وغيره فقد سقط عنه التكليف
وارتفع عنه الخطاب الخ وقد وصل الى الجنة وبلغ الى الكمال ومما ابدعه العجلى ان اول ما خلق الله
تعالى عيسى بن مريم وعلى بن ابى طالب عليهما السلام وزعم ذلك

الخطابية

اصحاب ابى الخطاب محمد بن ابى زينب الاسدى الاجدع وهو الذى عزى نفسه الى ابى عبد الله جعفر بن
محمد الصادق رض فلما وقف الصادق على غلوه الباطل فى حقه تبرأ منه ولعنه واخبر اصحابه بالبراءة
عنه وشدد القول فى ذلك وبالغ فى التبرى عنه واللعن له فلما اعتزل عنه ادعى الامر لنفسه زعم ابو
الخطاب ان الائمة انبياء ثم الهة وقال بالهية جعفر بن محمد والهية ابائه وهم ابناء الله واحباؤه
والالهية نور فى النبوة والنبوة نور فى الامامة ولا يخلو العالم من هذه الآثار والانوار وزعم ان جعفر
هو الاله فى زمانه وليس هو المحسوس الذى يرونه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فراه
الناس فيها ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت
الخطابية بعده فرقا فزعمت فرقة ان الامام بعد ابى الخطاب رجل يقال له معمر وادانوا به
كما دانوا بابى الخطاب وزعموا ان الدنيا لا تفنى وان الجنة هى التى تصيب الناس من خير ونعمة وعافية
وان النار هى التى تصيب الناس من شر ومشقة وبلية واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات و
دانوا بترك الصلوة والفرائض وتسمى هذه الفرقة معمرية وزعم طائفة ان الامام بعد ابى
الخطاب بزيغ وكان يزعم ان جعفرا هو الاله اى ظهر الاله بصورة الخلق وزعم ان المؤمن يوحى
اليه وتاول قول الله عز وجل وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اى يوحى اليه من الله وكذلك

Digitized by Google

قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وزعم ان في اصحابه من هو افضل من جبرئيل وميكائيل وزعم ان الانسان
اذا بلغ الكمال لا يق انه مات لكن الواحد منهم اذا بلغ النهاية قيل رفع الى الملكوت وادعوا كلهم
معاينة امواتهم لهم وزعموا انهم يرونهم بكرة وعشيا وتسمى هذه الطائفة البزيغية وزعمت
طائفة ان الامام بعد ابي الخطاب عمير بن بنان العجلي وقالوا كما قالت الطائفة الاولى الا انهم
اعترفوا بانهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق
فرفع خبرهم الى يزيد بن عمرو بن هبيرة فاخذ عميرا فصلبه في كناسة الكوفة وتسمى هذه الطائفة
العجلية وزعمت طائفة ان الامام بعد ابي الخطاب مفضل الصيرفي وكان يقول بربوبية جعفر
دون نبوته ورسالته وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق وطردهم ولعنهم فان القوم
كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الائمة تائهون

الكيالية

اتباع احمد بن احمد الكيال وكان من دعاة واحد من اهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق واظنه
من الائمة المستورين ولعله سمع كلمات عنه فخلطها برايه الفائل وفكره العاطل وابدع مقالة
في كل باب على غير قاعدة مسموعة ولا معقولة وربما عاند الحسن في بعض المواضع ولما وقفوا على بدعته
تبرؤا منه لعنوه وامروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته ولما عرف الكيال ذلك منهم صرف
الدعوة الى نفسه وادعى الامامة اولا ثم ادعى انه القائم ثانيا وكان من مذهبه ان كل من قدر
الافاق على الانفس وامكنه ان يبين مناهج العالمين اعني عالم الافاق وهو العالم العلوي
وعالم الانفس وهو العالم السفلي كان هو الامام وان من قرر الكل في ذاته وامكنه ان يبين كل كلي في
شخصه المعين الجزوي كان هو القائم قال ولم يوجد في زمن من الازمان احد يقرر هذا التقرر
الا احمد الكيال فكان هو القائم وانما قبله من انتمى اليه اولا على بدعته وذلك انه الامام
ثم هو القائم وبقيت من مقالته في العالم تصانيف عربية وعجمية كلها مزخرفة مردودة شرعا
وعقلا قال الكيال العوالم ثلثة العالم الاعلى والعالم الادنى والعالم الانساني واثبت في العالم الاعلى خمسة
اماكن الاول مكان الاماكن وهو مكان فارغ لا يسكنه وجود ولا يدبره روحاني وهو محيط
بالكل قال والعرش الوارد في الشرع عبارة عنه ودونه مكان النفس الانسانية قال واردت
النفس الانسانية الصعود الى عالم النفس الاعلى فصعدت وخرقت المكانين اعني الحيوانية والناطقة
ولما قربت من الوصول الى عالم النفس الاعلى كلت وانحسرت وتحيرت وتعفنت واستحالت
اجزاؤها فاهبطت الى عالم السفلي ومضت عليها اكوار وادوار وهي في تلك الحالة من

والعالم الادنى

الاعلى ودونه مكان النفس الناطقة ودونه مكان نفس الحيوانية ودونه مكان النفس

العقرب

العفونة والاستحالة ثم ساحت عليها النفس الاعلى وافاضت علينا من انوارها جزء فحدثت التراكيب
في هذه العوالم وحدثت السموات والارض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان
ووقعت في بلايا هذا التركيب تارة سرورا وتارة غما وتارة فرحا وتارة ترحا وطورا سلامة وعافية
وطورا بلية ومحنة حتى يظهر القائم ويردها الى حال الكمال وتنحل التراكيب وتبطل المتضادات
ويظهر الروحاني على الجسماني وما ذلك القائم الا احمد الكيال ثم دل على بقاء ذاته باضعف ما يتصور
واوهى ما يقدر وهو ان اسم احمد مطابق للعوالم الاربعة فالالف من اسمه في مقابلة النفس الاعلى
والحاء في مقابلة النفس الناطقة والميم في مقابلة النفس الحيوانية والدال في مقابلة النفس الانسانية
قال والعوالم الاربعة هي المبادي والبسائط واما مكان الاماكن فلا وجود فيه البتة ثم اثبت في
مقابلة العوالم العلوية العالم السفلي الجسماني قال خالية وهي في مقابلة مكان الاماكن و
دونها النار ودونها الهواء ودونها الارض ودونها الماء وهذه الاربعة في مقابلة العوالم
الاربعة ثم قال الانسان في مقابلة النار والطائر في مقابلة الهواء والحيوان في مقابلة الارض
والحوت في مقابلة الماء فجعل مركز الماء اسفل المراكز والحوت اخس المركبات ثم قابل العالم الانساني
الذي هو احد الثلثة وهو عالم الانفس مع آفاق العالمين الاولين الروحاني والجسماني قال الحواس المركبة
فيه خمس فالسمع فيه في مقابلة مكان الاماكن اذ هو فارغ وفي مقابلة السماء والبصر في مقابلة النفس
الاعلى الناطقة من الروحاني وفي مقابلة النار من الجسماني وفيه انسان العين لان الانسان مختص بالنار
والشم في مقابلة الناطقي من الروحاني والهواء من الجسماني لان الشم من الهواء يتروح ويتنسم والذوق
في مقابلة الحيواني والارض من الجسماني والحيوان مختص بالارض والطعم بالحيوان واللمس في مقابلة
الانساني من الروحاني والماء من الجسماني والحوت مختص بالماء وربما عبر عن اللمس بالكناية ثم قال احمد الف
وحاء وميم ودال وهو في مقابلة العالمين اما في مقابلة العالم العلوي الروحاني فقد ذكرنا واما في
مقابلة العالم السفلي الجسماني فالالف يدل على الانسان والحاء على الحيوان والميم على الطائر
والدال على الحوت فالالف من حيث استقامة القامة كالانسان والحاء كالحيوان لانه معوج منكوس ولان
الحاء من ابتداء اسم الحيوان والميم يشبه راس الطائر والدال يشبه ذنب الحوت ثم قال ان الباري
تعالى انما خلق الانسان على شكل اسم احمد فالقامة مثل الالف واليدان مثل الحاء والبطن مثل
الميم والرجلان مثل الدال ثم العجب ان قال ان الانبياء هم قادة اهل التقليد واهل التقليد
عميان والقائم قائد اهل البصيرة واهل البصيرة هم اولوا الالباب وانما يحصلون البصائر

تعين ذ

فالسماء ح

من الروحاني
واللمس بالحوت

والحاء ح

بمقابلة

بمقابلة الآفاق والانفس والمقابلة كما سمعتها من اخس المقالات واوهى المقابلات بحيث لا يجوز
عاقل ان يسمعها فكيف يرضى ان يعتقدها واعجب من هذا كله تاويلاته الفاسدة ومقابلاته بين
الفرائض الشرعية والاحكام الدينية وبين موجودات عالمى الآفاق والانفس وادعاؤه انه منفرد
بها كيف يصح له ذلك وقد سبقه كثير من اهل العلم بتقرير ذلك لا على الوجه المزيف الذى قرره
الكيال وجملة الميزان على العالمين والصراط على نفسه والجنة على الوصول الى علمه من البصائر
والنار على الوصول الى ما يضاده ولما كانت اصول علمه ما ذكرناه فانظر كيف يكون حال الفروع

ومن ذلك **الهشامية** اصحاب الهشامين هشام
بن الحكم صاحب المقالة فى التشبيه وهشام بن سالم الجواليقى الذى نبه على منواله فى التشبيه
وكان هشام بن الحكم من متكلمى الشيعة وجرت بينه وبين ابى الهذيل مناظرات فى علم الكلام
منها فى التشبيه ومنها فى تعلق علم الباري تعالى حكى ابن الراوندى عن هشام انه قال ان بين معبوده
وبين الاجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه وحكى الكعبى عنه انه قال هو
جسم ذو ابعاض له قدر من الاقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شيء ونقل عنه انه قال
هو سبعة اشبار بشبر نفسه وهو انه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانه يتحرك ويحركه فعله
وليست من مكان الى مكان وقال هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة وحكى عنه ابو عيسى
الوراق انه قال ان الله تعالى مماس لعرشه ولا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عن العرش
شيء منه ومن مذهب هشام انه لم يزل عالما بنفسه وبعلم الاشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه
محدث او قديم لانه صفة والصفة لا توصف ولا يقال فيه هو او غيره او بعضه وليس قوله
فى القدرة والحيوة كقوله فى العلم لانه لا يقول بحدوثهما قال ويريد الاشياء وارادته حركة
ليست غير الله ولا هى عينه وقال فى كلام الباري تعالى انه صفة الله تعالى لا يجوز ان يقال هو
مخلوق ولا غير مخلوق وقال الاعراض لا تصلح دلالة على الله تعالى لان منها ما يثبت استدلالا
وما يستدل به على الباري تعالى يجب ان يكون ضروري الوجود وقال الاستطاعة كل ما يكون
الفعل الا به كالالات والجوارح والوقت والمكان وقال هشام بن سالم انه تعالى على صورة
انسان اعلاه مجوف واسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمسة ويد ورجل
وعنق واذن وعين وفم وله وفرة سوداء وهو نور اسود لكنه ليس بلحم ولا دم وقال هشام
الاستطاعة بعض المستطيع وقد نقل عنه انه اجاز المعصية على الانبياء مع قوله بعصمة

الائمة

الائمة ويفرق بينهما بان النبي يوحى اليه فينبه على وجه الخطاء فيتوب منه والامام لا يوحى اليه
فيجب عصمته وغلا هشام بن الحكم في حق علي حتى قال انه اله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب
غور في الاصول لا يجوز ان يغفل عن الزاماته على المعتزلة فان الرجل وراء ما يلزم به على الخصم ودون ما يظهر
من التشبيه وذلك انه الزم العلاف فقال انك تقول ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك
المحدثات في انه عالم ويباينها في ان علمه ذاته فيكون عالما لا كالعالمين فلم لا يقول هو جسم لا كالاجسام
وصورة لا كالصور وله قدر لا كالاقدار الى غير ذلك ووافقه زرارة بن اعين في حدوث علم الله تعالى
وزاد عليه بحدوث قدرته وحيوته وساير صفاته وانه لم يكن قبل هذه الصفات عالما ولا قادرا
ولا حيا ولا سميعا ولا بصيرا ولا مريدا ولا متكلما وكان يقول بامامة عبد الله بن جعفر فلما فاوضه
في مسائل ولم يجده بها مليا رجع الى موسى بن جعفر وقيل انه لم يقل بامامته الا انه اشار الى المصحف
فقال هذا امامي وانه كان قد التوى على جعفر بعض الالتواء وحكي عن الزرارية ان المعرفة ضرورية وانه
لا يسيغ جهل الائمة فان معارفهم كلها فطرية وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم اولى ونظرياتهم
لا يدركها غيرهم ومن ذلك

النعمانية

اصحاب محمد بن النعمان ابي جعفر الاحول الملقب بشيطان الطاق وافق هشام بن الحكم في ان الله تعالى
لم يعلم شيئا حتى يكون والتقدير عنده الارادة والارادة فعل الله تعالى وقال ان الله تعالى نور على
صورة انسان ويابى ان يكون جسما لكنه قد قال وورد الخبر ان الله خلق ادم على صورته وعلى صورة الرحمن
فلا بد من تصديق الخبر ويحكى عن مقاتل بن سليمن مثل مقالته في الصورة وكذلك يحكى عن داود
الحواري ونعيم بن حماد المصري وغيرهما من اصحاب الحديث انه تعالى ذو صورة واعضاء ويحكى عن داود
انه قال اعفوني عن الفرج واللحية واسئلوني عما وراء ذلك فان في الاخبار ما يثبت ذلك وقد
صنف ابن النعمان كتبا جمة للشيعة منها افعل لم فعلت ومنها افعل لا تفعل ويذكر فيها ان كبار
الفرق القدرية والخوارج والعامة والشيعة ثم عين الشيعة بالنجاة في الاخرة من هذه الفرق و
وذكر عن هشام بن سالم ومحمد بن نعمان انهما امسكا عن الكلام في الله ورويا عمن يوجبان تصديقه انه سئل
عن قول الله وان الى ربك المنتهى قال اذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا فامسكا عن القول في الله
والتفكر فيه حتى ماتا هذا نقل الوراق ومن جملة الشيعة اليونسية اصحاب يونس بن عبد الرحمن
القمي مولى آل يقطين زعم ان الملائكة تحمل العرش وتحمل العرش الرب تعالى اذ قد ورد في الخبر ان الملائكة

بعلم

والشيعة تقول هو مؤمن الطاق صح

اربعة صح

Digitized by Google

ناط احيانا من وطاة عظمة الله تعالى على العرش وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف كتبا لهم في ذلك
ومن ذلك **النصيرية** والاسحاقية من جملة
غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن اصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في
كيفية اطلاق اسم الالهية على الائمة من اهل البيت قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجسماني لا ينكره عاقل امر
اما في جانب الخير كظهور جبرئيل ببعض الاشخاص والتصور بصورة اعرابي والتمثل بصورة البشر واما
في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة انسان حتى يعلم الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم
بلسانه فلذلك نقول ان الله تعالى ظهر بصورة اشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله ص شخص افضل
من علي رض وبعده اولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم واخذ بايديهم
فعن هذا اطلقنا اسم الالهية عليهم وانما اثبتنا هذا الاختصاص لعلي دون غيره لانه كان مخصوصا
بتاييد من عند الله مما يتعلق بباطن الاسرار قال النبي ع انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر وعن هذا
قال قتال المشركين الى النبي ص وقتال المنافقين الى علي رض وعن هذا اشبه بعيسى بن مريم عليه السلام شبهاه
وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم ع والا لقلت فيك مقالا وربما اثبتوا
له شركة في الرسالة اذ قال فيكم من يقاتل على تاويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل
فعلم التاويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من ادل الدليل
على ان فيه جزء الهيا وقوة ربانية او يكون هو الذي ظهر الاله بصورته وخلق بيده وامر بلسانه
وعن هذا قالوا كان موجودا قبل خلق السموات والارض قال كنا اظلة على يمين العرش فسبحنا
فسبحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال والصورة العرية عن الاظلال هي حقيقية وهي
مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لا ينفصل عنها سواء كانت في هذا العالم او في ذلك العالم وعن هذا
قال علي انا من احمد كالضوء يعني لا فرق بين النورين الا ان احدهما اسبق والثاني لاحق به تال له من الضوء
وهذا يدل على نوع شركة فالنصيرية اميل الى تقرير الجزء الالهي والاسحاقية اميل الى الشركة تقرير
في النبوة ولهم اختلافات اخر لم نذكرها وقد تجزت الفرق الاسلامية وما بقيت الا الفرقة
الباطنية وقد اوردهم اصحاب التصانيف في كتاب المقالات اما خارجة عن الفرق واما داخلة
فيها وبالجملة هم يخالفون اثنين وسبعين فرقة رجال الشيعة ومصنفوا كتبهم من المحدثين
من **الزيدية** ابو خالد الواسطي ومنصور بن الاسود وهرون
بن سعيد العجلي ووكيع بن الجراح ويحيى بن ادم وابي جارود وعبد الله بن موسى وعلي بن صالح والفضل

من الجارودية

بن دكين وابو حنيفة بترية وخرج محمد بن عجلان مع محمد الامام وخرج ابرهيم بن عباد بن عوام ويزيد بن
هرون وعلاء بن راشد وهشيم بن بشير والعوام بن حوشب ومسلم بن سعيد مع ابرهيم الامام ومن مؤلف كتبهم
هشام بن الحكم وعلي بن منصور ويونس بن عبد الرحمن وشكال والفضل بن شاذان والحسين بن اشكاب
ومحمد بن عبد الرحمن بن رقبة وابو سهل النوبختي واحمد بن يحيى الراوندي ومن المتاخرين ابو جعفر الطوسي

من الامامية

وسائر اصناف الشيعة سالم بن ابي الجعد وسالم
بن ابي حفصة وسلمة بن كهيل وتوبة بن ابي فاختة وحبيب بن ابي ثابت وابو المقدام وشعبة والاعمش
وجابر الجعفي وابو عبد الله الجدلي وابو اسحق السبيعي والمغيرة وطاوس والشعبي وعلقمة وهبيرة بن
بريم وحبة العرني والحارث الاعور

الاسماعيلية

قد ذكرنا ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثني عشرية باثبات الامامة الاسماعيل
بن جعفر رض وهو ابنه الاكبر المنصوص عليه في بدء الامر قالوا ولم يتزوج الصادق على امه بواحدة من
النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله صلعم في حق خديجة وكسنة علي رض في فاطمة عليها السلم
وذكرنا اختلافهم في موته في حال حيوة ابيه فمنهم من قال انه مات وانما فائدة النص عليه انتقال
الامامة منه الى اولاده خاصة كما نص موسى على هرون عليهما السلام ثم مات هرون في حال
حيوة اخيه وانما فائدة النص انتقال الامامة الى اولاده فان النص لا يرجع قهقرى والقول بالبداء
ولا ينص الامام على واحد من ولده الا بعد السماع من ابائه والتعيين لا يجوز على الابهام والجهالة ومنهم
من قال انه لم يمت لكنه اظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل ولهذا القول دلالات منها ان
محمدا كان صغيرا وهو اخوه لامه مضى الى السرير الذي كان اسمعيل نائما عليه ورفع الملاءة فابصره
وقد فتح عينيه فعد الى ابيه مفزعا وقال عاش اخي عاش اخي قال والده ان اولاد الرسول عليه السلم
كذا يكون حالهم في الآخرة قالوا وما السبب في الاشهاد على موته وكتب المحضر عليه ولم يعهد ميتا
سجل على موته وعن هذا ما رفع الى المنصور ان اسمعيل بن جعفر رئي بالبصرة مر على مقعد فدعا
له فبرئ باذن الله تعالى بعث المنصور الى الصادق ان اسمعيل في الاحياء وانه رئي بالبصرة
فانفذ السجل اليه وعليه شهادة عامله بالمدينة وقالوا وبعد اسمعيل محمد بن اسمعيل
السابع التام وانما تم دور السبعة به ثم ابتدى منه بالائمة المستورين الذين كانوا يسيرون
في البلاد سرا ويظهرون الدعاة جهرا حتى قالوا لن تخلو الارض عن امام حي قائم اما ظاهر مكشوف
واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهرا يجوز ان تكون حجة مستورة فاذا كان الامام مستورا

ومن مؤلفي كتبهم هشام بن
الحكم وعلي بن منصور و
يونس بن عبد الرحمن و
شكال والفضل بن شاذان
والحسين بن اشكاب و
محمد بن عبد الرحمن ابن
رقبة وابو سهل النوبختي
واحمد بن يحيى الراوندي
ومن المتاخرين ابو جعفر
الطوسي ع ومنها

فلابد

Digitized by Google

فلا بد وان يكون حجته ودعاته ظاهرين وقالوا انما الائمة تدور احكامهم على سبعة سبعة
كايام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبعة والنقباء تدور احكامهم على اثنى عشر
قالوا وعن هذا وقعت الشبهة للامامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للائمة ثم بعد
الائمة المستورين كان ظهور المهدي والقائم بامر الله واولادهم نصا بعد نص على امام بعد امام
ومذهبهم ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن
في عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية وكان لهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان
فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة ويسمونهم ايضا
باطنية وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تاويلا ولهم القاب
كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم فبالعراق يسمونهم الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان
التعليمية والملحدة وهم يقولون نحن اسمعيلية لانا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم ثم
ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج
فقالوا في البارى تعالى انا لا نقول هو موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر
ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات فان الاثبات الحقيقية يقتضي شركة بينه وبين سائر
الموجودات في الجهة التي اطلقنا عليه وذلك تشبيه فلم يمكن الحكم بالاثبات المطلق والنفي المطلق
بل هو اله المتقابلين وخالق الخصمين والحاكم بين المتضادين ونقلوا في هذا نصا عن محمد بن
علي الباقر انه قال لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ولما وهب العلم والقدرة للقادرين قيل
هو قادر فهو عالم قادر بمعنى انه وهب العلم والقدرة او وصف بالعلم والقدرة فقيل
فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات قالوا وكذلك يقول في
القديم انه ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته ابدع بالامر العقل
الاول الذي هو تام بالعقل ثم بتوسطه ابدع النفس الثاني الذي هو غير تام ونسبة النفس الى
العقل اما نسبة النطفة الى تمام الخلقة او البيض الى الطير واما نسبة الولد الى الوالد والنتيجة
الى المنتج واما نسبة الانثى الى الذكر والزوج الى الزوج قالوا ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل
احتاجت الى حركة من النقص الى الكمال واحتاجت الحركة الى اله الحركة فحدثت الافلاك
السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس ايضا فركبت المركبات من المعادن والنبات
والحيوان والانسان واتصلت النفوس الجزئية بالابدان وكان الانسان متميزا عن سائر الموجودات

بالاستعداد الخاص لفيض تلك الانوار وكان عالمه في مقابلة العالم كله وفي العالم العلوي عقل و
نفس كلي وجب ان يكون في هذا العالم عقل مشخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق
وهو النبي ونفس مشخصة هو كل ايضا وحكمها حكم الطفل الناقص المتوجه الى الكمال او حكم النطفة المتوجهة
الى التمام او حكم الانثى المزدوج بالذكر ويسمونه الاساس وهو الوصي كما تحركت الافلاك بتحريك
النفس والعقل والطبايع كذلك تحركت النفوس والاشخاص بالشرايع بتحريك النبي والوصي في كل زمان
دايرا على سبعة سبعة حتى ينتهي الى الدور الاخير ويدخل في زمان القيمة وترتفع التكاليف وتضمحل
السنن والشرايع وانما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس الى كمالها وكمالها
بلوغها الى درجة العقل واتحادها به ووصولها الى مرتبته فعلا وذلك هو القيمة الكبرى فتنحل
تراكيب الافلاك والعناصر والمركبات وتنشق السماء وتتناثر الكواكب وتبدل الارض غير
الارض والسموات وتطوى السماء كطي السجل للكتاب المرقوم فيه ويحاسب الخلق ويتميز الخير عن
الشر والمطيع عن العاصي ويتصل جزئيات الحق بالنفس الكل وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل
فمن وقت الحركة الى السكون هو المبدا ومن وقت السكون الى ما لا نهاية له هو الكمال ثم قالوا ما من
فريضة وسنة وحكم من احكام الشرع من بيع واجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية
الا وله وزان من العالم عددا في مقابلة عدد وحكما في مطابقة حكم فان الشرايع عوالم روحانية امرية
والعوالم شرايع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور
والاجسام والحروف المفردة نسبتها الى المركبات البسائط المجردة الى المركبات من الاجسام ولكل حرف
وزان في العالم وطبيعة تخصها وتاثير من حيث تلك الخاصية في النفوس وعن هذا صارت العلوم
المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الاغذية المستفادة من الطبايع الخلقية
غذاء للابدان وقد قدر الله تعالى ان يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه فعن هذا الوزان صاروا
الى ذكر اعداد الكلمات والآيات وان التسمية مركبة من سبعة واثني عشر وان التهليل مركب
من اربع كلمات في احدى الشهادتين وثلث كلمات في الشهادة الثانية وسبع في الاولى وست في الثانية
واثني عشر حرفا في الاولى واثني عشر حرفا في الثانية وكذلك في كل كلمة اية امكنهم استخراج ذلك
مما لا يعمل العاقل فكرته فيه والا فيعجز ذلك خوفا عن مقابلته بضده وهذه الهوسات المقابلات
كانت طريقة اسلافهم قد صنفوا فيها كتبا ودعوا الناس الى امام في كل زمان يعرف موازيات
هذه العلوم ويهتدي الى مدارج هذه الاوضاع والرسوم ثم اصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا

من الكلمات كما

Digitized by Google

هذه الطريقة حين اظهر الحسن بن محمد الصباح دعوته وقصر على الالزامات كلمة واستظهر
بالرجال وتحصن بالقلاع وكان بدو صعوده على قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين
واربعمائة وذلك بعد ان هاجر الى بلاد امامه وتلقى منه كيفية الدعوة لانتشار زمانه فعاد و
دعا الناس اولا دعوة الى تعيين امام صادق قائم في كل زمان ويميز الفرقة الناجية من سائر
الفرق بهذه النكتة وهو ان لهم اماما وليس لغيرهم امام وانما يعود خلاصة كلامه بعد تذييل
القول فيه عودا على بدء بالعربية والعجمية ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية الى العربية ولا معاونة
على الناقل والموفق من اتبع الحق واجتنب الباطل والله الموفق والمعين فنبتدا بالفصول
الاربعة التي ابتدا الدعوة بها وكتبها بعجميته وعربتها قال المعتني في معرفة الباري تعالى احد قولين
اما ان نقول اعرف الباري تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج الى تعليم معلم واما ان
نقول لا طريقة الى المعرفة مع العقل والنظر الا بتعليم معلم صادق قال ومن اقر بالاول فليس
له الانكار على عقل غيره ونظره فانه متى انكر فقد علم والانكار بتعليم ودليل على انه المنكر ايضا
محتاج الى غيره قال والقسمان ضروريان فان الانسان اذا افتى بفتوى او قال قولا فاما
ان نقول من نفسه او غيره وكذلك اذا اعتقد عقدا فاما ان يعتقده من نفسه او من غيره هذا
هو الفصل الاول وهو كسر على اصحاب الرأي والعقل وذكر في الفصل الثاني انه اذا ثبت الاحتياج
الى معلم فيصلح كل معلم على الاطلاق ام لا بد من معلم صادق وقال من قال انه يصلح كل معلم
ما سائغ له الانكار على معلم خصمه وان انكر فقد سلم ان لا بد من معلم صادق معتمد قيل
وهذا كسر على اصحاب الحديث وذكر في الفصل الثالث انه اذا ثبت الاحتياج الى معلم صادق
فلا بد من معرفة المعلم اولا والظفر به ثم التعلم منه واجاز التعلم من كل معلم من غير تعيين
شخصه وتبيين صدقه والثاني رجوع الى الاول ومن لم يمكنه سلوك طريق الا بمقدم ورفيق
فالرفيق ثم الطريق وهذا كسر على الشيعة وذكر في الفصل الرابع ان الناس فرقتان فرقة
قالت يحتاج في معرفة الباري تعالى الى معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه اولا ثم التعلم
منه وفرقة اعتقدت في كل عالم من معلم وغير معلم وقد تبين بالمقدمات السابقة ان الحق
مع الفرقة الاولى فرؤسهم يجب ان يكون رأس المحقين واذا تبين ان الباطل مع الفرقة الثانية فرؤساؤهم
يجب ان يكونوا رؤساء المبطلين قال وهذه الطريقة هي التي عرفنا الحق معرفة مجملة ثم نعرف بعد ذلك
الحق بالحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دور المسائل وانما عنينا بالحق ههنا الاحتياج والحق المحتاج اليه

وقال بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الواجب اي واجب الوجود
وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات قال والطريق الى التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة ثم
ذكر فصولا في تقرير مذهبه اما تمهيدا واما كسرا على المذاهب واكثرها كسر والزام واستدلال
بالاختلاف على البطلان وبالاتفاق على الحق منها فصل الحق والباطل الصغير والكبير يذكران
في العالم حقا وباطلا الصغير والكبير ثم يذكران علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة
وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الراي والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والراي مع الفرق
المختلفة وهي مع رؤسائهم وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه والتمايز بينهما من وجه
والتضاد في الطرفين والترتب في احد الطرفين ميزانا يزن به جميع ما يتكلم فيه قال وانما انشات هذا
الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفي والاثبات او النفي والاستثناء قال فما هو مستحق
النفي باطل وما هو مستحق الاثبات حق ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب وسائر
المتضادات ونكتته انه يرجع في كل مقالة وكلمة الى اثبات المعلم وان التوحيد هو التوحيد و
النبوة معا حتى تكون توحيدا وان النبوة والامامة معا حتى يكون نبوة وهذا هو منتهى كلامه
وقد منع العوام عن الخوض في العلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرفه كيفية
الحال في كل كتاب ودرجة الرجال في كل علم ولم يتعد باصحابه في الالهيات عن قوله ان الهنا اله محمد
قال انا وانتم تقولون ان الهنا اله العقول اي ما هذا اليه عقل كل عاقل فان قيل لواحد منهم ما تقول
في الباري تعالى وانه هل هو وانه واحد ام كثير عالم قادر ام لا لم يجب الا بهذا القدر ان الهي اله محمد
وهو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق والرسول هو الهادي اليه وكم قد ناظرت القوم على
المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم افنحتاج اليك او نسمع هذا منك او نتعلم عنك وكم
قد ساهلت القوم في الاحتياج وقلت اين المحتاج اليه وايش يقرر لي في الالهيات ماذا يرسم في
المعقولات اذ المعلم لا يعني لعينه وانما يعني ليعلم وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم و
التقليد وليس يرضى عاقل بان يعتقد مذهبا على غير بصيرة وان يسلك طريقا من غير بينة
فكانت مبادي الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اهـ ومنها
الفروع المختلفون في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية اعلم ان اصول الاجتهاد واركانه
اربعة وربما تعود الى اثنين الكتاب والسنة والقياس وانما تلقوا صحة هذه الاركان وانحصارها

هي النبوة مع

كما جاء

من اجماع الصحابة وتلقوا اصل الاجتهاد والقياس وجوازه ايضا منهم فان العلم بالتواتر قد حصل
انهم اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال وحرام فزعوا الى الاجتهاد وابتدؤا بكتاب الله تعالى
فان وجدوا فيه نصا ظاهرا تمسكوا به واجروا حكم الحادثة على مقتضاه وان لم يجدوا فيه نصا فزعوا
الى السنة فان روي لهم في ذلك خبر اخذوا به ونزلوا على حكمه وان لم يجدوا خبرا فزعوا الى الاجتهاد
فكانت الاركان الاجتهادية عندهم اثنين او ثلثة ولنا بعدهم اربعة اذ وجب علينا الاخذ
بمقتضى اجماعهم واتفاقهم والجري على منهاج اجتهادهم وربما كان اجماعهم على حادثة اجماعا
اجتهاديا وربما كان اجماعا مطلقا لم يصرح فيه باجتهاد وعلى الوجهين جميعا فالاجماع حجة شرعية
لاجماعهم على التمسك بالاجماع ونحن نعلم ان الصحابة الذين هم الائمة الراشدون لا يجتمعون
على ضلال قال النبي صلعم لا تجتمع امتي على الضلالة ولكن الاجماع لا يخ عن نص خفي او جلي قد اختصه لانا
على القطع نعلم ان الصدر الاول لا يجتمعون على امر الا عن ثبت وتوقيف فاما ان يكون ذلك النص
في نفس الحادثة التي قد اتفقوا على حكمها من غير بيان ما يستند اليه حكمها واما ان يكون النص في
ان الاجماع حجة ومخالفة الاجماع بدعة وبالجملة مستند الاجماع نص خفي او جلي لا محالة والا فيؤدي
الى اثبات الاحكام المرسلة ومستند الاجتهاد والقياس هو الاجماع وهو ايضا مستند الى نص
مخصوص في جواز الاجتهاد فرجعت الاصول الاربعة في الحقيقة الى اثنين وربما ترجع الى واحد
وهو قول الله تعالى وبالجملة نعلم قطعا ويقينا ان الحوادث والوقايع في العبادات والتصرفات
مما يقبل الحصر والعد ونعلم قطعا ايضا انه لم يرد في كل حادثة نص ولا يتصور ذلك ايضا والنصوص
اذا كانت متناهية والوقايع غير متناهية وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى علم قطعا ان
الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد ثم لا يجوز ان يكون الاجتهاد
مرسلا خارجا عن ضبط الشرع فان القياس المرسل شرع اخر واثبات حكم من غير مستند وضع
اخر والشارع هو الواضع للاحكام فيجب على المجتهد ان لا يعدل في اجتهاده عن هذه الاركان
وشرائط الاجتهاد خمسة معرفة قدر صالح من اللغة بحيث يمكنه فهم لغات العرب والتمييز
بين الالفاظ الوضعية والمستعارة والنص والظاهر والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل
والمفصل وفحوى الخطاب ومفهوم الكلام وما يدل على مفهومه بالمطابقة وما يدل بالتضمن
وما يدل بالاستتباع فان هذه المعرفة كالالة التي يحصل بها الشيء ومن لم يحكم الالة والاداة
لم يصل الى تمام الصنعة ثم معرفة تفسير القران خصوصا ما يتعلق بالاحكام وما ورد بالاخبار

وقد

Digitized by Google

ومعانى الآيات وما روى من الصحابة المعتبرين كيف سلكوا مناهجها واى معنى فهموا من مدارجها
ولو جهل بتفسير سائر الآيات التى تتعلق بالمواعظ والقصص قيل لم يضره ذلك فى الاجتهاد فان
من الصحابة من كان لا يدرى تلك المواعظ ولم يتعلم بعد جميع القرآن وكان من اهل الاجتهاد ثم معرفة
الاخبار بمتونها واسانيدها والاحاطة باحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها
ومردودها والاحاطة بالوقايع الخاصة فيها وما هو عام ورد فى حادثة خاصة وما هو خاص عم
فى الكل حكمه ثم الفرق بين الواجب والمندوب والاباحة والحظر والكراهة حتى لا يشذ عنه وجه من
هذه الوجوه ولا يختلط عليه باب بباب ثم معرفة مواقع اجماع الصحابة والتابعين من السلف
الصالحين حتى لا يقع اجتهاده فى مخالفة الاجماع ثم التهدى الى مواضع الاقيسة وكيفية النظر
والتردد فيها من طلب اصل او لا ثم طلب معنى مخيل يستنبط منه فيعلق الحكم عليه او شبه يغلب على
الظن فيلحق الحكم به فهذه خمس شرايط لا بد من اعتبارها حتى يكون المجتهد مجتهدا واجب الاتباع
والتقليد فى حق العامى والا فكل حكم لم يستند الى قياس واجتهاد مثل ما ذكرنا فهو مرسل مهمل
قالوا فاذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ويكون الحكم الذى ادى له اجتهاده سائغا
فى الشرع ووجب على العامى تقليده والاخذ بفتواه وقد استفاض الخبر عن النبى ص لما بعث معاذا
الى اليمن قال بما تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فان لم
تجد قال اجتهد فقال النبى ص الحمد لله الذى وفق رسول رسوله لما يرضاه وقد روى عن امير المؤمنين
على رض انه قال بعثنى رسول الله ص الى اليمن قاضيا قلت يا رسول الله كيف اقضى بين الناس
وانا احدث السن فضرب رسول الله ص صدرى فقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فما شككت
بعد ذلك فى قضاء بين اثنين ثم اختلاف اهل الاصول فى تصويب المجتهدين فى الاصول والفروع
فعامة اهل الاصول على ان الناظر فى المسائل الاصولية والاحكام القطعية اليقينية يجب
ان يكون متعين الاصابة فالمصيب فيها واحد بعينه ولا يجوز ان يختلف المختلفان فى حكم عقلى
حقيقة الاختلاف بالنفى والاثبات على شرط التقابل المذكور بحيث ينفى احدهما ما يثبته
الآخر بعينه من الوجه الذى يثبته فى الوقت الذى يثبته الا وان يقتسما الصدق والكذب والحق
والباطل سواء كان الاختلاف بين اهل الاصول فى الاسلام او بين اهل الاسلام وبين اهل الملل
والنحل الخارجة عن الاسلام فان المختلف فيه لا يحتمل تواردا الصدق والكذب والصواب والخطأ
على محل واحد وهو مثل قول احد المخبرين زيد فى الدار فى هذه الساعة وقول الثانى ليس زيد

بيده ح

Digitized by Google

في هذه الدار في هذه الساعة فانا نعلم يقينا ان احد المخبرين صادق والثاني كاذب لان المخبر عنه لا
يحتمل اجتماع الحالتين فيه معا فيكون زيد في الدار ولا يكون في الدار لعمري قد يختلف المختلفان في
مسئلة وقد يكون محل الخلاف مشتركا وشرط تقابل القضيتين فاقدا فح يمكن ان يصوب المتنازعان
ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك او يعود النزاع الى احد الطرفين مثال ذلك المختلفان في
مسئلة الكلام ليسا يتواردان على معنى واحد بالنفي والاثبات فان الذي قال هو مخلوق اراد به ان الكلام
هو الحروف والاصوات في اللسان والرقوم والكلمات في الكتبة قال هذا مخلوق والذي قال هو ليس
بمخلوق لم يرد به الحروف وانما اراد بمعنى اخر فلم يتوارد النزاع في الخلق على معنى واحد وكذلك في
مسئلة الرؤية فان النافي قال الرؤية اتصال شعاع بالمرئي وهو لا يجوز في حق الباري تعالى والمثبت
قال الرؤية ادراك او علم مخصوص ويجوز تعلقه بالباري تعالى فلم يتوارد النفي والاثبات على معنى
واحد الا اذا رجع الكلام الى اثبات حقيقة الرؤية فيتفقان اولا على انها ما هي ثم يتكلمان نفيا و
اثباتا والا فيمكن ان يصدق القضيتان وقد صار ابو الحسن العنبري الى ان كل مجتهد ناظر في الاصول
مصيب لانه ادى ما كلف من المبالغة في تسديد النظر والمنظور فيه وان كان متعينا نفيا واثباتا
الا انه اصاب من وجه وانما ذكر هذا في الاسلاميين من الفرق واما الخارجون عن الملة فقد تقررت
النصوص والاجماع على كفرهم وخطابهم وكان سياق مذهبهم يقتضي تصويب كل ناظر مجتهد على
الاطلاق الا ان النصوص والاجماع صدته عن تصويب كل ناظر وتصديق كل قائل وللاصوليين خلاف
في تكفير اهل الاهواء مع قطعهم بان المصيب واحد بعينه لان التكفير حكم شرعي والتصويب حكم
عقلي فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضلل مخالفه ومن مساهل متالف لم يكفر ومن كفر قرب
كل مذهب ومقالة بمقالة واحد من اهل الاهواء والملل كتقريب القدرية بالمجوس وتقريب المشبهة
باليهود والرافضة بالنصارى فاجرى حكم هؤلاء فيهم من المناكحة واكل الذبيحة ومن ساهل ولم
يكفر قضى بالتضليل وحكم بانهم هلكى في الاخرة واختلفوا في اللعن على حسب اختلافهم في التكفير
والتضليل وكذلك من خرج على امام الحق بغيا وعدوانا فان كان صدر خروجه عن تاويل
واجتهاد سمي باغيا مخطئا ثم البغي هل يوجب اللعن فعند اهل السنة اذا لم يخرج بالبغي عن
الايمان لم يستوجب اللعن وعند المعتزلة يستوجب اللعن ويستحق ان يحكم بفسقه والفاسق
خارج عن الايمان وان كان صدر خروجه بالبغي والحسد والمروق عن اجماع المسلمين استحق اللعن با
للسان والقتل بالسيف والسنان واما المجتهدون في الفروع فاختلفوا في الاحكام الشرعية

وكذلك في مسئلة الكلام يرجعان الى اثبات ماهية الكلام ثم يتكلمان نفيا واثباتا مع

يستحق ذ

من

من الحلال والحرام ومواقع الاختلافات مظان غلبات الظنون بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها
وانما يبتنى ذلك على اصل وهو انا نبحث هل لله تعالى حكم في كل حادثة ام لا فمن الاصوليين من صار الى
ان لا حكم لله تعالى في الوقائع المجتهد فيها حكما بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر وحلال وحرام وانما
حكم الله تعالى ما ادى اليه اجتهاد المجتهد فان هذا الحكم منوط بهذا السبب فاذا لم يوجد السبب لم
يثبت الحكم خصوصا على مذهب من قال ان الجواز والحظر لا يرجعان الى صفات في الذات وانما
راجعة الى اقوال الشارع افعال العباد وعلى هذا المذهب كل مجتهد مصيب في الحكم ومنهم الاصوليون
من صار الى ان لله تعالى في كل حادثة حكما بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر بل وفي كل حركة يتحرك بها
الانسان حكم تكليف من تحليل وتحريم وانما يراده المجتهد بالطلب والاجتهاد اذ الطالب لا بد له من
مطلوب والاجتهاد يجب ان يكون في شيء الى شيء فالطلب المرسل لا يعقل ولهذا يتردد المجتهد بين
النصوص والظواهر والعمومات وبين المسائل المجمع عليها فيطلب الرابطة المعنوية والتقريب من
حيث الاحكام والصور حتى يثبت في المجتهد فيه مثل ما يكون في المتفق عليه ولولا يكن له مطلوب معين
كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه فعلى هذا المصيب واحد من المجتهدين في الحكم المطلوب وان كان
الثاني معذورا نوع عذر اذ لم يقصر في الاجتهاد ثم هل يتعين المصيب ام لا فاكثرهم على انه لا يتعين
فالمصيب واحد لا بعينه ومن فصل الامر فيه فقال ينظر في المجتهد فيه ان كان مخالفة النص ظاهرة
فلم يكن مخطئا بعينه بل كل واحد منهما مصيب في الحكم لا بعينه هذه جملة كافية في احكام المجتهدين في
الاصول والفروع والمسئلة مشكلة والقضية معظلة ثم الاجتهاد من فروض الكفايات لا من
فروض الاعيان حتى اذا استقل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع وان قصر فيه اهل عصر عصوا
بتركه واشرفوا على خطر عظيم فان الاحكام الاجتهادية اذا كانت مرتبة على الاجتهاد ترتب المسبب
على السبب ولم يوجد السبب كانت الاحكام عاطلة والاداء كلها فايلة فلا بد اذا من مجتهد واذا
اجتهد المجتهدان وادى اجتهاد كل واحد منهما الى خلاف ما ادى اليه اجتهاد الاخر فلا يجوز لاحدهما
تقليد الاخر وكذلك اذا اجتهد مجتهد واحد في حادثة وافتى اجتهاده الى جواز او حظر ثم حدثت
تلك الحادثة بعينها في وقت اخر فلا يجوز له ان ياخذ باجتهاده الاول اذ يجوز ان يبدو له في الاجتهاد
الثاني ما اغفله في الاول واما العامي فيجب عليه تقليد المجتهد وانما مذهبه فيما يسئله من
من يسئل عنه هذا هو الاصل الا ان علماء الفريقين لم يجوزوا ان ياخذ الحنفي الا بمذهب ابي حنيفة
والعامي الشفعوي الا بمذهب الشافعي رضي الله عنهما لان الحكم بان لا مذهب للعامي وان مذهبه من

المذهب م

من الاصوليين م

في احد المجتهدين فهو المخطئ بعينه خطاء لا يبلغ تضليلا وانما تمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه وان لم يكن مخالفة النص ظاهرة م

العامي م

المفتي

Digitized by Google

المفتي يؤدي الى خلط وخبط فلهذا لم يجوزوا ذلك واذا كان مجتهدان في بلد اجتهد العامي فيهما
حتى يختار الافضل والاورع ويأخذ بفتواه واذا افتى المفتي على مذهبه وحكم به قاض من القضاة
على مقتضى فتواه ثبت الحكم على المذاهب كلها وكان القضاء اذا اتصل بالفتوى الزم الحكم كالقبض
مثلا اذا اتصل بالعقد ثم العامي باي شيء يعرف بان العالم قد وصل الى حد الاجتهاد وكل المجتهد
نفسه متى يعرف انه قد استكمل شرائط الاجتهاد ففيه نظر ومن اصحاب الظاهر مثل داود الاصفهاني
وغيره ومن لم يجوز القياس والاجتهاد في الاحكام وقال الاصول هي الكتاب والسنة والاجماع فقط
ومنع ان يكون القياس اصلا من الاصول وقال اول من قاس ابليس لعنه الله واخزاه وظن ان القياس
امر خارج عن مضمون الكتاب والسنة ولم يدر انه طلب حكم الشرع من مناهج الشرع ولم تنضبط قط
شريعة من الشرايع الا باقتران الاجتهاد به لان من ضرورة الانتشار في العالم الحكم بان الاجتهاد
معتبر وقد راينا الصحابة رضوان الله عليهم كيف اجتهدوا وكم قاسوا خصوصا في مسائل الميراث
من توريث الاخوة مع الجد وكيفية توريث الكلالة وذلك ما لا يخفى على المتدبر لاحوالهم ثم المجتهدون
من ائمة الامة محصورون في صنفين لا يعدوان الى ثالث اصحاب الحديث واصحاب الراي من تلك

اصحاب الحديث

وهم اهل الحجاز وهم اصحاب مالك بن انس
اصحاب محمد بن ادريس الشافعي واصحاب سفيان الثوري واصحاب احمد بن حنبل واصحاب داود بن
علي بن محمد الاصفهاني وانما سموا اصحاب الحديث لان عنايتهم بتحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء
الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبرا او اثرا وقد قال الشافعي
رض اذا وجدتم لي مذهبا ووجدتم على خلاف مذهبي خبرا فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر ومن اصحابه
ابو ابرهيم اسمعيل بن يحيى المزني والربيع بن سليمان الجيزي وحرملة بن يحيى التجيبي والربيع بن سليمان
المرادي وابو يعقوب البويطي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري
وابو ثور ابرهيم بن خالد الكلبي وهم لا يزيدون على اجتهاده اجتهادا بل يتصرفون فيما نقل عنه توجيها و
استنباطا ويصدرون عن رايه جملة ولا يخالفونه بتة من تلك

اصحاب الراي

وهم اهل العراق هم اصحاب ابي حنيفة نعمان بن ثابت ومن اصحابه محمد بن الحسن وابو يوسف يعقوب
بن محمد القاضي وزفر بن هذيل والحسين بن زياد اللؤلؤي وابن سماعة وعافية القاضي وابو مطيع البلخي
وبشر المريسي وانما سموا اصحاب الراي لان عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الاحكام
وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على آحاد الاخبار وقد قال ابو حنيفة علمنا هذا

راى

رأى وهو احسن ما قدرنا عليه فمن قدر على ذلك فله ما رأى وهؤلاء ربما يزيدون على اجتهاده اجتهادا
ويخالفونه في الحكم الاجتهادي في المسائل التي خالفوا فيها معروفة وبين الفريقين اختلافات في
الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون حتى كأنهم اشرفوا على
القطع واليقين وليس يلزم بذلك تكفير ولا تضليل بل كل مجتهد مصيب كما ذكرنا

الخارجون عن الملة الحنيفية

والشريعة الاسلامية ممن يقول بشريعة واحكام وحدود واعلام وقد انقسموا الى من له
كتاب محقق مثل التورية والانجيل وعن هذا خاطبهم التنزيل يا اهل الكتاب والى من له شبهة كتاب
مثل المجوس والمانوية فان الصحف التي انزلت على ابرهيم عليه السلم قد رفعت الى السماء لاحداث احدثها
المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والزمام معهم وينحى بهم نحو اليهود والنصارى اذ هم من اهل الكتاب و
لكن لا يجوز مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم فان الكتاب قد رفع عنهم فنحن نقدم ذكر اهل الكتاب لتقدمهم
بالكتاب ونؤخر ذكر من له شبهة كتاب

اهل الكتاب منها

الفرقتان المتقابلتان قبل البعث هم اهل الكتاب والاميون والامي من لا يعرف الكتبة فكانت
اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة واهل الكتاب كانوا ينصرون دين الاسباط ويذهبون مذهب
بني اسرائيل والاميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بني اسمعيل ولما انشعبت النور
الوارد من ادم عليه السلام الى ابرهيم عليه السلم ثم الصادر منه على شعبين شعب في بني اسرائيل
وشعب في بني اسمعيل وكان النور المنحدر منه الى بني اسرائيل ظاهرا والنور المنحدر منه الى بني اسمعيل
مخفيا كان يستدل على النور الظاهر بظهور الاشخاص واظهار النبوة في شخص شخص ويستدل على
النور المخفي بابانة المناسك والعلامات وستر الحال في الاشخاص وقبلة الفرقة الاولى بيت
المقدس وقبلة الفرقة الثانية بيت الله الحرام وشريعة الاولى ظواهر الاحكام وشريعة الثانية
رعاية المشاعر الحرام وخصماء الفريق الاول الكافرون مثل فرعون وهامان وخصماء الفريق الثاني
المشركون مثل عبدة الاصنام والاوثان فتقابل الفريقان وصح التقسيم بهذين المتقابلين

اليهود ومن ذلك

والنصارى هاتان الامتان من كبار امم اهل الكتاب والامة اليهودية اكبر لان الشريعة
كانت لموسى عليه السلم وجميع بني اسرائيل كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام احكام التورية
والانجيل النازل على المسيح عليه السلام ليس يختص احكاما ولا استبطن حلالا وحراما ولكنه

رموز

ومواعظ وامثال ومواعظ ومزاجر وما سواها من الشرايع والاحكام فحالة على التورية كما سنبين فبكا
اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسى عليه السلام وادعوا عليه انه كان مامورا بمتابعة موسى عم وتقيم
التورية فغير وبدل وعدوا عليه تلك التغييرات ومنها تغيير السبت الى الاحد ومنها تغيير اكل لحم
الخنزير وكان حراما في التورية ومنها الختان والغسل وغير ذلك والمسلمون قد بينوا ان الامتين
قد بدلوا وحرفوا والا فعيسى انما كان مقرا لما جاء به موسى وكلاهما مبشران بمقدم نبينا نبي الرحمة
صلوات الله وسلامه عليهم وقد امرهم ائمتهم وانبياؤهم بذلك وانما بنى اسلافهم الحصون والقلاع
بقرب المدينة لنصرة رسول اخر الزمان وامروهم بمهاجرة اوطانهم بالشام الى تلك البقاع حتى اذا ظهر
وعلن الحق بقاران يهاجرون الى دار الهجرة بيثرب فينصروه ويعاونوه وذلك قوله تعالى وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وانما الخلاف
بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع الا بحكمه اذ كانت اليهود تقول ليست النصارى على شيء وكانت النصارى
تقول ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب وكان النبي ص يقول لستم على شيء حتى تقيموا التورية
والانجيل وما كان يمكنهم اقامتهما الا باقامة القران وتحكيم نبي الرحمة رسول اخر الزمان فلما ابوا ذلك
ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله

اليهود خاصة هادوا الرجل اي رجع و
تاب وانما يلزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلم انا هدنا اليك اي رجعنا وتضرعنا وهم
امة موسى وكتابهم التورية وهو اول كتاب نزل من السماء بعنوان ما كان ينزل على ابرهيم عليه السلم
وغيره من الانبياء ما كان يسمى كتابا بل صحفا وقد ورد في الخبر عن النبي ص انه قال ان الله تعالى
خلق ادم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التورية بيده فاثبت لها اختصاصا اخر سوى
سائر الكتب قد اشتمل ذلك على اسفار فيذكر مبتداء الخلق في السفر الاول ثم يذكر الاحكام
والحدود والاحوال والقصص والمواعظ والاذكار في سفر سفر وانزل ايضا عليه الالواح على شبه
مختصر ما في التورية تشتمل على الاقسام العلمية والعملية قال عز ذكره وكتبنا له في الالواح
من كل شيء موعظة اشارة الى تمام القسم العملي وتفصيلا لكل شيء اشارة الى تمام القسم العلمي
قالوا كان موسى عم قد افضى باسرار التورية والالواح الى يوشع بن نون وصيه بعده يوصي الى
اولاد هارون لان الامر كان مشتركا بينه وبين اخيه هارون عليهما السلام اذ قال واشركه في
امري وكان هو الوصي فلما مات هرون في حال حيوته انتقلت الوصاية الى يوشع بن نون وبعده

القلاع ص

ليفضي له

يد اسلها

فلبو صلها ٥

ليرسلها شبير وشبر ابني هارون قرأ وذلك ان الوصية والامامة بعضها مستقر وبعضها
مستودع واليهود تدعي ان الشريعة لا تكون الا واحدة وهي التي اتت بموسى وتمت به ولم يكن قبله
شريعة الا حدود عقلية واحكام مصلحية ولم يجيزوا النسخ اصلا قالوا فلا يكون بعده شريعة
اخرى لان النسخ في الاوامر بداء ولا يجوز البداء على الله ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه وعلى
التشبيه ونفيه والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واحالتها اما النسخ فلما ذكرنا واما التشبيه
فلانهم وجدوا التورية ملأى من المتشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهرا والنزول على طور
سيناء انشقاقا والاستواء على العرش استقرارا وجواز الرؤية وقفا وغير ذلك واما القول بالقدر
مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الاسلام فالربانيون منهم كالمعتزلة فينا والقراؤون
كالجبرية والمشبهة واما جواز الرجعة فانما وقع لهم من امرين احدهما حديث عزير عليه السلم اذ اماته
الله مائة عام ثم بعثه والثاني حديث هرون عليه السلم اذ مات في التيه وقد نسبوا موسى عليه السلم
الى قتله قالوا حسده لان اليهود كانت اليه اميل منهم الى موسى عم واختلفوا في حال موته فمنهم من قال
مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع واعلم ان التورية اشتملت باسرها على دلالات وايات
تدل على كون شريعة المصطفى صلوات الله عليه حقا ويكون صاحب الشريعة صادقا بل ما حرفوه
وغيروه وبدلوه اما تحريفا من حيث الكتبة والصورة واما تحريفا من حيث التفسير والتاويل
واظهرها ذكره ابرهيم وابنه اسمعيل عليهما السلم ودعاؤه في حقه وذريته واجابة الرب تعالى اياه
اني باركت على اسمعيل واولاده وجعلت فيهم الخير كله وساظهره على الامم كلها وسابعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتي واليهود معترفون بهذه القصة الا انهم يقولون اجابة الملك
دون النبوة والرسالة وقد الزمتهم ان الملك الذي سلمتم اهو ملك بعدل وحق ام لا فان لم
يكن بعدل وحق فكيف يمن على ابرهيم عليه السلم بملك في اولاده هو جور وظلم وان سلمتم العدل
والصدق من حيث الملك فالملك يجب ان يكون صادقا على الله تعالى فيما يدعيه بقوله فكيف يكون
الكاذب على الله تعالى صاحب عدل وحق اذ لا ظلم على الله اشد من الكذب فمن يكذبه بتجويزه في
التجويز رفع المنة بالنعمة وذلك خلف ومن العجب ان في التورية ان الاسباط من بني اسرائيل كانوا
يراجعون القبائل من بني اسماعيل ويعلمون ان ذلك الشعب علما لدنيا لم يشتمل التورية
عليه وورد في التواريخ ان اولاد اسماعيل كانوا يسمونهم آل الله واهل الله واولاد اسرائيل آل
يعقوب وآل موسى وآل هرون وذلك كفر عظيم وقد ورد في التورية ان الله تعالى جاء من سيناء

Digitized by Google

وظهر بساعير وعلن بفاران وساعير جبال بيت المقدس الذي كان به مظهر عيسى عليه السلام وفاران جبال
مكة التي كانت مظهر المصطفى عليه السلام ولما كانت الاسرار الالهية والانوار الربانية في الوحي والتنزيل
والمناجات والتاويل على مراتب ثلاث مبدء ووسط وكمال والمجي اشبه بالمبدأ والظهور بالوسط
والاعلان بالكمال عبرت التورية عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجي على طور سيناء عن طلوع
الشمس بالظهور على ساعير وعن البلوغ الى درجة الكمال والاستواء بالاعلان على فاران وفي هذه الكلمة
اثبات نبوة المسيح والمصطفى صلوات الله عليهما وقد قال المسيح في الانجيل ما جئت لابطل التورية
بل جئت لاكملها قال صاحب التورية النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والجروح قصاص
واقول اذا لطمك اخوك على خدك الايمن فضع له خدك الايسر والشريعة الاخيرة وردت بالامرين جميعا اما
القصاص ففي قوله تعالى كتب عليكم القصاص واما العفو ففي قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ففي التورية
احكام السياسة العامة الظاهرة وفي الانجيل احكام السياسة الباطنة الخاصة وفي القران احكام السياستين
جميعا ولكم في القصاص حيوة اشارة الى تحقيق السياسة الظاهرة خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين
اشارة الى تحقيق السياسة الباطنة الخاصة وقد قال عليه السلام هو ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل
من قطعك ومن العجب ان من راى غيره يصدق ما عنده ويكمله ويرقيه من درجة الى درجة كيف يسوغ
له تكذيبه والنسخ في الحقيقة ليس ابطال بل هو تكميل وفي التورية احكام عامة واحكام مخصوصة
اما باشخاص واما بازمان واذا انتهى الزمان لم يبق ذلك لا محالة ولا يقال انه ابطال او بداء كذلك
هنا واما السبت فلو ان اليهود عرفوا لم ورد التكليف بملازمة السبت وهو يوم اي شخص من الاشخاص
في مقابلة اية حالة وجزوي اي زمان من الازمان عرفوا ان الشريعة الاخيرة حق وانها جائت لتقرير
السبت لا لابطاله وهم الذين عدوا في السبت حتى مسخوا قردة خاسئين وهم يعترفون بان موسى
بنى بيتا وصور فيه صورا واشخاصا وبين مراتب الصور واشار الى تلك الرموز لكن لما فقدوا الباب
باب حطة ولم يمكنهم التسور على سنن اللصوص تحيروا تائهين وتاهوا متحيرين واختلفوا نيفا وسبعين
فرقة ونحن نذكر منها اشهرها واظهرها عندهم ونترك الباقي هملا ومن ذلك **العنانية**
نسبوا الى رجل يقال عنان بن داود راس الجالوت يخالفون سائر اليهود في السبت والاعياد و
يختصرون على اكل الطير والظباء والسمك ويذبحون الحيوان على القفاء ويصدقون عيسى
عليه السلام في مواعظه واشاراته ويقولون انه لم يخالف التورية البتة بل قررها ودعا الناس
اليها وهو من بني اسرائيل المقتدين بالتورية ومن المستجيبين لموسى عليه السلام الا انهم لا يقولون

والاذن بالاذن م
جميعا م
الخاصة م
هملين م
المتعبدين خ
بيبرته

بنبوته ورسالته ومن هؤلاء من يقول ان عيسى لم يدع انه نبي مرسل وانه صاحب شريعة ناسخة لشريعة
موسى بل هو من اولياء الله المخلصين العارفين احكام التورية والانجيل ليس كتابا منزلا عليه ووحيا
بل هو جمع احواله من مبدئه الى كماله وانما جمعه اربعة من اصحابه الحواريين فكيف يكون كتابا منزلا
قالوا واليهود ظلموا حيث كذبوا اولا ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه اخرا ولم يعلموا بعد محله ومغزاه
وقد ورد في التورية ذكر المسيحا في موارد كثيرة وذلك هو المسيح ولكن لم يرد له النبوة ولا الشريعة
الناسخة وورد فارقليطا وهو الرجل العالم وكذلك ورد ذكره في الانجيل فوجب حمله على واحد
وعلى من ادعى ذلك تحقيقه وحده

العيسوية

نسبوا الى عيسى بن يعقوب الاصفهاني وقيل اسمه عوفيد الوهيم اي عابد الله كان في زمان المنصور
وابتدا دعوته في زمن اخر ملوك بني امية مروان بن محمد الحمار فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له ايات
ومعجزات وزعموا انه لما حورب خط على اصحابه خطا بعود آس وقال اقيموا في هذا الخط فليس ينالكم
عدو ولا سلاح فكان العدو حملوا عليهم حتى اذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفا من طلسم او عظيمة
ربما وضعها ثم خرج ابو عيسى من الخط وحده على فرسه فقاتل وقتل من المسلمين كثيرا وذهب الى
بني موسى بن عمران الذين هم وراء الرمل ليسمع كلام الله وقيل انه لما حارب اصحاب المنصور بالري
قتل وقتل اصحابه وزعم ابو عيسى انه نبي وانه رسول المسيح المنتظر وزعم ان للمسيح خمسة من الرسل
ياتون قبله واحدا بعد واحد وزعم ان الله عز وجل كلمه وكلفه ان يخلص بني اسرائيل من ايدي
الامم العاصين والملوك الظالمين وزعم ان المسيح افضل ولد ادم وانه اعلى منزلة من الانبياء
الماضين واذ هو رسوله فهو افضل الكل وكان يوجب تصديق المسيح ويعظم دعوة الداعي وزعم
ان الداعي ايضا هو المسيح وحرم في كتابه الذبايح كلها ونهى عن اكل ذي روح على الاطلاق
طيرا كان او بهيمة واوجب عشر صلوات وامر اصحابه باقامتها وذكر اوقاتها وخالف اليهود في
كثير من احكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التورية ومن ذلك

المقاربة واليوذعانية

نسبوا الى يوذعان رجل من اهل همدان
وقيل كان اسمه يهودا يحث على الزهد وتكثير الصلوة وينهى عن اللحوم والانبذة وفيما نقل
عنه تعظيم امر الداعي وكان يزعم ان للتورية ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتاويلا خالف بتاويله
عامة اليهود وخالفهم في التشبيه ومال الى القدر واثبت الفعل حقيقة للعبد وقدر الثواب
والعقاب عليه وشدد في ذلك ومنهم الموشكانية اصحاب موشكان على مذهب يوذعان

اسحق

بسلاح نخ له

Digitized by Google

غير انه كان يوجب الخروج على مخالفيه ونصب القتال معهم فخرج في شيعة عشر رجلا فقتل بناحية دم
وذكر عن جماعة من الموشكانية انهم اثبتوا نبوة المصطفى عليه السلام الى العرب وسائر الناس سوى اليهود
لانهم اهل ملة وكتاب وزعمت فرقة من المغاربة ان الله تعالى خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره
وقدره على جميع الخلائق واستخلفه عليهم قالوا وكل ما في التورية وسائر الكتب من وصف الله
فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز ان يوصف الباري تعالى بوصف قالوا وان الذي كلم الله موسى
تكليما هو ذلك الملك والشجرة المذكورة في التورية هو ذلك الملك وتعالى الرب عن ان يكلم
بشرا تكليما وحمل جميع ما ورد في التورية من طلب الرؤية وشافهت الله وجاء الله واطلع الله في
السحاب وكتب التورية بيده واستوى على العرش قرارا وله صورة ادم وشعر قطط ووفرة سوداء
وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه فتحلت الحجب حتى بدت نواجذه الى غير ذلك الملك قال
ويجوز في العادة ان يبعث الملك شخصا من جملة خواصه ويلقي عليه اسمه ويقول هذا رسولي و
ومكانه فيكم مكاني وقوله وامره قولي وامري وظهوره عليكم ظهوري كذلك يكون حال ذلك الملك
وقيل ان اريوس قال في المسيح هو الله وانه صفوة العالم اخذ قوله من هؤلاء وهم كانوا قبل اريوس
باربعمائة سنة وهم اصحاب هدو تقشف وقيل صاحب هذه المقالة تبيا من اليهود وتدل فرق
هذا المذهب على علمهم ان الايات المتشابهات في التورية كلها مأولة وانه تعالى لا يوصف باوصاف
البشر ولا يشبهه شيء من المخلوقات وانما المراد من هذه الكلمات في التورية ذلك الملك المعظم وهذا كما يحمل
في القرآن المجيء والاتيان على اتيان ملك من الملئكة وكما قال في حق مريم ونفخنا فيه من روحنا
وفي موضع اخر فنفخنا فيها من روحنا وانما النافخ جبرئيل عم حين تمثل لها بشرا سويا ليهب لها غلاما
زكيا ومن ذلك

السامرة

هؤلاء قوم يسكنون بيت المقدس وقرايا من اعمال مصر يتقشفون في الطهارة اكثر من تقشف سائر اليهود اثبتوا
نبوة موسى وهرون ويوشع بن نون وانكروا نبوة من بعدهم راسا الا انبيا واحدا وقالوا التورية
ما بشرت الا بنبي واحد باق من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التورية ويحكم بحكمها ولا يخالفها
الشمعونية في السامرة رجل يقال له الالفان ادعى النبوة وزعم انه هو الذي بشر به موسى وانه هو الكوكب
الذي ورد في التورية انه يفوق ضوء القمر وكان ظهوره قبل المسيح بقرب من مائة سنة وافترقت
السامرة الى دوسانية وهم الالفانية والى كوسانية والدوسانية معناها الفرقة المتفرقة
الكانية والكوسانية تزعم ان الثواب والعقاب في الدنيا بين الفريقين اختلاف في الاحكام والشرايع

ولا يشبهه شيء منها

فيها بالدوسانية

وقيل

وقبلة السامرة جبل يقال له عزيم بين بيت المقدس ونابلس قالوا ان الله تعالى امر داود النبي عليه السلام
ان يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم عليه موسى فحول داود الى ايليا وبنى البيت
ثمة وخالف الامر وظلم السامرة توجهوا الى تلك القبلة دون سائر اليهود ولغتهم غير لغة اليهود
وزعموا ان التورية كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت الى السريانية فهذه اربع فرق
هم الكبار وانشعب منهم الفرق الى احدى وسبعين وهم باسرهم اجمعوا على ان في التورية بشارة بواحد
بعد موسى وانما افتراقهم اما في تعيين ذلك الواحد او في الزيادة على ذلك الواحد وذكر المسيح و
آثاره ظاهر في الاسفار وخروج واحد في آخر الزمان وهو الكوكب المضيء الذي تشرق الارض بنوره
ايضا متفق عليه واليهود على انتظاره والسبت يوم ذلك الرجل وهو يوم الاستواء بعد الخلق
وقد اجمعت اليهود على ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والارض استوى على عرشه مستلقيا
على قفاه واضعا احدى رجليه على الاخرى فقالت فرقة منهم ان الستة ايام هي ستة آلاف سنة
فان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بالسير القمري وذلك هو ما مضى من لدن آدم عليه السلام
الى يومنا هذا وبه يتم الخلق ثم اذا بلغ الخلق الى النهاية ابتداء الامر ومن ابتداء الامر يكون الاستواء
على العرش والفراغ من الخلق وليس ذلك امرا كان ومضى بل هو في المستقبل اذا عددنا الايام بالالوف

النصارى ومنها

امة المسيح عيسى بن مريم ع
وهو المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام المبشر به في التورية وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة
مثل احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه كاملة وذلك
حصوله من غير نطفة سابقة ونطقه من غير تعليم سالف وجميع الانبياء بلاغ وحيهم اربعون سنة
وقد اوحي اليه انطاقا في المهد واوحي اليه ابلاغا عند الثلثين وكانت مدة دعوته ثلث
سنين وثلثة اشهر وثلثة ايام فلما رفع الى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه وانما
اختلافاتهم تعود الى امرين احدهما كيفية نزوله واتصاله بامه وتجسد الكلمة والثاني كيفية
صعوده واتصاله بالملئكة وتوحد الكلمة اما الاول فقضوا بتجسد الكلمة ولهم في كيفية
الاتحاد والتجسد كلام فمنهم من قال اشرق على ابعد اشراق النور على الجسم المشف ومنهم من قال
انطبع فيه انطباع النقش في الشمعة ومنهم من قال ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني ومنهم من قال
تدرع اللاهوت بالناسوت ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء واثبتوا
لله تعالى اقانيم ثلثة قالوا الباري تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز والجسمية

فهو احد

فهو واحد بالجوهرية ثلثة بالاقنومية ويعنون بالاقانيم الصفات كالوجود والحيوة والعلم والآب
والابن وروح القدس وانما العلم تدرع وتجسد دون سائر الاقانيم وقالوا في الصعود انه قتل
وصلب قتله اليهود حسدا وبغيا وانكارا لنبوته ودرجته ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي
وانما ورد على الجزء الناسوتي قالوا وكما ان الشخص الانساني فيه ثلثة اشياء نبوة وامامة وملكة وغيره
من الانبياء كانوا موصوفون بهذه الخصال الثلث ابعضها والمسيح عليه السلم درجته فوق ذلك
لانه الابن الوحيد فلا نظير له ولا قياس له الى غيره من الانبياء وهو الذي غفر زلة آدم عليه السلم
وهو الذي يحاسب الخلق ولهم في النزول خلاف فمنهم من يقول ينزل قبل يوم القيمة كما قال اهل الاسلام
ومنهم من يقول لا نزول له الا يوم الحساب بعد ان قتل وصلب نزل ورأى شخصه شمعون الصفا
فكلمه واوصى اليه ثم فارق الدنيا وصعد الى السماء وكان وصيه شمعون الصفا وهو افضل
الحواريين علما وزهدا وادبا غير ان فولوس شوش امره وصير نفسه شريكا له وغيره واوضاع علمه
وخلطه بكلام الفلاسفة ووساوس خاطره ورأيت رسالة لفولوس كتبها الى اليونانيين انكم
تظنون ان مكان عيسى كمكان سائر الانبياء وليس كذلك بل انما مثله مثل ملكيزدق ملك
هو ملك السلم الذي كان ابرهيم عم يعطي اليه العشور وكان يبارك على ابرهيم ويمسح راسه من العجب
نقل في الاناجيل ان الرب تعالى قال انك لانت الابن الوحيد ومن كان وحيدا كيف يمثل بواحد من
البشر ثم ان اربعة من الحواريين اجتمعوا وجمع كل واحد منهم جميع الاناجيل وهم متى ولوقا ومارقوس
ويوحنا وخاتمة انجيل متى انه قال اني ارسلكم الى الامم كما ارسلني ابي اليكم فاذهبوا وادعوا الامم
باسم الاب والابن وروح القدس وفاتحة انجيل يوحنا على القديم الازلي فد كانت الكلمة وهو
ذا الكلمة كانت عند الله والله هو كان الكلمة وكل شيء كانت ثم افترقت النصارى اثنتين وسبعين
فرقة وكبار فرقهم ثلثة الملكائية والنسطورية واليعقوبية وانشعبت منها الالبانية
والبليارسية والمغدانوسية والسبالية والبوطينوسية والبولية الى سائر الفرق
من ذلك **الملكائية** اصحاب ملكا
الذي ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكائية قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح
وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم ويعنون بروح القدس اقنوم الحيوة ولا يثبتون
العلم قبل تدرعه ابنا بل المسيح مع ما تدرع ابن فقال بانهم ان الكلمة ازجت جسد المسيح
كما يمازج الخمر اللبن او الماء اللبن وصرحت الملكائية ان الجواهر غير الاقانيم وذلك كالموصوف

وذا الصفة

والصفة وعن هذا صرحوا باثبات التثليث واخبر عنهم القران لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة وقالت الملكانية المسيح ناسوت كلي لا جزوي وهو قديم ازلي وقد ولدت مريم
الها ازليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا واطلقوا لفظ الابوة على
الله عز وجل وعلى المسيح لما وجدوا في الانجيل حيث قال انك لانت الابن الوحيد وحيث
قال له شمعون الصفا انك ابن الله حقا ولعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطالبي الدنيا
ابناء الدنيا ولطالبي الاخرة ابناء الاخرة وقد قال المسيح للحواريين انا اقول لكم احبوا اعدائكم
وبركوا على لاعنيكم واحسنوا الى مبغضكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم في السما
الذي تشرق شمسه على الصالحين والفجرة وينزل قطره على الابرار والاثمة وتكونوا تامين كما
ان اباكم الذي في السماء تام وقال انظروا صدقاتكم فلا تعطوها قدام الناس لتراؤهم فلا يكون
لكم اجر عند ابيكم الذي في السماء وقال حين كان يصلب اذهب الى ابي وابيكم ولما قال اريوس القديم
هو الله والمسيح مخلوق اجتمعت البطارقة والمطارنة والاساقفة في بلد القسطنطينية بمحضر
من ملكهم وكانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا واتفقوا على هذه الكلمة اعتقادا ودعوة وذلك
قولهم نؤمن بالله الواحد الاب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى وبالابن الواحد ايشوع
المسيح بن الله بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع اله حق من جوهر ابيه الذي بيده اتقنت العوالم
وكل شيء الذي من اجلنا ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد مريم
البتول وصلب ايام فيلاطوس ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين
ابيه وهو مستعد للمجيء تارة اخرى للقضاء بين الاحياء والاموات ونؤمن بروح القدس
الواحد روح الحق يخرج من ابيه وبمعبودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية
مسيحية جاثليقية وبقيام ابداننا بالحيوة الدائمة ابد الابدين هذا هو الاتفاق الاول
على هذه الكلمات وفيه اشارة الى حشر الابدان وفي النصارى من قال بحشر الارواح دون الابدان
وقال ان عاقبة الاشرار في القيمة غم وحزن الجهل وعاقبة الاخيار سرور وفرح العلم وانكر
ان يكون في الجنة نكاح واكل وشرب وقال مار اسحق منهم ان الله تعالى وعد المطيعين وتوعد
العاصين ولا يجوز ان يخالف الوعد لانه لا يليق بالكرم لكن يخالف الوعيد فلا يعذب العصاة
ويرجع الخلق الى سرور وسعادة وعمم هذا في الكل اذ العقاب الابدي غير لايق بالجواد الحق ومن ذلك

النسطورية

اصحاب نسطور الحكيم الذي

والنبوة

الواحد

من الله مريم

ظهر

ظهر في زمان المأمون وتصرف في الاناجيل بحكم رايه واضافته اليهم اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة
قالوا ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلثة الوجود والعلم والحيوة وهذه الاقانيم ليست زائدة على
الذات ولا هي هو وانحدث الكلمة بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على سبيل
الظهور به كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق الشمس في كوة او على بلور او كظهور النقش في الخاتم
واشبه المذاهب بمذهب نسطور في الاقانيم اقوال ابي هاشم من المعتزلة فانه يثبت خواص مختلفة
لشيء واحد ويعني بقوله هو واحد الجوهر اي ليس مركبا من جنسين بل هو بسيط واحد ويعني
بالحيوة والعلم اقنومين جوهريين اي اصلين مبدئين للعالم ثم فسر العلم بالنطق والكلمة ويرجع
منتهى كلامه الى اثبات كونه تعالى موجودا حيا ناطقا كما تقول الفلاسفة في حد الانسان الا
ان هذه المعاني تتغاير في الانسان لكونه مركبا وهو جوهر بسيط غير مركب وبعضهم يثبت لله
تعالى صفات اخر بمنزلة القدرة والارادة ونحوهما ولم يجعلوها اقانيم كما جعلوا الحيوة والعلم اقنومين
ومنهم من اطلق القول بان كل واحد من الاقانيم الثلثة حي ناطق اله وزعم اليعاقبة ان اسم الاله لا
ينطلق على كل واحد من الاقانيم وزعموا ان الابن لم يزل مولودا من الاب وانما تجسد بجسد المسيح واتحد به
حين ولد والحدث راجع الى الجسد والناسوت فهو اله وانسان اتحدا وهما جوهران اقنومان طبيعتان
جوهر قديم وجوهر محدث اله تام وانسان تام ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث
ولكنهما صارا مسيحا واحدا مشتبه واحدة وربما بدلوا العبارة فوضعوا مكان الجوهر الطبيعة
ومكان الاقنوم شخصا واما قولهم في القتل والصلب فيخالف قول الملكانية واليعقوبية قالوا
ان القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته لان الاله لا يحله الالام ويوطيوس
وبولي الشمشاطي يقولان ان الاله واحد وان المسيح ابتدا من مريم وانه عبد صالح مخلوق الا
ان الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابنا على التبني لا على الولادة والاتحاد ومن النسطورية
قوم يقال لهم المصلين قالوا في المسيح مثل ما قال نسطور الا انهم قالوا اذا اجتهد الرجل في الصيام
وترك التغذي باللحم والدسم ورفض الشهوات النفسانية الحيوانية تصفى جوهره حتى يبلغ
ملكوت السموات ويرى الله تعالى جهرا وينكشف له ما في الغيب فلا يخفى عليه خافية في الارض
ولا في السماء ومن النسطورية من ينفي التشبيه ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما
قالت القدرية

اليعقوبية

اصحاب يعقوب
قالوا بالاقانيم الثلثة كما ذكرنا الا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح

وهو

وهو الظاهر بجسده بل هو هو وعنهم اخبرنا القرآن الكريم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
بن مريم فمنهم من قال المسيح هو الله ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق
لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو وهذا
كما يقال ظهر الملك بصورة الانسان او ظهر الشيطان بصورة الحيوان وكما اخبر التنزيل عن جبرئيل
فتمثل لها بشرا سويا وزعم اكثر اليعقوبية ان المسيح جوهر واحد اقنوم واحد الا انه من جوهرين
وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركبا
كما تركبت النفس والبدن فصار جوهرا واحدا اقنوما واحدا وهو انسان كله واله كله فقال الانسان
صار الها ولا ينعكس فلا يقال الاله صار انسانا كالفحمة تطرح في النار فيقال صارت الفحمة نارا ولا
يقال صارت النار فحمة وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة بل هي جمرة وزعموا ان
الكلمة اتحدت بالانسان الجزوي لا الكلي وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع والحلول
كحلول صورة انسان في المرآة المجلوة واجمع اصحاب التثليث كلهم على ان القديم لا يجوز ان يتحد بالمحدث
الا ان الاقنوم الذي هو الكلمة اتحدت دون سائر الاقانيم واجمعوا على ان المسيح ولد من مريم وقتل
وصلب ثم اختلفوا في كيفية ذلك فقالت الملكانية واليعقوبية ان الذي ولدت مريم هو الاله
فالملكانية لما اعتقدت ان المسيح ناسوت كلي ازلي قالوا ان مريم انسان جزوي والجزوي لا يلد
الكلي وانما ولده الاقنوم القديم واليعقوبية لما اعتقدت ان المسيح هو جوهر من جوهرين وهو
اله وهو المولود قالوا ان مريم ولدت الها تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وكذلك قالوا في القتل
والصلب وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين قالوا ولو وقع على احدهما لبطل الاتحاد وزعم بعضهم
انا نثبت وجهين للجوهر القديم فالمسيح قديم من وجه محدث من وجه وزعم قوم من اليعقوبية
ان الكلمة لم تاخذ من مريم شيئا ولكنها مرت بها كالماء في الميزاب وما ظهر من شخص المسيح في الاعين
هو كالخيال والصورة في المرآة والا فما كان جسما كثيفا في الحقيقة وكذلك القتل والصلب انما
وقع على الخيال والحسبان وهؤلاء يقال لهم الاليانية وهم قوم بالشام واليمن والارمينية قالوا وانما
صلب الاله من اجلنا حتى يخلصنا وزعم بعضهم ان الكلمة كانت تداخل جسم المسيح احيانا فتصدر
عنه الايات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وتفارقه في بعض الاوقات فترد عليه الالام
والاوجاع ومنهم بليارس واصحابه وحكي عنه انه كان يقول اذا صارت الناس الى الملكوت الاعلى
اكلوا الف سنة وشربوا وناكحوا ثم صاروا الى نعيم الذي وعدهم اريوس كلها لذة وراحة وسرور

متحما ع

Digitized by Google

لا اكل فيها ولا شرب ولا نكاح وزعم مقدونيوس ان الجوهر القديم اقنومان فحسب اب وابن والروح
مخلوق وزعم سبايوس ان القديم جوهر واحد اقنوم واحد له ثلث خواص واتحد بكليته بجسد عيسى
وزعم اريوس ان الله واحد سماه ابا وان المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء وهو مخلوق
قبل خلق العالم وهو خالق الاشياء وزعم ان لله روحا مخلوقة اكبر من ساير الارواح وانها واسطة
بين الاب والابن تؤدي اليه الوحي وزعم ان المسيح ابتدا جوهر الطيفا روحانيا خالصا غير مركب
ولا ممزوج بشيء من الطبايع الاربع عند الاتحاد بالجسم الماخوذ من مريم وهذا اريوس قبل الفرق
الثلث فتبرا وامنه لمخالفتهم اياه في المذهب

من له شبهة كتاب

قد بينا كيفية تحقيق الكتاب وميزنا بين حقيقة الكتاب وشبهة الكتاب وان الصحف التي كانت
لابرهيم ع كانت شبهة كتاب وفيها مناهج علمية ومسالك عملية اما العلميات فتقرير كيفية
الخلق والابداع وتسوية المخلوقات على سنن نظام وقوام تحصل منها حكمته الازلية وتنفذ فيها
مشيته السرمدية ثم تقدير التقرير والهداية عليها ليتقدر كل نوع وصنف بقدرة المحكوم
المحتوم ويقبل هدايته السارية في العلم بقدر استعداده المعلوم والعلم كل العلم لا يعدو هذين
النوعين وذلك قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقال عز وجل
خبرا عن ابرهيم الذي خلقني فهو يهدين وخبرا عن موسى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى واما
العمليات فتزكية النفوس عن درن الشبهات وذكر الله تعالى باقامة العبادات ورفض الشهوات
الدنية وايثار السعادات الاخروية ولم يحصل البلوغ الى كمال المعاد الا باقامة هذين الركنين
اعني الطهارة والشهادة والعمل كل العمل لا يعدو هذين النوعين وذلك قوله تعالى قد افلح من
تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى
صحف ابرهيم وموسى فبين ان الذي اشتمل عليه الصحف هو ما اشتمل عليه هذه السورة وبالحقيقة
هذا هو الاعجاز المعنوي

المجوس من ذلك

واصحاب الاثنين
والمانوية وسائر فرقهم المجوسية يقال لها الدين الاكبر والملة العظمى اذ كانت دعوة
الانبياء عليهم السلم بعد ابرهيم الخليل عليه السلم لم يكن في العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت
لها من القوة والشوكة والملك والسيف مثله الملة الحنيفية اذ كانت ملوك العجم كلها
على ملة ابرهيم وجميع من كان في زمان كل واحد منهم من الرعايا في البلاد على اديان ملوكهم وكان
لملوكهم موبذان اعلم العلماء واقدم الحكماء يصدرون عن امره ولا يرجعون الا الى رايه

الطبايع وانما تدرع صح

لنسبة ١٢

في العالم ١٢

ثم قال عز من قائل صح

مرجع هو موبذ صح

ويعفرنه

ويعظمونه تعظيم السلاطين الخلفاء الوقت وكان دعوة بني اسرائيل اكثرها في بلاد الشام وما وراءها
من المغرب فلما شرّ من ذلك الى بلاد العجم وكانت الفرق في زمان الخليل راجعة الى صنفين احدهما
الصابية والثاني الحنفاء فالصابية كانت تقول انا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة
طاعته واوامره واحكامها الى متوسط يجب ان يكون روحانيا لا جسمانيا وذلك لزكاء الروحانيات
وطهارتها وقربها من رب الارباب والجسماني بشر مثلنا ياكل مما ناكل الانعام ويشرب مما نشرب
مماثلنا في المادة والصورة قالوا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون والحنفاء كانت
تقول انا نحتاج في المعرفة والطاعة الى متوسط من جنس البشر يكون درجته في الطهارة والعصمة
والتاييد والحكمة فوق الروحانيات يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية
فيتلقى الوحي بطرف الروحانية ويلقي الى نوع الانسان بطرف البشرية وذلك قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي وقال عز ذكره قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ثم لما لم
يتطرق للصابية الاقتصار على الروحانيات البحتة والتقرب اليها باعيانها والتلقي منها
بذواتها فزعت جماعة الى هياكلها وهي السيارات السبع وبعض الثوابت فصابية الروم
مفزعها السيارات وصابية الهند مفزعها الثوابت وسنذكر مذاهبهم على التفصيل
ان شاء الله تعالى وربما نزلوا عن الهياكل الى الاشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن الانسان
شيئا والفرقة الاولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الاصنام وكان الخليل ع مكلفا
بكسر المذهبين على الفرقتين وتقرير الحنيفية السهلة السمحة احتج على عبدة الاصنام
قولا وفعلا كسرا من حيث القول وكسرا من حيث الفعل فقال لابيه آزر يا ابت لم تعبد ما
لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا الايات حتى جعلهم جذاذا الا كبيرا لهم وذلك الزام
من حيث الفعل وافحام من حيث الكسر ففرع من ذلك كما قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها
ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ابتدأ بابطال مذاهب عبدة الاصنام
والاوثان على صيغة الموافقة كما قال تعالى وكذلك نري ملكوت السموات والارض يعني كما
آتيناه الحجة كذلك نريه المحجة فساق الالزام على اصحاب الهياكل مساق الموافقة في المبدا
والمخالفة في النهاية ليكون الالزام ابلغ والافحام اقوى والا فابرهيم الخليل ع لم يكن في
قوله هذا ربي مشركا كما لم يكن في قوله بل فعله كبيرهم هذا كاذبا وسوق الكلام على جهة
الالزام غير وسوقه على جهة الالتزام غير فلما اظهر الحجة وبين المحجة قرر الحنيفية التي هي السنة

ابرهيم

لكن ذلك المتوسط

الكبرى

الكبرى والشريعة العظمى وذلك هو الدين القيم وكانت الانبياء من اولاده كلهم يقررون
الحنيفية وبالخصوص صاحب شرعنا صلوات الله وسلامه عليه كان في تقريرها قد بلغ النهاية
القصوى واصاب في المرى واصمى ومن العجب ان التوحيد من اخص اركان الحنيفية ولهذا يقتون في التنزيل
بكل موضع ذكر الحنيفية حنيفا وما كان من المشركين حنفاء غير مشركين ثم الثنوية اختصت بالمجوس
حتى اثبتوا اصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد
ويسمون احدهما النور والثاني الظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن ولهم في ذلك تفصيل مذهب
ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين احديهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة والثانية بيان
سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدء والخلاص معادا منها

المجوس

اثبتوا اصلين كما ذكرنا الا ان المجوس الاصلية زعموا ان الاصلين لا يجوز ان يكونا قديمين ازليين
بل النور ازلي والظلمة محدثة ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها امن النور حدثت والنور لا يحدث
شرا جزويا فكيف يحدث اصل الشر ام شيء اخر ولا شيء يشترك النور في الاحداث والقدم
وبهذا يظهر خبط المجوس وهؤلاء يقولون المبدأ الاول من الاشخاص كيومرث وربما يقولون
زروان الكبير والنبي الاخر زرادشت والكيومرثية يقولون كيومرث هو آدم عليه السلم وقد ورد
في تواريخ الهند والعجم ان كيومرث هو آدم ع ويخالفهم سائر اصحاب التواريخ من ذلك

الكيومرثية

اصحاب المقدم الاول كيومرث اثبتوا
اصلين يزدان واهرمن وقالوا ان يزدان ازلي قديم واهرمن محدث مخلوق وقالوا يزدان فكر
في نفسه انه لو كان لي منازع كيف يكون وهذه الفكرة ردية غير مناسبة لطبيعة النور فحدث
الظلام من هذه الفكرة وسمي اهرمن وكان مطبوعا على الشر والفتنة والفساد والضرر والاضرار
فخرج على النور وخالفه طبيعة وقولا وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة ثم ان الملئكة
توسطوا وصالحوا على ان يكون العالم السفلي خالصا لاهرمن من سبعة الاف سنة ثم تخلى العالم
ويسلم الى النور والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح ابادهم واهلكهم ثم بدأ برجل يقال له كيومرث
وحيوان يقال له ثور فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس وخرج من اصل الريباس
رجل يسمى ميشه وامرأة تسمى ميشانه وهما ابو البشر ونبت من مسقط الثور الانعام وسائر
الحيوانات وزعموا ان النور خير الناس وهم ارواح بلا اجساد بين ان يرفعهم عن موضع اهرمن وبين
ان يلبسهم الاجساد فيحاربون اهرمن فاختاروا لبس الاجساد ومحاربة اهرمن على ان يكون لهم

النصرة

النصرة من عند النور والظفر بجنوده امر من وحسن العاقبة وعند الظفر بها اهلاك عدوه تكبر
القيامة فذلك سبب الامتزاج وهذا سبب الخلاص **الزروانية** ومن ذلك
قالوا ان النور ابدع اشخاصا من نور كلها روحانية ربانية ولكن الشخص الاعظم الذي اسمه زروان
شك في شيء من الاشياء فحدث امر من مر الشيطان من ذلك الشك وقال بعضهم لا بل ان زروان
الكبير قام فزمزم تسعة آلاف وتسعمائة وتسعا وتسعين سنة ليكون له ابن فلم يكن ثم حدث نفسه
وفكر وقال لعل هذا العالم ليس بشيء فحدث امر من ذلك الهم الواحد وحدث امر من ذلك العلم
فكانا جميعا في بطن واحد فكان امر مزا قرب من باب الخروج فاحتال امر من الشيطان حتى شق بطن امه
وخرج قبله واخذ الدنيا وقيل انه لما مثل بين يدي زروان فابصره ورأى ما فيه من الخبث والشر
والفساد ابغضه فلعنه وطرده فمضى واستولى على الدنيا واما امر فبقي زمانا لا يدله عليه
وهو الذي اتخذه قوم ربا وعبدوه لما وجدوا فيه من الخير والطهارة والصلاح وحسن الاخلاق
وزعم بعض الزروانية انه لم يزل مع الله شيئ ردي اما فكر ردية واما عقوبة ردية وذلك هو مصدر
الشيطان وزعموا ان الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات وكان اهلها في خير محض ونعيم خالص
فلما حدث امر من حدث الشرور والآفات والفتن وكان بمعزل من السماء فاحتال حتى خرق
السماء وصعد وقال بعضهم كان هو في السماء والارض خالية منه فاحتال حتى خرق السماء
ونزل الارض بجنوده كلها فهرب ملائكته واتبعه الشيطان حتى حاصره في جنته وحاربه ثلاثة
ثلاثة آلاف سنة لا يصل الشيطان الى الرب تعالى فتوسطت الملائكة وتصالحا على ان يكون
ابليس وجنوده في قرار الضوء تسعة آلاف سنة بالثلاثة الآلاف التي قاتله فيها ثم يخرج الى موضعه
ورأى الرب تعالى عن قولهم الصلاح في احتمال المكروه من ابليس وجنوده ولا ينقض الشرط حتى تنقضي
مدة الصلح فالناس في البلايا والفتن والخرابات والمحن الى انقضاء المدة ثم يعودون الى النعيم الاول
وشرط ابليس عليه اللعنة ان يمكنه من اشياء يفعلها ويطلقه في افعال ردية يباشرها فلما
فرغا من الشرط اشهدا عليهما عدلين ودفعا سيفيهما اليهما وقالا من نكث فاقتلاه بهذا السيف
ولست اظن عاقلا يعتقد هذا الرأي القائل ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ولعله
كان رمزا الى ما يتصور في العقل ومن عرف الله تعالى بجلاله وكبريائه لم يسمح بهذه الترهات عقله
ولم يتسع الى هذه الخرافات سمعه واقرب من هذا ما حكاه ابو حامد الزوزني ان المجوس زعمت ان
ابليس كان لم يزل في الظلمة والجو والخلاء بمعزل عن سلطان الله تعالى ثم لم يزل يزحف ويقرب بحيلته

نورانية

والفتن

النور

Digitized by Google

حتى طغى النور وغرب فصار في سلطان الله في النور وادخل معه هذه الآفات والشرور فخلق الله تعالى
هذا العالم شبكة له توقع فيها فصار متعلقا بها لا يمكنه الرجوع الى سلطانه فهو محبوس في هذا
العالم مضطرب في الحبس يرمى بالآفات والفتن الى خلق الله تعالى فمن احياه الله رماه بالموت
ومن اصحه رماه بالسقم ومن سره رماه بالحزن فلا يزال كذلك الى يوم القيمة وكل يوم ينقص سلطانه
حتى لا يبقى له قوة فاذا كانت القيمة ذهب سلطانه وخمدت نيرانه وزالت قوته واضمحلت قدرته
فيطرحه في الجو ظلمة ليس لها حد ولا منتهى ثم يجمع الله تعالى اهل الاديان فيحاسبهم ويجازيهم على
طاعة الشيطان وعصيانه واما المسخية قالت ان النور كان وحده نورا محضا ثم امتزج بعضه
فصار ظلمة وكذلك الخرمية قالوا باصلين ولهم ميل الى التناسخ والحلول وهم لا يقولون
باحكام حرام وحلال ولقد كان في كل امة من الامم قوم مثل الاباحية والمزدكية والزنادقة
والقرامطة كان تشويش ذلك الدين منهم وفتنة الناس مقصودة عليهم ومن ذلك

الزرادشتية

اصحاب زرادشت
بن بورشسب الذي ظهر في زمان كشتاسف بن لهراسب الملك وابوه كان من آذربيجان وامه
من الري واسمها دغدو وزعموا ان ابنه ملوكا كيومرث وكان اول من ملك الارض وكان مقيما
باصطخر وبعده اوشهنج بن فراول ونزل ارض الهند وكانت له دعوة ثم وبعده طهمورث وظهرت
الصابية في اول سنة من ملكه وبعده اخوه جم الملك ثم بعده انبياء وملوكهم منهم منوجهر
ونزل بابل واقام بها وزعموا ان موسى ظهر في زمانه حتى انتهى الملك الى كشتاسف بن لهراسب وظهر
في زمانه زرادشت الحكيم زعموا ان الله عز وجل خلق من وقت ما في الصحف الاولى والكتاب الاعلى
من ملكوته خلقا روحانيا فلما مضت ثلثة آلاف سنة انفذ مشيئته في صورة من نور مثلا الى
على تركيب صورة الانسان واحف به سبعين من الملائكة المكرمين وخلق الشمس والقمر والكوكب
والارض وبني آدم غير متحركة ثلاثة آلاف سنة ثم جعل روح زرادشت في شجرة انشاها في اعلى عليين
وغرسها في قلة جبل من جبال آذربيجان يعرف باسمويذخر ثم مازج روح زرادشت بلبن بقرة فشربه ابو
زرادشت فصار نطفة ثم مضغة في رحم امه فقصدها الشيطان وغيرها فسمعت امه نداء من
السماء فيه دلالة على برئها فبرأت ثم لما ولد ضحك ضحكة تبينها من حضر واحتالوا على ابي
زرادشت حتى وضعوه بين ملاحة البقر وملاحة الخيل وملاحة الذئب فكان ينهض كل واحد منهم
بحاية من جنسه ونشأ بعد ذلك الى ان بلغ ثلثين سنة فبعثه الله تعالى نبيا ورسولا الى الخلق

الجوم

الحرمدينية

تعالى

فدعا الشامات الملك فاجابه الى دينه وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واجتناب الفحشاء وقال النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك يزدان
واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور من
التراكيب المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد
ولا ند ولا يجوز ان ينسب اليه وجود الظلمة كما قالت الزروانية لكن الخير والشر والصلاح و
الفساد والطهارة والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود
العالم وسماه نفسا وما ويتعالى البارى الى ان يغلب النور والظلمة والخير والشر ثم يتخلص الخير الى
عالمه والشر يهبط الى عالمه وذلك هو سبب الخلاص والباري تعالى امزجهما وخلطهما لحكمة
راها في التركيب وربما جعل النور اصلا وقال وجوده وجود واما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة
الى الشخص فانه يرى انه موجود وليس بموجود حقيقة فابدع النور وحصل الظلام تبعا لان
من ضرورة الوجود التضاد فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الاول كما ذكرنا في الشخص
والظل ولكتاب قد صنفه وقيل انزل في ذلك عليه وهو زند وستا يقسم العالم قسمين منه
وكيتي يعني الروحاني والجسماني والروح والشخص وكما قسم الخلق الى عالمين يقول انما في العالم قسم
قسمين بخشش وكنش يريد به التقدير والفعل وكل واحد مقدر على الثاني ثم يتكلم في
التكليف وهي حركات الانسان فيقسمها ثلثة اقسام منش وكويش وكنش يعني بذلك الاعتقاد
والقول والعمل وبالثلثة يتم التكليف فاذا قصر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة واذا
جرى في هذه الحركات على مقتضى الامر والشريعة فاز الفوز الاكبر وتدعى الزرادشتية له
له معجزات كثيرة منها دخول قوائم فرس كشتاسف في بطنه وكان زرادشت في الجبل
فاطلق قوائم الفرس ومنها انه رأى اعمى بدينور فقال خذوا حشيشة وصفها لهم واعصروا
ماءها في عينه فانه يبصر ففعلوا فابصر الاعمى فهذا من جملة معرفته بخاصية الحشيشة و
وليس من المعجزات في شيء ومن المجوس الزرادشتية صنف يقال لهم السيسانية والبهافريدية
رئيسهم رجل من سيستان بسابور يقال له اخواف خرج ايام ابي مسلم صاحب الدولة
وكان زمن ميلاده الاصل بعد انيران ثم ترك ذلك ودعى المجوس الى ترك الزمزمة
ورفض عبادة النيران ووضع لهم كتابا وامرهم بارسال الشعور وحرم الامهات والبنات
والاخوات وحرم عليهم الخمر وامرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة وهم يتخذون

حقيقي صح

فما تطلق صح

Digitized by Google

الرباطات ويتباذلون الاموال ولا ياكلون الميتة ولا يذبحون الحيوان حتى يهرم وهم اعداء خلق الله
للمجوس الزمازمة ثم ان مؤبد المجوس رفعه الى ابي مسلم فقتله على باب الجامع بنيسابور وقال اصحابه
انه صعد الى السماء على برذون اصفر وانه سينزل على البرذون فينتقم من اعدائه وهؤلاء قد اقروا
بنبوة زرادشت وعظموا الملوك الذين عظمهم زرادشت ومما اخبر به زرادشت في كتاب
زندوستا قال سيظهر في اخر الزمان رجل اسمه اشيذربكا ومعناه الرجل العالم يزين العالم
بالدين والعدل ثم يظهر في زمانه بتياره فيوقع الافة في امره وملكه عشرين سنة ثم يظهر بعد
ذلك اشيذربكا على اهل العالم ويحيي العدل ويميت الجور ويرد السنن المغيرة الى اوضاعها
الاول وينقاد له الملوك ويتيسر له الامور وينصر الدين الحق ويحصل في زمانه الامن والدعة
وسكون الفتن وزوال المحن وقد نقل الجبهاني في مقالة من مقالات زرادشت في المبادي
ان دين زرادشت هو الدعوة الى دين مارستان وان معبوده اورمزد والملائكة المتوسطون في رسالاته
اليه بهمن واردي بهشت وشهريور واسفندارمذ وخرداد ومرداد وقد راهم زرادشت و
استفاد منهم العلوم وجرت مسائلات بينه وبين اورمزد من غير توسط اولها قال زرادشت
ما الشيء الذي كان ويكون وهو الان موجود قال اورمزد انا والدين والكلام اما الدين فعمل
اورمزد وايمانه واما الكلام كلامه والدين افضل من الكلام اذ العلم افضل من القول واول
من ابدع من الملائكة بهمن وعلمه الدين وخصه بموضع النور مكانا واقنعه بذاته اداة فالمبادي
على هذا الراي ثلثة السؤال الثاني قال لم يخلق الاشياء كلها في زمان غير متناه اذ قد جعلت
الزمان نصفين نصفه متناه ونصفه غير متناه فلو خلقها في زمان غير متناه كان لا يستحيل
شيء منها قال اورمزد فاذا كان لا يمكن ان تفنى اثار الاثيم ابليس الثالث قال مماذا خلقت هذا
العالم قال اورمزد خلقت جميع هذا العالم من نفسي اما انفس الابرار فمن شعري واما السماء
فمن ام راسي والظفر والمعاضدة من جبهتي والشمس فمن عيني والقمر من انفي والكواكب من
لساني وسروش وسائر الكواكب من اذني والارض من عصب رجلي واريت هذا الدين اولا كيومرث
فشعر به وحفظه من غير تعلم ودراسة قال زرادشت فلم اريت هذا الدين كيومرث بالوهم
والقيت الي بالقول قال اورمزد لانك تحتاج ان تتعلم هذا الدين وتعلمه غيرك وكيومرث
لم يجد من يسئله فامسك عن التعلم وهذا خير لك لاني اقول لك وانت تسمع وانت
تقول والناس يسمعون ويقبلون فقال له هل اريت هذا الدين احدا قبلي غير كيومرث قال

بلى

بلى اريت هذا الدين هل تجسما من اجل انكاره الضحاك قال اذا كنت علمت انه لا يقبله فلما
فا اريته قال لو لم اره لما صدقتا اليك وقد اريته ايضا اوريدن وكيكاوس وكيقباد وكرشاسب
قال زرادشت خلقك العالم وتروج بحلك الدين لماذا قال لان فناء العقربت لا يمكن الا
بخلق العالم وترويج الدين ولو لم يتزوج امر الدين لما امكن ان يتزوج امور العالم فلما اخذ زرادشت
الدين من اورمزد لوهاو استحكمه وعمل به وزمزم في بيت ابيه عليه السلام لك كون الانبياء واقامه
اذ كان شهرا ممتلئا موتا وظلمة وبلاء ومحنة فدعا شيا طينه واسماؤهم بروى ديو انياج ديو
بمان ديوسن فريفتار ديو وامرهم جميعا بالمسير الى زرادشت وقتله فعلم زرادشت بذلك ففزع
وزمزم واراق الماء بدين مارستان فانهزموا عنه مقهورين وجرت محاربات اخرى فهزمهم
زرادشت باحدى وعشرين اية من استا وتوارت الشياطين عن الناس فلما بلغ زرادشت مبلغ
الكمال باربعين سنة وتمت له المخاطبات في سبع دولات الى اورمزد اكد معرفة شرايع الكمل
دين الله وفرائضه وسننه فامره الله بالمسير الى بشتاسف الملك واظهار ذكر الله و
اسمه فنفذ امر الله تعالى ودعا الملكين كانا بذلك الصقع يقال لهما بوديماراى وبريدست
فدعاهما الى ذات الله والكفر بالشيطان وفعل الخير واجتناب الشر فلم يقبلا قوله واخذتهما
الغيرة فجاءتهما ريح فحملتهما من الارض ووقفت بهما في الهواء واجتمع الناس ينظرون اليهما
فغشيهما الطير من كل ناحية واتوا على لحومهما وسقطت عظامهما الى الارض ولما بلغ بشتاسب
لقي منه كل ما انباه اورمزد من الحبس والبلاء حتى حدث امر الفرس الذي دخلت قوائمه في باطن
بدنه حتى لم يرا اثرها في جسده واستبهم حاله على الناس وتحيروا فاخرجه بشتاسب من الحبس و
سئله الحال فقال ثلاث اية من ايات صدقي الذي اخبرني به الهي وخالقي وشارطهم على الايمان به
ان دعا واخرج قوائم الفرس كما كانت فامن به بشتاسب وامر بجمع علماء اهل زمانه من بابل و
ايران شهر وامرهم بمجاورة زرادشت فناظروه واعترفوا له بالفضيلة قال وما جاء به
زرادشت المصطفى من دين مارستان ان الهه اورمزد لم يزل معه شيء سماه استى استيه
وهو نير مضيء حوله وهو فوق وان ابليس لم يزل ولم يزل معه شيء سماه استى استيه
وهو مظلم حوله اسفل واول من خلق من الملائكة بهمن ثم اردى بهشت ثم شهريور ثم
اسفندارمذ ثم خرداد ثم مرداد وخلق بعضهم من بعض كما تؤخذ السراج من السراج من غير
ان ينقص من الاول شيء وقال لهم من ربكم وخالقكم قالوا انت ربنا وخالقنا وعلم اورمزد

Digitized by Google

ان ابليس سيتحرك من ظلمة فاعلم ذلك الملائكة وبدا باعداد ما يورطه ويدفع شره وارادته فخلق
السماء في خمسة واربعين يوما وسماه كاهنبار شورم ومعناه ظهور ضماير اهل الدنيا الى
سائر الكاهنبارات المذكورة عندهم وخلق الارض في خمسة واربعين يوما واول من اتبعته اورمزد
الى الارض في خمسة واربعين كيومرث وقد كان يستنشق السم ثلاثة آلاف سنة ثم اخرجه في
قامة ثلثة رجال ولما ان جاء وقت تحريك ابليس في ظلمته ارتفع وراى النور وطمع في الاستيلاء
على استي اورمزد وتصيرها ظلمة ودخل السماء بكيد وبم الكيومرث ثلثون سنة وصارت نطفته
ثلاثة اقسام قسم امر الله الارض بحفظه وقسم امر سروش الملك بحفظه وثلث احتفظه
الشيطان وامر اورمزد بسد الثقوب التي صعد منها ابليس فبقي داخل السماء منقطعا عن اهله
وقومه لمنابذة اورمزد ورام الصعود الى الجنان فدفعه عن ذلك قدر ثلثة آلاف سنة ثم اعلمه الف
انه يسعى في الباطل والخسار ويروم ما لا يقدر عليه فاتفق الامر بينهما على ان يبقى ابليس وجنوده
في قرار الضوء تسعة الاف سنة ويروى سبعة آلاف سنة ثم يبطل ويحتمل خلقه الاذى في هذه
السنين ويصيرون عليه بما ينالهم من الفقر والبلاء والموت وساير الآفات ليعوضهم عنها
الحيوة الدائمة في الجنان فاشترط ابليس لنفسه ولشياطينه ثمانية عشر شرطا الاول ان يصير
معيشة خلقه من خلق الله الثاني ان يكون ممن خلقه على خلق الله الثالث ان يسلط خلقه على خلق
الله الرابع ان يخلط جوهر خلقه بجوهر خلق الله الخامس ان يصير له السبيل الى ان ياخذ الطين
الذي في خلق الله السادس ان يصير له من النور الذي في خلق الله بما يريد السابع ان يصير له من الزاج
التي في خلق الله التاسع ان يصير له من النار التي في خلق الله العاشر ان يصير له من المودة و
والمصاهرة التي في خلق الله ليخلط الاخيار بالاشرار الحادي عشر ان يصير له من العقل والبصر
الذي في خلق الله ليعرف خلقه مسالك المنافع والمضار الثاني عشر ان يصير له من العدل
الذي في خلق الله ليجعل للاشرار فيه نصيبا الثالث عشر ان يخفى على الناس معرفة عمل الصالحين
والاشرار الى يوم القيمة الرابع عشر ان يصير له السبيل الى ان يبلغ باهل بيت الشرارة و
الخبث غاية الغنى والدرجات ويصيرهم عند الناس صالحين الخامس عشر ان يصير له السبيل
الى ان يجعل كذب الاشرار مقبولا على الاخيار السادس عشر ان يصير له السبيل الى ان يعمر من
اهل الدنيا من اراد من خلقه الف سنة او ثلثة الف اغنياء اقويا قادرين على ما يريدون
وان يلهم الناس حتى يكونوا باعطاء الاشرار اسخى منهم باعطاء الصالحين واطيب نفسا

Digitized by Google

السابع عشر ان يصير له سبيل الى فناء اهل بيت الصالحين حتى لا يعرف منه عهده بعد ثلثمائة
وخمسين سنة الثامن عشر ان يهلك امر من يحيي الموتى ويبقى الاخبار الى يوم القيمة فتمت البيعة
واقاما عليها واشهد الملئكة ووقعا سيفهما الى عدلين ليقبلا من رجع عن شرطه وامر الله
الشمس والقمر والكواكب ان تجري بمعرفة الايام والشهور والاعوام التي جعلها عدة الانظار و
الامهال ومما نص عليه زرادشت ان للعالم قوة الهية هي المدبرة لجميع ما في العالم المنتهية
مباديها الى كمالاتها وهذه القوة تسمى مساسيند وهي على لسان الصابية المدبر الاقرب
وعلى لسان الفلاسفة العقل الفعال ومنه الفيض الالهي والعناية الربانية وعلى لسان
المانوية الارواح الطيبة وعلى لسان العرب الملائكة وعلى لسان الشرع والكتاب الهي
الروح تنزل الملئكة والروح فيها

الثنوية

هؤلاء اصحاب الاثنين الازليين يزعمون ان النور والظلمة ازليان قديمان بخلاف المجوس
فانهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما
في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والاجساد والابدان والارواح ومن ذلك

المانوية

اصحاب ماني بن فاتر الحكيم الذي
ظهر في زمن شابور بن اردشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور وذلك بعد عيسى عليه السلم اخذ دينا
بين المجوسية والنصرانية فكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى عليهما السلام حكى محمد بن هرون
المعروف بابن عيسى الوراق وكان في الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم ان الحكيم ماني زعم ان
العالم مصنوع مركب من اصلين قديمين احدهما نور والاخر ظلمة وانهما ازليان لم يزلا ولا يزالا
وانكر وجود شيء لا من اصل قديم وزعم انهما لم يزالا قوتين حساسين دراكين سميعين بصيرين
وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص
والظل وانما يتبين جواهرهما وافعالهما في هذا الجدول

الظلمة

الجوهر
جوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن
الريح
قبيح المنظر

النور

الجوهر
جوهره حسن فاضل كريم صاف نقي طيب الريح
حسن المنظر

النفس

نفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارة جاهلة

النفس

نفسه خيرة كريمة حكيمة نافعة عالمة

الفعل

فعله الخير والصلاح والنفع والسرور والنظام والتركيب والاتفاق

الحيز

جهة فوق واكثرهم على انه مرتفع من ناحية الشمال وزعم بعضهم انه بجنب الظلمة

اجناسه خمسة

اربعة منها ابدان والخامس روحها فالابدان هي النار والنور والريح والماء وروحها النسيم وهي تتحرك في هذه الابدان

الصفات

حية خيرة طاهرة زكية

وقال بعضهم كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له ارض وجو فارض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الارض بل هي على صورة جرم الشمس وشعاعها كشعاع الشمس ورايحتها طيبة اطيب رايحة والوانها الوان قوس قزح وقال بعضهم لا شيء الا الجسم والاجسام على ثلثة انواع ارض النور وهي جسمه وهناك جسم اخر وهو الطف منه وهو الحر وهو نفس النور وجسم اخر هو الطف منه وهو النسيم وهو روح النور وقال لم يزل يولد الملئكة والهة واوليا ليس على سبيل المناكحة بل كما يتولد الحكمة من الحكيم والنطق الطيب من الناطق وملك ذلك العالم هو روحه ويجمع عالمه الخير والحمد والنور

الفعل

فعلها الشر والفساد والضرر والغم والتشويش والتبشير والاختلاف

الحيز

جهة تحت واكثرهم على انها منحطة من ناحية الجنوب وزعم بعضهم انها بجنب النور

اجناسها خمسة

اربعة منها ابدان والخامس روحها فالابدان هي الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وهي تدعى الهمام وهي تتحرك في هذه الابدان

الصفات

خبيثة شريرة نجسة دنسة

وقال بعضهم كون الظلمة لم تزل على مثال هذا العالم لها ارض وجو فارض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الارض بل هي اكثف واصلب ورايحتها كريهة انتن الروايح والوانه الوان السواد وقال بعضهم ولا شيء الا الجسم والاجسام على ثلثة انواع ارض الظلمة وجسم اخر الظلم فيها وهو السموم قال ولم تزل تولد الظلمة شياطين واراكنة وعفاريت لا على سبيل المناكحة بل كما تتولد الحشرات من العفونات القذرة قال وملك ذلك العالم هو روحه ويجمع عالمه الشر والذميمة والظلمة

ثم

ثم اختلفت الملك النورية في المزاج وسببه والخلاص وسببه

بالبحث

قال بعضهم ان النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار وقال اكثرهم
ان سبب الامتزاج ان ابدان الظلمة لما تحركت بسبب روحها بعض تشاغل فنظرت الروح فرأت النور
فبعثت الابدان على مزاحمة النور فاحاطتها لاسراعها الى الشر فلما راى ذلك ملك النور وجه اليها
ملكا من ملائكته في خمسة اجزاء من اجناسها الخمسة فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلمانية
فخالط الدخان النسيم وانما الحياة والريح في هذا العالم من النسيم والهلاك والافات من الدخان
وخالط الحر النار والنور والظلمة والسموم الريح والعفونات الماء فما في العالم من منفعة وخير
وبركة فمن اجناس النور وما فيه من مضرة وشر ونقصان فمن اجناس الظلمة فلما راى ملك النور الامتزاج
امر ملكا من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ليتخلص اجناس النور من اجناس الظلمة
وانما صارت الشمس والقمر وسائر النجوم لاستصفاء اجزاء الظلمة فالشمس تستصفي النور الذي

النور من اجزاء

امتزج بشياطين الحر والقمر يستصفي النور الذي امتزج بشياطين البرد والنسيم الذي في
الارض لا يزال يرتفع لان من شانها الارتفاع الى عالمها وكذلك جميع اجزاء النور ابدا في الصعود
والارتفاع واجزاء الظلمة ابدا في النزول والتسفل حتى تتخلص الاجزاء من الاجزاء ويبطل الامتزاج

كل الى

ويتحلل التركيب ويصل كله وعالمه وذلك هو القيامة والمعاد قال ومما يعين في التخليص والتمييز
ورفع اجزاء النور التسبيح والتقديس والكلام الطيب واعمال البر فيرتفع بذلك الاجزاء النورية
في عمود الصبح الى فلك القمر فلا يزال القمر يقبل ذلك من اول الشهر الى النصف فيمتلئ فيصير
بدرا ثم يؤدي الى الشمس الى آخر الشهر فتدفع الشمس الى النور فوقها فيجري في ذلك العالم الى ان يصل
الى النور الاعلى الخالص ولا يزال يفعل ذلك حتى لا يبقى من اجزاء النور شيء في هذا العالم فقدر
ليس منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه فعند ذلك يرتفع الملك الذي يحمل الارض
ويدع الملك الذي يجتذب السموات فيسقط الاعلى على الاسفل ثم يوقدنا رحى فيضطرم الاعلى
والاسفل ولا يزال يضطرم حتى يتحلل ما فيهما من النور ويكون مدة الاضطرام الفا واربعمائة
وثمانين سنة وذكر ما في باب الالف من الجملة وفي اول الشابرقان ان ملك عالم النور

الحكيم

في كل ارضه لا يخلو منه شيء وانه ظاهر وباطن وانه لا نهاية له الا من حيث تناهي ارضه الى ارض عدوه
وقال ايضا ان ملك عالم النور في سرة ارضه وذكر ان المزاج القديم هو امتزاج الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة والمزاج المحدث الخير والشر وقد فرض ما في علم اصحاب العشر في الاصول كلها

والسواد

والصلوات الاربع في اليوم والليلة والدعاء الى الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل
والسحر وعبادة الاوثان وان ياتي على ذي روح ما يكره ان يؤتى اليه بمثله واعتقاده في الانبيا
والشرايع ان اول من بعث الله بالعلم والحكمة ادم اول البشر ثم شيث بعده ثم نوح بعده ثم ابرهيم بعده
ثم بعث بالبدرة الى ارض الهند وزرادشت الى ارض فارس والمسيح كلمة الله وروحه الى ارض الروم
والمغرب وفولس بعد المسيح اليهم ثم ياتي خاتم النبيين الى ارض العرب وزعم ابو سعيد المانوي
رئيس من رؤسائهم ان الذي مضى من المزاج الى الوقت الذي هو فيه وهو سنة احدى وسبعين
ومائتين من الهجرة احد عشر الفا وسبعمائة سنة وان الذي بقي الى وقت الخلاص ثلثمائة سنة فعلى
مذهبه مدة المزاج اثنى عشر الف سنة فيكون قد بقي من المدة خمسون سنة من زماننا هذا وهو احدى
وخمسون وخمسمائة هجرية فنحن في اخر المزاج وبدو الخلاص فالى الخلاص الكلي وانحلال التركيب خمسون
سنة والله اعلم **المزدكية** هو مزدك الذي
ظهر في ايام قباد والد نوشروان ودعا قباد الى مذهبه فاجابه واطلع نوشروان على خزيه وافترائه
فوجده وقتله حكى الوراق ان قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والاصلين الا
ان مزدك كان يقول ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق
والنور عالم حساس والظلمة جاهل اعمى وان المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار
وكذلك الخلاص انما يقع بالاتفاق دون الاختيار وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة
والقتال ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال فاحل النساء واباح الاموال
وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء وحكي عنه انه امر بقتل الانفس
ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة ومذهبه في الاصول والاركان انها ثلثة الماء والارض والنار
ولما اختلطت عنها مدبر الخير ومدبر الشر فما كان من صفوها فهو مدبر الخير وما كان من كدرها
فهو مدبر الشر وروي عنه ان معبوده قاعد على كرسيه في العالم الاعلى على هيئة قعود خسرو في العالم
الاسفل وبين يدي اربع قوى قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور كما بين يدي خسرو اربعة اشخاص
موبذان والهربذ الاكبر والاصفهبذ والرامشكر وتلك الاربع يدبرون امر العالمين بسبعة
من وزرائهم سالار وپيشكار وبالوث وبروان وكاردان ودستور وكودك وهذه السبعة
تدور في اثنى عشر من الروحانيين خواننده دهنده ستاننده برنده خورنده دونده خيزنده
كشنده زننده كننده آينده شونده پاينده وكل انسان اجتمعت له هذه القوى الاربع والسبعة

حدث م

موبد م

والاثنى عشر

Digitized by Google

والاثنى عشر ربانيا في العالم السفلي وارتفع عنه التكليف فان وارخصه في العالم الاعلى انما هو بالحروف
التي مجموعها الاسم الاعظم ومن تصور من تلك الحروف شيئا فتح له السر الاكبر ومن حرم ذلك بقي في
الجهل والنسيان والبلادة والغم في مقابلة القوى الاربع الروحانية وهم قرون الكروبية
وابو مسلمية والماهانية والاسبيدجامكية والكوزكية بنواحي الاهواز وفارس وشهرزور
والاخر بنواحي بغداد سمرقند وشاش وابلاق

الدكصانية ومن ذلك

اصحاب دكصان اثبتوا اصلين نورا وظلاما فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل
الشر جبرا واضطرارا فما من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما من شر وضر وفتن وقبح فمن
الظلام وزعموا ان النور حي عالم قادر حساس وذلك ومنه يكون الحركة والحيوة والظلام ميت جاهل عاجز
جامد موات لا فعل له ولا تمييز وزعموا ان الشر يقع منه تبعا وخرقا وزعموا ان النور جنس واحد وكذلك
الظلام جنس واحد وان ادراك النور ادراك وان سمعه بصره وسائر حواسه شيء واحد فسمعه هو بصره
وبصره هو حواسه وانما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لانهما في نفسهما شيئان مختلفان وزعموا
ان اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو الجسم وانما وجد لونا لان الظلمة خالطته ضربا من المخالطة و
وجد طعما لانها خالطته بخلاف ذلك الضرب وكذلك يقولون في لون الظلمة وطعمها ورائحتها
ومجسها وزعموا ان النور بياض كله وان الظلمة سواد كلها وزعموا ان النور لم يزل يلقي الظلمة
ما سفل صفحته منه وان الظلمة لم تزل تلقي النور بما على صفحة منها واختلفوا في المزاج والخلاص
فزعم بعضهم ان النور داخل الظلمة والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتاذى بها واحب ان يرفعها
ويلبسها ثم يخلص منها وليس ذلك لاختلاف جنسهما ولكن كما ان الغشاء جنسه جديد وصفحته لينة
واسنانه خشنة فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بلينه حتى يدخل
لئلا تفرج فما امكنه الا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول الى كمال وجود الا بلين وخشونة
وقال بعضهم بل الظلام لما اختلط حتى تشبث بالنور من اسفل صفحته فاجتهد النور حتى يتخلص
منها ويدفعها عن نفسه فاعتمد عليه فلجج فيه وذلك بمنزلة الانسان الذي يريد الخروج من وحل
وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد تحوجا فيه فاحتاج النور الى زمان يعالج التخلص منه
والتفرد بعالمه وقال بعضهم ان النور انما دخل الظلام اختيارا ليصلحها ويستخرج منه اجزاء
صالحة لعالمه فلما دخل تشبث به زمانا فصار يفعل الجور والقبيح اضطرارا لا اختيارا ولو

طباعا متفق به

انفرد في عالمه ما كان يحصل منه الا الخير المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الضروري
وبين الفعل الاختياري ومن ذلك

المرقونية

اثبتوا اصلين
قديمين متضادين احدهما النور والثاني الظلمة واثبتوا اصلا ثالثا هو المعدل الجامع
وهو سبب المزاج فان المتضادين المتنافرين لا يمتزجان الا بجامع وقالوا الجامع دون النور
في المرتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم ومنهم من يقول الامتزاج
انما حصل بين الظلمة والمعدل اذ هو قريب منها فامتزج بها لتطيب به وتلذذ بملاذه
فبعث النور الى العالم الممتزج روحا مسيحية وهو روح الله فما منه تحننا على المعدل السليم
الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتى يخلصه من حبائل الشياطين فمن اتبعه ولم يلامس النساء
ولم يقرب الزهومات افلت ونجا ومن خالفه خسر وهلك وقالوا وانما اثبتنا المعدل لان نور
الذي هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان وايضا فان الضدين يتنافران طبعا ويتمانعان ذاتا ونفسا فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلا بد من معدل يكون منزلته دون منزلة
النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه وهذا على خلاف ما قاله المانوية وان كان ديصان اقدم
وانما اخذ ماني منه مذهبه وخالفه في المعدل وهو ايضا خلاف ما قال زرادشت فانه
يثبت المتضادين النور والظلمة والمعدل يثبت كالحاكم على الخصمين الجامع بين المتضادين لا
يجوز ان يكون طبعه وجوهره من احد الضدين وهو الله عز وجل وهو الله عز وجل لا ضد له ولا ند الذي
وقد حكى محمد بن شبيب عن الديصانية انهم زعموا ان المعدل هو الانسان الحساس الدراك
اذ ليس هو بنور محض ولا ظلام محض وحكى عنهم انهم يرون المناكحة وكل ما فيه منفعة لبدنه
وروحه يحترزون عن ذبح الحيوان لما فيه من الالم وحكى عن قوم من الثنوية ان النور والظلمة حرامك
لم يزالا حيين الا ان النور حساس عالم والظلام جاهل اعمى والنور كان يتحرك حركة مستوية
مستقيمة والظلام يتحرك حركة عجرفية معوجة خرقاء فبينا هما كذلك اذ هجم بعض هامات
الظلام على حاشية من حواشي النور فابتلع النور منه قطعة على الجهل لا على القصد والعلم وذلك
كالمطفل الذي لا يفصل بين الجمرة والتمرة فكان ذلك سبب المزاج ثم ان النور الاعظم دبر في
الخلاص فبنى هذا العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ولم يمكنه استخلاصه الا بهذا التدبير

الكينونية والصيامية

واصحاب التناسخ منهم حكى جماعة من المتكلمين ان الكينونية زعموا ان الاصول ثلثة النار والارض

والماء وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين الذين اثبتهما الثنوية قالوا والنار
يطبعها خيرة نورانية والماء ضدها في الطبع فما رايت من خير في هذا العالم فمن النار وما كان
من شر فمن الماء والارض متوسطة وهؤلاء يتعصبون للنار شديدا من حيث انها علوية نورانية
لطيفة لا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها والماء يخالفها في الطبع فيخالفها في الفعل والارض
متوسطة بينهما فتركب العالم من هذه الاصول والصيامية منهم امسكوا عن طيبات الرزق وتجردوا
لعبادة الله تعالى وتوجهوا في عباداتهم الى النيران تعظيما لها وامسكوا ايضا عن النكاح والذبائح
والتناسخية منهم قالوا بتناسخ الارواح في الاجساد والانتقال من شخص الى شخص وما يلقى
من الراحة والتعب والدعة والنصب فمرتب على ما اسلفه قبل وهو في بدن اخر جزاء على ذلك
والانسان ابدا في احد امرين اما في فعل واما في جزاء وما هو فيه مكافاة على عمل قدمه واما على
عمل ينتظر المكافاة عليه والجنة والنار في هذه الابدان واعلى عليين درجة النبوة واسفل
السافلين دركة الحية فلا وجود اعلى من درجة الرسالة ولا وجود اسفل من دركة الحية ومنهم من
يقول الاعلا درجة الملئكة والاسفل دركة الشيطانية ويخالفون بهذا المذهب سائر الثنوية
فانهم يعنون بايام الخلاص رجوع اجزاء النور الى عالمه الشريف الحميد وبقاء اجزاء الظلام في عالمه
الخسيس الذميم واما بيوت النيران للمجوس فاول بيت بناه افريدون بيت نار بطوس واخر بمدينة
بخارا هو بردسون واتخذ بهمن بيتا بسجستان يدعى كركوا ولهم بيت نار في نواحي يدعى قباذان وبيت
نار يسمى كنكدز بناه سياوش في مشرق الصين واخر بارجان من فارس اتخذه ارجان جد كشتاسب
وهذه البيوت كانت قبل زرادشت ثم جدد زرادشت بيت نار بنيسابور واخر بنسا وامر
كشتاسب ان تطلب النار التي كانت يعظمها جم فوجدوها بمدينة خوارزم فنقلها الى دار ابجرد
وتسمى آذرجوا والمجوس يعظمونها اكثر من غيرها وكيخسرو لما خرج الى غزو افراسياب عظمها وسجد لها
ويقال ان نوشروان هو الذي نقلها الى كرمان فتركوا بعضها وحملوا بعضها الى نسا وفي بلاد الروم
على باب قسطنطينية بيت نار اتخذه شابور بن اردشير فلم يزل كذلك الى ايام المهدي وبيت نار باسفينيا
على قرب مدينة السلم لتوران بنت كسرى وكك بالهند والصين بيوت نيران واما اليونانيون
فكان لهم ثلث ابيات ليست فيها نار وذكرناها والمجوس انما يعظمون النار لمعان منها انها
جوهر شريف علوي ومنها انها ما احرقت الخليل ابرهيم ع ومنها ظنهم ان التعظيم ينجيهم في المعاد
عن عذاب النار وبالجملة هي قبلة لهم ووسيلة واشارة انتهى ذكر اصناف الملل

بخارا م

كويسه بين فارس و
اصبهان بناه كيخسرو
اخر بقومس يسمى جرير
وبيت نار م

اهل

بسم الله الرحمن الرحيم

اهل

الاهواء والنحل وهؤلاء يقابلون ارباب الديانات تقابل التضاد كما ذكرنا واعتمادهم على الفطرة
السليمة والعقل الكامل والذهن الصافي فمن معطل بطال لا يرد عليه فكره برادة ولا يهديه عقله
ونظره الى اعتقاد ولا يرشده فكره وذهنه الى معاد قد الف المحسوس وركن اليه وظن انه لا عالم الا
ما هو فيه من مطعم شهي ومنظر بهي ولا عالم وراء العالم المحسوس وهؤلاء هم الطبيعيون الدهريون
لا يثبتون معقولا ومن محصل نوع تحصيل قد ترقى عن المحسوس واثبت المعقول لكنه لا يقول
بحدود واحكام وشريعة واسلام ويظن انه اذا حصل المعقول واثبت للعالم مبدأ ومعادا
وصل الى كمال المطلوب من جنسه فتكون سعادته على قدر احاطته وعلمه وشقاوته بقدر
سفاهته وجهله وعقله هو المستبد بتحصيل هذه السعادة ووضعه هو المستعد
لقبول تلك الشقاوة وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون قالوا والشرائع واصحابها امور
مصلحية عامية والحدود والاحكام والحلال والحرام امور وضعية واصحاب الشرائع رجال لهم
احكام علمية وربما يؤيدون من عند واهب الصور باثبات الاحكام ووضع حلال وحرام مصلحة
للعباد وعمارة للبلاد وما يخبرون عنه من الامور الكائنة في الحال من احوال الروحانيين من
الملائكة والعرش والكرسي والقلم واللوح انما هي امور معقولة لهم قد عبروا عنها بصورة خيالية
جسمانية وكذلك ما يخبرون من احوال المعاد من الجنة والنار مثل قصور وانهار وطيور وثمار
في الجنة فهي ترغيبات للعوام الى ما تميل اليه طباعهم وسلاسل واغلال وخزي ونكال فترهيبات
للعوام بما ينزجرون به والا ففي العالم العلوي لا يتصور اشكال جسمانية وصورة جرمانية وهذا
احسن ما يعتقدونه في الانبياء عليهم السلم لست اعني بهم الذين اخذوا علومهم عن مشكاة
النبوة وانما اعني هؤلاء الذين كانوا في الزمن الاول دهرية وحشيشية وطبيعية والهية وقد
اغتروا بحكمهم واستقلوا باهوائهم وبدعهم ثم يتلوهم ويقرب منهم قوم يقولون بحدود واحكام
عقلية وربما اخذوا اصولها وقوانينها من مؤيد بالوحي الا انهم اقتصروا على الاول منهم وما تعدوا
الى الاخر وهؤلاء هم الصابئة الاولى الذين قالوا بعاذيمون وهرمس وهماشيث وادريس عليهما السلام
ولم يقولوا بغيرهما من الانبياء والتقسيم الضابط ان نقول من الناس من لا يقول بمحسوس ولا بمعقول
وهم السوفسطائية ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعية ومنهم من
يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود واحكام وهم الفلاسفة الدهرية ومنهم من يقول

فيه اختلاف بين الطبيعيين والدهريين

فيه ايماء الى ان الحكمة اليقينية بدؤها من شيث وادريس عليهما السلام والصابئة الاولى اقتصروا عليها

ضابط تقسيم اهل التحقيق والجدل على الاجمال بالمحسوس

بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بالشريعة والاسلام وهم الصابية ومنهم من يقول بهذه
كلها وبشريعة ماوا سلام ولا يقول بشريعة المصطفى عليه السلام وهم اليهود والمجوس والنصارى
ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون ونحن قد فرغنا عمن يقول بالشرايع والاديان فنتكلم الان فيمن
لا يقول بها ويستبد برايه وهو يرى في مقابلتهم نعوذ بالله

الصابية

من ذلك
قد ذكرنا ان الصبوة في مقابلة الحنيفية وفي اللغة صبا الرجل اذا زاغ ومال فيحكم ميل هؤلاء
عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الانبياء قيل لهم الصابية وقد يقال صبا الرجل اذا عشق وهو
وهم يقولون الصبوة الانحلال عن قيد الرجال وانما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين
كما ان مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين والصابية تدعى ان مذهبنا هو الاكتساب
والحنفاء تدعى ان مذهبنا هو الفطرة فدعوة الصابية الى الاكتساب ودعوة الحنفاء الى الفطرة

اصحاب

الروحانيات وفي العبارة لغتان روحاني بالرفع من الروح وروحاني بالنصب من الروح والروح
والروح متقاربان فكان الروح جوهر والروح حالته الخاصة به ومذهب هؤلاء ان للعالم صانعا
حكيما فاطرا معتدلا عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما
نتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا
وحالة اما الجوهر فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرؤن عن القوى الجسدانية المنزهون عن
الحركات المكانية والتغيرات الزمانية قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما ارشدنا الى هذا معلمنا الاول عاذ بمون وهم مس
فنحن نتقرب اليهم ونتوكل عليهم ونعم اربابنا وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند رب الارباب
واله الالهة فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب اخلاقنا
عن علائق القوى الشهوية والغضبية حتى يحصل بيننا وبين الروحانيات
مجانسة فنسئل حاجاتنا منهم ونعرض احوالنا عليهم ونصبو في جميع امورنا اليهم فيشفعون لنا
الى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم وهذا التطهير والتهذيب لئن يحصل الا بالكشايات
والرياضات وفطامنا انفسنا عن ذبيحات الشهوات باستمداد من جهة الروحانيات والاستمداد
هو التضرع والابتهال بالدعوات واقامة الصلوات وبذل الزكوات والصيام عن المطعومات
والمشروبات وتقريب القرابين والذبايح وتبخير البخورات وتعزيم العزايم فيحصل النفو

في الفرق بين الروح بالضم والروح بالفتح

ونصبو اي نميل في جميع امورنا ونتوجه اليهم اي الى ارباب الانواع والظاهر لا جرم يسمون بالصابية والصابئين محمد قدر الحسيني

Digitized by Google

استعدادا واستمدادا من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة قالوا
والانبياء امثالنا في النوع واشكالها في الصورة يشاركوننا في المادة ياكلون كما ناكل ويشربون
مما نشرب ويساهموننا في الصورة اناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم وباية مزية لهم لزم متابعتهم
ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون مقالتهم واما الفعل قالوا الروحانيات هم الاسباب
المتوسطون في الاختراع والايجاد وتصريف الامور من حال الى حال وتوجيه المخلوقات
من مبدا الى كمال يستمدون القوة من الحضرة القدسية ويفيضون الفيض على الموجودات
السفلية فمنها مدبرات الكواكب السبعة السيارة في افلاكها وهي هياكلها فلكل روحاني هيكل
ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح الى الجسد فهو ربه
مدبره وكانوا يسمون الهياكل اربابا يسمونها اباء والعناصر امهات ففعل الروحانيات تحريكها
على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبايع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات
وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوى جسمانية وتركب عليها نفوس روحانية مثل انواع
النبات وانواع الحيوان ثم قد تكون التاثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي فمع جنس المطر
ملك ومع كل قطرة ملك ومنها مدبرات الاثار العلوية الظاهرة في الجو مما يصعد من الارض
فينزل مثل الامطار والثلوج والبرد والرياح وما ينزل من السما مثل الصواعق والشهب وما
يحدث في الجو من الرعد والبرق والسحاب والضباب وقوس قزح وذوات الاذناب والهالة والمجرة
وما يحدث في الارض من الزلازل والمياه والابخرة الى غير ذلك ومنها متوسطات القوى السارية
في جميع الموجودات ومدبرات الهداية الشايعة في جميع الكاينات حتى لا نرى موجودا اما خاليا
عن قوة وهداية اذا كان قبلا لهما قالوا واما الحالة فاحوال الروحانيات من الروح والريحان
والنعمة والراحة واللذة والبهجة والسرور في جوار رب الارباب كيف يخفى ثم طعامهم وشرابهم
التسبيح والتهليل والتحميد وانسهم بذكر الله تعالى وطاعته فمن قائم ومن راكع ومن ساجد ومن
قائم لا يريد تبدل حالته لما هو فيه من البهجة واللذة ومن خاشع بصره لا يرفع ومن ناظر
لا يغمض ومن ساكن لا يتحرك ومن متحرك لا يسكن ومن كروبي في عالم القبض ومن روحاني
في عالم البسط لا يعصون الله ما امرهم وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الحنفاء والصابئة
في المفاضلة بين الروحاني المحض وبين البشرية النبوية ونحن اردنا ان نوردها على شكل
سؤال وجواب وفيها فوائد لا تحصى قالت الصابئة الروحانيات ابدعت

جزئي نسخه

ابداعا لا من شيء لا مادة ولا هيولى وهي كلها جوهر واحد على سنخ واحد وجواهرها انوار محضة
لا ظلام فيها وهي من شدة ضيائها لا يدركها الحس ولا ينالها البصر ومن غاية لطافتها يحالها
العقل ولا يجول فيها الخيال ونوع الانسان مركب من العناصر الاربعة مؤلف من مادة وصورة
والعناصر متضادة ومزدوجة بطباعها اثنان منها مزدوجان واثنان منها متنافران ومن التضاد
يصدر الاختلاف والهرج ومن الازدواج يحصل الفساد والمرج فما هو مبدع لا من شيء لا يكون
كمخترع من شيء والمادة والهيولى سنخ الشر ومنبع الفساد فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون
كمحض الصورة والظلام كيف يساوي النور والمحتاج الى الازدواج المضطر في هوة الاختلاف
كيف يرقى الى درجة المستغني عنها **اجابت الحنفاء** بم عرفتم معاشر الصابئة
وجود هذه الروحانيات والحس ما دلكم عليه والدليل ما ارشدكم اليه قالوا عرفنا وجودها
وتعرفنا احوالها من عاذيمون وهرمس وهما شيث وادريس عليهما السلام قالت الحنفاء نقد
ناقضتم وضع مذهبكم فان غرضكم في ترجيح الروحاني على الجسماني نفي المتوسط البشري فصار نفيكم
اثباتا وعاد انكاركم اقرارا ثم من الذي يسلم ان المبدع لا من شيء اشرف من المخترع من شيء بل و
جانب الروحاني امر واحد وجانب الجسماني امران احدهما نفسه وروحه والثاني جسمه وجسده فهو من
حيث الروح مبدع بامر الباري تعالى ومن حيث الجسد مخترع بخلقه ففيه اثران امري وخلقي وقولي
وفعلي فساوى الروحاني بجهة وفضله بجهة خصوصا اذا كان جهته الخلقية ما نقضت الجهة
الاخرى بل كملت وطهرت وانما الخطاء عرض لكم من وجهين احدهما انكم فاضلتم بين الروحاني
المجرد والجسماني المجرد فحكمتم بان التفضيل للروحاني وصدقتم لكن المفاضلة بين الروحاني المجرد
والجسماني والروحاني المجتمع لا يحكم عاقل بان الفضل للروحاني المجرد فانه بطرف ساواه وبطرف سبقه
والغرض فيما اذا لم يدنس بالمادة ولوازمها ولم يؤثر فيه احكام التضاد والازدواج بل كان
مستخدما لها بحيث لا تنازعه في شيء يريده ويرضاه بل صارت معينات له على الغرض الذي
لاجله حصل التركيب وعطلت الوحدة والبساطة وذلك تلخيص النفوس التي تدنست بالمادة
ولوازمها وسارت العلائق عوائق وليت شعري ماذا يشين اللباس الخشن الشخص الجميل
وكيف يزري اللفظ الرائق بالمعنى المستقيم ونعم ما قيل اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل
وهذا كمن خاير بين اللفظ المجرد والمعنى المجرد والعبارة والمعنى حتى لا يشك ان المعنى اللطيف

في العبارة

في العبارة الشيقة لشرف من المعنى المجرد واما الوجه الثاني انكم ما تصورتم من النبوة الا تماما وكمالا
فحسب ولم يقع بصركم على انها كمال هو مكمل غيره ففاضلتم بين كمالين مطلقا وما حكمتم الا بالتساوي
او ترجيح جانب الروحاني ونحن نقول ما قولكم في كمالين احدهما كامل والثاني مكمل عالم ايهما
اشرف **قالت الصابية** نوع الانسان لا يخ من قوى الشهوة والغضب وهما
ينزعان الى البهيمية والسبعية وينازعان النفس الانسانية الى تباعهما فيثور من الشهوية
الحرص والامل ومن الغضبية الكبر والحسد الى غيرهما من الاخلاق الذميمة فكيف يماثل من هذه
صفته نوع الملائكة المطهرين عنهما وعن لوازمهما ولواحقهما صافية اوضاعهم عن النوازع الحيوانية
كلها خالية طباعهم عن القواطع البشرية باسرها لم يحملهم الغضب على حب الجاه ولا حملتهم الشهوة
على حب المال بل طباعهم مجبولة على المحبة والموافقة وجواهرهم مفطورة على الالفة والاتحاد
اجابت الحنفاء بان هذه المغالطة مثل الاولى حذو النعل بالنعل فان في طرف
البشرية نفسين نفس حيوانية لها قوتان قوة الغضب وقوة الشهوة ونفس انسانية لها قوتان
قوتان قوة علمية وقوة عملية وبينك القوتين لها ان تجمع وتمنع وبهاتين القوتين لها ان تقسم
الامور وتفصل الاحوال ثم يعرض الاقسام على العقل فيختار العقل الذي هو كالبصر النافذ له
من العقائد الحق دون الباطل ومن الاقوال الصدق دون الكذب ومن الافعال الخير دون الشر
ويختار بقوته العملية من لوازم القوة الغضبية الشدة والشجاعة والحمية دون الذلة
والجبن والنذالة ويختار بها ايضا من لوازم القوة الشهوية التالف والتودد والبذاذة
دون الشره والمهانة والخساسة فيكون من اشد الناس حمية على خصمه وعدوه ومن ارحم
الناس تذللا وتواضعا لوليه وصديقه فاذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم القوتين و
استعملهما في جانب الخير ثم يترقى منه الى ارشاد الخلائق في تزكية النفوس عن العلائق واطلاقها
عن قيد الشهوة والغضب وابلاغها الى حال الكمال ومن المعلوم ان كل نفس شريفة عالية زكية
حالها لا يكون كنفس لا ينازعها قوة اخرى على خلاف طباعها وحكم العنين العاجز في امتناعه
عن تنفيذ الشهوة لا يكون كحكم المتصون الزاهد المتورع في امساكه عن قضاء الوطر مع القدرة
عليه فان الاول مضطر عاجز والثاني مختار قادر حسن الاختيار جميل التصرف وليس الكمال
والشرف في فقدان القوتين وانما الكمال كله في استخدام القوتين فنفس النبي عليه السلام
كنفوس الروحانيين فطرة ووضعا وبذلك الوجه وقعت الشركة وفضلها وتقدمها

باستخدام النفوس التي دونها فلم يستخدمه واستعمالها في جانب الخير والنظام فلم تستعمله وهو الكمال

قالت الصابئة الروحانيات صور مجردة عن المواد وان قدر لها اشخاص تتعلق بها تصرفا وتدبيرا لا ممازجة ومخالطة فاشخاصها نورانية او هياكل كما ذكرنا والغرض انها اذا كانت صورا مجردة كانت موجودات بالفعل لا بالقوة كاملة لا ناقصة والمتوسط يجب ان يكون كاملا حتى يكمل غيره واما الموجودات البشرية صور في مواد وان قدر لها نفوس فنفوسها اما خارجة واما خارجة عن المزاج والغرض انها اذا كانت صورا في مواد كانت موجودات بالقوة لا بالفعل ناقصة لا كاملة والمخرج من القوة الى الفعل يجب ان يكون امرا بالفعل ويجب ان يكون غير ذات ما يحتاج الى الخروج فانما بالقوة لا يخرج بذاته من القوة الى الفعل بل بغيره والروحانيات هي المحتاج اليها حتى تخرج الجسمانيات الى الفعل والمحتاج الى الفعل يساوي المحتاج **اجابت الحنفاء** هذا الحكم الذي ذكرتموه وهو كون الروحانيات موجودات بالفعل غير مسلم على الاطلاق لان من الروحانيات ما يكون وحده بالقوة او ما فيه وجود بالقوة ويحتاج الى ما وجوده بالفعل حتى يخرجه من القوة الى الفعل فان النفس لها استعداد القبول من العقل عندكم والعقل له اعداد لكل شيء وفيض على كل شيء واحد منها بالقوة والاخر بالفعل وهذه الضرورة الترتب في الموجودات العلوية فان من لم يثبت الترتب فيها لم يتمش له قاعدة عقلية اصلا واذا ثبت الترتب فقد ثبت الكمال في جانب والنقصان في جانب فليس كل روحاني كاملا من كل وجه ولا كل جسماني ناقصا من كل وجه فمن الجسمانيات ايضا ما وجوده كامل بالفعل وسائر النفوس ايضا محتاجة اليه وذلك ايضا لضرورة الترتب في الموجودات السفلية وان من لم يثبت الترتب لم يستمر له قاعدة عقلية اصلا واذا ثبت الترتب فقد ثبت الكمال في جانب والنقصان في جانب فليس كل جسماني ناقصا من كل وجه قالت واذا سلمتم لنا ان هذا العالم الجسماني في مقابلة ذلك العالم الروحاني وانما يختلفان من حيث ان ما في هذا العالم من الاعيان فهو آثار ذلك العالم وما في ذلك العالم من الصور فهو مثل هذا العالم والعالمان متقابلان كالظل والشخص واذا اثبتم في ذلك العالم موجودا ما بالفعل كاملا تاما ويصدر عنه سائر الموجودات وجودا ووصولا الى الكمال يجب ان تثبتوا في هذا العالم موجودا ايضا ما بالفعل كاملا تاما حتى يصدر عنه سائر الموجودات تعلما ووصولا الى الكمال قالوا وانما طريقنا الى التعصب للرجال ونيابة الرسل في الصورة البشرية طريقكم في اثبات الارباب عندكم وهي الروحانيات السماوية وكذلك احتياج كل مربوب الى رب يدبره ثم احتياج الارباب الى رب الارباب ومن العجب ان عند الصابئة اكثر الروحانيات قابلة منفعلة

وانما

وانما الفاعل الكامل واحد وعن هذا صار بعضهم الى ان الملائكة اناث وقد اخبر التنزيل عنهم بذلك ولذا
كان الفاعل الكامل المطلق واحدا فاسواه قابل محتاج الى مخرج ما فيه بالقوة الى الفعل فكذلك يقول
في الموجودات السفلية النفوس البشرية كلها قابلة للوصول الى الكمال بالعلم والعمل فتحتاج ما بها بالقوة
الى الفعل والمخرج هو الرسول وما هو مخرج الشيء من القوة الى الفعل لا يجوز ان يكون امرا بالقوة
محتاجا فان ما لم يتحقق بالفعل وجودا لا يخرج غيره من القوة الى الفعل فالبيض لا يخرج البيض من القوة
الى صورة الطير بل الطير يخرج البيض وهذا الجواب يماثل الجواب الاول من وجه وفيه فائدة اخرى وهي ان
عند الحنفاء المعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال في المحسوس والا كان مخيلا موهوما والمحسوس
لا يكون محسوسا حتى يثبت له مثال في المعقول والا كان سرابا معدوما واذا ثبتت هذه القاعدة
فمن اثبت عالما روحانيا واثبت فيه مدبرا كاملا من جنسه وجوده بالفعل وفضله مزاج الموجودات
من القوة الى الفعل بفيض يفيض عليها على قدر الاستحقاق فلزمه ضرورة ان يثبت عالما جسمانيا
ويثبت فيه مدبرا كاملا من جنسه وجوده بالفعل وفضله اخراج الموجودات من القوة الى الفعل بفيض الصور
عليها على قدر الاستحقاق ويسمى المدبر في ذلك العالم الروح الاول على مذهب الصابئة والمدبر
في هذا العالم الرسول على مذهب الحنفاء ثم يكون بين الرسول والروح مناسبة وملاقاة عقلية
فيكون الروح الاول مصدرا والرسول مظهرا ويكون بين الرسول وسائر البشر مناسبة وملاقاة
حسية فيكون الرسول مؤدبا والبشر قابلا **قالت الصابئة** الجسمانية مركبة
من مادة وصورة والمادة لها طبيعة عدمية واذا بحثنا عن اسباب الشر والفساد والسفه والجهل
لم نجد لها سببا سوى المادة والعدم وهما منبعا الشر والروحانيات غير مركبة من المادة والصورة
بل هي صورة مجردة والصورة لها طبيعة وجودية واذا بحثنا عن اسباب الخير والصلاح والحكمة والعلم
لم نجد لها سببا سوى الصورة وهي منبع الخير فنقول ما فيه اصل الخير وما هو اصل الخير كيف يماثل ما فيه
اصل الشر **اجابت الحنفاء** بان ما ذكرتم في المادة انها سبب الشر فغير مسلم فان من
المراد ما هو سبب الصور كلها عندهم وذلك هو الهيولى الاولى والعنصر الاول حتى صار كثير من قدماء
الفلاسفة الى ان وجودها قبل وجود العقل ثم ان سلم فالمركب من المادة والصورة كالمركب من الوجوب
والجواز عندكم فان الجواز له طبيعة عدمية وما من وجود سوى وجود الباري تعالى الا وجوده جائز بذاته
واجب بغيره فيجب ان يلزمه اصل الشر قالوا وان سلم ايضا لكم تلك المقدمة فضدنا صور النفوس
البشرية وخصوصا صورة النفوس النبوية كانت موجودة قبل وجود المواد وهي المبادي الاولى

بحرج

الى مخرج

من وجه اخر

Digitized by Google

ما كثير من حكماء الى اثبات اناس سرمديين وهي الصور المجردة التي كانت موجودة كالظلال وجوب العرش
يستجيب بحمد ربهم وكانت هي اصل الخير ومبدأ الوجود ولكن لما البست الصور البشرية لباس المادة
تشبث بالطبيعة وصارت المادة شبكة لها فساح عليها الواهب الاول فبعث اليها واحدا من عالمه واليه
لباس المادة للتخلص الصور عن الشبكة لئلا يكون هو المتشبث بها المنغمس فيها المتوسخ باوضارها
المتدنس بآثارها والى هذا اشارت حكماء الهند رمزا بالحمامة المطوقة والحمامات الواقعة في الشبكة
ثم قالوا معاشر الصابية ابدا تشنعون علينا بالمادة ولوازمها وما لم يفصل القول فيها لم ينج من
تشنيعكم فنقول النفوس البشرية وخصوصا النبوية من حيث انها نفوس فهي مفارقة للمادة مشاركة
لتلك النفوس الروحانية اما مشاركة في النوع بحيث يكون التميز بالاعراض والامور العرضية و
اما مشاركة في الجنس بحيث يكون الفصل بالامور الذاتية ثم زادت على تلك النفوس باقترانها با
لجسد وبالمادة والجسد لم ينقص منها بل كملت هي لوازم الجسد وكملت بها حيث استفادت منه
الامور الجسدانية ما تجسدت بها في ذلك العالم من العلوم الجزوية والاعمال الخلقية والروحانية
فقدت هذه الابدان لفقدان هذا الاقتران فكان الاقتران خيرا لا شر فيه وصلاحا لا فساد له
ونظاما لا تنتج معه فكيف يلزمنا ما ذكرتموه **قالت الصابية** الروحانيات نورانية
علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فكيف يتساويان والاعتبار في الشرف و
الفضيلة بذوات الاشياء وصفاتها ومراكزها ومحالها فعالم الروحانيات العلو لغاية النور
واللطافة وعالم الجسمانيات السفل لغاية الكثافة والظلمة والعالمان متقابلان والكمال
للعلو لا للسفل والصفتان متقابلتان والفضيلة للنور لا للظلمة **اجابت الحنفاء**
قالوا لسنا نوافقكم اولا ان الروحانيات كلها نورانية ولا نساعدكم ثانيا ان الشرف للعلو ولا نساهلكم
اصلا ان الاعتبار في الشرف بذوات الاشياء وعلينا بيان هذه المقدمات الثلث فان فيها فوائد
اما الاولى فقالوا حكمتم على الروحانيات حكم التساوي وما اعتبرتم فيها التضاد والترتب واذا كانت
الموجودات كلها روحانيها وجسمانيها على قضية التضاد والترتب فلم اغفلتم الحكمين ههنا وذلك
ان من قال الروحاني هو ما ليس بجسماني فقد ادخل جواهر الشياطين والابالسة والاراكنة في جملة
الروحانيات وكذلك من اثبت الجن اثبتها روحانية لا جسمانية ثم من الجن من هو مسلم ومن هو ظالم
ومن قال الروحاني هو المخلوق روحا فمن الارواح ما هو خير ومنها ما هو شرير والارواح الخبيثة
اضداد الارواح الطيبة فلا بد اذا من اثبات تضاد بين الجنسين وتناف بين الطرفين فلم نسلم

المعنى

دعوى

دعواكم انها كلها نورانية بلى وعندنا معاشر الحنفاء الروح هو الحاصل بامر الباري تعالى الباقي على
مقتضى امره فمن كان لامر الله اطوع وبرسالات رسله اصدق وكانت الروحانية فيه اكثر والروح عليه
اغلب ومن كان لامره تعالى انكر وبشرايعه اكذب كانت الشيطنة عليه اغلب هذه قاعدتنا في الروحانيات
فلا روحاني ابلغ في الروحانية من ذوات الانبياء والرسل واما قولكم ان الشرف للعلو ان عنيتم
به علو الجهة فلا شرف فيه فكم من عال جهة سافل رتبة وعلما وذاتا وطبيعة وكم ولو لم يعل الا ذو
محل تعالى الجيش وانحط القيام من سافل جهة عال على الاشياء كلها رتبة وفضيلة وذاتا
وطبيعة واما قولكم ان الاعتبار في الشرف بذوات الاشياء وصفاتها ومحالها ليس بحق وهو
مذهب اللعين الاول حيث نظر الى ذاته وذات آدم عليه السلام ففضل ذاته اذ هي مخلوقة من النار
وهي علوية نورانية على ذات آدم وهو مخلوق من الطين وهو سفلي ظلماني بل عندنا الاعتبار
في الشرف بالامر وقبوله فمن كان اقبل لامره واطوع لحكمه وارضى بقدره فهو اشرف ومن كان على خلاف
ذلك فهو ابعد واخس واخبث فامر الباري هو الذي يعطي الروح قل الروح من امر ربي وبالروح
يحيي الانسان الحيوة وما الحي عبد العقل من كان غالبا على نفسه حكم الهوى البدنية ولكنه
من شرفت قدره على بني نوعه اوصاف نفس زكية الى الحقيقية وبالحياة يستعد للعقل
الغريزي وبالعقل يكتسب الفضائل ويجتنب من الرذايل ومن لا يقبل امر الباري تعالى فلا روح
له ولا حياة له ولا عقل له ولا فضيلة عنده **قالت الصابية** الروحانيات
فضلت الجسمانيات بقوتي العلم والعمل اما العلم فلا ينكر احاطتهم بمغيبات الامور عنا
واطلاعهم على مستقبل الاحوال الجارية علينا ولان علومهم كلية وعلوم الجسمانيات جزوية
وعلومهم فعلية وعلوم الجسمانيات انفعالية وعلومهم فطرية وعلوم الجسمانيات كسبية
فمن هذه الوجوه تحقق لها الشرف على الجسمانيات واما العمل فلا ينكر ايضا عكوفهم على العبادة
ودوامهم على الطاعة يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا تلحقهم كلالة ولا سامة ولا يرهقهم
ملال ولا ندامة فتحقق لها الشرف ايضا بهذا الطريق وكان امر الجسمانيات بالخلاف من ذلك
اجابت الحنفاء عن هذا بجوابين احدهما ان التسوية بين الطرفين واثبات زيادة في
جانب الانبياء والثاني بيان ثبوت الشرف في غير العلم والعمل اما الاول قالوا علوم الانبياء
كلية وجزوية وفعلية وانفعالية وفطرية وكسبية فمن حيث يلاحظ عقولهم عالم الغيب
منصرفة عن عالم النبي يده على فخذ عايشة ويقول يا عايشة كلميني حتى يجري عنه الى

ومراكزها

ولا شرف

الهامة

الشهادة تحصل لهم العلوم الكلية فطرة دفعة واحدة ثم اذا لاحظوا عالم فيتصرف معنى وقد
وعيت ما قال الشهادة حصلت لهم العلوم الجزوية اكتسابا بالحواس على ترتيب وتدريج فكما ان
للانسان علوما فطرية هي المعقولات وعلوما حاصلة بالحواس عن المحسوسات فعالم المعقولات
بالنسبة الى الانبياء كعالم المحسوسات بالنسبة الى ساير الناس فنظرياتنا فطرية لهم ونظرياتهم لا
نصل اليها قط بل محسوساتنا مكتسبة لهم ولنا بكواسب الجوارح جوارح الحساس فامزجة الاخر
امزجة نفسانية ونفوسهم نفوس عالية وعقولهم عقول امرية وعقولهم وامورهم امور فطرية عقلية
ولو وقع حجاب في بعض الاوقات فذاك لموافقتنا ومشاركتنا كي تزكى هذه العقول وتصفى
هذه الاذهان والنفوس والا فدرجاتهم وراء ما يقدر والثاني انهم قالوا من العجب انهم لا يعجبون
بهذه العلوم بل يؤثرون التسليم على البصيرة والعجز على القدرة والتبري من الحول والقوة على
الاستقلال والفطرة على الاكتساب ولا ادري ما يفعل بي ولا بكم على انما اوتيته على علم عندي
ويعلمون ان الملائكة والروحانيات باسرها وان علمت الى غاية قوة نظرها وادراكها ما احاطت
بما احاط به علم الباري تعالى بل لكل منهم مطرح نظر وفكر ومجال عقل ومنتهى امل ومطاروهم مسرح
وخيال وانهم الى الحد الذي انتهى نظرهم اليه مستبصرون ومن ذلك الحد الى ما وراءه ما لا يتناهى
مسلمون مصدقون وانما كمالهم في التسليم لما لا يعلمون والتصديق لما يجهلون ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك ليس كمال حالهم بل سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا هو الكمال فمن اين
لكم معاشر الصابية ان الكمال والشرف في العلم والعمل لا في التسليم والتوكل واذا كانت
غاية العلوم هذه الدرجة فجعلت نهاية اقدام الملائكة والروحانيين بداية اقدام السالكين
من الانبياء والمرسلين قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله فعالم الروحانيات
بالنسبة اليهم شهادة وبالنسبة الينا غيب وعالم البشر الجسمانيات بالنسبة الينا شهادة
وبالنسبة اليهم غيب والله تعالى هو الذي يعلم السر واخفى قالت الحنفاء من علم انه لا يعلم فقد
احاط بكل العلم ومن اعترف بالعجز عن اداء الشكر فقد ادى كل الشكر **قالت الصابية**
الروحانيات لهم قوة تصريف الاجسام وتقليب الاجرام والقوة لهم ليست من جنس القوى المزاجية
حتى يعرض لها كلال ولغوب فتتحسر ولكن القوى الروحانية بالخواص الجسمانية اشبه وانك
ترى الخامة اللطيفة من النبات في بدو نموها تفتق الحجر وتشق الصخر وما ذلك الا لقوة
نباتية فاضت عليها من القوة السماوية ولو كانت هي من قوة مزاجية لما بلغت الى هذه

Digitized by Google

المنتهى فالروحانيات هي التي يتصرف في الاجسام تقليبا وتصريفا لا يثقلهم حمل الثقيل
ولا يستخفهم تحريك الخفيف فالرياح تهب بتحريكها والسحاب تعرض وتزول بتصريفها وكذلك
الزلازل تقع في الجبال بسبب من جهتها وكل هذه وان استندت الى جزوية فانها تستند في الآخرة
الى اسباب من جهتها ومثل هذه القوة عديم الوجود في الجسمانيات **اجابت الحنفاء**
وقالوا منا يقتبس تفصيل القوى وتجنيسها فان القوى ينقسم الى قوى معدنية وقوى حيوانية
وقوى انسانية وقوى ملكية روحانية وقوى نبوية ربانية فالانسان مجمع القوى بجملتها
والانسانية النبوية فضلها بقوى ربانية ومعان الهية فنذكر اولا وجه تركيب الانسان وترتيب
القوى فيه ثم نذكر تركيب البشرية النبوية وترتيب القوى فيها ثم نخاير بين الوضعين الروحاني منهما
والجسماني واليك الاختيار اما شخص الانسان فمركب من الاركان التراب والماء والهواء والنار
التي لها الطبايع الاربعة اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ثم تركب فيه نفوس ثلثة احديها
نفس نباتية تنمو وتغتذي وتولد المثل والثانية نفس حيوانية تحس وتتحرك بالارادة والثالثة
نفس انسانية بها تميز وتفكر وتعبر عما تفكر ووجود النفس الاولى من الاركان وطبايعها و
بقاؤها بها واستمدادها منها ووجود النفس الثانية من الافلاك وحركاتها وبقائها واستمدادها
منها ووجود النفس الثالثة من العقول البحتة والروحانيات الصرفة وبقائها بها واستمدادها
منها ثم ان النباتية تطلب الغذاء طبعا والحيوانية تطلب الغذاء حسا والانسانية تطلب الغذاء
اختيارا وعقلا وبكل نفس منها محل فمحل النباتية الكبد ومنه مبدأ النمو والنشو وعن هذا
جعل فيه عروق دقاق ينفذ فيها الغذاء الى الاطراف ومحل الحيوانية القلب ومنه مبدء
تدبير الحس والحركة وعن هذا فتح منه عروق الى الدماغ فيصعد الى الدماغ من حرارته ما يعدل
تلك البرودة وينزل منه من آثاره ما يدبر به الحركة ومحل الانسانية تصريفها وتدبيرها الدماغ
ومنه مبدأ الفكر والتعبير عن الفكر وعن هذا فتحت اليه ابواب الحساس مما يلي هذا العالم وفتحت
اليه ابواب المشاعر مما يلي ذلك العالم وههنا ثلثة اعضاء ممدات لا بد منها وهي المعدة التي
تمد الكبد بالغذاء والرية تمد القلب بترويح الهواء والعروق التي تمد الدماغ بالحرارة
فاذا التركيب الانساني اشرف التراكيب فان فيها جميع آثار العالم الجسماني والروحاني وتركيب القوى
فيه اكمل التركيب فهو مجمع آثار الكونين والعالمين فكل ما هو في العالم منتشر ففيه مجتمع وكل ما هو
فيه من خواص الاجتماع فليس للعالم البتة لان للاجتماع والتركيب خاصية لا توجد في حال الافتراق

اسباب

وقوى نباتية

وجه

الاربعة

بها

وا لا

والاعتدال واعتبر فيه حال السكر والخل وحال السكنجبين وكذا الحكم في كل مزاج هذا وجه تركيب
البدن وترتيب القوى الخاصة به اما وجه اتصال النفس به وترتيب القوى الخاصة بها مما يلي هذا العالم
ومما يلي ذلك العالم فاعلم ان النفس الانسانية جوهر هو اصل القوى المحركة والمدركة والحافظة للمزاج
تحرك الشخص بالارادة لا في جهات ميله الطبيعي وتتصرف في اجزائه ثم في جملته وتحفظ مزاجه عن
الانحلال وتدرك بالمشاعر المركوزة فيه وهي الحواس الخمس فبالقوة الباصرة يدرك الالوان والاشكال
وبالقوة السامعة يدرك الاصوات والكلمات وبالقوة الشامة يدرك الروايح وبالقوة
الذائقة يدرك المطعومات وبالقوة اللامسة يدرك الملموسات وله فروع من قوى منبثة في اعضا
البدن حتى اذا احس بشيء من اعضائه او تخيل او توهم او اشتهى او غضب القى العلاقة التي بينه و
بين تلك الفروع هيئة فيه حتى يفعل له ادراك وقوة وتحريك اما الادراك فهو ان يكون
مثال حقيقة المدرك متمثلا مرتسما في ذات المدرك غير مباين له ثم المثال قد يكون مثال
صورة الشيء وقد يكون مثال حقيقته ومثال صورة الشيء يكون ما هو محسوس فيرتسم في القوة
الباصرة وقد غشيته غواش غريبة عن ماهيته لو ازيلت عنه لم يؤثر في كنه ماهيته
مثل اين ووضع وكيف وكم معينة ولو توهم بدلها غيرها لم يؤثر في ماهية ذلك المدرك
والحس يناله من حيث هو مغمور في هذه العوارض التي تلحقه بسبب المادة لا يجردها عنه
ولا تناله الا بعلاقة وضعية بين حسه ومادته ثم الخيال الباطن فيتخيله مع تلك
العوارض لا يقتدر على تجريده المطلق عنها لكنه يجرده عن تلك العلاقة الوضعية التي تعلق
بها الحس فهو يتمثل صورته مع غيبوبة حاملها وعنده مثال العوارض لا نفس العوارض ثم
الفكر العقلي يجرده عن تلك العوارض فتعرض ماهيته وحقيقته على العقل فيرتسم فيه مثال حقيقته
حتى كانه عمل بالمحسوس عملا جعله معقولا واما ما هو بري في ذاته عن الشوائب المادية منزه عن
العوارض الغريبة فهو معقول له لذاته ليس يحتاج الى عمل يعمل فيه فيعقله ما من شانه ان
يعقله فلا مثال له يتمثل في العقل ولا ماهية له فيتجرد له ولا وصول اليه بالاحاطة والفكرة
الا ان يكون برهان يدلنا عليه ويرشدنا اليه وربما يلاحظ العقل الانساني عالم العقل الفعال
فيرتسم فيه من الصور المجردة المعقولة ارتساما بريا عن العلائق المادية والعوارض الغريبة
فيبتدر الخيال الى تمثله فيمثله في صورة خياله بما يناسب عالم الحس فينحدر الى الحس المشترك
ذلك المثال فيصيره كانه يراه معاينا مشاهدا يناجيه ويشاهده حتى كان العقل عمل

بالمعقول

بالمعقول عملا جعله محسوسا وذلك انما يكون عند اشتغال الحواس كلها عن اشتغالها وسكون
المشاعر عن حركاتها في النوم لجماعة وفي اليقظة للابرار يا عجبا كل العجب من تركيب على هذا النمط
فمن اين لغيره مثله ونعود الى ترتيب القوى وتعيين محالها اما القوى المتعلقة بالبدن التي
التي ذكرناها آلات ومشاعر للجوهر الانساني فالاولى منها الحس المشترك المعروف بنبطاسيا
الذي هو مجمع الحواس ومورد المحسوسات وآلتها الروح المنصوب في مبادي عصب الحس لا سيما في
مقدم الدماغ والثانية الخيال والمصورة وآلتها الروح المنصوب في البطن المقدم من الدماغ
لا سيما في الجانب الاخير والثالثة الوهم الذي هو لكثير من الحيوانات وهو ما به تدرك الشاة معنى
في الذئب فتنفر منه وبه تدرك معنى في النوع فتفر اليه وتزدوج به وآلته الدماغ في كله لكن
الاخص منه به هو التجويف الاوسط والرابعة المفكرة وهي قوة لها ان تركب وتفصل بما يليها
من الصور الماخوذة عن الحس المشترك والمعاني الوهمية المدركة بالوهم فتارة تجمع وتارة تفصل و
تارة تلاحظ العقل فتعرض عليه وتارة تلاحظ الحس فتاخذ منه وسلطانها في الجزو الاول من
وسط الدماغ وكانها قوة ما للوهم وبتوسط الوهم للعقل والخامسة القوة الحافظة وهي التي
كالخزانة لهذه المدركات الحسية والوهمية والخيالية دون العقلية الصرفة فان المعقولات
البحت لا ترتسم في جسم ولا في قوة في جسم والحافظة قوة في جسم وآلتها الروح المنصوب في اول البطن
المؤخر من الدماغ والسادسة القوة الذاكرة وهي التي تستعرض ما في الخزانة على جانب العقل او على
جانب الخيال والوهم وآلتها الروح المنصوب في اخر البطن المؤخر واما المعقول الصرف عن الشوائب
المادية فلا يحل في قوة جسمانية وآلة جسدانية حتى يقال تنقسم بانقسامها ويتحقق لها وضع
ومثال ولهذا لم تكن القوة الحافظة خزانة لها بل المصدر الاول الذي افاض عليها تلك الصور
صار خازنا لها حيث ما طالعته النفس الانسانية بقوتها العقلية المناسبة لواهب الصور نوعا
من المناسبة فاضت منه عليها تلك الصورة المستحفظة له حتى كانه ذكرها بعد ما نسي و
وجدها بعد ما ضلت عنه وغريزة النفس الصافية تنزع الى جانب القدس في تذكار الامور
الغائبة عن حضرة العقل نزعا طبيعيا فتستحضر ما غاب عنها ولهذا السر الاخير اخبر الكتاب
الالهي واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهديني ربي حتى صار كثير من الحكماء الى ان العلوم
كلها تذكار وذلك ان النفوس كانت في البدو الاول في عالم الذكر ثم هبطت الى عالم النسيان
فاحتاجت الى مذكرات لما قد نسيت معيدات الى ما كانت قد ابتدات وذكر فان الذكرى

المبرى

من هذا الشد

شفع

تنفع المؤمنين وذكرهم بايام الله ثم للنفس الانسانية قوى عقلية لا جسمانية وكمالات نفسانية روحانية
لا جسدانية فمن قواها ما لها بحسب حاجتها الى تدبير البدن وهي القوة التي تختص باسم العقل العملي وذلك
ان تستنبط الواجب فيما يجب ان يفعل ولا يفعل ومن قواها ما لها بحسب حاجاتها الى تكميل جوهرها عقلا
بالفعل وانما يخرج من القوة الى الفعل بمخرج غير ذاتها لا محالة فيجب ان يكون لها قوة استعدادية وتسمى
عقلا هيولانيا حتى يفعل من غيرها ما به يخرجها من الاستعداد الى الكمال فاول خروج لها الى الفعل حصول
قوة اخرى من واهب الصور يحصل لها عند استحضار المعقولات الاول فيتهيأ بها لاكتساب النوافي
اما بالفكرة او بالحس فيندرج قليلا قليلا الى ان يحصل لها ما قدر ما عليها من المعقولات ولكل نفس
استعداد الى حد ما لا يتعداه ولكل عقل حد ما لا يتخطاه فيبلغ الى كماله المقدر له ويقتصر على قوته
المركوزة فيه ولا نتبين ههنا وجود التضاد بين النفوس والعقول ووجوب الترتيب فيها وانما نعرف مقادير
العقل ومراتب النفوس الانبياء والمرسلون الذين اطلعوا على الموجودات كلها روحانياتها و
جسمانياتها معقولاتها ومحسوساتها كلياتها وجزئياتها علوياتها وسفلياتها فعرفوا مقاديرها
وعينوا موازينها ومعاييرها وكل ما ذكرناه من القوى الانسانية فهي حاصلة لهم مركبة فيهم منصرفة
كلها عن جانب الغرور الى جانب القدس مستدعية لشروق نور الحق فيها حتى كان كل قوة من القوى
الجسدانية والنفسانية موكل بحفظ ما وجه اليه واستثمار ما رشح له ومجموع جسده ونفسه مجمع
آثار العالمين من الروحانيات والجسمانيات وزيادة امرين احدهما ما حصل له من فائدة التركيب
والترتيب كما بيناه من مثال السكر والخل والثاني ما اشرق عليه من الانوار القدسية وحيا
والهاما ومناجاة واكراما فاين للروحاني هذه الدرجة الرفيعة والمقام المحمود والكمال الموجود
بل ومن اين للروحانيات كلها هذا التركيب الذي يخص نوع الانسان وما تعلقوا به من القوة البالغة
على تحريك الاجسام وتصريف الاجرام فليس يقتضي شرفا فان ما ثبت لشيء وثبت لضده مثله لم
يتضمن شرفا ومن المعلوم ان الجن والشياطين قد ثبت لهم من القوة البالغة والقدرة الشاملة
ما يعجز كثير من الموجودات عن ذلك وليس ذلك مما يوجب شرفا وكمالا وانما الشرف في استعمال كل
قوة فيما خلقت له وامرت به وقدرت عليه **قالت الصابئة** الروحانيات
كلها لها اختيارات صادرة من الامور متوجهة الى الخير مقصورة على نظام العالم وقوام الكل لا يشوبه
البتة شائبة الشر وشائبة الفساد بخلاف اختيار البشر فانه متردد بين طرفي الخير والشر ولولا رحمة
الله في حق البعض والا فوضع اختيارهم كان ينزع الى جانب الشر والفساد اذ كانت الشهوة والغضب

ملك روحاني

الكبر

المركوزين فيهم بحسب ايجابهما واما الروحانيات فلا ينازع اختيارهم الا المتوجه الى الله تعالى وطالب
رضاه وامتثال امره فلا جرم كل اختيار هذا حاله لا يتعذر عليه ما يختاره فكما اراد واختار وجد المراد
وحصل المختار وكل اختيار ذلك حاله نفذ عليه ما يختاره فلا يوجد المراد ولا يحصل المختار

اجابت الحنفاء بجوابين احدهما نيابة عن جنس البشر والثاني نيابة عن الانبياء اما
الاول قالوا اختيار الروحانيات اذا كان مقصورا على احد الطرفين محصورا كان في وضعه مجبورا
ولا شرف في الجبر واختيار البشر تردد بين طرفي الخير والشر فمن جانب يرى آيات الرحمن ومن طرف يسمع
وساوس الشيطان فيميل بتارة دعوة الحق الى امتثال الامر ويميل بطورا داعية الشهوة الى اتباع
الهوى فاذا اقر طوعا وطبعا بوحدانية الله عز وجل واختار من غير جبر واكراه طاعته وصبر اختياره المتردد
بين الطرفين مجبورا لحسن امره تعالى باختياره من جهته من غير اجبار صار هذا الاختيار افضل واشرف من
الاختيار المجبور فطرة كالمكره فعله كسبا الممنوع عما لا يحب خيرا ومن لا شهوة له ولا يميل الى الشهوة
كيف يمدح عليه وانما المدح كل المدح لمن زين له المشتهى فنهى النفس عن الهوى فتبين ان اختيار البشر
افضل من اختيار الروحانيات واما الثاني نقول ان اختيار الانبياء مع ما انه من جنس اختيار البشر
من وجه فهو متوجه الى الخير مقصور على الصلاح الكلي بنظام العالم وقوام الكل صادرا عن الامر صائرا
الى الامر لا يتطرق الى اختيارهم ميل الى الفساد بل ودرجتهم فوق ما يتبادر اليه الاوهام فان الحكيم
لا يريد امر الاجل السافل من حيث هو سافل بل انما يختار ما يختار لنظام كلي وامر على من الجزوي ثم
يتضمن ذلك حصول نظام في الجزوي تبعا لا مقصودا وهذا الاختيار والارادة على جهة سنة الله
تعالى في اختياره ومشيئته للكائنات لان مشيئته تعالى متعلقة بنظام الكل غير معللة بعلة حتى
لا يقال انما اختار هذا لكذا وانما فعل هذا لكذا فلكل شيء علة ولا علة لصنع الله تعالى بل لا يريد
الا كما علم وذلك ايضا ليس بتعليل ولكنه بيان ان ارادته على من ان يتعلق بشيء لعلة دونها الا
كان ذلك الشيء حاملا له على ما يريده فخالق العلل والمعلولات لا يكون محمولا على شيء فاختياره لا
يكون معللا بشيء واختيار الرسول المبعوث من جهته ينوب عن اختياره كما ان امره ينوب عن امره فهذا
سبيل ويتردد للامم يخرج من قضية اختياره نظام حال وقوام امر مختلف الموانه فيه شفاء لك
فمن اين للروحانيات هذه المنزلة وكيف يصلون الى هذه الدرجة كيف وكل ما يذكرونه فهو موهوم وكل
ما يذكره فمحقق مشاهده وعيانا بل وكل ما يحكى عن الروحانيين من كمال علمهم وقدرتهم ونفوذ اختيارهم
وسلطانهم فانما اخبرنا بذلك الانبياء والمرسلون والا فاي دليل ارشدنا الى ذلك ونحن

Digitized by Google

لم نشاهدهم ولم نستدل بفعل من افعالهم على صفاتهم واحوالهم **قالت الصابية**
الروحانيون متخصصون بالهياكل مثل زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر
وهذه السيارات كالابدان والاشخاص بالنسبة اليها وكل ما يحدث من الموجودات ويعرض من
الحوادث فكلها مسببات هذه الاسباب وآثار هذه العلويات فيفيض على هذه العلويات من الروحانيات
تصريفات وتحريكات الى جهات الخير والنظام ويحصل من حركاتها واتصالاتها تركيبات وتاليفات
في هذا العالم ويحدث في المركبات احوال ومناسبات فهم الاسباب الاول والكل مسبباتها والمسبب لا
يساوي السبب والجسمانيون متشخصون بالاشخاص السفلية والمتشخص كيف يماثل غير المتشخص وانما يجب
على الاشخاص في افعالهم وحركاتهم اقتفاء آثار الروحانيات في افعالها وحركاتها حتى يراعي احوال الهياكل
وحركات افلاكها زمانا ومكانا وجوهرا ولباسا وبخورا وتعزيما وتنجيما ودعاء وحاجة خاصة بكل
هيكل فيكون تقربا الى الهياكل وتقربا الى الروحاني الخاص به الى رب الارباب ومسبب الاسباب حتى يقضي
حاجته وتتم مسئلته وسيأتي تفصيل ما اجملوه من امر الهياكل عند ذكر اصحابها **اجابت**
الحنفاء بان قالوا الآن نزلتم عن نيابة الروحانيات الصرفة الى نيابة هياكلها وتركتم مذهب
الصبوة الصرفة فان الهياكل اشخاص الروحانيين والاشخاص هياكل الربانيين غير انكم اثبتم لكل
روحاني هيكلا خاصا له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره ونحن نثبت اشخاصا رسلا كراما تقع اوضاعهم
واشخاصهم في مقابلة كل الكون الروحاني الهياكل منها وحركاتهم في مقابلة حركات جميع الكواكب و
الافلاك وشرايعهم مراعات حركات استندت الى تاييد الهي ووحي سماوي موزونة بميزان
العدل مقدرة على مقادير الكتاب الاول ليقوم الناس بالقسط ليست مستخرجا بالاراء المظلمة
ولا مستنبطة بالظنون الكاذبة ان طابقتها على المعقولات تطابقنا وان وافقتها بالمحسوسات
توافقنا كيف ونحن ندعي ان الدين الالهي هو الموجود الاول والكائنات تقدرت عليه وان المناهج
التقديرية هي الاقدام ثم المسالك الخلقية والسنن الطبيعية توجهت اليها ولله تعالى سنتان
في خلقه وامره والسنة الامرية اقدم واسبق من السنة الخلقية وقد اطلع خواص عباده من البشر
على السنتين ولن تجد لسنة الله تحويلا هذا من جهة الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلا هذا من جهة
الامر فالانبياء عليهم السلام متوسطون في تقرير سنة الامر والملائكة متوسطون في تقدير
سنة الخلق والامر اشرف من الخلق فمتوسط الامر اشرف من متوسط الخلق فالانبياء افضل من
الملائكة وهذا عجب حيث صارت الروحانيات الامرية متوسطات في الخلق وصارت الاشخاص

العلوية

وهيئة

فيكون تقربا

منهم في مقابلة الروحاني منها والاشخاص منهم في مقابلة

Digitized by Google

الخلقية متوسطين في الامر ليعلم ان الشرف والكمال في التركيب لا في البساطة واليد للجسماني لا للروحاني
والتوجه الى التراب اولى من التوجه الى السماء والسجود لآدم افضل من التسبيح والتمجيد والتقديس ليعلم
ان الكمال في اثبات الرجال لا في تعيين الهياكل والظلال وانهم هم الآخرون وجودا والسابقون فضلا
وان آخر العمل اول الفكر وان الفطرة لمن له الخمرة وان المخلوق بيديه لا يكون كالمكون بحرفيه قال عز وجل
فوعزتي وجلالي لاجعلن من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان **قالت الصابئة** الروحانيات
مبادي الموجودات وعالمها معاد الارواح والمبادي اشرف ذاتا واسبق وجودا واعلى رتبة وذرجة من
ساير الموجودات التي حصل بتوسطها وكذلك عالمها عالم المعاد والمعاد كمال فعالمها عالم الكمال فالمبدأ
منها والمعاد اليها والمصدر عنها والمرجع اليها بخلاف الجسمانيات وايضا فان الارواح انما نزلت
من عالمها حتى اتصلت بالابدان فتوسخت بارضاء الاجسام ثم تطهرت عنها بالاخلاق الزكية والاعمال
المرضية حتى انفصلت عنها فصعدت الى عالمها الاول فالنزول هو النشأة الاولى والصعود هو النشأة
الاخرى فعرفت انهم اصحاب الكمال لاشخاص الرجال **اجابت الحنفاء** من اين تسلمتم هذا
التسليم ان المبادي هي الروحانيات واي برهان اقمتم عليه وقد نقل عن كثير من الحكماء ان المبادي
هي الجسمانيات على اختلاف منهم في الاول منها انه نار او هواء او ماء او ارض واختلاف اخر انه
مركب ام بسيط واختلاف اخر انه انسان او غيره حتى صارت جماعة الى اثبات سرمديين ثم منهم من يقول
انهم كانوا كالظلال حول العرش ومنهم من يقول ان الاخر وجودا من حيث الشخص في هذا العالم هو
الاول وجودا من حيث الروح في ذلك العالم وعليه خرج ان اول الموجودات محمد صلى الله عليه فاذا كان
شخصه هو الاخر من جملة الاشخاص النبوية فروحه هو الاول من جملة الارواح الربانية وانما حضر هذا
العالم ليخلص الارواح الدنسة بالاوضار الطبيعية فيعيدها الى مبدئها واذا كان هو المبدأ فهو
المعاد ايضا فهو النعمة وهو النعيم وهو الرحمة وهو الرحيم قالوا ونحن اذا اثبتنا ان الكمال في التركيب لا في
البساطة والتحليل فيجب ان يكون المعاد بالاشخاص والاجساد لا بالنفوس والارواح والمعاد كمال
لا محالة غير ان الفرق بين المبدأ والمعاد هو ان الارواح في المبدأ مستورة بالاجساد واحكام الاجساد
غالبة واحوالها ظاهرة للحس والاجساد في المعاد معمورة بالارواح واحكام النفوس غالبة واحوالها
ظاهرة للعقل والا فلو كانت الاجساد تبطل راسا وتضمحل اصلا وتعود الارواح الى مبدئها الاول
ما كان للاتصال بالابدان والعمل بالمشاركة فائدة ولبطل تقدير الثواب والعقاب على فعل العباد
ومن الدليل القاطع على ذلك ان النفوس الانسانية في حال اتصالها بالبدن اكتسبت اخلاقا

اناس م

لغن

نفسانية صارت هيئات متمكنة فيها تمكن الملكات حتى قيل انها تزيد عن الفصول اللازمة
التي تميزها عن غيرها ولولاها لبطل التميز وتلك الهيئات انما حصلت بشاكلة من القوى
الجسمانية بحيث لن يتصور وجودها الا مع تلك المشاركة وتلك القوى لن يتصور الا في اجسام
كانت النفوس لن يتصور الا معها وهي الجسمية المخصصة وتلك لن يتصور الا مع الاجسام فلا بد من حشر
الاجسام والمعاد للاجسام **قال الصابئة** طريقنا في التوصل الى حضرة القدس
ظاهر وشرعنا مفعول فان قدماءنا من الزمان الاول لما ارادوا التوسل علموا اشخاصا في
مقابلة الهياكل العلوية على نسب واصناف راعوا فيها جوهرا وصورة وعلى اوزان واحوال وهيئات
اوجبوا على من يتقرب بها الى مالكها من العلويات تختما ولباسا وتجردا ودعاء وتقربا فتقربوا الى
الروحانيات متقربوا الى رب الارباب بحسب الاسباب هو طريق جميع وشرع مهيد لا يختلف
بالامصار والمدن ولا بمنع الادوار والاكوار ونحن العشاء مبدئ من عاذ بمون ومرمس العظيمين
فعكفنا على ذلك ما شئنا وانتم معاشر الحنفاء فعبدتم الرجال فعلم ان الوحي والرسالة تنزل
عليهم من عند الله تعالى بواسطة او بغير واسطة فالوحي اولا وهل يجوز ان يكلم الله بشرا او هل
يكون كلامه من جنس كلامنا فكيف يتزل ملك من السماء وهو ليس بجسم ام يصوت ام يصوت البشر
وما معنى تصويت الغير ام يجعل صوته وبلغة لباسا الحرام يتبدل وصفة حقيقته ثم ما البرهان
اولا على جواز انبعاث الرسل في صوت البشر وما دليل كل مدع منهم افما اخذ بمجرد دعواه ام لا
من دليل فارق للعقاء وان اظهر ذلك فهو من خواص النفوس ام من خواص الاجرام ام من فعل
الباري تعالى وكيف يتصور حقيقة كلام ام هو كلام الروحانيين من الحدود والاحكام اكثرها غير معقولة
فكيف يسع عقل الانسان تجويز امر لا يعقل وكيف يطاوعه نفسه بتقليد شخص هو مثله بانه
يريد ان يتفضل عليه لو شاء الله لانزل ملئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
اجابت الحنفاء بان المتكلمين منا يكفوننا جواب هذا الفصل هذا بطريقين احدهما
الالزام تعرضا لابطال مذهبكم والثاني الحجة تعرضا لاثبات مذهبنا اما الالزام فلوا
انكم ناقضتم مذهبكم حيث قلتم بتوسط عاذيمون ومرمس واخذكم طريقتكم منهما وان
اثبت المتوسط في انكار المتوسط فقد نقضتم ما فرض كلامه تخالف مرامه وزادوا على هذا تقريرا
بانكم معاشر الصابئة انتم متوسطون بحاجة اليكم في اثبات مذهبكم ومن المعلوم ان كل من يدرج منكم
ليس يعرف طريقتكم ولا يقف على صنعتكم من علم وعمل اما العلم فلا احاطة بحركات الكواكب

ما الكلام بل الملائكة بل هو كلام النبي تعالى

Digitized by Google

الافلاك وكيفية تصرف الروحانيات فيها واما العمل فصنعة الاشخاص في مقابلة الهياكل
النسب بل قوم مخصوصون ام واحد في كل زمان يحيط بذلك علما ويتيسر له عملا فقد اثبتم عالما
متوسطا من جنس البشر فقد ناقض آخر كلامكم اوله وزاد والهذا تقريرا آخر بالزام الشرك عليهم
اما الشركة في افعال الباري تعالى اما الشركة في الافعال هو اثبات التاثيرات للهياكل والافلاك
فان عندهم الابداع الخاص بالرب تعالى هو اختراع الروحانيات ثم تفويض بدو العالم العلوي اليها
والفعل الخاص بالروحانيات هو تحريك الهياكل ثم تفويض بدو العالم السفلي اليها كيف يتصور معلمة
وينصب او كانا للعمل من الفاعل والمادة والآلة والصورة ويفوض العمل الى الثلاثة فهؤلاء اعتقدوا
ان الروحانيات الهة والهياكل ارباب والاصنام في مقابلة الكل باتخاذ وتصنع من كسبهم فظلم
فالزم اصحاب الاصنام انكم تكلفتم كل التكليف حتى توقفوا عجزا جادا في مقابلة هيكل وما بلغت
صنعتكم الى احداث حياة فيه وسمع وبصر ونطق وكلام اتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون او ليست اوضاعكم الفطرية واشخاصكم
بخلقة افضل منها واشرف وليست النسب والاضافات النجومية المرعية في خلقتكم اشرف و
اكمل مما راعيتموها في صنعتكم اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون او لستم محتاجون
الى المتوسط المعمول لقضاء حاجة اما جلب نفع او دفع ضر فهذا العامل الصانع اقدر انفيه
من القوة العلمية والعملية ما يستقل بها الهيكل العلوي ويستخدم الروحانيات فهلا ادعى لنفسه
ما يثبت بفعله في جسمه ولهذا الالزام تفطن اللعين فرعون حيث ادعى الالهية والربوبية
لنفسه وكان في الاول على مذهب الصابئة فصبا عن ذلك وادعى الى نفسه وقال انا ربكم الاعلى
ما علمت لكم من اله غيري اذ راى في نفسه قوة الاستعلاء والاستخدام واستظهر بوزيره هامان
وكان صاحب الصنعة فقال يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى
فكان يريد ان يبني صرحا مثل الرصد فيبلغ به الى حركات الافلاك والكواكب وكيفية تركيبها و
هيئتها وكمية ادوارها واكوارها فربما يطلع على سر التقدير في الصنعة ومال الامر في الخلقة و
الفطرة ومن اين له هذه القوة والبصيرة ولكن اغتر ابنوع فطنة وكياسة في جبلته واغتر ايضا
اهمال في مهلته فاتمت لهم الصنعة حتى اغرقوا فادخلوا نارا فحدث بعده السامري وقد نسج على
منواله في الصبوة حتى اخذ قبضة من اثر الروحانيات واراد ان يرتقي الشخص الجمادي عن درجته الى درجة
الحيواني فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فما امكنه ان يحدث فيه ما هو اخص اوصاف المتوسط من

الكلام والهداية الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه فانحسر الطريق حتى كان من الامر
ما كان وقيل لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا فيا عجبا من هذا السر حيث اغرق فرعون فادخل
النار مكافاة على دعوى الالهية لنفسه واحرق العجل ثم نسف في اليم مكافاة على اثبات الالهية له وما
كان للنار والماء يد على الحنفاء يد الاستيلاء قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم فالقيه في اليم
ولا تخافي ولا تحزني هذه مراتب الشرك في الفعل والخلق ويشبه ان يكون دعوى اللعينين نمرود و
فرعون انهما الهان ارضيان كالهة السماوية الروحانية دعوى الالهية من حيث الامر لا من حيث الفعل
والخلق والا ففي زمان كل واحد منهما من هو اكبر سنا منه واقدم في الوجود عليه فلما ظهر من دعواهما ان الامر
كله لهما ادعيا الهية لنفسهما وهذا هو الشرك الذي الزمه المتكلم على الصابي فانه بما ادعى انه اثبت في
الاشخاص ما يقضي به حاجة الخلق فقد عاد بالتقدير الى صنعته ووقف التدبير على معاملته فكان
الامر بان هذا الفعل واجب الاقدام عليه وهذا واجب الاحجام عنه امرا في مقابلة الباري تعالى والمتوسط
فيه متوسط الامر فكان شركا اذ لم ينزل الله به سلطانا ولا اقام عليه حجة وبرهانا كيف وما يتمسك
به من الاحكام مرتبة على هيئات فلكية لن تبلغ قوة البشر قط الى مراعاتها ولا يشك ان الفلك
كله يتغير لحظة فلحظة بتغير جزء من اجزائه تغير الوضع والهيئة بحيث لم يكن على تلك الهيئة فيما سبق
ولا يرجع الى تلك الحالة فيما يستقبل ومتى يقف الحكام على تغيرات الاوضاع حتى يكون صنعته
في الاشخاص والاصنام مستقيمة واذا لم تستقم الصنعة فكيف تكون الحاجة مقضية فقد رفع
الحاجة الى من لا يرفع الحوائج اليه فقد اشرك كل الشرك واما الطريق الثاني فاقامة الحجة على اثبات
المذهب ولمتكلمي الحنفاء فيه مسلكان احدهما ان يسلك الطريق نزولا من امر الباري تعالى الى سد
حاجات الخلق والثاني ان يسلك الطريق صعودا من حاجات الخلق الى اثبات امر الباري تعالى
ثم يخرج الاشكالات عليهما اما الاول قال متكلم الحنيف قد قامت الحجة على ان الباري عز وجل خالق
الخلائق ورازق العباد وانه الملك الذي له الملك والملك ان يكون على عباده امر وتصريف وذلك
ان حركات العباد قد انقسمت الى اختيارية والى غير اختيارية فما كان منها باختيار من جهتهم فيجب ان يكون
للمالك فيها حكم وامر وما كان منها بلا اختيار فيجب ان يكون له فيها تصريف وتقدير ومن المعلوم ان
ليس كل احد يعرف حكم الباري تعالى وامره فلا بد اذا من واحد يستاثره بتعريف حكمه وامره في عباده
وذلك الواحد لا بد وان يكون من جنس البشر حتى يعرفهم احكامه واوامره ويجب ان يكون مخصوصا
من عند الله عز وجل بآيات خلقية هي حركات تصريفية وتقديرية يجريها على يده عند التحدي

والمالك صح

بما يدعيه

بما يدعيه تدل تلك الآيات على صدقه نازلة منزلة التصديق بالقول ثم اذا ثبت صدقه وجب اتباعه
في جميع ما يقول ويفعل وليس يجب الوقوف على كل ما يامر به وينهى عنه اذ ليس كل علم تبلغ اليه قوة
بشرية ثم الوحي من عند الله العزيز يمد حركاته الفكرية والقولية والعملية بالحق في الاركان والصدق
في الاقوال والخير في الاحوال فبطرف يماثل البشر وهو طرف الصورة وبطرف يوحى اليه وهو طرف المعنى
والحقيقة قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وبطرف يشابه نوع الانسان وبطرف يماثل نوع
الملائكة وبمجموعهما يفضل النوعين حتى تكون بشريته فوق بشرية النوع مزاجا واستعدادا و
وملكيته فوق ملكية النوع الاخر قبولا واداء فلا يضل ولا يقوى بطرف البشرية ولا يزيغ ولا
يطغى بطرف الروحانية فتقرر ان امر الباري تعالى واحد لا كثرة فيه ولا انقسام له وما امرنا الا واحدة
غير انه يلبس تارة عبارة العرب وتارة عبارة العبرية والمصدر يكون واحدا والمظهر متعددا والوحي القاء
الشيء الى الشيء بسرعة فيلقي الروح الامري اليه دفعة واحدة بلا زمان كلمح البصر فيتصور في نفسه
الصافية صورة الملقي كما يتمثل في المرآة المجلوة صورة المقابل فيعبر عنه اما بعبارة قد اقترنت
بنفس التصور وذلك هو آيات الكتاب واما بعبارة نفسه وذلك هو اخبار النبوة وهذا كله بطرفه
الروحاني وقد يتمثل الملك الروحاني له بمثال صورة البشر تمثل المعنى الواحد بالعبارات المختلفة
او تمثل الصورة الواحدة في المرايا المتعددة او الظلال المتكثرة للشخص الواحد فيكالمه مكالمة
حسية ويشاهده مشاهدة عينية ويكون ذلك بطرفه الجسماني وان انقطع عنه الوحي لم ينقطع
عنه التاييد والعصمة حتى يقومه في افكاره ويسدده في اقواله ويوفقه في افعاله ولا تستبعدوا
معاشرة الصابئة تلقي الوحي على الوجه المذكور ونزول الملك على النسق المعقول وعندكم
ان هرمس العظيم صعد الى العالم الروحاني فانخرط في سلكهم فاذا تصور صعود البشر فلم لا يتصور
نزول الملك واذا تحقق انه خلع لباس البشرية فلم لا يجوز ان يلبس الملك لباس البشرية فالحنيفية
اثبات الكمال في هذا اللباس اعني لباس الناس والصبوة اثبات الكمال في خلع كل لباس ثم لا
يتطرق ذلك حتى يثبتوا لباس الهياكل اولا ثم لباس الاشخاص والاوثان ثانيا ولقد قال راس
الحنفاء متبرئا عن الهياكل والاشخاص اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما
انا من المشركين واما الثاني وهو الصعود من حاجات الناس الى اثبات امر الباري تعالى
قال متكلم الحنيف لما كان نوع الانسان محتاجا الى اجتماع ذلك الاجتماع على نظام وذلك
الاجتماع لن يتحقق الا بحدود واحكام في حركاته ومعاملاته يقف كل منهم عند حده المقدر له

اني بريء مما تشركون

٧

لا يتعداه وجب ان يكون بين الناس شرع يفرضه الشارع يبين فيه احكام الله في الحركات وحدوده
في المعاملات فيرتفع به الاختلاف والفرقة ويحصل به الاجتماع والالفة وهذا الاحتياج
لما كان لازما لنوع الانسان ضرورة يجب ان يكون المحتاج اليه قائما ضرورة بحيث تكون نسبته
اليهم نسبة الغني والفقير والمعطي والسائل والملك والرعية فان الناس لو كانوا كلهم ملوكا لم
يكن ملك اصلا كما لو كان كلهم رعية لم تكن رعية ثم لا يبقى ذلك الشخص ببقاء الزمان وعمره
لا يساوي عمر العالم فينوب منابه علماء امته ويرث علمه امناء شريعته فتبقى سنته ومنهاجه
ويبقى على البرية مدى الدهر سراجه والعلم بالتوارث وليست النبوة بالتوارث والشريعة تركة
الانبياء والعلماء ورثة الانبياء **قالت الصابئة** الناس متماثلون
في حقيقة الانسانية والبشرية ويشملهم حد واحد وهو الحيوان الناطق الماشي والنفوس
والعقول متساوية في الجوهرية فحد النفس بالمعنى الذي يشترك فيه الانسان والحيوان والنبات انه
كمال جسم طبيعي آلي ذي حيوة بالقوة وبالمعنى الذي يشترك فيه الانسان والملائكة انه جوهر غير جسم
هو كمال لجسم محل له بالاختيار عن مبدأ انطقي اي عقلي بالفعل او بالقوة فالذي هو بالفعل خاصة
النفس الملكية والذي بالقوة هو فصل النفس الانسانية واما العقل فقوة او هيئة لهذه
النفس مستعدة لقبول ماهيات الاشياء مجردة عن المواد والناس في ذلك على استواء في الفطرة
وانما الاختلاف يرجع الى احد امرين احدهما اضطراري وذلك من حيث المزاج المستعد لقبول
النفس والثاني اختياري وذلك من حيث المزاج المستعد لقبول النفس والثاني اختياري وذلك من
من حيث الاجتهاد المؤثر في رفع الحجب المادية وتصقيل النفس عن صدأه المانعة لارتسام الصور المعقولة
حتى لو بلغ الاجتهاد الى غاية الكمال لتساوت الاقدام وتشابهت الاحكام فلا يتفضل بشر على بشر
بالنبوة ولا يتحكم احد على احد بالاستتباع **اجابت الحنفاء** بان التماثل والتشابه
في الصور البشرية والانسانية مسلم لا مرية فيه وانما التنازع بيننا في النفس والعقل قائم
فان عند النفوس والعقول على التضاد والترتب وعلينا بيان ذلك على سياق حدودكم ومذاق
اصولها فنقول لكم ان النفس جوهر غير جسم هو كمال الجسم محرك له بالاختيار وذلك اذا اطلق النفس على
الانسان والملك وهو كمال الجسم الطبيعي آلي ذي حيوة بالقوة واذا اطلق على الانسان والملك و
هو كمال الجسم الطبيعي آلي ذي حيوة بالقوة واذا اطلق على الانسان والحيوان فقد جعلتم لفظ النفس
من الاسماء المشتركة وميزتم بين النفس الحيواني والنفس الانساني والنفس الملكي فهلا زدتم فيه

نوع ٣

كما يتميز الملكي

قسما ثالثا وهو النفس النبوي حتى يتميز عن الملكي عن الانساني فان عندكم المبدأ النطقي للانسان
بالقوة والمبدأ العقلي للملك بالفعل فقد تغايرا من هذا الوجه ومن حيث ان الموت الطبيعي
يطرأ على الانسان ولا يطرأ على الملك وذلك تمييز اخر فليكن في النفس النبوي مثل هذا الترتيب
واما الكمال الذي تعرضتم انما يكون كمالا للجسم اذا كان اختيار المحرك محمودا فاما اذا كان اختياره
مذموما من كل وجه صار الكمال نقصانا وح يقع التضاد بين النفس الخيرة والنفس الشريرة حتى
تكون احديهما في جانب الملكية والثانية في جانب الشيطانية فيحصل التضاد المذكور كما حصل
الترتب المذكور فان الاختلاف بالقوة والفعل اختلاف بالترتب والاختلاف بالكمال والنقص
والخير والشر اختلاف بالتضاد فيبطل التماثل ولا يظنن ان الاختلاف بين النفسين الخيرة و
الشريرة اختلاف بالعوارض فان الاختلاف بين النفس الملكية وبين النفس الشيطانية بالنوع
كما ان الاختلاف بين النفس الانسانية والملكية بالنوع فكيف لا يكون كذلك والاختلاف ههنا
بالقوة والفعل والاختلاف ثم بالخير والشر وهذا لسر وهو ان الخير غريزة هي هيئة متمكنة

في النفس

باصل الفطرة وكذلك الشر طبيعة غريزية ولست اقول فعل الخير وفعل الشر فان الغريزة غير
والفعل المرتب عليها غير فتحقق ان ههنا نفسا محركة للبدن اختيارا نحو الخير عن مبدأ عقلي
اما بالقوة او بالفعل وهو كمال للجسم وليس بجسم وههنا نفس محركة للبدن اختيارا نحو الشر
عن مبدأ نطقي اما بالقوة او بالفعل وهو نقص للجسم وليس بجسم ولا ينبون طبعك عن امثال
ما يورد عليك متكلم الحنيف فانما يعترفه من بحر وليس ينحته من صخر فلربما لا يساعدك على ان الانسان
نوع الانواع وان الاختلاف يقع فيه في العوارض واللوازم بل يثبت في النفوس الانسانية
اختلافا جوهريا فيفصل بعضها عن بعض بالفصول الذاتية لا باللوازم العرضية فكما ان
الاختلاف بالقوة والفعل في النفس الانسانية والملكية اختلاف جوهري اوجب اختلاف
النوع والنوع وان شملهما اسم النفس الناطقة والفصل الذاتي هو القوة والفعل وكذلك
نقول في نفس لها قوة علم خاص وقوة خير وقوة شر وكمال مطلق هو اصل الخير ونقص مطلق هو

وقوة عمل خاص

اصل الشر واما ما ذكره المتكلم الصابي من حد العقل انه قوة او هيئة للنفس مستعدة لقبول
ماهيات الاشياء مجردة عن المواد فغير شامل لجميع العقول عنده ولا عند الحنيف بل هو تعرض
للعقل الهيولاني فقط فاين العقل النظري وحده انه قوة للنفس يقبل ماهيات الامور الكلية
من جهة ما هي كلية واين العقل العملي وحده انه قوة للنفس هي مبدأ التحريك للقوة الشوقية

Digitized by Google

الى ما تختار من الجزئيات لاجل غاية منظورة وان العقل بالملكة وهو استكمال القوة الهيولانية
حتى تصير قريبة من الفعل وان العقل بالفعل وهو استكمال النفس بصورة ما او صورة معقولة
حتى متى ما شاء عقلها واحضرها بالفعل وان العقل المستفاد وانه مهية مجردة عن المادة مرتسمة
في النفس على سبيل الحصول من خارج وان العقول المفارقة فانها ماهيات مجردة عن المادة وان
العقل الفعال فانه من جهة ما هو عقل فانه جوهر صوري ذاته مهية مجردة في ذاتها لا بتجريد غيرها
عن المادة وعن علائق المادة هي ماهية كل موجود من جهة ما هو معقول فانه جوهر بالصفة المذكورة
من شانه ان يخرج العقل الهيولاني من القوة الى الفعل باشراقه عليه فقد تعرض لنوع واحد من
العقول ولا خلاف ان هذه العقول قد اختلفت حدودها وتباينت فصولها كما سمعت
فاخبرني ايها المتكلم الحكيم من اي عداد تعد عقلك وهل ترضى ان يقال لك تساوي الاقدام
في العقول حتى يكون عقلك بالفعل والافادة كعقل غيرك بالقوة والاستعداد بل واستعداد
عقلك لقبول المعقولات كاستعداد عقل غبي غوي لا ترد عليه الفكر برادا ولا ينفك
الخيال عن عقله كما لا ينفك الحس عن خياله واذا كانت الاقدام متفاوتة فما هذا الترتيب في الاقدام
واذا ثبت ترتيب في الفصول فبالضرورة ان يرتقي في الصعود الى درجة الاستقلال والافادة
وينزل في الهبوط الى درجة الاستعداد والاستفادة ثم هل في نوعه ما هو عديم الاستعداد
اصلا حتى يشبه ان يكون عقلا وليس عقلا او النوع الذي يشبه للشياطين اهو من عداد ما ذكرنا
ام خارج من ذلك فانك اذا ذكرت حد الملك وانه جوهر بسيط ذو حياة ونطق عقلي غير
مائت هو واسطة بين الباري تعالى والاجسام السماوية والارضية وعددت اقسامه ان منه
ما هو عقلي ومنه ما هو نفسي ومنه ما هو حسي فيلزمك من حيث التضاد ان تذكر حد الشيطان
على ضد ما ذكرته من حد الملك وتعدد اقسامه وانواعه ايضا ويلزمك ايضا من حيث الترتيب
ان تذكر حد الانسان على الضد مما ذكرته من حد الملك وتعدد اقسامه وانواعه كيف يكون
من الانسان ما هو محسوس فقط ومنه ما هو مع كونه محسوسا روحاني نفساني عقلي وذلك هو درجة
النبوة فمن عقل عمل من حس ومن حس عمل من عقل ومن نفس مزاجي ومن مزاج نفساني ومن روح
جسماني ومن جسم روحاني دع كلام العامة ولا تظن هذه طامة **قالت الصابئة**
حضرتمونا بابطال تساوي العقول والنفوس واثبات الترتيب والتضاد فيها ولا شك
ان من سلم الترتيب فقد لزمه الاتباع فاخبرونا رتبة الانبياء بالنسبة الى نوع الانسان

Digitized by Google

وما رتبتهم بالاضافة بالاضافة الى الملك والجن وساير الموجودات ثم ما مرتبة النبي عند الباري
تعالى فان عندنا الروحانيات اعلى مرتبة من جميع الموجودات وهم المقربون في الحضرة الالهية والمكرمون
لديه ونراكم تارة تقولون ان النبي يتعلم من الروحاني ونراكم تارة تقولون ان الروحاني يتعلم من النبي
اجابت الحنفاء بان الكلام في المراتب صعب ومن لم يصل الى رتبة من المراتب كيف يمكنه
ان يستوفي اقسامها لكنا نعرف ان رتبته بالنسبة الينا رتبتنا الى من هو دوننا في الجنس من الحيوانات
فكما انا نعرف اسامي الموجودات ولا يعرفها الحيوانات كذلك هم يعرفون خواص الاشياء وحقايقها
ومنافعها ومضارها ووجوه المصالح في الحركات وحدودها واقسامها ونحن لا نعرفها فكما ان حركاتنا
بالنسبة الى الحيوانات معجزات فحركاتهم بالنسبة الينا معجزات وكما ان نوع الانسان ملك الحيوان
بالتسخير فالانبياء ملوك الناس بالتدبير وكما ان حركات الناس معجزات الحيوانات كذلك حركات الانبياء
معجزات الناس لان الحيوانات لا يمكنها ان تبلغ الى الحركات الفكرية حتى تميز الحق من الباطل ولا ان تبلغ
الى الحركات القولية حتى تميز الصدق من الكذب ولا ان تبلغ الى الحركات الفعلية حتى تميز الخير من الشر
فلا التميز العقلي لها بالوجود ولا مثل هذه الحركات لها بالفعل وكذلك حركات الانبياء لان منتهى فكرهم
لا غاية له وحركات افكارهم في محال القدس مما يعجز عنها قوة البشر حتى يسلم لهم لي مع الله وقت لا
لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وكذلك الحركات القولية والفعلية لا تبلغ الى غاية
انتظامها وجريانها على سنن الفطرة حركة كل البشر وهم في الرتبة العليا والدرجة الاولى من درجات
الموجودات كلها فقد احاطوا علما بما اطلعهم الرب تعالى على ذلك دون غيرهم من الملائكة والروحانيين ففي
الاول يكون حاله حال التعلم علمه شديد القوى وفي الاخير حاله حال التعليم وذلك في حق آدم انبئهم
باسمائهم حتى كان الامر على بدو الظهور والكشف فانظر كيف تكون الحالة في نهاية الظهور واما
اضافتهم الى جناب القدس فالعبودية الخاصة قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين قولوا انا
عباد مربون وقوله وقولوا في حقنا ما شئتم احق الاسماء لهم واخص الاحوال بهم عبده ورسوله لا
جرم كان اخص التعريفات لجلاله سبحانه باشخاصهم اله ابرهيم اله اسمعيل واسحق اله موسى وهرون
اله عيسى اله محمد صلوات الله عليهم فكما ان من المعبودية ما هو عام الاضافة ومنها ما هو خاص الاضافة
كذلك التعرف الى الخلق بالالهية والربوبية والتجلي للعباد بالخصوصية منه ما له عموم رب العالمين
ومنه ما له خصوص رب موسى وهرون فهذه نهاية مذهبي صابية والحنفاء وفي الفصول التي جرت
بين الفريقين فوائد لا تحصى وكان في الخاطر بعد زوايا تريد تمليها وفي القلب خفايا اكاد اخفيها

بالنسبة

Digitized by Google

فعدلت منها الى حكم هرمس العظيم لا على انه من جملة فرق الصابئة حاشاه بل على ان حكمه مما يدل على تقرير
مذهب الحنفاء في اثبات الكمال في الاشخاص البشرية وايجاب القول باتباع النواميس الالهية على خلاف
مذاهب الصابئة

حكم هرمس العظيم

المحمود آثاره المرضي اقواله الذي
يعد من الانبياء الكبار ويقال ادريس عليه السلام وهو الذي وضع اسامي البروج والكواكب السيارة
ورتبها في بيوتها واثبت لها الشرف والوبال والاوج والحضيض والمناظر بالتثليث والتسديس
والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجعة والاستقامة وبين تعديل الكواكب وتقويمها والاحكام المنسوبة
الى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع والهند والعرب طريقة اخرى في الاحكام اخذوها
من خواص الكواكب لا من طبايعها ورتبوها على الثوابت لا على السيارات ويقال ان عاذيمون وهرمس هما
شيث وادريس ونقلت الفلاسفة عن عاذيمون انه قال المبادي الاول خمسة الباري تعالى والعقل
والنفس والمكان والخلاء وبعدها وجود المركبات ولم ينقل هذا من هرمس قال هرمس اول ما يجب على المرء
الفاضل بطباعه المحمود بسنخه المرضي في عادته المرجو في عاقبته تعظيم الله وشكره على معرفته وبعد ذلك
فللناموس عليه حق الطاعة له والاعتراف بمنزلته وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد ولنفسه
عليه حق الاجتهاد والداب في فتح باب السعادة ولخلصائه عليه حق التحلي لهم بالود والتسارع اليهم بالبذل
فاذا احكم هذا الاساس لم يبق عليه الا كف الاذى عن العامة وحسن المعاشرة بسهولة الخلق انظروا
معاشر الصابئة كيف عظم امر الرسالة حتى قرن طاعة الرسول الذي عبر عنه بالناموس بمعرفة الله تعالى
ولم يذكرها هنا تعظيم الروحانيات ولا تعرض لها وان كانت هي من الواجبات وسئل بماذا يحسن راي
الناس في الانسان قال بان يكون لقاؤه لهم لقاء جميلا ومعاملته اياهم معاملة حسنة وقال مودة الاخوان
ان لا تكون لرجاء منفعة او لدفع مضرة ولتكن لصلاح فيه وطباع له وقال افضل ما في الانسان من
الخير العقل واجدر الاشياء ان لا يندم عليه صاحبه العمل الصالح وافضل ما يحتاج اليه الانسان
في تدبير الامور واظلم الظلمات الجهل واوبق الاشياء الحرص وقال من افضل البر ثلثة الصبر في الغضب و
الجود في العسرة والعفو عند القدرة وقال من لم يعرف عيب نفسه فلا قدر لنفسه عنده وقال الفضل
بين العاقل والجاهل ان العاقل منطقه له والجاهل منطقه عليه وقال لا ينبغي للعاقل ان يستخف بثلث اقوام
السلطان والعلماء والاخوان فان من استخف باقوام بالسلطان افسد عليه عيشه ومن استخف
بالعلماء افسد عليه دينه ومن استخف بالاخوان افسد عليه مروته وقال الاستخفاف بالموت هو
احد فضائل النفس وقال المرء حقيق ان يطلب الحكمة ويثبتها في نفسه اولا بان لا يجزع من المصائب

النبي م

الاجتهاد م

ان يستخف م

التي

التي تعم الاخيار ولا ياخذه الكبر فيما يبلغه من الشرف ولا يعير احدا بما هو فيه ولا يغيره الغنى والسلطان وان يعدل
بين نيته وقوله حتى لا يتفاوت وتكون سنته ما لا عيب فيه ودينه ما لا تخلف فيه وحجته ما لا ينتقض
وقال انفع الامور للناس القناعة والرضى واضرها الشره والسخط وانما يكون كل السرور بالقناعة
والرضا وكل الحزن بالشره والسخط ويحكى عنه فيما كتبه ان اصل الضلال والهلكة لاهله ان يعد
ما في العالم من الخير من عطية الله تعالى ومواهبه ولا تعد ما فيه من الشر والفساد من عمل الشيطان
ومكائده ومن افترى على اخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتى يجازى بها فكيف يخلص من اعظم الفرية
على الله ان جعله سببا للشرور وهو معدن الخير وقال الخير والشر واصلان الى اهلهما لا محالة فطوبى
والويل لمن جرى وصولهما الى من وصلا اليه وعلى يديه وقال الاخاء الدائم الذي لا يقطعه شيء اثنان
احدهما محبة المرء نفسه في امر دين الحق فان ذلك يصاحب اخاه في الدنيا بجسده وفي الاخرة بروحه وقال
الغضب سلطان الفظاظة والحرص سلطان الفاقة وهما منشأ كل سيئة ومفسدا كل جسد ومهلكا
كل روح وقال كل شيء يطاق تغييره الا الطباع وكل شيء يقدر على اصلاحه غير الخلق السوء وكل شيء
يستطاع دفعه الا القضاء وقال الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن لان خلاء النفس
وهذين خلاء البدن وقال احمد الاشياء عند اهل السماء والارض لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة
والحق في الجماعة وقال ادحض الناس حجة من شهد على نفسه بدحوض حجته وقال من كان دينه السلامة
والرحمة والكف عن الاذى فدينه دين الله وخصمه له شاهد بفلج الحجة ومن كان دينه الاهلاك والفظاظة
والاذى فدينه دين الشيطان وهو بدحوض حجته شاهد على نفسه وقال الملوك يحتمل الاشياء كلها
الا ثلثة قدح في الملك وافشاء للسر وتعرض للحرمة وقال لا تكن ايها الانسان كالصبي اذا جاع
صغى ولا كالعبد اذا شبع طغى ولا كالجاهل اذا ملك بغى وقال ولا تشيرن على عدو ولا صديق
الا بالنصيحة واما الصديق فيقضي بذلك من واجبه واما العدو فانه اذا عرف نصيحتك اياه
هاب بك وحسدك وان صح عقله استحيى منك وراجعك وقال يدل على غريزة الجود السماحة عند
العسرة وعلى غريزة الورع الصدق عند الشره وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب وقال من سره
مودة الناس له ومعونتهم اياه وحسن القول منهم فيه حقيق بان يكون على مثل ذلك لهم وقال لا
يستطيع احد ان يحوز الخير والحكمة ولا ان يخلص نفسه من المعايب الا ان يكون له ثلثة اشياء وزير
وولي وصديق فوزيره عقله ووليه عفته وصديقه عمله الصالح وقال كل انسان موكل
باصلاح قدر باع من الارض فانه اذا اصلح قدر ذلك الباع صلحت له اموره كلها واذا اضاعه

معاده وتهذيبه اياه في العلم الصحيح والعمل الصالح والاخر مودته لاخيه في ح

هذين م

قدح فيه كمنع طعن

اضاع

اضلع الجميع وقد ذلك نفسه وقال لا يمدح بكمال العقل من لا يكمل عفته ولا بكمال العلم من لم
يكمل عقله وقال من افضل اعمال العلماء ثلثة اشياء ان يبدلوا العدو صديقا والجاهل عالما
والفاجر برا وقال الصالح من خيره خير لكل احد ومن يعد خير كل احد لنفسه خيرا وقال ليس بحكمة من
لم يعاد الجهل ولا بنور ما لم يمحق الظلمة ولا بطيب ما لم يدفع النتن ولا بصدق ما لم يدحض الكذب
ولا بصالح ما لم يخالف الطالح

اصحاب وما الهياكل

والاشخاص وهؤلاء من فرق الصابية وقد ادرجنا مقالتهم في المناظرات جملة ونذكرها
تفصيلا اعلم ان اصحاب الروحانيات لما عرفوا ان لا بد للانسان من متوسط ولا بد للمتوسط من ان
يرى فيتوجه اليه ويتقرب به ويستفاد منه فزعوا الى الهياكل التي هي السيارات السبع فتعرفوا اولا
بيوتها ومنازلها وثانيا مطالعها ومغاربها وثالثا اتصالاتها على اشكال الموافقة والمخالفة
مرتبة على طبايعها ورابعا تقسيم الايام والليالي والساعات عليها وخامسا تقدير الصور و
الاشخاص والاقاليم والامصار عليها فعملوا الخواتيم وتعلموا العزائم والدعوات وعينوا الزحل مثلا يوم
السبت وراعوا فيه ساعته الاولى وتختموا بالخاتم المعمول على صورته وصنعته ولبسوا اللباس الخاص به
وبخروا ببخوره الخاص بدعواته الخاصة وسئلوا حاجتهم منه الحاجة التي يستدعي من زحل من افعاله
وآثاره الخاصة به فكان يقضي حاجتهم ويحصل في الاكثر مرامهم وكذلك يرفع الحاجة التي تختص
بالمشتري في يومه وساعته وجميع الاضافات التي ذكرنا اليه وكذلك ساير الحاجات الى الكواكب
وكانوا يسمونها اربابا الهة والله هو رب الارباب واله الالهة ومنهم من جعل الشمس اله الالهة
ورب الارباب يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيات ويتقربون الى الروحانيات تقربا
الى الباري تعالى لاعتقادهم بان الهياكل ابدان الروحانيات ونسبتها الى الروحانيات نسبة
اجسادنا الى ارواحنا فهم الاحياء الناطقون بحياة الروحانيات وهي تتصرف في ابدانها
تصريفا وتدبيرا وتحريكا كما يتصرف في ابداننا ولا شك ان من تقرب الى الشخص فقد تقرب الى روحه
ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة على عمل الكواكب ما كان يقضي منهم العجب وهذه الطلسمات
المذكورة في الكتب والسحر والكهانة والتنجيم والتعزيم والخواتيم والصور كلها من علومهم واما
اصحاب الاشخاص فقالوا اذا كان لا بد من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع اليه والروحانيات
وان كانت هي الوسائل لكنا اذا لم نرها بالابصار ولم نخاطبهم بالالسن لم يتحقق التقرب
اليها الا بهياكلها ولكن الهياكل قد ترى في وقت ولا ترى في وقت لان لها طلوعا وافولا وظهورا

هيهنا م

ليوم م

بالليل

بالليل وخفاء بالنهار فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه اليها فلابد لنا من صور واشخاص موجودة
قائمة منصوبة نصب اعيننا فنعكف عليها ونتوسل بها الى الهياكل فنتقرب بها الى الروحانيات
فنتقرب بالروحانيات الى الباري تعالى فنعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فاتخذوا اصناما اشخاصا
على مثال الهياكل السبعة كل شخص في مقابلة هيكل وراعوا في ذلك جوهر الهيكل اعني الجوهر الخاص
به من الحديد وغيره وصوروه بصورة على الهيئة التي تصوروا فعاله عنه وراعوا في ذلك الزمان والوقت
والساعة والدرجة والدقيقة وجميع الاضافات النجومية من اتصال محمود يؤثر في انجاح المطالب
التي يستدعى منه فتقربوا اليه في يومه وساعته وتبخروا بالبخور الخاص به وتختموا بخاتمه ولبسوا لباسه
وتضرعوا بدعائه وعزموا بعزائمه وسئلوا حاجتهم منه فيقولون كما يقضي حوائجهم بعد رعاية هذه
الاضافات كلها وذلك هو الذي اخبر التنزيل عنهم انهم عبدة الكواكب والاوثان فاصحاب الهياكل
هم عبدة الكواكب اذ قالوا بالهيئتها كما شرحنا واصحاب الاشخاص هم عبدة الاوثان اذ سموها آلهة
في مقابلة الآلهة السماوية وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقد ناظر الخليل عليه السلام هؤلاء
الفريقين فابتدأ بكسر اصحاب الاشخاص وذلك قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه
نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم وتلك الحجة ان كسرهم قولا بقوله اتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون ولما كان ابوه آزر هو اعلم القوم بعمل الاشخاص والاصنام ورعاية الاضافات
النجومية فيها حق الرعاية ولهذا كانوا يشترون منه الاصنام لا من غيره كان اكثر الحجج منه واقوى
الالزامات عليه اذ قال عليه السلام لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في
ضلال مبين وقال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا لانك جهدت كل
الجهد واستعملت كل العمل حتى عملت اصناما في مقابلة الاجرام السماوية فابلغت قوتك
العملية والعملية الى ان تحدث فيها سمعا وبصرا وان تغني عنك وتضر وتنفع فانك بفطرتك
وخلقتك اشرف درجة منها لانك خلقت سميعا بصيرا ضارا نافعا والآثار السماوية فيك
اظهر منها في هذا المتخذ تكلفا والمعمول تصنعا فيا لها من حيرة اذ صار المصنوع بيديك معبودا
لك والصانع اشرف من المصنوع يا ابت لا تعبد الشيطان يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من
الرحمن ثم دعاه الى الحنيفية الحقة يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا
سويا قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم فلم يقبل الحجة القولية فعدل عليه السلام الى الاكبر بالفعل
فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم فقالوا من فعل هذا بآلهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا

مذاهب

Digitized by Google

فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد
علمت ما هؤلاء ينطقون فافحمهم بالفعل حيث احال الفعل على كبيرهم كما افحمهم بالقول حيث احال
الفعل عليهم وكل ذلك على طريق الالزام عليهم والا فما كان الخليل كاذبا قط ثم عدل الى كسر مذاهب
اصحاب الهياكل وكما اراه الله الحجة على قومه قال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
ليكون من الموقنين فاطلعه على ملكوت الكونين والعالمين تشريفا له على الروحانيات و
هياكلها وترجيحا لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة وتقريرا ان الكمال في الرجال فاقبل
على ابطال مذهب اصحاب الهياكل فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي على نية الزام
على اصحاب الاصنام بل فضله كبيرهم هذا والا فما كان الخليل كاذبا في هذا القول ولا مشركا في
تلك الاشارة ثم استدل بالافول والزوال والتغير والانتقال بانه لا يصلح ان يكون ربا فان
الاله القديم لا يتغير واذا تغير فهو يحتاج الى مغير وهذا لو اعتقدوه ربا قديما والها ازليا ولو
اعتقدوه واسطة وقبلة وشفيعا ووسيلة فالافول والزوال ايضا يخرجه عن الكمال وعن
هذا استدل عليهم بالطلوع وان كان الطلوع اقرب الى الحدوث من الافول فانهم انما انتقلوا
الى عمل الاشخاص لما عرفهم من التحير بالافول فانا سم الخليل من حيث تحيرهم فاستدل عليهم بما اعترفوا
بصحته وذلك ابلغ في الاحتجاج ثم راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين فيا عجبا من لا يعرف ربا كيف يقول لئن لم يهدني ربي ورؤية الهداية
من الرب تعالى غاية التوحيد ونهاية المعرفة والواصل الى الغاية والنهاية كيف يكون في مدارج البداية
دع هذا كله خلف قاف وارجع بنا الى ما هو شاف كاف فان الموافقة في العبادة على طريق الالزام
على الخصم من ابلغ الحجج واوضح المناهج وعن هذا قال لما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر
لاعتقاد القوم ان الشمس ملك الفلك وهو رب الارباب الذين يقتبسون منه الانوار ويقبلون
منه الآثار فلما افلت قال اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين فورد مذهب الحنفاء وابطل مذهب الصابئة تبين ان الفطرة هي الحنيفية وان
الطهارة فيها وان الشهادة بالتوحيد مقصودة عليها وان النجاة والخلاص متعلقة بها وان الشرائع
والاحكام مشارع ومناهج عليها وان الانبياء والرسل مبعوثة بتقريرها وان الفاتحة
والخاتمة والمبدأ والكمال منوطة بتلخيصها وتحريرها ذلك الدين القيم والصراط المستقيم
والمنهج الواضح والمسلك اللائح قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلوات الله عليه

الهام

باقوم

وتقديرها

فاقم

فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين
القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون

الحزبانية وما

وهم جماعة من الصابية قالوا الصانع المعبود واحد وكثير اما الواحد ففي الذات والاول
والاصل والازل واما الكثير فلا يتكثر بالاشخاص في راي الغير وهي المدبرات السبع والاشخاص
الارضية الخيرة العالمة الفاضلة فانه يظهر بها ويتشخص باشخاصها ولا تبطل وحدته في ذاته
وقالوا هو ابدع الفلك وجميع ما فيه الاجرام والكواكب وجعلها مدبرات هذا العالم وهم
الاباء والعناصر الامهات والمركبات مواليد والاباء احياء ناطقون يودون الاثار الى العناصر
فتقبلها العناصر في ارحامها فيحصل من ذلك المواليد ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من
صفوها دون كدرها ويحصل مزاج كامل الاستعداد فيتشخص الاله به في العالم ثم ان طبيعة
الكل تحدث في كل اقليم من الاقاليم المسكونة على راس كل ستة وثلثين الف سنة واربعمائة وخمس
وعشرين سنة زوجين من كل نوع من الحيوانات ذكرا وانثى من الانسان وغيره فيبقى ذلك النوع تلك
المدة ثم اذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الانواع نسلها وتوالدها فيبتدئ دور اخر ويحدث
قرن اخر من الانسان والحيوان والنبات وكذلك ابد الدهر قالوا وهذه هي القيمة الموعودة على
لسان الانبياء والا فلا دار سوا هذه الدار وما يهلكنا الا الدهر ولا يتصور احياء الموتى
وبعث من في القبور ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات
لما توعدون وهم الذين اخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة وانما نشا اصل التناسخ والحلول من
هؤلاء القوم فان التناسخ هو ان تتكرر الاكوار والادوار الى ما لا نهاية ويحدث في كل دور
مثل ما حدث في الاول والثواب في هذه الدار لا في دار اخرى لا عمل فيها والاعمال التي نحن فيها انما
هي اجزية على اعمال سلفت منا في مبادي الادوار الماضية والراحة والسرور والفرح والدعة
التي نجدها هي مرتبة على اعمال البر التي سلفت عنا والغم والحزن والضنك والكلفة التي
نجدها هي مرتبة على اعمال الفجور التي سبقت منا وكذا كان في الاول وكذا يكون في الاخر والانصرام
من كل وجه غير متصور من الحكيم واما الحلول فهو الشخص الذي ذكرناه وربما يكون بحلول ذاته وربما
يكون بحلول جزء من ذاته على قدر استعداد مزاج الشخص وربما قالوا انما الشخص بالهياكل
السماوية بكلها وهو واحد وانما يظهر فعله في واحد واحد بقدر اثاره فيه وتشخصه

فكان الهياكل السبعة اعضاؤه السبعة وكان اعضاؤنا السبعة هياكلنا السبعة بها
يظهر فينطق بلساننا ويبصر باعيننا ويسمع باذاننا ويقبض ويبسط بايدينا ويجيء ويذهب
بارجلنا ويفعل بجوارحنا وزعموا ان الله اجل من ان يخلق الشرور والقبائح والاقذار و
المخانق والحيات والعقارب بل هي كلها واقعة ضرورية باتصالات الكواكب سعادة ونحوسة واجتماعات
العناصر صفوا وكدورة فما كان من سعد خير وصفوة فهو المقصود ومنسب الى الباري تعالى وما كان من نحوسة
وشر وكدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب اليه بل هي اما اتفاقيات ضرورية واما مستندة الى
اصل الشر والانفصال المذموم والحرانية ينسبون مقالتهم الى عاذيمون وهرمس واعيانا واوادي
اربعة من الانبياء ومنهم من ينسب الى سولون جدا فلاطن لامه ويزعم انه كان نبيا وزعموا ان اوادي
حرم عليهم البصل والحريث والباقلا والصابيون كلهم يصلون ثلث صلوات ويغتسلون من
الجنابة ومن مس الميت وحرموا اكل الجزر والخنزير والكلب ومن الطير كل ما له مخلب والحمام ونهوا عن السكر
في الشراب وعن الاختتان وامروا بالتزويج بولي وشهود ولا يجوزون الطلاق الا بحكم حاكم ولا يجمعون
بين امرأتين واما الهياكل التي بناها الصابئة على اسماء الجواهر العقلية الروحانية واشكال
الكواكب السماوية فمنها هيكل العلة الاولى ومنها هيكل العقل وهيكل الضرورة وهيكل النفس
مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشتري مثلث وهيكل المريخ مربع مستطيل
وهيكل الشمس مربع وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل عطارد مثلث في جوفه مربع
مستطيل وهيكل القمر مثمن

الفلاسفة ومن ذلك

الفلسفة باليونانية محبة الحكمة والفيلسوف هو فيلا سوفا وفيلا هو المحب وسوفا الحكمة
اي هو محب الحكمة والحكمة قولية وفعلية اما الحكمة القولية وهي العقلية ايضا هو ما يعقله
العاقل بالحد وما يجري مجراه مثل الرسم وبالبرهان وما يجري مجراه مثل الاستقراء فيعبر
بها عنه واما الحكمة الفعلية فكل ما يفعله الحكيم لغاية كما لتفا الاول الازلي لما كان هو الغاية
والكمال فلا يفعل فعلا لغاية دون ذاته والا فتكون الغاية والكمال هو الحاصل والاول محمول
وذلك محال فالحكمة في فعله وهيئته تبعا لكمال ذاته وذلك هو الكمال المطلق في الحكمة وفي فعل
غيره من المتوسطات وهيئته مقصودا للكمال المطلوب وكذلك في افعالنا ثم ان الفلاسفة
اختلفوا في الحكم القولية العقلية اختلافا لا يحصى كثرة والمتاخرون منهم من خالفوا الاوائل
في اكثر المسائل وكانت مسائل الاولين محصورة في الطبيعيات والالهيات وذلك هو الكلام

من الفطرة

وهيكل

Digitized by Google

في الباري تعالى والعالم ثم زادوا فيها الرياضيات وقالوا العلم ينقسم الى ثلثة اقسام علم ما وعلم كيف وعلم كم
فالعلم الذي يطلب منه ماهيات الاشياء هو العلم الالهي الرياضي سواء كانت الكميات مجردة عن المادة او
كانت مخالطة فاحدث بعدهم ارسطوطاليس الحكيم علم المنطق وسماه تعليمات وانما هو جرده عن كلام القدماء
والا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط وربما عده آلة العلوم لا من جهة العلوم فقال الموضوع في العلم الالهي
هو الوجود المطلق ومسائله البحث عن احوال الوجود من حيث هو وجود والموضوع في العلم الطبيعي هو الجسم
ومسائله عن احوال الجسم من حيث هو جسم والموضوع في العلم الرياضي هو الابعاد والمقادير وبالجملة الكمية
من حيث انها مجردة عن المادة ومسائله البحث عن احوال الابعاد الكمية من حيث هي ابعاد الكمية والموضوع
في العلم المنطقي هو المعاني التي في ذهن الانسان من حيث تتادى بها الى غيرها من العلوم ومسائله
البحث عن احوال تلك المعاني من حيث هي كذلك قالت الفلاسفة ولما كانت السعادة هي المطلوبة لذاتها
وانما يكدح الانسان لينالها والوصول اليها وهي لا تنال الا بالحكمة فالحكمة تطلب اما ليعمل بها
واما ليعلم فقط فانقسمت الحكمة الى قسمين علمي وعملي ثم منهم من قدم العملي على العلمي ومنهم من اخر كما
سيأتي فالقسم العملي هو عمل الخير والقسم العلمي هو علم الحق قالوا والقسمان مما يوصل اليه بالعقل الكامل
والراي الراجح غير ان الاستعانة بالقسم العملي بغيره منه اكثر والانبياء ايدوا بامداد روحانية
لتقرير القسم العملي وبطرف ما من القسم العملي والحكماء تعرضوا الامداد عقلية تقريرا للقسم العملي وبطرف
ما من القسم العملي فغاية الحكيم هو انه يتجلى لعقله كل الكون ويتشبه بالاله الحق تعالى بغاية الامكان
وغاية النبي ان يتجلى له نظام الكون فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم وتنتظم
مصالح العباد وذلك لا يتاتى الا بترغيب وترهيب وتشكيل وتخييل فكل ما وردت به اصحاب الشرايع
والملل مقدر على ما ذكرناه عند الفلاسفة الا من اخذ علمه عن مشكوة النبوة فانه ربما بلغ الى حد
التعظيم لهم وحسن الاعتقاد في كمال درجتهم فمن الفلاسفة حكماء الهند من البراهمة لا يقولون بالنبوات
اصلا ومنهم حكماء العرب وهم شرذمة قليلة لان اكثر حكمهم فلتات الطبع وخطرات الفكر وربما
قالوا بالنبوات ومنهم حكماء الروم وهم منقسمون الى القدماء الذين هم اساطين الحكمة والى المتاخرين
منهم وهم مشاؤون واصحاب الرواق واصحاب ارسطاليس والى فلاسفة الاسلام الذين هم حكماء العجم
والا فلم ينقل عن العجم قبل الاسلام مقالة في الفلسفة اذ حكمهم كلها كانت مستفادة متلقاة من
النبوات اما من الملة القديمة واما من ساير الملل غير ان الصابية كانوا يخلطون الحكمة بالصبوة فنحن
نذكر مذاهب الحكماء القدماء من الروم واليونانيين على الترتيب الذي نقل في كتبهم ونعقب ذلك بذكر

والعلم الذي يطلب فيه كيفيات الاشياء هو العلم الطبيعي والعلم الذي يطلب فيه كميات الاشياء هو العلم

هذان

ساير

ساير

سائر الحكماء ان شاء الله فان الاصل في الفلسفة والمبدأ في الحكمة للروم وغيرهم كالعبال لهم

الحكماء

السبعة الذين هم اساطين الحكمة من الملطية وساميا وابثيه وهي بلادهم واما اسماؤهم فثاليس
الملطي وانكساغورس وانكسيمانس وانبذقلس وفيثاغورس وسقراط وافلاطن وتبعهم جماعة من الحكماء
مثل فلوطرخس وبقراط وذيمقراطيس والشعراء والنساك وانما يدور كلام هؤلاء في الفلسفة على
ذكر وحدانية الباري تعالى واحاطته علما بالكليات كيف هم وفي الابداع وتكوين العالم وان المبدأ
الاول ما هي وكم هي وان المعاد ما هو ومتى هو وبما تكلموا في الباري بنوع حركة وسكون وقد اغفل
المتاخرون من فلاسفة الاسلام ذكرهم وذكر مقالاتهم واسما الا انكنت بما نقل عنا اعترف على ابصار
افكارهم اشاروا اليها تنبيها ونحن تتبعنا نقلا وتعقبناها نقدا واقتبسنا زمام الاختيار اليك
في المطالعة والمناظرة بين كلام الاوايل والاواخر

ثاليس من ملك

وهو اول من تفلسف بملطية قال ان للعالم مبدعا لا ندرك صفة العقول من جهة هويته وانما
ندرك من جهة آثاره وهو الذي لا نعرف اسمه فضلا عن هويته الا من نحو افاعيله وابداعه وتكوينه
الاشياء فلسنا ندرك له اسما من نحو ذاته بل من نحو ذاته اشياء ثم قال ان العقول الذي لا ضد له هو ان المبدع
ولا شيء مبدع فابدع الذي ابدع ولا صورة له عنده في الذات لان قبل الابداع انما هو نقط وانما
كان هو نقط فليس يقال حينئذ جهة وجهة حتى يكون هو صورة او جهة هو وجهة حتى يكون هو
ذو صورة والوحدة الخالصة تنافي هذين الوجهين والابداع هو تاثيس ما ليس باليس واذا كان هو
مؤيس الايسيات فالتاثيس لا من شيء متقادم فمؤيس الاشياء لا يحتاج الى ان يكون له صورة الا
بالايسية والا فقد لزمه ان كانت الصورة ان يكون منفردا عن الصورة التي عنده فيكون هو ذو صورة
وقد بينا انه قبل الابداع انما هو نقط وايضا فلو كانت الصورة عنده اكانت مطابقة للموجود
الخارج ام غير مطابقة فان كانت مطابقة فليستعد الصورة بعد الموجودات ولكن كلياتها
مطابقة للكليات وجزئياتها مطابقة للجزئيات وتتغير بتغيرها كما تكثرت بتكثرها وكل
ذلك محال لانه ينافي الوحدة الخالصة وان لم يطابق الموجود الخارج فليست له صورة عنها انما
هو شيء آخر قال لكنه ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها فانبعث من كل صورة موجود
في العالم العقلي على المثال الذي في العنصر الاول فحل الصورة ومنبع الموجودات هو ذات العنصر وما
من موجود في العالم العقلي والعالم الحسي الا وفي ذات العنصر صورة له ومثال عنه قال ومن كان

Digitized by Google

ذات الاول الحق انه ابدع مثل هذا العنصر فانبصوره العامة في ذاته لهم ان فيها الصور بعقول الصور
المعلومة فهي مبدعه ويتعالى بوحدانيته وهويته عن ان يوصف بما يوصف به مبدعه ومن العجائب
نقل عنه ان المبدع الاول هو الماء قال الماء قابل لكل صورة ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض
وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض
ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفو الهواء تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء ومن الاستحالة
الحاصل من الابخرة تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على سبب بالشوق الحاصل فيها اليه
قال الماء ذكر والارض انثى وهما يكونان سفلا والنار ذكر والهواء انثى وهما يكونان علوا وكان يقول
ان هذا العنصر الذي هو اول واخر هو المبدا وهو الكمال هو عنصر الجسمانيات والجرميات لا انه عنصر
الروحانيات البسيطة ثم هذا العنصر له صفو وكدر فما كان من صفوه فانه يكون جسما وما كان من
كدره فانه يكون جرما فالجرم يدثر والجسم لا يدثر والجرم كثيف ظاهر والجسم لطيف باطن وفي النشأة
الثانية يظهر الجسم ويدثر ويكون الجسم اللطيف ظاهرا والجرم الكثيف دائرا وكان يقول ان فوق السما
عوالم مبدعة لا يقدر المنطق ان يصف تلك الانوار ولا يقدر العقل ان يقف على ذلك الحس والبها
وهي مبدعة من عنصر لا يدرك غوره ولا يبصر نوره والمنطق والنفس والطبيعة تحته ودونه وهو الذي
المحض من نحو آخره لا من نحو اوله واليه تشتاق العقول والانفس وهو الذي سميناه الديمومة والسرمد
والبقاء في حد النشأة الثانية وظهر بهذه الاشارات انما اراد بقوله السماء هو المبدع الاول
اي هو مبدأ المركبات الجسمانية لا المبدأ الاول في الموجودات العلوية لكنه لما اعتقد ان العنصر الاول
هو قابل كل صورة اي منبع الصور كلها فاثبت في العالم الجسماني له مثالا يوازيه في قبول الصور كلها ولم
يجد عنصرا على هذا النهج مثل الماء فجعله المبدع الاول في المركبات وانشأ منه الاجسام والاجرام
السماوية والارضية وفي التورية في السفر الاول مبدأ الخلق تجوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة
فذابت اجزاؤه وصارت ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات فظهر على وجه الماء
زبد مثل زبد البحر فخلق الارض منه ثم ارساها بالجبال وكان ثاليس الملطي انما تلقى من هذه
المشكاة النبوية والذي اثبته من العنصر الاول الذي هو منبع الصور يشبه باللوح المحفوظ
المذكور في الكتب الالهية اذ فيه جميع احكام المعلومات وصور الموجودات والخبر عن الكائنات وفي الماء
على القول الثاني شبيه بالماء الذي عليه العرش وكان عرشه على الماء والله اعلم

الجرم ٤

راى انكساغورس

وهو ايضا من اهل الملطية راى في الوحدانية مثل ما راى ثاليس وخالفه في المبدا الاول قال ان مبدا
الموجودات هو متشابه الاجزاء وهي اجزاء لطيفة لا يدركها الحس ولا ينالها العقل منها كون الكون كله
علوي منه والسفلي لان المركبات مسبوقة بالبسائط والمختلفات مسبوقة ايضا بالمتشابهات
اليست المركبات كلها انما امتزجت وتركبت من العناصر وهي بسائط متشابهة الاجزاء وليس الحيوان
والنبات وكل ما يتغذى فانما يتغذى من اجزاء متشابهة وغير متشابهة فيجتمع في المعدة فتصير متشابهة
ثم تجري في العروق والشريانات فتستحيل اجزاء مختلفة مثل الدم واللحم والعظم وحكي عنه ايضا
انه وافق ساير الحكماء في المبدا الاول انه العقل الفعال غير انه خالفهم في قوله ان الاول الحق تعالى
ساكن غير متحرك وسنشرح القول في السكون والحركة له تعالى ونبين اصطلاحهم في ذلك وحكى
فرفوريوس عنه انه قال ان اصل الاشياء جسم واحد موضوع الكل لا نهاية له ولم يبين ما ذلك
الجسم اهو من العناصر ام خارج من ذلك قال ومنه يخرج جميع الاجسام والقوى الجسمانية والانواع
والاصناف وهو اول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الاشياء كلها كامنة في الجسم الاول وانما
الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعا وصنفا ومقدارا وشكلا وتكاثفا وتخلخلا كما يظهر السنبلة
من الحبة الواحدة والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة والانسان الكامل الصورة من النطفة
المهينة والطير من البيض وكل ذلك ظهور عن كمون وفعل عن قوة وصورة عن استعداد مادة
وانما الابداع واحد ولم يكن لشيء اخر سوى ذلك الجسم الاول وحكي عنه انه قال كانت الاشياء
ساكنة ثم ان العقل رتبها ترتيبا على احسن نظام فوضعها مواضعها من عال ومن سافل
ومن متوسط ثم من متحرك ومن ساكن ومن مستقيم في الحركة ومن دائر ومن افلاك متحركة على
الدوران ومن عناصر متحركة على الاستقامة وهي كلها بهذا الترتيب مظهرات لما في الجسم
الاول من الموجودات ويحكى عنه ان المرتب هو الطبيعة وربما يقول المرتب هو الباري تعالى واذا كان
المبدا الاول عنده ذلك الجسم فمقتضى مذهبه ان تكون النشاة الثانية هي الكمون وذلك
قريب من مذهب من يقول بالهيولى الاولى التي حدثت فيها الصور الا انه اثبت جسما غير متناه
بالفعل هو متشابه الاجزاء واصحاب الهيولى لا يثبتون جسما بالفعل وقد رد عليه الحكماء
المتاخرون في اثباته جسما مطلقا لم يعين لها صورة سماوية او عنصرية وفي نفيه النهاية
عنه وفي قوله بالكمون والظهور وفي بيانه سبب الترتيب وتعيينه المرتب وانما عقبت راي
ثاليس بمذهبه لانهما من اهل ملطية متقاربان في اثبات العنصر الاول فيه والصور متمثلة والجسم

ان يكون المعاد الى ذلك الجسم واذا كانت النشاة الاولى فيقتضي م

مذهبه براى ثاليس ز

الاول

الاول والموجودات فيه كامنة وحكى ارسطاليس عنه ان الجسم الذي يكون منه الاشياء غير قابل للكثرة
قال واومى الى ان الكثرة جاءت من قبل الباري تعالى **راى انكسيمانس**
وهو من الملطيين المعروف بالحكمة المذكور بالخير عندهم قال ان الباري تعالى ازلي لا اول له ولا آخر
هو مبدا الاشياء ولا بدو له هو المدرك من خلقه انه هو فقط وانه لا هوية تشبهه وكل هوية
فمبدعة منه هو الواحد وليس واحد الاعداد لان واحد الاعداد يتكثر وهو لا يتكثر وكل مبدع
ظهرت صورته في حد الابداع فقد كانت صورته في علمه الاول والصور عنه بلا نهاية وقال لا
يجوز في الراي الا احد قولين اما ان نقول انه ابدع ما في علمه واما ان نقول انما ابدع اشياء لا يعلمها
ومن هذا القول المستشنع وان قلنا ابدع ما في علمه فالصورة ازلية بازليته وليس تتكثر ذاته
بتكثر المعلومات ولا يتغير بتغيرها قال ابدع بوحدانيته صورة العنصر ثم صورة العقل
انبعثت عنها ببدعة الباري تعالى فرتب العنصر في العقل الوان الصور على قدر ما فيها من
طبقات الانوار واصناف الاثار وصارت تلك الطبقات صورا كثيرة دفعة واحدة كما
تحدث الصور في المرآة الصقيلة بلا زمان ولا ترتيب بعض على بعض غير ان الهيولى لا تحتمل القبول
دفعة واحدة الا بترتيب وزمان فحدثت تلك الصور فيها على الترتيب ولم يزل في العالم بعد هذا العالم
على قدر طبقات العوالم حتى قلت انواع الصور في الهيولى وصارت منها هذه الصور الرذلة الكثيفة التي لم وقلت الهيولى
تقبل نفسا روحانية ولا نفسا حيوانية ولا نباتية وكل ما هو على قبول حيوة وحس فهو يعد في اثار
تلك الانوار وكان يقول ان هذا العالم يدثر ويدخله الفساد والعدم من اجل انه سفل تلك العوالم
وثقلها ونسبتها اليه نسبة اللب الى القشر والقشر يرمى قال وانما ثبات هذا العالم بقدر ما فيه
من قليل نور ذلك العالم والا لما ثبت طرفة عين ويبقى ثباته الى ان يصفو العقل جزؤه الممتزج به والى
ان تصفو النفس جزؤها المختلط فيه فاذا صفى الجزءان عنه دثرت اجزاء هذا العالم وفسدت وبقيت
مظلمة قد عدمت ذلك القليل من النور فيها وبقيت الانفس الدنسة في هذه الظلمة بلا نور و الخبيثة
لا سرور ولا روح ولا راحة ولا سكون ولا سلوة ونقل عنه ايضا ان اول الاوايل من المبدعات
هو الهواء ومنه يكون جميع ما في العالم من الاجرام العلوية والسفلية وقال ما كون من صفو الهواء المحض
لطيف روحاني لا يدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث فما كون من كدر الهواء
كثيف جسماني يدثر ويدخل بالفساد ويقبل الدنس والخبث فما فوق الهواء من العوالم فهو من صفوه
وذلك عالم الروحانيات وما دون الهواء من العوالم فهو من كدره وذلك عالم الجسمانيات

كثير الاوساخ والاوضار يتشبث به من سكن اليه فيمنعه من ان يرتفع علوا ويتخلص عنه من لم يسكن
اليه فيصعد الى عالم كثير اللطافة دائم السرور ولعله جعل الهواء اول الاوائل لموجودات العالم
الجسماني كما جعل العنصر اول الاوايل لموجودات عالم الروحاني وهو على مثل مذهب ثاليس اذا اثبت
العنصر والماء في مقابلته وهو قد اثبت العنصر والهواء في مقابلته ونزل العنصر منزلة القلم
الاول والعقل منزلة اللوح القابل لنقش الصور ورتب الموجودات على ذلك الترتيب وهو ايضا
من مشكوة النبوت اقتبس وبعبارات القوم التبس والله اعلم

راى انبذقلس ومن ملك

وهو من الكبار عند الجماعة دقيق النظر في العلوم رقيق الحال في الاعمال وكان في زمن داود النبي
مضى اليه وتلقى منه واختلف الى لقمان الحكيم واقتبس منه الحكمة ثم عاد الى يونان وقاد قال ان
الباري تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الارادة المحضة وهو الجود والعز والقدرة
والعدل والخير والحق لا ان هناك قوى مسماة بهذه الاسماء بل هي هو وهو هذه كلها مبدع
فقط لا انه ابدع من شيء ولا ان شيئا كان معه فابدع الشيء البسيط الذي هو اول البسيط
المعقول وهو العنصر الاول ثم كثر الاشياء المبسوطة من ذلك المبدع البسيط الواحد الاول
ثم كون المركبات من المبسوطات وهو مبدع الشيء واللاشيء العقلي والفكري والوهمي اي مبدع
المتضادات والمتقابلات المعقولة والخيالية والحسية وقال ان الباري تعالى ابدع الصور
لا بنوع ارادة مستانفة بل بنوع انه علة فقط وهو العلم والارادة فاذا كان المبدع انما ابدع
الصور بنوع انه علة لها فالعلة ولا معلول والا فالمعلول مع العلة معية بالذات فاذا جاز
ان يق ان معلولا مع العلة فالمعلول ح ليس هو غير العلة وان يكون المعلول ليس اولا بكونه
معلولا من العلة ولا العلة بكونها اولى من المعلول فالمعلول اذا تحت العلة وبعدها والعلة
علة العلل كلها اي علة كل معلول تحتها فلا محالة ان المعلول لم يكن مع العلة بجهة من الجهات البتة
والا فقد بطل اسم العلة والمعلول فالمعلول الاول هي العنصر والمعلول الثاني بتوسط العقل والثالث
بتوسطهما النفس وهذه بسايط ومبسوطات وما بعدها مركبات وذكر ان المنطق لا يعبر عما عند العقل
لان العقل اكبر من المنطق من اجل انه بسيط والعقل والمنطق مركب والمنطق يتجزى والعقل يتحد ويحد
فيجمع المتجزيات فليس للمنطق اذا ان يصف الباري تعالى الا صفة واحدة وذلك انه هو ولا شيء من هذه
العوالم بسيط ولا مركب فاذا قال هي ولا شيء فقد كان الشيء واللاشيء مبدعين ثم قال انبذقلس

النوع

معلولا ح

العنصر الاول

العنصر الاول بسيط من نحو ذات العقل الذي دونه وليس هو دونه بسيطا مطلقا اي واحدا بحتا من نحو ذات العلة
فلا معلول الا وهو مركب تركيبا عقليا او حسيا فالعنصر في ذاته مركب من المحبة والغلبة وعنهما
ابدعت الجواهر البسيطة الروحانية والجواهر المركبة الجسمانية فصارت المحبة والغلبة وعنهما ابدعت
الجواهر البسيطة صفتين او صورتين للعنصر مبدئين لجميع الموجودات فانطبعت الروحانيات كلها
على المحبة الخالصة والجسمانيات كلها على الغلبة والمركبات كلها على طبيعتي المحبة والغلبة والازدواج
والتضاد وبمقدارهما في المركبات يعرف مقادير الروحانيات في الجسمانيات. قال ولهذا المعنى ائتلفت
المزدوجات بعضها ببعض نوعا بنوع وصنفا بصنف واختلفت المتضادات فتنافر بعضها عن بعض نوعا
عن نوع وصنفا عن صنف فما كان فيها من الائتلاف والمحبة فمن الروحانيات وما كان فيها من الاختلاف
والغلبة فمن الجسمانيات وقد يجتمعان في نفس واحدة باضافتين مختلفتين وربما اضاف المحبة الى المشتري
والزهرة والغلبة الى الزحل والمريخ فكانهما تشخصا بالسعدين والنحسين ولكلام انبذقلس مساق
اخر قال ان النفس النامية قشر النفس البهيمية الحيوانية والنفس الحيوانية قشر النفس المنطقية والمنطقية
العقلية وكل ما هو اسفل فهو قشر لما هو اعلى والاعلى لبه وربما يعبر عن القشر واللب بالجسد والروح
فيجعل النفس النامية جسدا للنفس الحيوانية وهذه روحا لها وعلى ذلك حتى ينتهي الى العقل وقال
لما صور العنصر الاول في العقل ما عنده من الصور المعقولة الروحانية وصور العقل في النفس ما استفاد
من العنصر صورة النفس الكل في الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل فحصلت قشور في الطبيعة لا
تشبهها ولا هي شبيهة بالعقل الروحاني اللطيف فلما نظر العقل اليها وابصر الارواح واللبوب في الاجساد
والقشور ساح عليها من الصور الحسنة الشريفة البهية وهي صور النفوس المشاكلة للصور العقلية اللطيفة
الروحانية حتى يدبرها ويتصرف فيها بالتمييز بين القشور واللبوب فتصعد باللبوب الى عالمها فكانت
النفوس الجزوية اجزاء للنفس الكلية كاجزاء الشمس المشرقة على منافذ البيت والطبيعة الكلية معلولة
للنفس وفرق بين الجزو وبين المعلول فالجزو غير والمعلول غير ثم قال وخاصية النفس الكلية المحبة لانها
لما نظرت الى العقل وبهائه وحسنه احبته حب وامق عاشق لمعشوقه فطلبت الاتحاد به وتحركت نحوه وخاصية
الطبيعة الكلية الغلبة لانها لما وجدت لم يكن لها نظر وبصر تدرك به النفس والعقل فتحبهما وتعشقهما
بل انبجست منها قوى متضادة اما في بسائطها فمتضادات الاركان واما في مركباتها فمتضادات
الاركان واما في مركباتها فمتضادات القوى المزاجية والطبيعية والنباتية والحيوانية فمردت عليها
لبعدها عن كليتها وطاوعتها الاجزاء النفسانية مغترة بعالمها الغرار الغدار فركنت الى الذات

حسية من مطعم مروى ومشرب هنى وملبس طرى ومنظر بهج ومنكح شهى ونسبت ما قد طبعت عليه من الحب
البهاء والحسن والكمال النفسانى الروحانى العقلى فلما رأت النفس الكلية تمردها واغترارها اهبطت
اليها جزء من اجزائها هو انكى والطف واشرف من هاتين النفس البهيمية والنباتية ومن تلك النفوس
المغترة بهما فيكسر النفسين عن تمردها ويجذب الى النفوس المغترة عالمها وتذكرها ما نسيت وتعلمها
ما جهلت وتطهرها عما ادنست فيه وتزكيها عما تنجست به وذلك الجزء الشريف هو النبى المبعوث
فى كل دور من الادوار فيجرى على سنن العقل والعنصر الاول من رعاية المحبة والغلبة فيتألف بعض
النفوس بالحكمة والموعظة الحسنة ويشدد على بعضها من محبة الغلبة عنفا فيخلص النفوس الجزوية
الشريفة التى اغترت بتمويهات النفسين المزاحيين عن التمويه الباطل والتضليل الزائل وربما
يكسو النفسين السافلين كسوة النفس الشريفة فتنقلب صفة الشهوية الى المحبة محبة الخير والحق
والصدق وينقلب صفة الغضبية فيغلب الشر والباطل والكذب فتصعد النفس الجزوية اللطيفة
الشريفة الى عالم الروحانيين بهما جميعا فيكونان جسدا لها فى ذلك العالم كما كانت جسدا لها
فى هذا العالم وقد قيل ان كانت الذلة والجد لاحد احبة اشكاله فيغلب بمحبتهم له اضداده
ومما نقل من انبذقلس انه قال العالم مركب من الاسطقسات الاربع فانه ليس وراءها شئ ابسط
منها وان الاشياء كامنة بعضها فى بعض وابطل الكون والفساد والاستحالة والنمو وقال
لا يستحيل الهواء نارا ولا الماء هواء ولكن ذلك بتكاثف وتخلخل وبكون وظهور وتركب وتحلل
وانما التركب فى المركبات بالمحبة والتحلل فى المتحللات بالغلبة يكون وما نقل عنه انه تكلم فى
البارى تعالى بنوع حركة وسكون فقال انه متحرك بنوع سكون لان العنصر والعقل متحركان
بنوع سكون وهو مبدعهما ولا محالة ان المبدع اكبر لانه علة كل متحرك وساكن وشايعه على هذا
الراى فيثاغورس ومن بعده من الحكماء الى افلاطن واما زينون الاكبر وذيمقراط والشاعرون
فصاروا الى انه تعالى متحرك وقد سبق النقل عن انكساغورس انه قال هو ساكن لا يتحرك لان
الحركة لا تكون الا محدثة ثم قال الا ان يقولوا ان تلك الحركة فوق هذه الحركة كما ان تلك السكون
فوق هذا السكون وهؤلاء ما عنوا بالحركة والسكون النقلة عن مكان واللبث فى مكان ولا
بالحركة التغير والاستحالة وبالسكون ثبات الجوهر والدوام على حالة واحدة فان الازلية
والقدم بينا فى هذه المعانى كلها ومن يحترز ذلك الاحتراز عن التكثر فكيف يجازف هذه
المجازفة فى التغير واما الحركة والسكون فى العقل والنفس فانما عنوا بالفعل والانفعال

بالقهر والغلبة وتارة بعموم الكل من جهة المحبة والعطف وتارة بعموم السرى

الى الغاية

وذلك ان العقل لما كان موجودا كاملا بالفعل قالوا هو ساكن واحد مستغن عن حركة يصير بها
فاعلا والنفس لما كانت ناقصة متوجهة الى الكمال قالوا هي متحركة طالبة درجة العقل ثم قالوا
العقل ساكن بنوع حركة اي هو في ذاته كامل بالفعل فاعل مخرج النفس من القوة الى الفعل والفعل
نوع حركة في سكون والكمال نوع سكون في حركة اي هو كامل ومكمل غيره فعلى هذا المعنى يجوز على
قضية مذهبهم اضافة الحركة والسكون الى الباري تعالى ومن العجب ان مثل هذا الاختلاف
قد وجد في ارباب الملل حتى صار بعض الى انه مستقر في مكان ومستو على مكان وذلك اشارة
الى السكون وصار بعض الى انه يجيء ويذهب وينزل ويصعد وذلك عبارة عن الحركة الا ان
يحمل على معنى صحيح لائق بجناب القدس حقيق بجلال الحق ومما نقل عن انبذقلس في امر المعاد ان
قال يبقى هذا العالم على الوجه الذي عهدناه من النفوس التي تشبثت بالطبايع والارواح التي
تعلقت بالشبايك حتى تستغيث في اخر الامر الى النفس الكلية التي هي كلها فيتضرع النفس الى
العقل ويتضرع العقل الى الباري تعالى فيسبح الباري تعالى عليه ويسبح العقل على النفس و
تسبح النفس على هذا العالم بكل نورها فتستضيء الانفس الجزوية وتشرق العالم بنورها حتى تعاين
الجزويات كلياتها فتتخلص من الشبكة فتتصل بكلياتها فتستقر في عالمها مسرورة محبورة
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

فيثاغورس

ابن منسارخس من اهل ساميا وكان في زمن سليمن ع قد اخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل
ذو الراي المتين والعقل الرصين يدعي انه شاهد العوالم بحسه وحدسه وبلغ في الرياضة الى ان
سمع خفيف الفلك ووصل الى مقام الملك وقال ما سمعت شيئا قط الذ من حركاتها ولا رايت
شيئا ابهى من صورها وهيئاتها وقوله في الالهيات ان الباري تعالى واحد لا كالاحاد ولا يدخل في
العدد ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس فلا الفكر العقلي يدركه ولا المنطق النفسي يصفه
فهو فوق الصفات الروحانيات من غير يدرك من نحو ذاته وانما يدرك باثاره وصنائعه وافعاله
وكل عالم من العوالم بقدر الاثار التي تظهر فيه فينعته ويصفه بذلك القدر الذي خصه
من صنعه فالموجودات في العالم الروحاني قد خصت باثار خاصة روحانية فتنعته من جهة تلك
الاثار والموجودات في العالم الجسماني قد خصت باثار خاصة جسمانية فتنعته من حيث تلك الاثار
ولا شك ان هداية الحيوان مقدرة على الاثار التي جبل الحيوان عليها وهداية الانسان
مقدرة على الاثار التي فطر الانسان عليها فكل يصفه من نحو ذاته ويقدسه عن خصايص صفاته

يدركه

ثم قال الوحدة تنقسم الى وحدة غير مستفادة من الغير وهي وحدة الباري تعالى وحدة الاحاطة
بكل شيء وحدة الحكم على كل شيء وحدة تصدر عنها الاحاد الموجودات والكثرة فيها والى وحدة
مستفادة وهي وحدة المخلوقات وربما نقول الوحدة على الاطلاق تنقسم الى وحدة قبل الدهر
ووحدة مع الدهر ووحدة بعد الدهر وقبل الزمان ووحدة مع الزمان فالوحدة التي هي قبل
الدهر وحدة الباري تعالى عز وجل والوحدة التي مع الدهر وحدة العقل الاول والوحدة التي هي بعد
الدهر وحدة النفس والوحدة التي هي مع الزمان وحدة العناصر والمركبات وربما يقسم الوحدة
قسمة اخرى فنقول الوحدة تنقسم الى وحدة بالذات والى وحدة بالعرض والوحدة بالذات ليست
الا لمبدع الكل الذي منه تصدر الوحدانيات في العدد والمعدود والوحدة بالعرض تنقسم الى ما
هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد والى ما هو مبدأ للعدد وهو داخل فيه والاول كالواحدية
للعقل الفعال لانه لا يدخل في العدد والمعدود والثاني ينقسم الى ما يدخل فيه كالجزء له فان الاثنين
انما هو مركب من واحدين فكك كل عدد فمركب من آحاد لا محالة وحيثما ارتقى العدد الى اكثر نزل
نسبة الوحدة اليه الى اقل والى ما يدخل فيه كاللازم له لا كالجزء فيه وذلك لان كل عدد ومعدود
لن يخلو قط عن وحدة ملازمة فان الاثنين والثلاثة في كونهما اثنين وثلاثة واحد وكذلك
المعدودات من المركبات والبسائط واحدة اما في الجنس واما في النوع او في الشخص كالجوهر في انه جوهر
على الاطلاق والانسان في انه انسان والشخص المعين مثل زيد في انه ذلك الشخص بعينه واحد
فلم تنفك الوحدة من الموجودات قط وهذه وحدة مستفادة من وحدة الباري تعالى لزمت الموجودات
كلها وان كانت في ذاتها متكثرة وانما شرف كل موجود بغلبة الوحدة فيه فكل ما هو ابعد من الكثرة
فهو اشرف واكمل ثم ان فيثاغورس راى في العدد والمعدود قد خالف فيه جميع الحكماء قبله وخالفه
فيه من بعده وهو انه جرد العدد عن المعدود بتجرد الصورة عن المادة وتصوره موجودا محققا وجود الصورة
وتحققها وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو اول مبدع ابدعه الباري تعالى فاول العدد هو الواحد
وله اختلاف راي في انه هل يدخل في العدد كما سبق وميله الاكثر الى انه لا يدخل في العدد فيبدأ
العدد من اثنين ويقول هو منقسم الى زوج وفرد فالعدد البسيط الاول اثنان والزوج البسيط
اربعة وهو المنقسم بمتساويين ولم يجعل الاثنين زوجا فانه لو انقسم الى واحد كان الواحد داخلا
في العدد من اثنين والزوج قسم من اقسامه فكيف يكون نفسه والفرد البسيط الاول ثلثة قال وتتم
القسمة بذلك وما وراه فهو قسمة القسمة فالاربعة هي نهاية العدد وهي الكمال وعن هذا

ونحن ابتدأنا في العدد

لا ينقسم

كان يقسم بالرباعية لا وحق الرباعية التي هي مدبر انفسنا التي هي اصل الكل وما وراء ذلك فزوج
الفرد وزوج الزوج وزوج الفرد الزوج ويسمى الخمسة عددا دائرا فانها اذا ضربتها في نفسها
ابدا عادت الخمسة من راس ويسمى الستة عددا تاما فان اجزائها متساوية لجملتها والسبعة عددا
كاملا فانها مجموع الفرد والزوج وهي نهاية اخرى والثمانية مبتداة مركبة من زوجين والتسعة
من ثلثة افراد والعشرة من مجموع العدد من الواحد الى الاربعة وهي نهاية اخرى فللعدد اربع
نهايات اربعة وسبعة وتسعة وعشرة ثم يعود الى الواحد فنقول احد عشر وتعدد التركيبات
فيما وراء الاربعة على انحاء شتى فالخمسة على مذهب من لا يرى الواحد في العدد فهي مركبة من عدد وفرد
وعلى مذهب من يرى ذلك فهي مركبة من فرد وزوجين وكذلك ستة على الاول فمركبة من فردين او عدد
وزوج وعلى الثاني فمركبة من ثلثة ازواج والسبعة على الاول فمركبة من فرد وزوج وعلى الثاني
من فرد وثلثة ازواج والثمانية على الاول فمركبة من اربعة ازواج والتسعة على الاول فمركبة من ثلثة
افراد وعلى الثاني من فرد واربعة ازواج والعشرة فمركبة على الاول من عدد وزوجين او زوج وفردين
وعلى الثاني فما يحسب من الواحد الى الاربعة وهو النهاية والكمال ثم الاعداد الاخر فقياسها هذا القياس
قال وهذه هي اصول الموجودات ثم انه ركب العدد على المعدود والمقدار على المقدور فقال المعدود
الذي فيه اثنينية هو اصل المعدودات ومبدؤها العقل باعتبار ان فيه اعتبارين من حيث ذاته
فانه ممكن الوجود بذاته واعتبار من حيث مبدعه وانه واجب الوجود به فقابله الاثنان والمعدود
الذي فيه ثلاثية هو النفس اذ زاد على الاعتبارين اعتبارا ثالثا والمعدود الذي فيه اربعية
هو الطبيعة اذ زاد على الثلثة رابعا ثم النهاية يعني نهاية المبادي وما بعده من المركبات فما من موجود
مركب الا وفيه من العناصر والنفس والعقل شيء اما عين او اثر حتى ينتهي الى السبع فيقدر المعدودات
على ذلك وينتهي الى العشرة ويعد العقل والنفوس التسعة بافلاكها التي هي ابدانها وعقولها
المفارقة وكالجوهر وتسعة اعراض وبالجملة انما يتعرف حال الموجودات من العدد والمقادير الاول و
يقول الباري تعالى عالم بجميع المعلومات على طريق الاحاطة بالاسباب التي هي الاعداد والمقادير
وهي لا تختلف فعلمه لا يختلف وربما يقول المقابل للواحد هو العنصر الاول كما قال انكسمانيس
ويسميه الهيولى الاولى وذلك هو الواحد المستفاد لان الواحد الذي هو لا كالآحاد وهو واحد
كل يصدر عنه كل كثرة وتستفيد الكثرة منه الوحدة التي تلازم الموجودات ولا تفارقها البتة
كما قررنا وذكر ان العنصر الفرد بوحدته ثم افاضها على الموجودات فلا يوجد موجود الا وفيه من وحدته

وه

من زوجين وعلى الثاني فمركبة م

اعتبار م

حظ

حظ على قدر استعداده ثم من هداية العقل حظ على قدر قبوله ثم من قوة النفس حظ على قدر تهيؤه وعلى
ذلك آثار المبادي في المركبات فان كل مركب لا يخلو عن مزاج ما وكل مزاج لا يعرى عن اعتدال ما وكل
اعتدال ما وكل اعتدال عن كمال او قوة كمال اما طبيعي الى ما هو مبدأ الحركة واما عن كمال نفساني
هو مبدأ الحس فاذا بلغ المزاج الانساني الى حد قبول هذا الكمال افاض عليه العنصر وحدته والعقل
هدايته والنفس نطقه وحكمته قال ولما كانت التاليفات الهندسية مرتبة على معادلات
عددية عددناها ايضا من المبادي فصارت طائفة من الفيثاغورسيين الى ان المبادي هي التاليفات
الهندسية على مناسبات عددية ولهذا صارت المتحركات السماوية ذات حركات متناسبة لحنية
هي اشرف الحركات والطف التاليفات ثم تعدوا من ذلك الى الاقوال حتى صارت طائفة منهم الى ان
المبادي هي الحروف والحدود المجردة عن المادة واوقعوا الالف في مقابلة الواحد والباء في مقابلة
الاثنين الى غير ذلك من المقابلات ولست ادري قدروها على اي لسان ولغة فان الالسن
تختلف باختلاف الامصار والمدن او على اي وجه من التركيب فان التركيبات ايضا مختلفة فالبسائط
من الحروف مختلف فيها فالمركبات كذلك وليس كذلك العدد فانه لا يختلف اصلا وصارت جماعة
منهم ايضا الى ان مبدأ الجسم هو الابعاد الثلثة والجسم مركب عنها واوقع النقطة في مقابلة
الواحد والخط في مقابلة الاثنين والسطح في مقابلة الثلاثة والجسم في مقابلة الاربعة وراعى
هذه المقابلات في تركيب الاجسام وتضاعيف الاعداد ومما ينقل عن فيثاغورس ان الطبايع اربع
والنفوس التي فينا ايضا اربعة العقل والعلم والراي والحس ثم ركب فيه العدد على المعدود والروحاني
على الجسماني قال ابو علي بن سينا وامثل ما يحمل عليه هذا القول ان يقال كون الشيء واحدا
غير كونه موجودا او انسانا وهو في ذاته اقدم منهما فالحيوان الواحد لا يحصل واحدا الا وقد
تقدمه معنى الوحدة التي به صار واحدا ولولاه لم يصح وجوده فاذا هو الاشرف الابسط الاول
وهذه صورة العقل فالعقل يجب ان يكون الواحد من هذه الجهة والعلم دون ذلك في الرتبة
لانه بالعقل ومن العقل فهو الاثنان الذي يتفرد الى الواحد ويصدر منه كذلك العلم يؤول الى العقل
ومعنى الظن والراي عدد السطح والحس عدد المصمت ان السطح لكونه ذا ثلث جهات هو طبيعة
الظن الذي هو اعم من العلم مرتبة وذلك لان العلم يتعلق بمعلوم معين والظن والراي يتجذب
الى الشيء ونقيضه والحس اعم من الظن فهو المصمت اي جسم له اربع جهات ومما نقل عن
فيثاغورس ان العالم انما الف من اللحون البسيطة الروحانية ويذكر ان الاعداد الروحانية

غير منقطعة

غير منقطعة بل اعداد متحدة تتجرى من نحو العقل ولا تتجرى من نحو الحواس وعدد عوالم كثيرة فمنه عالم
هو سرور محض في اصل الابداع وابتهاج وروح في وضع الفطرة ومنه عالم هو دونه ومنطقها
ليس منطق العوالم العالية فان المنطق قد يكون باللحون الروحانية البسيطة وقد يكون باللحون
الروحانية المركبة والاول قد يكون سرورها دائما غير منقطع ومن اللحون ما هو بعد ناقص في
التركيب لان المنطق بعد لم يخرج الى الفعل فلا يكون السرور بغاية الكمال لان اللحن ليس بغاية الاتفاق
وكل عالم فهو دون الاول بالرتبة وشفاف لى العوالم بالحسن والبهاء والرتبة والاخر ثقل العوالم
وثقلها وسفلها ولكن لذلك لم يجتمع كل الاجتماع ولم تتحد الصورة بالمادة كل الاتحاد وجاز على
كل جزء منه الانفكاك عن الجزء الاخر الا ان فيه نورا قليلا من النور الاول فلذلك النور وجد
فيه نوع ثبات ولولا ذلك لم يثبت طرفة عين وذلك النور القليل جسم النفس والعقل الحامل لها في هذا
العالم وذكر ان الانسان بحكم الفطرة واقع في مقابلة العالم كله وهو عالم صغير والعالم انسان
كبير ولذلك صاحبه من العقل والنفس او فرض حسن تقويم نفسه وتهذيب اخلاقه وتزكية
احواله امكنه ان يصل الى معرفة العالم وكيفية تاليفه ومن ضيع نفسه ولم يقم بمصالحها من
التهذيب والتقويم خرج عن عداد العدد والمعدود ولحق عن رباط القدر والمقدور وصار ضائعا
هملا وربما يقول ان النفس الانسانية تاليفات عددية او لحنية ولهذا ناسبت النفس مناسبات
الالحان والتذت بسماعها وطاشت وتواجدت باسماعها وجاشت ولقد كانت قبل اتصالها
بالابدان قد ابدعت من تلك التاليفات العددية الاولى ثم اتصلت بالابدان فان كانت
التهذيبات الخلقية على تناسب الفطرة وتجردت النفوس عن المناسبات الخارجية اتصلت بعالمها
وانخرطت في سلكها على هيئة اجمل واكمل من الاول فان التاليفات الاول قد كانت ناقصة من
وجه حيث كانت بالقوة وبالرياضة والمجاهدة في هذا العالم بلغت الى حد الكمال الخارجة
من حد القوة الى حد الفعل قال والشرائع التي وردت بمقادير الصلوة والزكوة وسائر العبادات
انما هي لايقاع هذه المناسبات في مقابلة تلك التاليفات الروحانية وربما بالغ في تقدير
التاليف حتى يكاد يقول ليس في العالم سوى التاليف والاجسام والاعراض تاليفات والعقول
والنفوس تاليفات ويعسر كل العسر تقدير ذلك نعم تقدير التاليف على المؤلف والتقدير
على المقدار امر يهتدي اليه ويعول عليه وكان خرينوس وزينون الشاعر متابعين لفيثاغورس
على رايه في المبدع والمبدع الا انهما قالا الباري تعالى ابدع العقل والنفس دفعة واحدة ثم

ابدع

ابدع جميع ما تحتهما بتوسطهما وفي بدو ما ابدعهما ابدعهما لا يموتان ولا يجوز عليهما الدثور و
الفناء وذكر ان النفس اذا كانت طاهرة زكية من كل دنس صارت في العالم الاعلى الى مسكنها
الذي يشاكلها ويجانسها وكان الجسم الذي هو في النار والهواء جسمها في ذلك العالم مهذبا
من كل ثقل وكدر واما الجرم الذي من الماء والارض فان ذلك يدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم
السماوي لا ان الجسم السماوي لطيف لا وزن له ولا يلمس فالجسم في هذا العالم مستبطن في الجرم لانه
اشد روحانية وهذا العالم لا يشاكل الجسم بل الجرم يشاكله وكل ما هو مركب والاجزاء النارية
والهوائية عليه اغلب كانت الجسمية اغلب وما هو مركب والاجزاء المائية والارضية عليه اغلب
كانت الجرمية اغلب وهذا العالم عالم الجرم وذلك العالم عالم الجسم فالنفس في ذلك العالم
تحشر في بدن جسماني لا جرماني دائما لا يجوز عليه الفناء والدثور ولذته تكون دائمة لا يملها الطباع
والنفوس وقيل لفيثاغورس لم قلت بابطال العالم قال لانه يبلغ العلة التي من اجلها كان فاذا
بلغ اليها سكنت حركته واكثر اللذات العلوية هي التاليفات اللحنية وذلك كما يقال التسبيح
والتقديس غذاء الروحانيين وغذاء كل موجود هو مما خلق منه ذلك الموجود واما ابرقليطس
واباسيس كانا من اتباع فيثاغورس وقالا ان مبدأ الموجودات هو النار فما تكاثف منها وتحجر فهو
الارض وما تحلل من الارض بالنار صار ماء وما تحلل من الماء بحرارة النار صار هواء فالنار مبدأها
وبعدها الماء وبعدها الهواء والنار هي المبدأ واليها المنتهى فمنها التكوين واليه الفساد واما
ابيغورس الذي تفلسف في ايام ذيمقراطيس فكان يرى ان مبادي الموجودات اجسام تدرك عقلا
وهي كانت تتحرك من الخلاء في الخلاء ويزعم ان الخلاء لا نهاية له وكذلك الاجسام لا نهاية لها الا ان لها
ثلثة اشياء الشكل والعظم والثقل وذيمقراطيس كان يرى ان لها شيئين الشكل والعظم
فقط وذكر ان تلك الاجسام لا يتجزى حيا ثم لا يتجزى لا تنفعل ولا تنكسر وهي معقولة او موهومة
غير محسوسة فاصطكت تلك الاجزاء في حركتها اضطرارا اتفاقا فحصل من اصطكاكها صور
هذا العالم واشكالها وتحركت على انحاء من جهات التحرك وذلك هو الذي يحكى عنه انهم لما قالوا
بالاتفاق فلم يثبتوا لها صانعا اوجب الاصطكاك فاوجد هذه الصورة وهؤلاء قد اثبتوا
الصانع واثبتوا سبب حركات تلك الجواهر واما اصطكاكها فقد قالوا فيها بالاتفاق والخبطة
وكان لفيثاغورس تلميذان رشيدان يدعى احدهما فلنكس ويعرف بمرزنوش قد دخل فارس
ودعى الناس الى حكمة فيثاغورس واضاف حكمه الى مجوسية القوم والاخر يدعى قلانوس دخل الهند

وبعدها الارض صح

بالاتفاق فلزمهم حصول العالم صح

ودعى النا

ودعى الناس الى حكمه واضاف حكمه الى برهبية العوام الا ان تجوز كما يقال اخذ واجتنابه قوله وهند
اخذ والروحانية ومما اخبر عنه فيثاغورث واوصى به قال اني عاينت هذا العالم العلوية بالجزء
بعد الرياضة البالغة وارتفعت عن عالم الطبايع الى عالم النفس وعالم العقل فنظرت الى ما فيها
من الصور المجردة وما لها من الحسن والبهاء والنور وسمعت ما لها من اللحون الشريفة والاصوات الشجية
الروحانية وقال ان ما في هذا العالم يشتمل على مقدار يسير من الحسن لكونه معلول الطبيعة وما
فوقه من العوالم ابهى واشرف واحسن الى ان يصل الوصف الى عالم النفس والعقل فيقف فلا يمكن
المنطق وصف ما فيها من الشرف والكرم والحسن والبهاء فليكن حرصكم واجتهادكم على الاتصال بذلك
العالم حتى يكون بقاؤكم ودوامكم طويلا بعد امنكم من الفساد والدثور وتصيرون الى عالم هو حسن
كله وبهاء كله وسرور كله وغير محزون كله ويكون سروركم ولذتكم دائمة غير منقطعة قال فمن كان
الوسائط بينه وبين مولاه اكثر فهو في رتبته العبودية انقص وان كان البدن مفتقرا في مصالحه الى
تدبير الطبيعة وكانت الطبيعة مفتقرة في تادية افعالها الى تدبير النفس وكانت النفس مفتقرة
في اختيارها الافضل الى ارشاد العقل ولم يكن فوق العقل فاتح الالهداية فبالحري ان يكون
المستعين بصريح العقل في كافة المصالح مشهورا له بفطنة الاكتفاء بمولاه وان يكون التابع
لشهوة البدن المنقاد لداعي الطبيعة والموالي لهوا النفس بعيدا من مولاه ناقصا في رتبته

الالهية م

رأي سقراط ومن ملك

سقراط بفتح ع

ابن سفرونيس الحكيم الفاضل الزاهد من اهل اثينيه وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس
وارسالاوس واقتص من اصنافها على الهيات والاخلاقيات واشتغل بالزهد ورياضة
النفس وتهذيب الاخلاق واعرض عن ملاذ الدنيا واعتزل الى الجبل واقام في غار به وفي
الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الاوثان فثاروا عليه الغاغة والجاؤا ملكهم
الى قتله فحبسه الملك ثم سقاه السم وقصته معروفة قال سقراط ان الباري تعالى لم يزل
هويته فقط وهو جوهر فقط واذا رجعنا الى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق والعقل
قاصرين عن اكتناه وصفه وتحقيقه وتسميته وادراكه لان الحقايق كلها من تلقاء جوهره
فهو المدرك حقا والواصف لكل شيء وصفا والمسمي لكل موجود اسما فكيف يقدر المسمى ان
يسمي اسما وكيف يقدر المحاط ان يحيط به وصفا فيصفه من جهة اثاره وافعاله وهي اسماء و
صفات الا انها ليست من الاسماء الواقعة على الجوهر المخبر عن حقيقته وذلك مثل قولنا

فيرجع م

الداي واضع كل شيء وخالق اي مقدر كل شيء وعزيز اي ممتنع ان يضام وحكيم اي محكم افعاله على النظام
وكذلك سائر الصفات قال ان علمه وقدرته وجوده وحكمته بلا نهاية ولا غاية ولا يبلغ العقل
ان يصفه فلو وصفها لكانت متناهية فالزم عليه انك تقول انها بلا نهاية ولا غاية وقد نرى
الموجودات متناهية فقال انما تناهيها بحسب احتمال القوابل لا بحسب القدرة والحكمة والوجود
ولما كانت المادة لم تحتمل صورا بلا نهاية فتناهت الصور لا من جهة بخل في الواهب بل لقصور في المادة
وعن هذا اقتضت الحكمة الالهية انها وان تناهت ذاتا وصورة وحيزا ومكانا الا انها لا تتناهى
زمانا في آخرها لا من نحو اولها وان لم يتصور بقاء شخص فاقتضت الحكمة استبقاء الاشخاص ببقاء
الانواع وذلك بتجدد امثالها لتستحفظ الشخص ببقاء النوع وتستبقي النوع بتجدد الاشخاص
فلا تبلغ القدرة الى حد النهاية ولا الحكمة تقف على غاية ثم من مذهب سقراط ان اخص ما يوصف به
الباري تعالى هو كونه حيا قيوما لان العلم والقدرة والجود والحكمة تندرج تحت كونه حيا والحيوة
صفة جامعة للكل والبقاء والسرمدية والدوام وحفظ النظام في العالم يندرج تحت كونه
قيوما والقيومية صفة جامعة للكل وربما يقول هو حي ناطق من جوهره اي من ذاته وحيوتنا
ونطقنا ليس من جوهرنا ولهذا تطرق الى حياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد ولا يتطرق
ذلك الى حيوته ونطقه تعالى وتقدس وحكي فلوطرخيس عنه في المبادي انه قال اصول الاشياء
ثلثة وهي العلة الفاعلة والعنصر والصورة فالله تعالى هو الفاعل والعنصر هو الموضوع الاول
للكون والفساد والصورة جوهر لا جسم وقال الطبيعة امة للنفس والنفس امة للعقل والعقل
امة للمبدع الاول من اجل ان الاول مبدع ابدعه المبدع الاول صورة العقل وقال المبدع
لا غاية له ولا نهاية له وما ليس له نهاية ليس له شخص وصورة وقال اللانهاية في ساير الموجودات
لو تحققت لكان لها صورة واقعة ووضع وترتيب صار متناهيا فالموجودات ليست بلا نهاية
والمبدع الاول ليس بذي نهاية ليس على انه ذاهب في الجهات بلا نهاية كما يتخيله الخيال والوهم بل
لا يرتقي اليه الخيال حتى يصفه بنهاية ولا نهاية فلا نهاية له من جهة العقل اذ ليس يحده ولا
من جهة الحس فليس يحده فهو ليس له نهاية فليس له شخص وصورة خيالية او وجودية حسية
او عقلية تعالى وتقدس ومن مذهب سقراط ان النفوس الانسانية كانت موجودة قبل
وجود الابدان على نحو من انحاء الوجود اما متصلة بكلها او متمايزة بذواتها وخواصها فاتصلت
الابدان استكمالا واستدامة والابدان قوالبها وآلاتها فتبطل الابدان وترجع النفوس الى

وما تحقق له صورة
ووضع وترتيب

طبقها

كليتها ومن هذا كان يخوف بالملك الذي حبسه بانه يريد قتله فان سقراط في حب والملك لا يقدر
الا على كسر الحب فالحب يكسر ويرجع الماء الى البحر ولسقراط اقاويل في مسائل الحكمة العلمية والعملية
ومما اختلف فيه فيثاغورس وسقراط ان الحكمة قبل الحق ام الحق قبل الحكمة واوضح القول فيها بان الحق
اعم من الحكمة الا انه قد يكون جليا وقد يكون خفيا واما الحكمة فهي اخص من الحق الا انها تكون جلية
فاذا الحق مبسوط في العالم مشتمل على الحكمة المستفيضة في العالم والحكمة موضحة للحق المبسوط
في العالم والحق ما به الشيء والحكمة ما لاجله الشيء ولسقراط الفاظ ورموز القاها الى تلميذه
ارخانس وحلها في كتاب فاذا نحن نوردها مرسلة معقودة منها قوله عندما فتشت علة الحياة
القيت الموت وعندما وجدت الموت القيت الحياة الدائمة ومنها اسكت من ضوضاء الذي
في الهواء وتكلم بالليالي حيث لا يكون اعشاش الخفافيش واسدد الخمس كوى ليضيء مسكن العلة
واملاء الوعاء طيبا وافرغ الحوض المثلث من القلال الفارغة واجلس على باب الكلام وامسك
مع الحذر اللجام الرخو لئلا يصعب فيرى نظام الكواكب ولا ياكل الاسود الذئب ولا تجاوز الميزان
ولا تستوطن النار بالسكين ولا تجلس على المكيال ولا تشم النفاحة وامت الحي يحيي بموته وكن
قاتلة بالسكين المرين او غير المرين واحذر الاسود ذا الاربع ومن جهة العلة كن ارنبا وعند الموت
لا تكن نملة وعندما يذكر دوران الحيوة امت الميت لتكون ذاكرا وكن مقضضا ولا تكن
صديق شرايطي فلا تكن مع اصدقائك قوسا ولا تنعس على ابواب اعدائك واثبت على
ينبوع واحد متكئا على يمينك وينبغي ان تعلم انه ليس زمان من الازمنة يفقد فيه زمان
الربيع وافحص عن ثلث سبل فاذا لم تجدها فارض بان تنام لها نوم المستغرق واضرب الاترجة
بالرمانة واقتل العقرب بالصوم واحببت ان تكون ملكا وكن حمار الوحش وليست التسعة
باكمل من الواحد وبالاثني عشر اقتنى اثني عشر وازرع بالاسود واحصد بالابيض ولا تسلبن
الاكليل ولا تهتكه ولا تقفن راضيا بعدمك للخير وانت موجود ذلك لك في اربعة وعشرين
مكانا وان سئلك سائل ان تعطيه من هذا الغذاء فميزه وان كان مستحقا للغذاء المري
فاعطه وان احتاج الى غذاء يمينك فاصنعه لان اللون الذي تطلب ذلك من كمال الغذاء
فهو للبالغين وقال يكفي من تاجج النار نورها وقال له رجل من اين لي هذا المشار اليه واحد فقال
لاني اعلم ان الواحد بالاطلاق غير محتاج الى الثاني فمتى فرضته قريبا للواحد كنت كواضع
ما لا يحتاج اليه البتة الى جانب ما لا بد منه البتة وقال الانسان له مرتبة واحدة من جهة حده

وثلث

وثلث مراتب من جهة هيئته وقال للقلب آفتان الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه
السهر وقال الحكمة اذا اقبلت خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات
وقال لا تكرهوا اولادكم على آثاركم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم وقال ينبغي ان تغتم بالحيوة
وتفرح بالموت لانا نحيى لنموت ونموت لنحيى وقال قلوب المعترفين في المعرفة بالحقائق منابر
الملئكة وبطول المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة وقال للحيا حدان احدهما
الامل والثاني الاجل فبالاول بقاؤها وبالثاني فناؤها وقال النفس الناطقة جوهر
بسيط ذو سبع قوى تتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة فاما حركاتها المفردة فاذا
تحركت نحو ذاتها ونحو العقل واما حركاتها المختلفة فاذا تحركت نحو الحواس الخمس واليونانيون
بنوا ثلثة ابيات على طوالع مقبولة احدها بيت بانطاكية على جبلها وكانوا يعظمونه
ويقربون القرابين فيه وقد خرب والثاني من جملة الاهرام التي بمصر بيت كان فيه اصنام تعبد
وهي التي نهاهم سقراط على عبادتها والثالث بيت المقدس الذي بناه داود وابنه سليمن
وقال ان سليمن هو الذي بناه والمجوس يقولون ان الضحاك بناه وقد عظمه اليونانيون تعظيم اهل
الكتاب

رأي افلاطن الالهي ومن ملك

ارسطر بن ارسطوقليس من اثينيه وهو آخر المتقدمين الاوايل الاساطين معروف بالتوحيد
والحكمة ولد في زمان اردشير بن دارا في سنة ست عشرة من ملكه وكان حدثا متعلما يتلمذ لسقراط
ولما اعتل سقراط بالسم ومات قام مقامه وجلس على كرسيه اخذ العلم من سقراط وطيماوس
والغريبين غريب اثينية وغريب الناطس وضم اليه العلوم الطبيعية والرياضية حكى عنه
قوم ممن شاهده وتتلمذ له مثل ارسطاطاليس وطيماوس وثافرطوس انه قال ان للعالم مبدعا
محدثا ازليا واجبا بذاته عالما بجميع معلوماته على نعت الاسباب الكلية كان في الازل ولم
يكن في الوجود رسم ولا طلل الامثال عند الباري تعالى وربما عبر عنه بالهيولى وربما يعبر عنه
بالعنصر ولعله يشير الى صور المعلومات في علمه فابدع العقل الاول وبتوسطه النفس الكلي وقد
انبعثت عن العقل انبعاث الصورة في المرآة وبتوسطها العنصر ويحكى عنه ان الهيولى هي موضوع
الصور الحسية غير ذلك العنصر ويحكى عنه انه ادرج الزمان في المبادي وهو الدهر واثبت لكل
موجود مشخص في العالم الحسي مثالا موجودا غير مشخص في العالم العقلي يسمى ذلك المثل الافلاطوني
فالمبادي الاول بسائط والمثل مبسوطات والاشخاص مركبات فالانسان المركب المحسوس

ثافرسطوس

التي

Digitized by Google

جزوي ذلك الانسان المبسوط المعقول وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن قال والموجودات
في هذا العالم اثار الموجودات في ذلك العالم ولا بد لكل اثر من مؤثر يشابهه نوعا من المشابهة قال
ولما كان العقل الانساني من ذلك العالم ادرك من المحسوس مثالا منتزعا من المادة معقولا يطابق
المثال الذي في عالم العقل بكليته ويطابق الموجود الذي في عالم الحس بجزويته ولولا ذلك لما
كان لما يدركه العقل مطابقا مقابلا من خارج فما يكون مدركا لشيء يوافق ادراكه حقيقة
المدرك قال والعالم عالمان عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية وعالم
الحس وفيه الاشخاص الحسية والصور الجسمانية كالمرآة المجلوة التي تنطبع فيها صور المحسوسات
فان الصور فيها مثل الاشخاص كذلك العنصر في ذلك العالم مرآة لجميع صور هذا العالم يتمثل
فيه جميع الصور كلها غير ان الفرق ان المنطبع في المرآة الحسية صورة خيالية يرى انها موجودة
تتحرك بحركة الشخص وليس في الحقيقة كذلك فان المتمثل في المرآة العقلية صور حقيقية روحانية
هي موجودة بالفعل تحرك الاشخاص ولا يتحرك فنسبة الاشخاص اليها نسبة الصورة في المرآة
الى الاشخاص فلها الوجود الدائم ولها الثبات القائم وهي متمايزة في حقايقها تمايز الاشخاص في
ذاتها قال وانما كانت هذه الصور موجودة كلية دائمة باقية لان كل مبدع ظهرت صورته في حد
الابداع فقد كانت صورته في علم الاول والصور عنده بلا نهاية ولو لم تكن الصور معه في ازليته
في علمه لم يكن ليبقى ولو لم تكن دائمة دوامها لكانت تدثر بدثور الهيولى ولو كانت تدثر مع دثور
الهيولى لما كانت رجاء ولا خوف ولكن لما صارت الصور الحسية على رجاء وخوف استدل به على بقائها
وانما تبقى اذا كان لها صور عقلية في ذلك العالم ترجو اللحوق بها وتخاف التخلف عنها واذا
اتفقت العقلاء على ان حسا ومحسوسا وعقلا ومعقولا وشاهدنا بالحس جميع المحسوسات وهي
محدودة ومحصورة بالزمان والمكان فيجب ان يشاهد بالعقل جميع المعقولات وهي غير محدودة
ومحصورة بالزمان والمكان فيكون مثلا عقلية ومما يثبته افلاطن موجودات محققة بهذا
التقسيم قال انا نجد النفس تدرك امور البسائط والمركبات ومن المركبات انواعها واشخاصها
ومن البسائط ما هو هيولانية وهي التي تعرى عن الموضوع وهي رسوم الجزويات مثل النقطة
والخط والسطح والجسم التعليمي قال وهذه اشياء موجودة بذواتها وكذلك توابع الجسم مفردة
مثل الحركة والزمان والمكان والاشكال فانا نلحظها باذهاننا بسائط مرة ومركبة اخرى
ولها حقايق في ذواتها من غير حوامل ولا موضوعات ومن البسايط ما ليست هي هيولانية

الحق ٤

قال م

مثل

مثل الوجود والوحدة والجوهر فالعقل يدرك القسمين جميعا مطابقين عالمين متقابلين عالم
العقل وفيه المثل العقلية التي تطابقها الاشخاص الحسية وعالم الحس فيه المتمثلات الحسية
التي تطابقها المثل العقلية فاعيان ذلك العالم آثار في هذا العالم واعيان هذا العالم آثار
في ذلك العالم وعليه وضع الفطرة والتقدير ولهذا الفصل شرح وتقرير وجماعة من المشائين
وارسطاطاليس لا يخالفونه في اثبات هذا المعنى الكلي الا انهم يقولون هو معنى في العقل موجود في
الذهن والكلي من حيث هو كلي لا وجود له في الخارج عن الذهن اذ لا يتصور ان يكون شيء واحد ينطبق
على زيد وعلى عمرو وهو في نفسه واحد وافلاطن يقول ذلك المعنى الذي اثبته في العقل يجب ان
يكون له شيء يطابقه في الخارج فينطبق عليه وذلك هو المثال الذي في العقل وهو جوهر لا عرض
اذ تصور وجوده لا في موضوع وهو متقدم على الاشخاص الجزوية تقدم العقل على الحس وهو
تقدم ذاتي وشرفي معا وتلك المثل هي مبادي الموجودات الحسية منها بدات واليها تعود ويتفرع
على ذلك ان النفوس الانسانية التي هي متصلة بالابدان اتصال تدبير وتصرف كانت موجودة قبل وجود
الابدان وكان لها نحو من انحاء الوجود العقلي وتمايز بعضها عن بعض تمايز الصور المجردة عن المواد بعضها
عن بعض وخالفه في ذلك تلميذه ارسطوطاليس ومن بعده من الحكماء وقالوا ان النفوس حدثت مع حدوث
الابدان وقد رايت في كلام ارسطوطاليس كما ياتي حكايته انه ربما يميل الى مذهب افلاطن في كون
النفوس موجودة قبل وجود الابدان الا ان نقل المتاخرين ما قدمنا ذكره وخالفه ايضا في حدوث
العالم فان افلاطن يحيل وجود حوادث لا اول لها لانك اذا قلت حادث فقد اثبت الاولية
لكل واحد وما ثبت لكل واحد يجب ان يثبت للكل وقال ان صورها لا بد وان تكون حادثة لكن
الكلام في هيولاها وعنصرها فاثبت عنصرا قبل وجودها فظن بعض العقلاء انه حكم عليه
بالازلية والقدم وهو اذا اثبت واجب الوجود لذاته واطلق لفظ الابداع على العنصر فقد اخرجه
عن الازلية بذاته بل يكون وجوده بوجود واجب الوجود كسائر المبادي التي ليست زمانية ولا وجودها
ولا حدوثها حدوث زماني فالبسائط حدوثها ابداعي غير زماني والمركبات حدوثها بواسطة البسائط حدوث زماني وقال ان العالم لا يفسد فسادا كليا صح ويحكى عنه في سؤاله عن طيماوس ما الشيء الذي لا حدوث له وما الشيء الحادث وليس
بباق وما الشيء الموجود بالفعل وهو ابدا بحال واحد وانما يعني بالاول وجود الباري تعالى وبالثاني
وجود الكائنات الفاسدات التي لا تثبت على حالة واحدة وبالثالث وجود البسائط والمبادي
التي لا تتغير ومن اسؤلته ما الشيء الكائن ولا وجود له وما الشيء الموجود ولا كون له يعني بالاول
الحركة المكانية والزمان لانه لم يؤهله لاسم الوجود ويعني بالثاني الجواهر العقلية التي

Digitized by Google

هي فوق الزمان والمكان والحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود اذ لها السرمد والبقاء والدهر
ويحكى عنه انه قال ان الاسطقسات لم تزل تتحرك حركة مشوشة مضطربة غير ذات نظم وان
البارى تعالى نظمها ورتبها وكان هذا العالم وربما عبر عن الاسطقسات بالاجزاء اللطيفة وقيل
انه عنى بها الهيولى الازلية العارية عن الصور حتى اتصلت الصور والاشكال بها فترتبت وانتظمت
ورايت في رموز له انه قال ان النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه
من الروح والبهجة والسرور فاهبطت الى هذا العالم حتى تدرك الجزويات وتستفيد ما ليس
لها بذاتها بواسطة القوى الحسية فسقطت رياشها قبل الهبوط واهبطت حتى تستوى ريشها
وتطير الى عالمها باجنحة مستفادة من هذا العالم وحكى ارسطاليس عنه انه اثبت للمبادى خمسة
اجناس الجوهر والاتفاق والاختلاف والحركة والسكون ثم فسر كلامه فقال اما الجوهر فنعنى به الوجود
واما الاتفاق فلان الاشياء متفقة بانها من الله تعالى واما الاختلاف فلانها مختلفة في صورها واما
الحركة فلان لكل شيء من الاشياء فعلا خاصا وذلك نوع من الحركة لا حركة النقلة واذا تحرك نحو الفعل
وفعل فله سكون بعد ذلك لا محالة قال واثبت البخت ايضا سادسا وهو نطق عقلى وناموس لطبيعة
الكل وقال جرجيس انه قوة روحانية مدبرة للكل وبعض الناس يسميه جدا وزعم الرواقيون انه نظام
لعلل الاشياء وللاشياء المعلولة وزعم بعضهم ان علل الاشياء ثلثة المشترى والطبيعة والبخت
وقال افلاطن ان في العالم طبيعة عامة تجمع الكل وفي كل واحد من المركبات طبيعة خاصة وحد
الطبيعة بانها مبدأ الحركة والسكون في الاشياء اى مبدء التغير وهو قوة سارية في الموجودات كلها
ويكون الحركات والسكنات بها وطبيعة الكل محركة الكل والمحرك الاول يجب ان يكون ساكنا
والا تسلسل القول فيه الى ما لا نهاية له وحكى ارسطاليس في مقالة الالف الكبرى من كتاب ما بعد الطبيعة
ان افلاطن كان يختلف في حداثته الى اقراطولس فكتب عنه ما روى وعن ارقطس ان جميع
الاشياء المحسوسة فاسدة فان العلم لا يحيط بها ثم اختلف بعده الى سقراط وكان من مذهبه طلب
الحدود دون النظر في طبايع المحسوسات وغيرها فظن افلاطن ان نظر سقراط في غير الاشياء الكلية
صورا لانها واحدة وراى ان المحسوسات لا تكون الا بمشاركة الصور اذ كانت الصور رسوما
ومثالات لها متقدمة عليها وانما وضع سقراط الحدود مطلقا لا باعتبار المحسوس
وغير المحسوس وافلاطن ظن انه وضعها لغير المحسوسات فاثبتها مثلا عامة وقال
افلاطن في كتاب النواميس ان الاشياء التى لا ينبغى للانسان ان يجهلها منها ان له صانعا

المحسوسة لان الحدود ليست للمحسوسات لانها انما تقع على اشياء دائمة كلية اعنى الاجناس والانواع فعند ذلك ما سمى افلاطن الاشياء صح

وان

وان صانعه يعلم افعاله وذكر ان الله تعالى انما يعرف بالسلب لا شبيه له ولا مثال وانه ابدع العالم
لا من نظام الى نظام وان كل مركب فهو للاختلال وانه كسبق العالم زمانا ولم يبدع عن شيء ثم ان الاوائل
اختلفوا في الابداع والمبدع هل هما معنيان عن معنى واحد ام للابداع نسبة الى المبدع وكذلك
في الارادة فانها المراد او المريد على حسب اختلاف متكلمي الاسلام في الخلق والمخلوق والارادة لهما خلق
ام مخلوق ام صفة في الخالق قال انكساغورس بمذهب فلوطرخس ان الارادة ليست هي غير المراد
ولا غير المريد وكذلك الفعل لانها لا صورة لها ذاتية وانما يقوم بما يغيرها فالارادة مرة تكون
مستنبطة في المريد ومرة ظاهرة في المراد وكذلك الفعل واما افلاطن وارسطاليس فلا يقولان
هذا القول وقالا ان صورة الارادة وصورة الفعل قائمتان وهما انبسط من صورة المراد كما قالا
للشيء هو المؤثر واثره في الشيء والمقطوع هو المؤثر فيه القابل للاثر فالاثر ليس هو المؤثر ولا المؤثر
والا انعكس حتى يكون المؤثر هو الاثر والمؤثر فيه هو الاثر وهو محال فصورة المبدع فاعلة وصورة
المبدع مفعولة وصورة الابداع متوسطة بين الفاعل والمفعول فللفعل صورة واثر فصورته
من جهة المبدع والصورة من جهة المبدع في حق الباري تعالى ليست زائدة على ذاته حتى يقال صورة
ارادة وصورة تاثير مغتران بل هما حقيقة واحدة واما ابرمهندس الاصغر فانه اجاز قولهم
في الارادة ولم يجز في الفعل وقال ان الارادة تكون بلا توسط من الباري تعالى فجائز ما وضعه الله واما
الفعل فيكون بتوسط منه وليس ما هو بلا واسطة كالذي يكون بتوسط بل الفعل قط لا يتحقق
الا بتوسط الارادة ولا ينعكس واما الاولون مثل تاليس وانبذقلس قالوا الارادة من جهة المبدع
هي المبدع ومن جهة المبدع هي المبدع ومن جهة الاثر هي المبدع ولا يجوز ان يقال انها من حيث جهة
الصورة هي المبدع لان صورة الارادة عند المبدع قبل ان يبدع فيجوز ان يكون ذات صورة
الشيء الفاعل هي المفعول بل من جهة اثر ذات الصورة وهي المفعول ومذهب افلاطن وارسطو
هذا بعينه وفي الفصل الخلاف

واثره من جهة المبدع ح

وقد رد هذا بان الارادة من جهة الصورة هي المبدع ح

الحكماء

وما

الاصول الذين هم من القدماء الا انا وجدناهم وابلغ في المسائل المذكورة غير حكم مرسلة غلبة
اوردناها لتلاشيها عن الفهم ولا يخلو الكتاب عن تلك الفوائد فمنهم الشعراء الذين
يستدلون بشعرهم وليس شعرهم على وزن وقافية ولا الوزن والقافية ركن في الشعر عندهم
بل الركن في الشعر ايراد المقدمات المخيلة فحسب فقد يكون الوزن والقافية معينين في التخيل فان
كانت المقدمة التي يوردها في القياس الشعري مخيلة فقط تمحض القياس شعرا وان انظم اليها

Digitized by Google

قال افلاطون تركيب المفرد من عنصرين شرعي وافلاطوني وان كان اسم الجزء قد لا يفيد بما تركيب المفرد
من شرعي وبرهاني ومنهم الانسان وتنكيره وجب اتمام عقلية لا شرعية وبعضهم ذلك حمل نفس الشخص
عن الاخلاق الذميمة وسياسة المدن الفاضلة التي هي الجنة الانسانية وربما وجد البعض
رايا في بعض المسائل المذكورة اعني المبدع والابداع وانه حادث وان ما ابدعه حادث وان الشيء
كيف يكون وجه الرأي موافق للاوائل المذكورة واوردنا اسمه وذكرنا مقالته وان
كانت كالمكررة ونبعد بهم ونجعل فلوطرخس مبدا اخر **رأي فلوطرخس** من ذلك
قيل انه اول من شهر الفلسفة ونسب اليه الحكمة فتفلسف بمصر ثم سافر الى الملطية واقام بها وقد
بعد من الاساطين قال ان الباري تعالى لم يزل بالازلية التي هي ازلية الازلية وهو مبدع
فقط وكل مبدع فلم يزل صورته في حد الابداع فقد كانت صورته عنده اي كانت معلومة له والصور
عنده بلا نهاية اي المعلومات بلا نهاية قال ولو لم يكن الصور عنده ومعه لما كان ابداع ولا
بقاء للمبدع ولو لم تكن باقية دائمة لكانت تدثر بدثور الهيولى ولو كان ذلك كانت لا تنفع الرجا
والخوف لكن لما كانت الصور باقية دائمة ولها الرجاء والخوف كان ذلك دليلا على انها لا تندثر
ولما عدل عنها الدثور ولم يكن له قوة عليها كان ذلك دليلا على ان الصور ازلية في علمه تعالى
قال ولا وجه الا القول باحد الاقوال اما ان يقال الباري تعالى لا يعلم شيئا البتة وهذا من المحال
الشنيع واما ان يقال يعلم بعض الصور دون البعض وهذا من النقص الذي لا يليق بكمال الجلال
واما ان يقال يعلم جميع الصور والمعلومات وهذا هو الرأي الصحيح ثم قال ان اصل المركبات هو
الماء فاذا تخلخل صار فيا وجد النار واذا تخلخل فيه بعض الثقل صار هواء واذا تكاثف تكاثفا
مبسوطا بالفاء صار ارضا وحكى فلوطرخس انه رأى فليطس زعم ان الاشياء انما انتظمت بالبخت
وجوهر البخت هو نظم عقلي ينفذ في الجوهر الكلي **رأي كسوفانس** ومن ذلك
كان يقول ان المبدع الاول هو ازلية دائمة دهرية القدم لا يدرك بنوع صفة منطقية
ولا عقلية مبدع كل صفة وكل نعت منطقي وعقلي فاذا كان هذا هكذا فقولنا ان هو فاعل
هذه العوالم المبدعة لم تكن عنده او كانت وكيف ابدع ولم ابدع محال لان العقل مبدع
والمبدع مسبوق بالمبدع والمسبوق لا يدرك السابق ابدا فلا يجوز ان يصف المسبوق السابق
بل يقول المبدع ابدع كيف ما احب وكيف ما شاء فهو ولا شيء معه قال وهذه الكلمة اعني هو لا شيء
بسيط لا مركب معه وهو مجمع كل ما نطلبه من العلم لانك اذا قلت لا شيء معه فقد نفيت عنه

Digitized by Google

ازلية الصور والهيولى وكل مبدع من صورة وهيولى وكل مبدع من صورة فقط ومن قال بان الصورة
ازلية مع انيته فليس هو فقط بل هو واشياء كثيرة فليس هو مبدع للصور بل كل صورة انما
اظهرت ذاتها فعند اظهارها ذاتها ظهرت هذه العوالم وهذا اشنع ما يكون من القول
وكان هرمس وعاذيمون يقولان ليست اوائل البتة ولا معقول قبل المحسوس بحال بل مثل بدعة
الاشياء مثل الذي يفرج من ذاته بلا حدث ولا فعل ظهر فلا يزال يخرجه من القوة الى الفعل حتى يوجد
فيحسه ويدركه وليس شيء معقول البتة والعالم دائم لا يزول ولا يفنى فان المبدع لا يجوز ان
يفعل فعلا يدثر الا وهو داثر مع دثور فعله وذلك محال **راى زيبون** ومن تلك
الاكبر بن ماوس من اهل قيطس كان يقول ان المبدع الاول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر
وصورة دثور كل جوهر فان علمه غير متناه والصور التي فيها من حد الابداع غير متناهية فكذلك
صور الدثور غير متناهية فالعوالم تتجدد في كل حين وفي كل دهر فما كان مشاكلا لنا ادركنا
حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان غير مشاكل لنا لم ندركه الا انه ذكر وجه التجدد
فقال ان الموجودات باقية داثرة فاما بقاؤها فبتجدد صورها واما دثورها فبدثور الصورة
الاولى عند وجود الاخرى وذكر ان الدثور قد يلزم الصور والهيولى معا وقال ايضا ان الشمس و
القمر والكواكب تستمد القوة من جوهر السماء فاذا تغيرت السماء تغيرت النجوم ايضا
ثم هذه الصور كلها بقاؤها ودثورها في علم الباري تعالى والعلم يقتضي بقائها دائما وكذلك
الحكمة تقتضي ذلك لان بقائها على هذا الحال افضل لان الباري تعالى قادر على ان يفني العوالم
يوما ما ان اراد وهذا الراي قد مال اليه الحكماء المنطقيون والجدليون دون الالهيين
وحكى فلوطرخيس ان زيبون كان يزعم ان الاصول هي الله عز وجل والعنصر فقط فالله تعالى
هو العلة الفاعلة والعنصر هو المنفعل **حكمة** قال اكثروا من الاخوان فان بقاء
النفوس ببقاء الاخوان كما ان بقاء الابدان بالادوية وقيل راى زيبون فتى على شاطئ البحر
محزونا يتلهف على الدنيا فقال له يا فتى ما تلهفك على الدنيا لو كنت في غاية الغنى وانت
راكب في لجة البحر قد انكسرت السفينة واشرفت على الغرق اكانت غاية مطلوبك النجاة و
يفوت كل ما في يديك قال نعم قال ولو كنت ملكا على الدنيا واحاط بك من يريد قتلك
اكان مرادك النجاة من يده قال نعم قال فانت الغني وانت الملك الان فتسلى الفتى وقال
لتلميذه كن بما تاتي من الخير مسرورا وبما تجتنب من الشر محبورا وقيل له اي الملوك افضل

ملك

فيكمل

ملك اليونانيين ام ملك الفرس قال من ملك غضبه وشهوته وقيل له بعد ان هرم ما حالك قال
هو ذا اموت قليلا قليلا على مهل وقيل له اذا مت من يدفنك فقال من لا يؤذيه نتن جيفتي
وسئل ما الذي يهرم قال الغضب والحسد وابلغ منهما الغم وقال الفلك تحت تدبيري ونعى
اليه ابنه فقال ما ذهب ذلك على اني انما ولدت ولدا يموت وما ولدت ولدا لا يموت وقال لا تخف موت
البدن ولكن يجب عليك ان تخاف موت النفس فقيل له لم قلت خف موت النفس والنفس الناطقة
عندك لا تموت فقال اذا انتقلت النفس الناطقة من حد النطق الى حد البهيمية وان كان جوهرها
لا يبطل فانها قد ماتت من العيش العقلي وقال اعط الحق من نفسك فان الحق يخصمك ان لم تعطه
حقه وقال محبة المال وتد الشر لان سائر الافات تتعلق بها ومحبة الشرف وتد العيوب لان
سائر العيوب يتعلق بها وقال احسن مجاورة النعم تنعم ولا تسيء بها فتسيء بك وقال اذا ادركت
الدنيا الهارب منها جرحته واذا ادركها الطالب لها قتلته وقيل له وكان لا يقتني الا قوت
يومه ان الملك يبغضك فقال وهل يحب الملك من هو اغنى منه وسئل باي شيء يخالف
الناس البهائم في هذا الزمان قال بالشرارة وقال ما راينا العقل قط الا خادما للجهل وفي رواية
السجزي الا خادما للجد والفرق بينهما ظاهر فان الطبيعة ولوازمها اذا كانت مستولية على
العقل استخدمه الجهل واذا كان ما قسم للانسان من الخير والشر فوق تدبيره العقلي كان الجد
مستخدما للعقل ويعظم جد الانسان ما يعقل وليس يعظم العقل بالجد ولهذا خيف على صاحب
الجد ما لم يخف على صاحب العقل والجد اصم اخرس لا يفقه ولا يتفقه وانما هو ريح تهب
وبرق يلمع ونار تلوح وصحو يعرض وحلم يمنع وهذا اللفظ اولى فانه عمم الحكم فقال ما راينا
العقل قط وقد يعرض العقل ان يرى لا يستخدمه الجهل وذلك هو الاكثر وقال زينون في
الحرادة خلقة ستة جبابرة راسها راس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر اسد وجناحاها
جناحا نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية **رأي ديمقراطيس** ومن تلك
وشيعته فانه كان يقول في المبدع الاول انه ليس هو العنصر فقط ولا العقل فقط بل الاخلاط
الاربعة وهي الاسطقسات اوائل الموجودات كلها ومنها ابدعت الاشياء البسيطة كلها دفعة
واحدة واما المركبة فانها كانت دائمة داثرة الا ان ديمومتها بنوع ودثورها بنوع ثم ان
العالم بجملته باق غير داثر لانه ذكر ان هذا العالم متصل بذلك العالم الاعلى كما ان عناصر هذه
الاشياء متصلة بلطيف ارواحها الساكنة فيها والعناصر وان كانت تدثر في الظاهر فان

صفها

صفوها من الروح البسيط الذي فيها فاذا كانت كذلك فليست تدثر الا من جهة ما من فلما من نحو العقل
فانه ليس تدثر فلا يدثر هذا العالم اذا كان صفوها فيه وصفوه متصل بالعوالم البسيطة وانما شنع
عليه الحكماء من جهة قوله ان اول مبدع هو العناصر وبعدها ابدعت البسائط الروحانية فهو يرجع
من الاسفل الى الاعلى ومن الاكدر الى الاصفى ومن شيعته قلموخوس الا انه خالفه في المبدع الاول
وقال بقول سائر الحكماء غير انه قال ان المبدع الاول هو مبدع الصور فقط دون الهيولى فانها لم تزل مع
المبدع فانكروا عليه وقالوا ان الهيولى لو كانت ازلية قديمة لما قبلت الصور ولما تغيرت من حال الى حال
ولما قبلت فعل غيرها اذ الازلي لا يتغير وهذا الرأي ما كان يعزى الى افلاطن الالهي والرأي في نفسه
مزيف لعزوه اليه غير صحيح وكما نقل عن ديمقراط وذيمون الاكبر وفيثاغورس انهم كانوا يقولون ان
الباري تعالى محرك بحركة فوق هذه الحركة الزمانية وقد اشرنا الى المذهبين وبينا المراد بهما مع
الحركة والسكون اليه تعالى وزيدة شرحا من احتجاج كل فريق على صاحبه قال اصحابنا السكون ان الحركة
لا تكون ابدا الا ضد السكون والحركة لا تكون الا بنوع زمان اما ماض واما مستقبل والحركة لا
تكون الا مكانية منتقلة واما مستوية ومن المستوية تكون الحركة المستقيمة والمنحرفة والمكانية
تكون مع الزمان فلو كان الباري متحركا لكان داخلا في الدهر والزمان وقال اصحاب الحركة ان حركته
اعلى من جميع ما ذكرتموه وهو مبدع الزمان والمكان وابداعه ذلك هو الذي يعني بالحركة

الدهر

رأي فلاسفة ومن ذلك

اقاذاميا فانهم كانوا يقولون ان كل مركب يحلل ولا يجوز ان يكون مركبا من جوهرين متفقين في جميع
الجهات والا لظهر جميع فاذا كان هذا هكذا فلا محالة انه اذا انحل المركب تحلل كل جوهر فاتصل
بالاصل الذي منه كان فما كان بسيطا روحانيا الحق بعالمه الروحاني البسيط العالي الروحاني
غير زائل ولما كان نفسا جاسيا غليظا الحق ايضا بعالمه كل جاسي اذا انحل تحلل جميع حتى يصل الى اللطف
من كل لطيف فاذا لم يبق من اللطافة شيء اتحد باللطيف الاول المتحد به فيكونان متحدين الى الابد
وذا اتحدت الاواخر بالاوائل وكان الاول هو اول مبدع وليس بينه وبين مبدعه جوهر آخر منبسط
فلا محالة ان تلك المبدع الاول متعلق بنور مبدعه فيبقى خالدا دهر الدهور وهذا الفصل
نقل وهو متعلق بالمسألة بالمبدأ وهؤلاء يسمون مشائين اقاذاميا واما المسلمون فالمشائي
المطلق هم اهل لوقين وكان افلاطون يلقن الحكمة ماشيا نقلها وتابعه على ذلك ارسطاليس
يسمى هو واصحابه المشائين واصحاب الرواق هم الذين كانوا لافلاطن بتعليمهم

كلهن وهو الرضا الذي لا يدرك بالبصر ولكن بالفكر اللطيفة وتعليم كابس هو الهيولا انبهات

رأي هرقل ومن تلك

الحكيم انه كان يقول ان الاوائل النور الحق لا يدرك بحجة عقولنا لانها ابدعت من ذلك النور الاول
وهو الله حقا وهو اسم الله بالبونانية انما يدل على انه مبدع الكل وهذا الاسم عندهم شريف
جدا وكان يقول ان بدو الخلق واول شيء ابدع والذي هو اول لهذه العوالم هو المحبة والمنازعة و
وافق في هذا الراي ابندقلس حيث قال الاول الذي ابدع هو المحبة والغلبة وقال هرقل السماء
كرة متحركة من ذاتها والارض مستديرة ساكنة جامدة بذاتها والشمس حللت كل ما فيها من الرطوبة
صامنة الجمود والجمادة والجبل وما لم تنفذ فيه الشمس اكثر ولم تنزع عنه الرطوبة كلها فهو التراب وكان
يقول ان السماء في المنشاة الاخرى تصير بلا كواكب لان الكواكب تهبط سفلا حتى تهبط بالارض وتلتهب
فتصير متصلا بعضها ببعض حتى تكون كالدائرة حول الارض وانما يهبط منها ما كان من اجزائها نارا
محضة ويصعد ما كان نورا محضا فتبقى النفوس الشريفة الدنسة الخبيثة في هذا العالم الذي
احاط به النار الى الابد في عقاب الجسد وتصعد النفوس الشريفة الخالصة الطيبة الى العالم
الذي يحتوي نورا وبهاء وحسنا في ثواب السرور هناك الصور الحسان الذات البصر والالحان الشجية
الذات السمع ولانها ابدعت بلا توسط مادة وتركب اجسام فهي جواهر شريفة روحانية
نورانية وقال ان الباري تعالى يمنح تلك الانفس في كل مرة منحة فيجعل لها حتى تنظر الى نوره المحض
الخارج من جوهره الحق فتستلذ عشقها وشوقها ومحبتها فلا يزال ذلك دائما ابدا الابد

رأي بيقورس ومن تلك

خالف الاوائل في الاوائل قال الذي
اثنان الخلاء والصور اما الخلاء فمكان فارغ واما الصور فهو في المكان والخلاء ومنها ابدعت
الموجودات وكل ما يكون منها فانه ينحل اليها فمنها المبدأ واليها المعاد وبما يقول الكل يفسد ولا يبقى
بعد الفناء حساب ولا قضاء ولا مكافات وجزاء بل كلها تضمحل وتدثر والانسان كالحيوان مرسل
مهمل في هذا العالم والحالات التي ترد على الانفس في هذا العالم من تلقائها على قدر حركاتها واعمالها
فان فعلت خيرا وحسنا فيرد عليها سرور وفرح وان فعلت شرا وقبيحا فيرد عليها حزن وترح فانما
سرور كل نفس بالانفس الاخرى وكذا حزنها مع الانفس الاخرى بقدر ما يظهر لها من افاعيلها وتبعه
جماعة من الناس سخفة على هذا الراي

حكم سولون ومن تلك

وكان عند الفلاسفة من الانبياء العظام بعد هرمس وقبل سقراط واجمعوا على تقديمه والقول

فاجتمعت فصار البحر والذي
جرت الشمس ونفذت فيه حتى
لم تترك فيه شيئا من الرطوبة
ح

كلها ح

بفضائله وقال سولون لتلميذه تزود من الخبر وانت مقبل خير لك من ان تتزود وانت مدبر وقال
من فعل خيرا فليجتنب ما خالفه والا دعى شرا وقال ان اموال الدنيا حق وقضاء فمن اسلف ظبفضل ومن
قضى فقد وفى وقال اذا عرضت لك فكره سوء فادفعها عن نفسك ولا ترجع بالملامة على غيرك
لكم يرايك بما احدث عليك وقال ان فعل الجاهل في خطاه ان يندم وغيره وفعل طالب الادب ان يذم
نفسه وفعل الادب ان لا يذم نفسه ولا غيره وقال اذا ان شئت الدهر وارتقا الشراب لتكسر الاثا
فلا تعتم بل قل كما ان الارباح لا تكون الا بما يباع ويشترى فكذلك الخسرانات لا تكون الا في الموجودات
فانت لغم والخسارة منك فان اكل ثمنا وليس يحيى بالجمان وسئل ابا احمد في الصبو الحيا ام الخوف
قال الحيا لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على المقت والشهوة وقال لابنه دع المزاح فان المزاح
لقاح الضغاين وسئله رجل قال هل ترى ان اتزوج ام ادع ذلك قال اي الامرين فعلت ندمت
عليه وسئل اي شيء اصعب على الانسان قال ان يعرف عيب نفسه وان يمسك عما لا ينبغي ان يتكلم به
ورايى جلاعة فقال له تعتر برجلك خير من ان تعثر بلسانك وسئل ما الكرم قال التزاهد عن
لمساوي في قبل ما الحيوة قال التمسك بامر الله وسئل ما النوم فقال النوم موت خفيفة والموت نوم
طويلة وقال ليكن اختيارك من الاشياء جديدها ومن الاخوان اقدمهم وقال انفع العلم ما اصلحت
الفكرة واقله نفعا ما قلته بلسانك وقال وينبغي ان يكون المرء حسن الشكل في صغره وعفيفا عند
ادراكه وعدلا في شبابه وذا راي في كهولته وحافظا للسنن عند الفناء حتى لا تلحقه الندامة وقال
ينبغي للشاب ان يستعد لشيوخته مثل ما يستعد الانسان للشتاء من البرد الذي يهجم عليه وقال
يا بني احفظ الامانة تحفظك وصنها حتى تصان وقال جوعوا الى الحكمة وابطشوا الى عبادة الله
قبل ان ياتيكم المانع منها وقال لتلامذته لا تكرموا الجاهل فيستخف بكم ولا تتصلوا بالاشرار فتعدوا
فيهم ولا تغتروا بالغنى ان كنتم تلامذة الصدق ولا تهملوا من انفسكم في ايامكم وليالكم ولا تستخفوا
بالمساكين في جميع اوقاتكم وكتب اليه بعض الحكماء يستوصفه من عالمي العقل والحس فقال اما عالم العقل
فدار ثواب وثبات واما عالم الحس فدار بوار وغرور وسئل ما افضل عملك على علم غيرك قال معرفتي
بان علمي قليل وقال اخلاق محمودة وجدتها في الناس الا انها انما توجد في قليل صديق يحب صديقه
غائبا كحبه حاضرا وكبر يكرم الفقراء كما يكرم الاغنياء ومقر يعبو به اذا ذكر وذاكر نعمته في
يوم بؤسه وبؤسه في يوم نعمته وحافظ للسانه عند غضبه

حكم

ومن تلك

وعبر من الشاعر وهو من القدماء الكبار الذي يجريه افلاطن واسطا ليس في اعلى المراتب و

يستلذ

واعطشوا

ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من اتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأي وجزالة اللفظ فمن ذلك
قوله لا خير في كثرة الرؤساء وهذه كلمة وجيزة شريفة تحتها معان شريفة لما في كثرة الرؤساء من الاختلاف
الذي يأتي على حكمة الرياسة بالابطال ويستدل بها في التوحيد ايضا لما في كثرة الالهة من المخالفات
التي تعكر على حقيقة الالهية بالافساد وفي الجملة لو كان اهل بلد كلهم رؤساء ما كان رئيس البتة
ولو كان اهل بلد كلهم رعية لما كان رعية البتة ومن حكمه قال اني لاعجب من الناس اذا كان يمكنهم
الاقتداء بالله عز وجل فيدعون ذلك الى الاقتداء بالبهائم قال له تلميذه لعل هذا انما يكون
لانهم قد راوا انهم يموتون كما تموت البهائم فقال بهذا السبب يكثر تعجبي منهم من قبل انهم يحسبون انهم
لابسون بدنا ميتا ولا يحسون بان في ذلك البدن نفسا غير ميتة وقال من يعلم ان الحيوة انما مستعبدة
والموت معتق مطلق اثر الموت على الحيوة وقال العقل نحوان طبيعي وتجربي وهما مثل الماء والارض
وكما ان النار تذيب كل صامت وتخلصه وتمكن من العمل فيه كذلك العقل يذيب الامور ويخلصها
ويفصلها ويعدها للعمل ومن لم يكن لهذين النحوين فيه موضع فان خير اموره له قصر العمر وقال
الانسان الخير افضل جميع ما على الارض والانسان الشرير اخس واوضع من جميع ما على الارض وقال
ان تك ذا حلم تغن ولا تكن معجبا تهن واقهر شهوتك فان الفقر من انحط الى شهواته
وقال الدنيا دار تجارة والويل لمن تزود منها الخسارة وقال الامراض ثلثة اشياء الزيادة والنقصان
في الطبايع الاربع وما يهيج الاحزان فشفاء الزايد والناقص في طبايع الادوية وشفاء ما يهيج
الاحزان كلام الحكماء والاخوان وقال العمى خير من الجهل لان اصعب ما يخاف من العمى التهور في
بئر ينهد منه الجسد والجهل يتوقع منه الهلاك الى الابد وقال مقدمة المحمودات الحياء ومقدمة المذمومات
القحة وقال برقليطس ان اوميرس الشاعر لما راى تضاد الموجودات دون فلك القمر قال يا ليته هلك
التضاد من هذا العالم ومن الناس والسيارة يعني النجوم واختلاف طبايعها واراد بذلك ان يبطل
الاختلاف والتضاد حتى يكون هذا العالم المتحرك المنتقل داخلا في العالم الساكن الباقي الدائم ومن
مذهبه ان بهرام واقع الزهرة فتولدت من بينهما طبيعة هذا العالم وقال ان الزهرة هي علة التوحيد
والاجتماع وبهرام علة التفرق والاختلاف والتوحد ضد التفرق فلذلك صارت الطبيعة
ضدا تركب وتنقص وتوحد وتفرق وقال الخط شيء اظهره العقل بوساطة القلم فلما قابل النفس
عشقته بالعنصر هذه حكمه واما اشعاره فقال ينبغي للانسان ان يفهم الامور الانسانية ان
الادب للانسان ذخر لا يسلب ارفع من عمرك ما يجربك ان امور العالم تعلمك العلم ان كنت ميتا

يحسبون بانهم

مقطعات مع

Digitized by Google

فلا تحقو عداوة من لا يموت كل ما يمشي في وقته بعضو بأن الزمان يبين الحق وبغيره اذكر نفسك انه
انك انسان ان كنت انسانا فافهم كيف تضبط غضبك اذا قلت لك مضرة فاعلم انك كنت لها
اطلب رضا كل احد الا رضا نفسك فقط ان اضحك في غير وقته صرت لعبة للبكاء ان الارض تلد كل
شيء ثم تسترده ان الرأي من احب حبيبا انتقم من الاعداء فلعله لا يفترك كن حسن الحرية ولا تكن ضحوكا
ان كنت ميتا قلا انك ذهب من هيبة لا يموت ان اردت ان تحيو فلا تضحك لا يوجب الموت ان الطبيعة
كونت الاشياء بارادة الرب تعالى من لا تفعل شيئا من الشر فهو الحي آمن بالله فانك توقف في امورك
ان مساعدة الاشرار على افعالهم كفر بالله ان المغلوب من ماثل الله والتجأ اعرف الله واعقل الامور
الانسانية اذا اراد الله خلاصك صبرت الصبر على البادية ان العقل الذي بناه الله لشريف
قوام السنة بالرجل ان تضيف الناس وان كانت لهم قوة فليس لهم عقل ان السنة توجب كرامة الوالدين
مثل كرامة الاله رأى ابنه والديك الهة لك ان الاب من ربي لا من ولدان الكلام في غير وقته يفسد
الامر كله اذا حضر نجم بحيث الامور ان سنن الطبيعة لا يعلم ان البدن يغسل البدن والاصبع ولبكن فيه
بما تدخره لنفسك دون ما تدخره لغيرك بعض المدخر لنفسه العلم والمدخر لغيره المال الكريم يحمد
ثلثة عنا فيه عقوبة الالتذاذ وعقوبة الشكر وعقوبة الشتم خير امور العالم الحسي اوسطها وخير
امور العالم العقلي افضلها وقيل ان وجود الشعراء يونان كان قبل الفلسفة وانما البدء
او مبرس وثاليس كان بعده بثلثمائة وثمانين سنة واول فيلسوف كان منهم في سنة تسعمائة واحد
وخمسين من وفاة موسى عليه السلام وهذا ما اخبر به كورفس في كتابه وذكر فورفوريوس ان ثاليس
في سنة ثلث وعشرين ومائة من ملك بخت نصر

حكم ومن ملك

بقراط واضع الطب الذي قال بفضله الاوائل والاواخر وكان اكثر حكمة في الطب وشهرته به
فبلغ خبره بهمن بن اسفنديار بن كشتاسف فكتب الى فيلاطس ملك فوه وهو بلد من بلاد اليونان
يامر بتوجيه بقراط اليه وامر له بقناطير من الذهب فابى ذلك وتلكأ عن الخروج اليه فضاق بطنه
وقويه وكان لا يأخذ على المعالجة اجرة من الفقراء واوسط الناس وقد شرط ان يأخذ من الاغنياء
ثلثة اشياء طوقا او اكليلا او سوارا من ذهب ومن حكمه قال استهينوا بالموت فان مرارته في
خوفه وقيل له اي العيش خير فقال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف وقال الحبطان والبرد
لا يحفظ البدن ولكن يحفظها اراء الرجال وتدبير الحكماء وقال تداوى كل عليل بعقاقير ارضه
فان الطبيعة مطلعة الى هوائها ونازعة الى غذائها ولما حضرته الوفاة قال اخذوا جامع العلم

الاصبع

لا تقل لغيرك ما لا تفعل

لا تكن عليه فتقرب عنه

منى من كثر نومه ولانت طبيعته وندبت جلدته طال عمره وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع
وقال لو خلق الانسان من طبيعة واحدة لما مرض لانه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض ودخل على
عليل فقال له انا والعلة وانت ثلثة فان اعنتني عليها بالقبول مني لما تسمع صرنا اثنين وانفردت
العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه وسئل ما بال انسان اثور ما يكون
بدنه اذا شرب الدواء قال مثل ذلك مثل البيت اكثر ما يكون غبارا اذا كنس وحديث ابن الملك
اذ عشق جارية من حظايا ابيه فنهك بدنه واشتدت علته فاحضر بقراط فجس نبضه ونظر الى
تفسرته فلم ير اثر علة فذاكره حديث العشق فراه يهش لذلك ويطرب فاستخبر الحال عن حاضنته
فلم يكن عندها خبر وقالت ما خرج قط من الدار فقال بقراط للملك مر رئيس الخصيان بطاعتي
فامره بذلك فقال اخرج على النساء فخرجن وبقراط واضع اصبعه على نبض الفتى فلما خرجت الحظية
اضطرب عرقه وطاب قلبه وحار طبعه فعلم بقراط انها المعينة لهواه فصار الى الملك فقال ان
ابن الملك قد عشق من الوصول اليها صعب قال الملك ومن ذلك قال هو يحب حليلتي فقال انزل
عنها ولك عنها بدل فتحازن بقراط ووجم وقال هل رايت احدا كلف احدا طلاق امراته ولا سيما الملك
في عدله ونصفته يامرني بمفارقة حليلتي ومفارقتها مفارقة روحي قال الملك اني اوثر ولدي
عليك واعوضك من هو احسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى السيف قال بقراط ان الملك لا يسمى
عدلا حتى ينصف من نفسه ما ينتصف من غيره ارايت لو كانت العشيقة حظية الملك قال يا بقراط
عقلك اتم من معرفتك ونزل عنها لابنه وبرئ الفتى وقال بقراط ان كنت تاكل ما يستمرى وما
لا يستمرى فانه ياكلك وقيل لبقراط لم ثقل الميت قال لانه كان اثنين احدهما خفيف رافع والاخر
ثقيل واضع فلما انصرف احدهما وهو الخفيف الرافع ثقل الثقيل الواضع وقال الجسد يعالج جملة
على خمسة اضرب ما في الراس بالغرغرة وما في المعدة بالقي وما في البدن باسهال البطن وما في الجلدين
بالعرق وما في العمق وداخل العروق بارسال الدم وقال الصفرا بيتها المرارة وسلطانها في الكبد
والبلغم بيته المعدة وسلطانه في الصدر والسوداء بيتها الطحال وسلطانها في القلب والدم
بيته القلب وسلطانه في الراس وقال لتلميذ له ليكن افضل وسيلتك الى الناس محبتك لهم
والتفقد لامورهم ومعرفة حالهم واصطناع المعروف اليهم ويحكى عن بقراط قوله المعروف العمر قصير
والصناعة طويلة والزمان جديد والتجربة خطر والقضاء عسر وقال لتلامذته اقسموا الليل
والنهار ثلثة اقسام فاطلبوا في القسم الاول العقل الفاضل واعملوا في القسم الثاني بما احرزتم

التهذيب ٣

من ذلك العقل ثم عاملوا في القسم الثالث من لا عقل له وانهزموا من الشر ما استطعتم وكان له ابن
لا يقبل الادب فقالت امرأته ان ابنك هو منك فادبه فقال لها هو ابني من طبعا ومن غيري نفسا
فما اصنع به وقال ان كان كثيرا فهو مضاد للطبيعة فلتكن الاطعمة والاشربة والنوم والجماع والتعب قصدا
وقال ان صحة البدن اذا كانت في الغاية كان اشد خطرا وقال ان الطب هو حفظ الصحة بما يوافق
الاصحاء ودفع المرض بما يضاده وقال من سقى السم من الاطباء والقى الجنين ومنع الحبل واجترى على المرض
فليس من شيعتي وله ايمان معروفة على هذه الشرائط وكتب كثيرة في الطب وقال في الطبيعة انها القوة
التي تدبر جسم الانسان وتصوره من النطفة الى تمام الخلقة خدمتها للنفس في تمام هيكلها ولا بد لها من المدبر
له غذاء من الشحم وبعده وما به قوامه من الاغذية ولها ثلث قوى المولدة والمربية والحافظة وبخدم الثلث
اربع قوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة ومن تلك حكم ذيمقراطيس
وكان من الحكماء المعتبرين في زمان بهمن بن اسفنديار وهو وبقراط كانا في زمان واحد قبل افلاطن
وله اراء في الفلسفة وخصوصا في مبادي الكون والفساد وكان ارسطاليس يؤثر قوله على قول استاذه
افلاطن الالهي وما انصف قال ذيمقراطيس ان الجمال الظاهر يشبه المصورون بالاصباغ ولكن الجمال
الباطن لا يشبه به الا من له بالحقيقة وهو مخترعه ومنشئه وقال ليس ينبغي ان تعد نفسك
من الناس ما دام الغيظ يفسد رايك ويتبع شهوتك وقال ليس ينبغي ان يمتحن الانسان في وقت
ذلته بل في وقت عزته وتملكه وكما ان الكير يمتحن به الذهب كذلك يمتحن به الانسان فينبئ خبره من شره
وقال ينبغي ان تاخذ في العلوم بعد ان تنفي عن نفسك العيوب وتعودها الفضائل فانك ان
لم تفعل هذا لم تنفع بشيء من العلوم وقال من اعطى جاه المال فقد اعطاه خزائنه ومن اعطاه
علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه وقال لا ينبغي ان تعد النفع الذي فيه الضرر العظيم نفعا
ولا الضرر الذي فيه النفع العظيم ضررا ولا الحيوة التي لا تحمد ان تعد حيوة وقال مثل من قنع بالآلام
كمثل من قنع الطعام بالرائحة وقال عالم معاند خير من جاهل منصف قال ثمرة العزة التواني وثمرة
التواني الشقاء وثمرة الشقاء ظهور البطالة وثمرة البطالة السفه والعنت والندامة والحزن وقال
يجب على الانسان ان يطهر قلبه من المكر والخديعة كما يطهر بدنه من انواع الخبث وقال لا تطمع احدا
ان يطاعفك اليوم فيطاولك غدا وقال لا تكن حلوا جدا لئلا تبلع ولا مرا جدا لئلا تلفظ وقال
ذنب الكلب يكسب له الطعام وفيه يكسب الضرب وكان بابشنيه نقاش غير حاذق فاتى ذيمقراطيس
قال اجتصر بينك فاصور فقال صوره اولا حتى اجتصره وقال مثل العلم مع من لا يعمل وان

قبل

ب الملك ع

قيل لا يعمل كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوى به وقيل له لا تنظر فغمض عينيه قيل لا تسمع فسد
اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على شفتيه قيل له لا تعلم قال لا اقدر انما اراد به ان البواطن
لا تندرج تحت الاختيار فاشار الى ضرورة السر واختيار الظاهر ولما كان الانسان مضطر الحدوث
كان معزول الولاية عن قلبه وهو بقلبه اكثر منه بسائر جوارحه فلهذا لم يستطع ان يتصرف في اصله لاستحالة
ان يكون فاعل اصله ولهذا الكلام شرح اخر وهو انه اراد التمييز بين العقل والحس فان الادراك العقلي
لا يتصور الانفكاك عنه واذا حصل لن يتصور نسيانه بالاختيار والاعراض عنه بخلاف الادراك الحسي
وهذا يدل على ان العقل ليس من جنس الحس ولا النفس من جنس البدن وقد قيل ان الاختيار في الانسان
مركب من انفعالين احدهما انفعال نقيصة والثاني انفعال تكامل وهو الى الانفعال الاول اميل بحكم
الطبيعة والمزاج الاخر ضعيف فيه الا اذا وصل اليه مدد من جهة العقل والتمييز والنطق وينشئ الراي
الثاقب ويحدث الحزم الصائب فيحب الحق ويكره الباطل فمتى وقف هذا المدد من القوة الاختيارية كانت
الغلبة للانفعال الاخر ولولا تركب الاختيار عن هذين الانفعالين وانقسامه الى هذين الوجهين لتاتى
للانسان جميع ما يقصده بالاختيار بلا مهلة ولا ترجح ولا هينة ولا ترنح ولا استشارة ولا استخارة
وهذا الراي الذي راه هذا الحكيم لم اجد احدا انه له ولا عثر عليه او حكم به واومى اليه

حكم ومن تلك اوقليدس وهو اول من تكلم في الرياضيات وافرده علما
نافعا في العلوم منقحا للخاطر ملقحا للفكر وكتابه معروف باسمه وذلك حكمته وقد وجدنا له حكما
متفرقة فاوردناها على سوق مرامنا وطرد كلامنا فمن ذلك قوله الخط هندسة روحانية
ظهرت بالة جسمانية وقال له رجل يتهدده اني لا الوا جهدا في ان افقدك حيوتك فقال اوقليدس
وانا لا الوا جهدا في ان افقدك غضبك وقال كل امر تصرفنا فيه وكانت النفس الناطقة هي المقدرة
له فهو داخل في الافعال الانسانية وما لم تقدره النفس الناطقة فهو داخل في الافعال البهيمية
وقال من اراد ان يكون محبوبه محبوبك وافقك على ما تحب فاذا اتفقتما على محبوب واحد صرتما
الى الاتفاق وقال افرغ الى ما يشبه الراي العالم التدبيري العقلي واتهم ما سواه وقال كل ما استطيع على
خلعه ولم يضطر الى لزومه المرء فلم الاقامة على مكروهه وقال الامور جنسان احدهما يستطاع
قلعه والمصير الى غيره والاخر توجبه الضرورة فلا يستطاع الانتقال عنه والاغتمام والاسف
على كل واحد منهما غير سائغ في الراي وقال ان كانت الكائنات من المضطرة فما الاهتمام بالمضطر
اذ لا بد منه وان كانت غير مضطرة فلم الهم فيما يجوز الانتقال عنه وقال الصواب اذا كان عاما

كان

كان افضل لان الخاص يقع بالتحري وتلقاء امر ما وقال العمل على الانصاف ترك الاقامة على المكروه وقال
اذا لم يضطرك الى الاقامة عليه شيء فان اقمت رجعت باللائمة عليك وقال الحزم هو العمل على
ان لا تثق بالامور التي في الامكان عسرها ويسرها وقال كل فايت وجدت في الامور منه عوضا
وامكنك اكتساب مثله فما الاسف على فوته وان لم يكن منه عوض ولا يصادف له مثل فما الاسف
على ما لا سبيل الى مثله ولا امكان في دفعه وقال لما علم العاقل انه لا ثقة بشيء من امور الدنيا
القى منها ما منه بد واقتصر على ما لا بد منه وعمل فيما يوثق به بابلغ ما قدر عليه وقال اذا كان الامر
ممكنا فيه التصرف فوقع بحال ما يحب فاعتده ربحا وان وقع بحال ما تكره فلا تحزن عليه فانك قد كنت
عملت فيه على غير ثقة توقعه على ما تحب وقال لم ار احدا الا ذاما للدنيا وامورها اذ هي على ما هي من
التغير والتنقل فالمستكثر منها يلحقه ان يكون اشد اتصالا بما يذم الانسان ما يكره والمستقل منها
مستقل واذا استقل مما يكره كان ذلك اقرب الى ما يحب وقال اسوء الناس حالا من لا يثق باحد
لسوء ظنه ولا يثق به احد لسوء فعله وقال الجشع بين شرين فالاعدام يخرجه الى السرف والسفه
والجدة تخرجه الى الاشر وقال لا تعن اخاك على اخيك في خصومة فانهما يصطلحان على قليل وتكتسب
المذمة

ومن تلك

حكم بطلميوس وهو صاحب المجسطي الذي تكلم
في هيئة الفلك واخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل فمن حكمه ان قال ما احسن بالانسان
ان يصبر عما يشتهي واحسن منه ان لا يشتهي الا ما ينبغي وقال لمن يغني الناس ويسئل اشبه بالملوك
ممن يستغني بغيره ويسئل وقال لان يستغني الانسان على الملك اكرم له من ان يستغني به وقال
موضع الحكمة من قلوب الجهال كموضع الذهب والجوهر من ظهر الحمار وسمع جماعة من اصحابه وهم حول
سرادقه يقعون فيه ويثلبونه فخر رمحا كان بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم ويتباعدوا عنه فيدرج
ثم يقولوا ما احبوا وقال العلم في موطنه كالذهب في معدنه لا يستنبط الا بالدؤب والتعب والكد
والنصب ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار وقال بطلميوس دلالة القمر في الايام اقوى و
دلالة الشمس والزهرة في الشهور اقوى ودلالة المشتري وزحل في السنين اقوى ومما ينقل عنه انه قال
نحن كاينون في الزمن الذي ياتي بعد وهذا رمز الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقي ذلك الكون والوجود
في ذلك العالم

ومن ذلك

حكماء اهل المظال وهم
خروسيس وزينون قولهما الخالص ان الباري الاول واحد محض هو هو فقط ابدع العقل والنفس
دفعة واحدة ثم ابدع جميع ما تحتهما بتوسطهما وفي بدو ما ابدعهما جوهرين لا يجوز عليهما الدثور

وانما يذم صح
مما يكره صح

وقال الحكيم الذي اذا صدق
صبر لا الذي اذا قذف كظم
صح

ابدعهما صح

والفرد

والفساد وذكروا ان للنفس جرمين جرم من النار والهواء وجرم من الماء والارض فالنفس تتحد بالجرم
الذي من النار والهواء والجرم الذي من النار والهواء متحد بالجرم الذي من الماء والارض فالنفس تظهر
فاعيلها في ذلك الجرم وذلك الجرم ليس له طول ولا عرض ولا مكان وباصطلاحنا سميناه جسما
وافاعيل النفس فيها تبرز هيئة من الجسم الى الجرم فيحدث النور والبهاء والحسن وبها ظهرت افاعيل النفس عند
بنو سطين كانت اظلم ولم يكن لها نور شديد وذكروا ان النفس اذا كانت ظاهرة زكية استحسنت الاجزاء
النارية والهوائية وهي جسمها في ذلك العالم جسما روحانيا نورانيا علويا ظاهرا مهذبا من كل ثقل
كدر واما الجرم الذي من الماء والارض فيذبل ويفنى لانه غير مشاكل للجسم السماوي ولان ذلك الجرم لطيف
لا وزن له ولا يلمس وانما يدرك من البصر فقط كما تدرك الاشياء الروحانية من العقل فالطف ما يدرك الحس
البصري من الجواهر النفسانية والطف ما يدرك من ابداع الباري تعالى ان تفعل واذا ربطها فليست بمستطيعة
كالحيوان الذي اذا خلاه مدرك اعني الانسان كان مستطيعا في كل ما دعا اليه وتحرك اليه واذا ربطه لم
يقدر ان يكون حيث شاء ان يكون مستطيعا وذكروا ان دخل النفس واوساخ الجسد انما تكون لازمة للانسان
من جهة الاجزاء واما التطهير والتهذيب فمن جهة الكل لانه اذا انفصلت النفس الكلية من النفس الجزوية والعقل
الجزوي من العقل الكلي غلظت وصارت من خير الجرم لانها كلما سفلت اتحدت بالجرم من خير الماء والارض
ثقيلا ان يذهبا سفلا وكلما اتصلت النفس الجزوية بالنفس الكلية والعقل الجزوي بالعقل الكلي
ذهبت علوا لانها تتحد بالجسم من خير النار والهواء وكلاهما لطيفا ان يذهبا علوا وهذان الجرمان
مركبان وكل واحد منهما من جوهرين واجتماع هذين الجرمين يوجب الاتحاد شيئا واحدا
عند الحس البصري فاما عند الحواس الباطنة وعند العقل فليست شيئا واحدا فالجسم في هذا العالم مستبطن
في الجرم لانه اشد روحانية ولان هذا العالم ليس مشاكلا له ولا مجانسا والجرم مشاكل ومجانس لهذا العالم
فصار الجرم اظهر من الجسم لمجانسة هذا العالم وتركيب صار الجسم مستبطنا في الجرم لان هذا العالم
مشاكل له وغير مجانس فاما في ذلك العالم فالجسم ظاهر على الجرم لان ذلك العالم عالم الجسم لانه مجانس
ومشاكل له ويكون لطيف الجرم الذي من لطيف الماء والارض المشاكل لجوهر النار والهواء
مستبطنا في الجسم كما كان الجسم مستبطنا في هذا العالم في الجرم فاذا كان هذا فيما ذكروا هكذا
كان ذلك الجسم باقيا دائما لا يجوز عليه الدثور والفناء ولذته دائمة لا تمله النفوس
ولا العقول ولا ينفد ذلك السرور والحبور وفضلوا عن افلاطون استادهم لما
كان الواحد لا بدل له صار لهذا نهاية كل شيء والتماس الواحد لا نهاية له لانه لا بدل له لا انه

لا نهاية

Digitized by Google

لانهاية له وقال ينبغي للمرء ان ينظر كل يوم الى وجهه في المرآة فان كان قبيحا لا يفعل قبيحا فيجمع بين قبحين وان كان حسنا لا يشينه بقبيح وقال انك لن تجد الناس الا رجلين اما مؤخر في نفسه قد حظه او مقدما في نفسه اخره دهره فارض ما انت فيه اختيارا والا رضيت اضطرارا

الحكماء ومنها

الذين تلوهم في الزمان وخالفوهم في الراي مثل ارسطاليس ومن تابعه على رايه مثل الاسكندر الرومي وديوجانس الكلبي والشيخ اليوناني وغيرهم وكلهم على راي ارسطو في المسائل التي تفردوا عن القدماء ونحن نذكر من ارائه ما يتعلق بغرضنا من المسائل التي شرعت فيها الاوائل وخالفهم المتاخرون ونحصرها في ست عشر مسائل ومن ذلك راي ارسطاليس بن نيقوماخوس من اهل اسطاخر وهو المقدم المشهور والمعلم الاول والحكيم الفاضل المطلق عندهم وانما ولد في اول سنة من ملك اردشير بن دارا فلما اتت عليه سبع عشرة سنة اسلمه ابوه الى افلاطن فمكث عنده نيفا وعشرين سنة وانما سموه المعلم الاول لانه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو والعروض فان نسبة المنطق الى المعاني التي في الذهن نسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر وهو واضع لا بمعنى انه لم يكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقومها بل بمعنى انه جرد الذهن عن المادة فقومها تقريبا الى اذهان المتعلمين حتى تكون كالميزان عندهم يرجعون اليه عند اشتباه الصواب بالخطاء والحق بالباطل الا انه اجمل القول اجمال المهدين وفصله المتاخرون تفصيل الشارحين وله حق السبق وفضيلة التمهيد وكثر في الطبيعيات والالهيات والاخلاق معروفة ولها شروح كثيرة ونحن اخترنا في نقل مذهبه على شرح ثامسطيوس الذي اعتمده مقدم المتاخرين ورئيسهم ابو علي بن سينا واوردنا نكتا من كلامه في الالهيات واخطا بافي مقالاته في المسائل على نقل المتاخرين اذ لم يخالفوه في راي ولا نازعوه في حكم كالمقلدين له المتهالكين عليه وليس الامر على ما مالت ظنونهم اليه **المسئلة الاولى** في اثبات واجب الوجود الذي هو المحرك الاول قال في كتاب ثولوجيا من حرف اللام ان الجوهر يقال على ثلثة اضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك قال انا وجدنا المتحركات على اختلاف جهاتها واوضاعها ولا بد لكل متحرك من محرك فاما ان يكون المحرك متحركا فيتسلسل القول فيه ولا يتحصل والا فيستند الى محرك غير متحرك ولا يجوز ان يكون فيه شيء ما بالقوة فانه يحتاج الى شيء اخر يخرجه من القوة الى الفعل اذ هو لا يتحرك

من ذاته من القوة الى الفعل فالفعل اذا اقدم على القوة فما بالفعل اقدم على ما بالقوة وكل جائز وجوده
ففي طبيعته معنى ما بالقوة وهو الامكان والجواز فيحتاج الى واجب يوجبه كذلك كل متحرك
فيحتاج الى محرك فواجب الوجود بذاته ذات وجوده غير مستفاد من وجود غيره وكل موجود فوجوده
مستفاد عنه بالفعل وجائز الوجود له في نفسه وذاته الامكان وذلك اذا اخذته بلا شرط
واذا اخذته بشرط علته فله الوجوب واذا اخذته بشرط لا علته الامتناع **المسئلة**
الثانية في ان واجب الوجود واحد اخذا رسطاليس يوضح ان المبدء الاول واحد
من حيث ان العالم واحد ويقول ان الكثرة بعد الاتفاق في الحد ليست هي كثرة العنصر
واما ما هو بالانية الاولى فليس له عنصر لانه تام قائم بالفعل لا يخالط القوة فاذا المحرك
الاول واحد بالكلمة والعدد اي الاسم والذات قال فمحرك العالم واحد لان العالم واحد
هذا نقل ثامسطيوس وآخذ من نصر مذهبه يوضح ان المبدء الاول واحد من حيث ان واجب
الوجود لذاته قال ولو كان كثيرا لحمل واجب الوجود عليه وعلى غيره بالتواطؤ فيشملهما جنسا وينفصل
احدهما عن الاخر نوعا فيتركب ذاته من جنس وفصل فيسبق اجزاء المركب على المركب سبقا
بالذات فلا يكون واجبا بذاته ولانه لو لم يكن هو بعينه واجب الوجود لذاته لا لشيء عينه
بل امر خارج عنه كان واجب الوجود بذلك الامر الخارج فلم يكن واجبا بذاته هذا خلف
المسئلة الثالثة في ان واجب الوجود لذاته عقل لذاته وعاقل ومعقول لذاته
عقل من غيره او لم يعقل اما انه عقل فلانه مجرد عن المادة منزه عن اللوازم المادية فلا تحجب
ذاته عن ذاته واما انه عقل لذاته فلانه مجرد لذاته واما انه معقول لذاته فلانه غير محجوب عن ذاته
بذاته او بغيره قال الاول يعقل ذاته ثم من ذاته يعقل كل شيء فهو يعقل العالم العقلي دفعة واحدة
من غير احتياج الى انتقال وتردد من معقول الى معقول وانه ليس يعقل الاشياء على انها امور
خارجة عنه فيعقلها منها كما لنا عند المحسوسات بل يعقلها من ذاته وليس كونه عاقلا وعقلا بسبب
وجود الاشياء المعقولة حتى يكون وجودها قد جعله عقلا بل الامر بالعكس اي عقله للاشياء
جعلها موجودة وليس للاول شيء يكمله فهو الكامل لذاته المكمل لغيره فلا يستفيد وجوده من وجود
كمالا وايضا فانه لو كان يعقل الاشياء من الاشياء لكان وجودها متقدما على وجوده ويكون
جوهره في نفسه في قوامه وطباعه ان يقبل معقولات الاشياء فيكون في طباعه بالقوة من حيث
يكاد بها هو خارج عنه حتى يقال لولا ما هو خارج عنه لم يكن له ذلك المعنى وكان فيه عدمها

واجبا بذاته و
ح

فيكون

Digitized by Google

فيكون الذي له في طباع نفسه وباعتبار نفسه من غير اضافة الى غيره او يكون عادما للمعقولات
ومن شانه ان يكون له ذلك فيكون باعتبار نفسه مخالطا للامكان والقوة واذا فرضنا انه لم
يزل ولا يزال موجودا بالفعل فيجب ان يكون من ذاته الامر الاكمل الافضل لا من غيره قال واذا عقل
ذاته عقل ما يلزمها لذاتها بالفعل وعقل كونه مبدأ وعقل كل ما يصدر عنه على ترتيب الصدور عنه
والا فلم يعقل ذاته بكنهها قال وان كان ليس يعقل بالفعل فما الشيء الكريم له وهو كون الناقص
لكماله فيكون حاله كحال الكاتم وان كان يعقل الاشياء من الاشياء فيكون الاشياء متقدمة
عليه فيقوم بما يعقله ذاته وان كان يعقل الاشياء من ذاته فهو المرام والمطلب وقد يعبر عن هذا الغرض
عبارة تؤدي قريبا من هذا المعنى فيقول ان كان جوهره العقل وان يعقل فاما ان يعقل ذاته او
غيره فان كان يعقل شيئا اخر فما هو في حد ذاته غير مضاف الى ما يعقله وهل لهذا المعتبر لنفسه فضل
وجلال مناسب لان يعقل بان يكون بعض الاحوال ان يعقل له افضل من ان لا يعقل او بان لا
يعقل يكون له افضل من ان يعقل فانه لا يمكن القسم الاخر وهو ان يكون يعقل شيء اخر افضل
من الذي له في ذاته من حيث هو في ذاته شيء يلزمه ان يعقل فيكون فضله وكماله بغيره وهذا
محال **المسئلة الرابعة** في ان واجب الوجود لا يعتريه تغير وتاثر من غيره بان يبدع او
يعقل قال الباري تعالى عظيم الرتبة جدا غير محتاج الى غيره ولا متغير بسبب من غيره سواء كان
التغير زمانيا او كان تغيرا بان ذاته يقبل من غيره اثرا وان كان دائما في الزمان دائما
لا يجوز له ان يتغير كيف كان لان انتقاله انما يكون الى الشر لا الى الخير لان كل رتبة غير رتبته
فهو دون رتبته فكل شيء يناله ويوصف به فهو دون نفسه ويكون ايضا شيئا مناسبا للحركة
خصوصا ان كانت تعدية زمانية وهذا معنى قوله ان التغير الى الشيء الذي هو شر وقد الزم على
كلامه انه اذا كان العقل الاول يعقل ابدا ذاته فانه يتعب ويكل ويصير متاثرا واجاب ثامسطيوس
عن هذا بانه انما لا يتعب لانه يعقل ذاته وكما لا يتعب من ان يحب ذاته لا يتعب من ان يعقل ذاته قال ابو
علي بن سينا ليست العلة انه لذاته يعقل او لذاته يحب بل لانه ليس مضاد الشيء في جوهر العاقل في
العالم فان التعب هو ازي يعرض بسبب خروج عن الطبيعة وانما يكون ذلك انما كانت الحركات
التي يتوالى مضادة لمطلوب الطبيعة فاما الشيء الملائم واللذيذ المحض الذي ليس فيه منافات
ولا يجب ان يكون تكريره متعبا **المسئلة الخامسة** في ان واجب الوجود حي بذاته باق بذاته
كامل في ان يكون بالفعل مدركا لكل شيء نافذ الامر في كل شيء وقال ان الحياة

التي عندنا

التي عندنا يقترن بها من ادراك خسيس وتحريك خسيس واما هناك فالمشار اليه بلفظ الحياة هو كون
العقل التام بالفعل الذي يتعقل من ذاته كل شيء وهو باقي الدهر ازلي فهو حي بذاته باق بذاته عالم
بذاته قادر بذاته وانما يرجع جميع صفاته الى ما ذكرنا من غير تكثر ولا تغير في ذاته **المسئلة
السادسة** في انه لا يصدر عن الواحد الا واحدا قال الصادر الاول هو العقل الفعال لان الحركات
اذا كانت كثيرة ولكل متحرك محرك فيجب ان يكون عدد المحركات بحسب عدد المتحركات والمحركات تنسب
اليه لا على ترتيب اول وثاني بل جملة واحدة لتكثرت جهات ذاته الى محرك محرك ومتحرك متحرك
فتكثر ذاته وقد اقمنا البرهان على انه واحد من كل وجه فلن يصدر عن الواحد من كل وجه الا واحد وهو
العقل الفعال وله في ذاته وباعتبار ذاته امكان الوجود وباعتبار علته وجوب الوجود فيكثر ذاته
لا من جهة علته فيصدر عنه شيئان ثم يزيد التكثر في الاسباب فتكثر المسببات والكل ينسب اليه
المسئلة السابعة في عدد المفارقات قال اذا كان عدد المتحركات مرتبا على عدد
المحركات فيكون الجواهر المفارقة كثيرة على ترتيب اول وثان فلكل كرة متحركة محرك مفارق غير
متناهي القوى ويحرك كما يحرك المشتهي والمعشوق ومحرك اخر مزاول للحركة فيكون صورة الجرم
السماوي فالاول عقل مفارق والثاني نفس مزاول فالمحركات المفارقة تحرك على انها مشتهاة
معشوقة والمحركات المزاولة تحرك على انها مشتهية عاشقة ثم يطلب عدد المحركات من عدد حركات
الاكر وذلك شيء لم يكن ظاهرا في زمانه وانما ظهر بعد والاكر تسعة لما دل الرصد عليها فا
لعقول المفارقة عشرة تسعة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة وواحد هو العقل الفعال
المسئلة الثامنة في ان الاول مبتهج بذاته فقال ارسطاليس اللذة في المحسوسات
هو الشعور بالملائم وفي المعقولات الشعور بالكمال الواصل اليه من حيث يشعر به فالاول مغتبط بذاته
ملتذ بها لانه يعقل ذاته على كمال حقيقتها وشرفها وان جل عن ان ينسب اليه لذة انفعالية بل يجب
ان يسمى ذلك بهجة وعلاء وبهاء كيف ونحن نلتذ بادراك الحق ونحن مصروفون عنه مردودون
في قضاء حاجات خارجة عما يناسب حقيقتنا التي نحن بها ناس وذلك لضعف عقولنا وقصورنا
في المعقولات وانغماسنا في الطبيعة البدنية لكنا نتوسل على سبيل الاختلاس فيظهر لنا اتصال
بالحق الاول فيكون كسعادة عجيبة في زمان قليل جدا وهذه الحالة له ابدا وهو لنا غير ممكن لانا
مذنبون ولا يمكننا ان نشم تلك البارقة الالهية الا خطفة وخلسة **المسئلة التاسعة**
في صدور نظام الكل وترتيبه عنه قال قد بينا ان الجوهر يقال على ثلثة اضرب اثنان طبيعيان وواحد

غير متحرك وقد بيّنا الفول في الواحد غير المتحرك واما الاثنان لطبيعتان فهما الهيولى والصورة والعنصر
والصورة وهما مبدأ الاجسام الطبيعية واما العدد فيعد من المبادي بالعرض لا بالذات فالهيولى
جوهر قابل للصورة والصورة معنى ما يقترن بالجوهر فيصيره نوعا كالجزء المقوم له لا كالعرض الحال
فيه والعدم ما يقابل الصورة فانا متى توهمنا ان الصورة لم تكن فيجب ان يكون في الهيولى عدم الصورة
والعدم المطلق مقابل للصورة المطلقة والعدم الخاص مقابل للصورة الخاصة قال واول الصورة
التي تنسب الى الهيولى هي الابعاد الثلثة فتصير جسما ذا طول وعرض وعمق وهو الهيولى الثانية وليست
بذات كيفية ثم يلحقها الكيفيات الاربعة التي هي الحرارة والبرودة الفاعلتان والرطوبة واليبوسة
المنفعلتان فتصير الاركان الاسطقسات الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وهي الهيولى
الثالثة ثم يتكون منها المركبات التي يلحقها الاعراض والكون والفساد ويكون بعضها هيولى لبعض قال
وانما رتبنا هذا الترتيب في العقل والوهم خاصة دون الحس وفي ذلك ان الهيولى عندنا لم تكن معراة
عن الصورة قط فلم يقدر في الوجود جوهرا مطلقا قابلا للابعاد ثم يلحقها الابعاد ولا جسما عاريا عن
هذه الكيفيات ثم عرضت لها ذلك وانما هو عند نظرنا فيما هو اقدم بالطبع وابسط في العقل و
الوهم ثم اثبت طبيعة خامسة وراء هذه الطبايع لا تقبل الكون والفساد ولا يطرء عليها الاستحالة
والتغير وهي طبيعة السماء وليس يعني بالخامسة طبيعة من جنس هذه الطبايع بل معنى ذلك ان طبيعتها
خارجة عن هذه ثم هي على تركيبان يخص كل تركيب خاص وطبيعة خاصة ويتحرك بحركة خاصة ولكل
متحرك محرك مزاول ومحرك مفارق والمتحركات احياء ناطقون والحيوانية والناطقية لها بمعنى آخر
وانما يحمل ذلك عليها وعلى الانسان بالاشتراك فترتيب العالم كله علوية وسفلية على نظام
واحد وهذا النظام في الكل محفوظ بعناية المبدأ الاول على احسن ترتيب واحكم قوام متوجها الى
الخير وترتيب الموجودات كلها في طبايع الكل على نوع نوع وليس على ترتيب المساواة فليس حال السباع
كحال الطائر ولا حالها كحال النبات ولا حال النبات كحال الحيوان وليس مع هذا التفاوت منقطعا
بعضها عن بعض بحيث لا ينسب بعضها الى بعض بل هناك مع الاختلاف اتصال واضافة جامعة للكل
تجمع الكل في الاصل الاول الذي هو مبدأ الفيض والجود والنظام في الوجود على ما يمكن في طباع
الكل ان يترتب عنه قال وترتيب الطباع في الكل كترتيب المنزل الواحد من الارباب والاحرار والعبيد
والبهائم والسباع فقد جمعهم صاحب المنزل ورتب لكل واحد منهم مكانا خاصا وقد رسم عملا
خاصا ليس قد اطلق لهم ان يعملوا ما شاؤا واحبوا فان ذلك يؤدي الى تشويش النظام فهم ولان

Digitized by Google

وان اختلفوا في مراتبهم وانفصل بعضهم عن بعض باشكالهم وصورهم منتسبون الى مبدء واحد صادرون
عن رايه وامره مصروفون تحت حكمه وقدره فكذلك يجري الحال في العالم بان يكون هناك اجزاء اول
مفردة مقدمة لها افعال مخصوصة مثل السموات ومحركاتها ومدبراتها وما قبلها من العقل
الفعال واجزاء مركبة متاخرة تجري في اكثر امورها على الاتفاق المخلوط بالطبع والارادة والجبر
الممزوج بالاختيار ثم تنسب الكل الى عناية الباري تعالى جلت عظمته المسئلة العاشرة في ان
النظام في الكل متوجه الى الخير والشر واقع بالقدر بالعرض وقال لما اقتضت الحكمة الالهية نظام العالم
على احسن احكام واتقان لا لارادة وقصد الى امر في السافل حتى يقال انما ابدع العقل مثلا لغرض في
السافل حتى يفيض مثلا على السافل فيضا بل لامر اعلى من ذلك وهو ان ذاته ابدع ما ابدع لذاته لا
لعلة ولا لعرض فوجدت الموجودات كاللوازم واللواحق ثم توجهت الى الخير لانها صادرة عن اصل الخير
فكان المصير في كل حال الى راس واحد ثم ربما يقع شر وفساد من مصادمات في الاسباب السافلة دون
العالية التي كلها خير مثل المطر الذي لم يخلق الا خيرا ونظاما للعالم فيتفق ان يخرب به بيت عجوز فيكون
ذلك واقعا بالعرض لا بالذات او بان لا يقع شر جزوي في العالم لا يقتضي الحكمة ان لا يوجد خير كلي
فان فقدان المطر اصلا شر كلي وتخريب بيت العجوز شر جزوي ان لا يوجد خير كلي والعالم للنظام
الكلي لا الجزوي فالشر اذا وقع في القدر بالعرض وقال ان الهيولى قد لبست الصورة على درجات ومراتب
وانما يكون لكل مرتبة ما يحتمله في نفسها دون ان يكون في الفيض الاعلى امساك عن بعض وافاضة
على بعض فالدرجة الاولى احتمالها على نحو افضل والثانية دون ذلك والذي عندنا من العناصر
دون الجميع لان الكل ماهية من ماهيات هذه الاشياء انما يحتمل ما يستطيع ان يلبس من الفيض
على نحو الذي هي له ولذلك تقع ماهات وتشويهات في الابدان لما يلزم من صورة المادة الناقصة
التي لا تقبل الصورة على كمالها الاول والثاني قال انا ان لم نجري الامور على هذه المناهج الجأتنا
الضرورة الى ان نقع في محالات وقع فيه من قبلنا كالثنوية وغيرهم المسئلة الحادية عشر
في كون الحركات سرمدية وان الحوادث لم تزل قال ان صدور الفعل عن الحق الاول انما متاخر
لا بزمان بل بحسب الذات والفعل ليس مسبوقا بعدم بل هو مسبوق بذات الفاعل فقط ولكن القدماء
ارادوا ان يعبروا عن العلية افتقروا الى ذكر القبلية والقبلية في اللفظ يتناول الزمان
لذلك في المعنى عند من لم يتدرب واوهمت عباراتهم ان فعل الاول الحق فعل زماني وان تقدمه
تقدم زماني قال ونحن اثبتنا ان الحركات يحتاج الى محرك غير متحرك ثم نقول الحركات لا تخ

Digitized by Google

اما ان تكون لم تزل او تكون قد حدثت بعد ان لم يكن وقد كان المحرك لها موجودا بالفعل قادرا
ليس بمانعه مانع من ان يكون عنه ولا حدث حادث في حال ما احدثها فرعنه وجملة اذ كان جميع ما
يحدث انما يحدث عنه وليس شيء غيره يعوقه او يرغبه ولا يمكن ان يقال قد كان لا يقدر ان
يكون عنه فقدر او لم يرد فاراد او لم يعلم فعلم فان ذلك كله يوجب الاستحالة ويوجب ان يكون
شيء اخر غيره هو الذي احاله وان قلنا انه منعه مانع يلزمه ان يكون السبب المانع اقوى والاستحالة
والتغير عن المانع حركة اخرى استدعت محركا وبالجملة كل سبب ينسب اليه الحادث في زمان حدوثه
بعد جوازه في زمان قبله وبعده فانما ذلك السبب جزوي خاص اوجب حدوث تلك الحادثة التي
لم تكن قبل ذلك والا فالارادة الكلية والقدرة الشاملة والعلم الواسع العام ليس يخصص
بزمان دون زمان بل نسبته الى الزمان كلها نسبة واحدة فلا بد لكل حادث من سبب حادث
ويتعالى عنه الواحد الحق الذي لا يجوز عليه التغير والاستحالة قال واذ لا بد من محرك للحركات
ومن حامل للحركات وتبين ان المحرك سرمدي فالحركات سرمدية فالمتحركات سرمدية ولو قيل ان
حامل الحركة وهو الجسم لم يحدث لكنه تحرك عن سكون وجب ان نعثر على السبب الذي يغير من السكون
الى الحركة فان قلنا ان ذلك الجسم حدث تقدم حدوث الجسم حدوث الحركة فقد بان ان الحركة والمتحرك
والزمان الذي عاد الى الحركة ازلية سرمدية والحركات اما مستقيمة واما مستديرة والاول
لا يكون الا للمستديرة لان المستقيم ينقطع امر ضروري للاشياء الاولية فان الذي يسكن
ليس بازلي والزمان متصل لانه لا يمكن ان يكون من ذلك قطع متبورة فيجب من ذلك ان تكون
الحركة متصلة وكانت المستديرة هي وحدها متصلة فيجب ان تكون هي ازلية فيجب ان يكون محرك
هذه الحركة المستديرة ايضا ازليا اذ ما هو اخس علة لما هو افضل ولا فائدة في محركات
ساكنة غير محركة كالصور الافلاطونية فلا ينبغي ان يضع هذه الطبيعة بلا فعل فتكون
متعطلة غير قادرة ان تحرك وتحيل المسئلة الثانية عشر في كيفية تركيب العناصر حكى
فرفوريوس عنه انه قال كل موجود ففعله مثل طبيعته فما كانت طبيعته بسيطة ففعله بسيط
وكذلك فعله الاجتلاب الى الوجود فانه موجود لكن الجوهر لما كان وجوده بالحركة كان
بقاؤه ايضا بالحركة وذلك انه ليس للجوهر ان يكون موجودا من ذاته بمنزلة الوجود
الاول الحق لكن من التشبه بذلك الاول الحق وكل حركة يكون اما مستقيمة او مستديرة
اما مستقيمة او مستديرة فالحركة المستقيمة يجب ان تكون متناهية

ففعل الله تعالى واحد بسيط

والجوهر

والجوهر يتحرك في الاقطار الثلثة التي هي الطول والعرض والعمق على خطوط مستقيمة حركة متناهية
فيصير بذلك جسما ويبقى عليه ان يتحرك بالاستدارة على الجهة التي يمكن فيها حركة بلا نهاية ولا
يسكن في وقت من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة على الاستدارة وذلك ان الدائر
يحتاج الى شيء ساكن في وسطه منه كالنقطة فانقسم الجوهر فتحرك بعضه على استدارة وهو الفلك
وسكن بعضه في الوسط قال وكل جسم يتحرك فيماس جسم ساكن وفي طبيعته قبول تاثير منه احدث
سخونة فيه واذا سخن لطف وانحل وخف وكانت طبيعة النار تلي الفلك المتحرك والجسم الذي
يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فيكون حركته اقل فلا يتحرك باجمعه لكن جزو
منه فيسخن دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك له فهو
بارد لسكونه ورطب بمجاورة الهواء الحار الرطب وكذلك انحل قليلا والجسم الذي في الوسط
فلانه بعد في الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئا ولا قبل منه تاثيرا فسكن وبرد وهو
الارض واذا كانت هذه الاجسام يقبل التاثير بعضها من بعض ويختلط ويتولد عنها اجسام
مركبة وهي المركبات المحسوسة التي هي المعادن والنبات والحيوان والانسان ثم يختص بكل نوع
طبيعة خاصة تقبل فيضا خاصا على ما قدره الباري جلت قدرته **المسئلة الثالثة**
عشر في الآثار العلوية قال ارسطاليس الذي يتصاعد من الاجسام السفلية الى الجو ينقسم قسمين
احدهما ادخنة نارية باسخان الشمس وغيرها والثاني ابخرة مائية فتصعد الى الجو وقد صحبتها
اجزاء ارضية فتتكاثف وتجتمع بسبب ريح او غيرها فتصير ضبابا او سحابا فيصادفها برودة
فتعصر ماء وثلجا وبردا فتنزل الى مركز الماء وذلك لاستحالة الاركان بعضها الى بعض فكما
ان الماء يستحيل هواء فيصعد كذلك الهواء يستحيل ماء فينزل ثم الرياح والادخنة اذا
احتقنت في خلال السحاب واندفعت بمرة سمع لها صوت وهو الرعد ويلمع من اصطكاكها وشدة
صدمتها ضياء وهو البرق وقد يكون من الادخنة ما تكون الدهنية على مادتها اغلب فتشتعل
فتصير شهابا ثاقبا وهي الشهب منها ما يحترق في الهواء فيتحجر فينزل حديدا وحجرا ومنها
ما يحترق نارا فيدفعها دافع فتنزل صاعقة ومن المشتعلات ما يبقى فيه الاشتعال فوقف تحت
كوكب ودارت به النار دائرة بدوران الفلك فكان ذنبا له وربما كان عريضا فروي كانه تحته
كوكب وربما وقع على صقيل الظاهر من السحاب صور النيرات واضواؤها كما يقع على المرائي والجدران
الصقيلة فيرى ذلك على اوان مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وصفائها و

الوان

كدرها

وكدرها فيرى هالة وقوس وقزح وشموس وشهب والمجرة وذكر اسباب كل واحد من هذه في كتابه
المعروف بالآثار العلوية والسماء والعالم وغيرها المسئلة الرابعة عشر في النفس الانسانية
الناطقة واتصالها بالبدن قال النفس الانسانية ليست بجسم ولا قوة في جسم وله في اثباتها ياخذ
منها الاستدلال على وجودها للحركات الاختيارية ومنها الاستدلال عليها بالتصورات العلمية
اما الاول فقال لا نشك ان الحيوان ان يتحرك الى جهات مختلفة حركة اختيارية اذ لو كانت حركاته
طبيعية او قسرية لتحرك الى جهة واحدة لا يختلف البتة فلما تحرك الى جهات متضادة علم ان حركاته
اختيارية والانسان مع انه مختار في حركته كالحيوان الا انه يتحرك لمصالح عقلية يراها في عاقبة
كل امر فلا تصدر عنه حركاته الا الى غرض وكمال وهو معرفة في عاقبة كل حيوان والحيوان ليست حركاته
بطبعه على هذا النهج فيجب ان يتميز الانسان بنفس خاصة كما تميز الحيوان عن سائر الموجودات بنفس خاصة
واما الثاني وهو المعول عليه قال لا نشك انا نعقل ونتصور امرا معقولا صرفا مثل التصور من الانسان
انه انسان كلي يعم جميع اشخاص النوع ومحل هذا المعقول طرفا منه لا ينقسم او جملته المنقسمة وبطل ان يكون
طرفا منه غير منقسم فانه لو كان كذلك لكان المحل كالنقطة التي لا تميز لها في الوضع عن الخط فان الطرف
نهاية الخط والنهاية لا يكون لها نهاية اخرى والا يتسلسل القول فيكون النقط متشافعة ولكل
نهاية وذلك مح وان كان المحل المعقول من الجسم شيء منقسم فيجب ان ينقسم المعقول بانقسام محله ومن
المعلومات ما لا ينقسم البتة فان ما ينقسم يجب ان يكون شيئا كالشكل او المقدار والانسانية الكلية
المتصورة في الذهن ليس كشكل قابل القطع ولا كمقدار قابل المفصل فتبين ان النفس ليست بجسم
ولا قوة جسم ولا صورة في جسم المسئلة الخامسة عشر في وجه اتصالها بالبدن ووقت
اتصالها قال اذا تحققت انها ليست بجسم لم تتصل بالبدن اتصال انطباع فيه ولا حلول فيه
بل اتصلت به اتصال تدبير وتصرف وانما حدثت مع حدوث البدن لا قبله ولا بعده قال لانها
لو كانت موجودة قبل وجود الابدان لكانت اما متكثرة بذواتها او متحدة وبطل الاول فان المتكثر اما
ان يكون بالماهية والصورة وقد فرضنا متفقة في النوع لا اختلاف فيها فلا تكثر ولا تمايز واما
ان تكون متكثرة من جهة النسبة الى العنصر والمادة المتكثرة بالامكنة والازمنة وهذا محال ايضا
فانا اذا فرضناها قبل البدن ماهية مجردة لا نسبة لها الى مادة دون مادة وهي من حيث انها
ذواتها مهية لا اختلاف فيها وان الاشياء التي معاني فتكثر نوعياتها بالحوامل والقوابل و

جوهر ليس بجسم ولا قوة في جسم وفي صورة الجسم فانه ان كان جسما فاما ان يكون محل الصورة المعقولة مع

والمنفعلات عنها واذا كانت مجردة فمحال ان يكون بينهما مغايرة ومكاثرة ولعمري انها تبقى
بعد البدن متكثرة فان الانفس قد وجد كل منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التي كانت
وباختلاف ازمنة حدوثها وباختلاف هيئات وملكات حصلت عند الاتصال بالبدن
فهي حادثة مع حدوث البدن تصيره نوعا كسائر الفصول الذاتية وباقية بعد مفارقة البدن بعوارض
معينة له لم توجد تلك العوارض قبل اتصالها بالبدن فبهذا الدليل فارق استاذه وخالف قدماءه
وقد وجد في اثناء كلامه ما يدل على انه يعتقد ان النفس كانت موجودة قبل وجود الابدان فحمل بعض
مفسري كلامه قوله ذلك على انه اراد به الفيض والصور الموجودة بالقوة في واهب الصور كما يقال ان النار
موجودة في الخشب والانسان موجود في النطفة والنخلة موجودة في النواة والضياء موجود في الشمس
ومنهم من اجراه على ظاهره وحكم بالتميز بين النفوس بالخواص التي لها وقال اختصت كل نفس انسانية
بخاصية له يشاركها فيها غيرها فليست متفقة بالنوع اعني النوع الاخير ومنهم من حكم بالتميز
بالعوارض التي هي مهيئة نحوها وكما انها يتمايز بعد الاتصال بالبدن بانها كانت في المادة متمايزة
كذلك يتمايز بانها ستكون متمايزة بالابدان والصنائع والافعال واستعداد كل نفس لصنعة
خاصة وعلم خاص فينتهض هذه فصولا ذاتية او عوارض لازمة لوجودها **المسئلة السادسة**
عشر في بقائها بعد البدن وسعادتها في العالم العقلي قال ان النفوس الانسانية اذا استكملت
قوتي العلم والعمل تشبهت بالاله سبحانه وتعالى ووصلت الى كمالها وانما هذا التشبه بقدر الطاقة
يكون اما بحسب الاستعداد واما بحسب الاجتهاد فاذا فارقت البدن اتصلت بالروحانيين وانخرطت
في سلك الملائكة المقربين وتتم لها الالتذاذ والابتهاج وليس كل لذة فهي جسمانية فان تلك
اللذات لذات نفسانية عقلية وهذه اللذة الجسمانية تنتهي الى حد ويعرض للملتذ سآمة
وكلال وضعف وقصور ان تعدى عن الحد المحدود بخلاف اللذات العقلية فانها حيث ما ازدادت
ازداد الشوق اليها والحرص والعشق عليها وكذلك القول في الالام النفسانية فانها تقع بضد ما
ذكرنا ولم يحقق المعاد الا للانفس ولم يثبت حشرا ولا نشرا ولا انحلالا لهذا الرباط المحسوس من العالم
ولا ابطالا لنظامه كما ذكره القدماء وهذه نكت كلامه استخرجناها من مواضع مختلفة واكثرها
من شرح ثامسطيوس والشيخ ابي علي بن سينا الذي يتعصب له وينصر مذهبه ولا يقول في القدماء
الا به وسنذكر طريقة ابن سينا عند ذكر فلاسفة الاسلام ونحن الان ننقل كلمات حكمية لاصحاب
ارسطاليس ومن نسج على منواله بعده دون الاراء العلمية اذ لا خلاف بينهم في الاراء والعقائد

ووجدت كلمات وفصولا الحكيم ارسطاليس من كتب متفرقة فنقلتها على الوجه وان كان في بعضها
ما يدل على ان رايه على خلاف ما نقله ثامسطيوس واعتمده ابن سينا منها في حدث العالم قال
الاشياء المحمولة اعني الصور المتضادة فليس يكون احدهما من صاحبه بل يجب ان يكون بعد صاحبه
فيتعاقبان على المادة فقد بان ان الصور تبطل وتدثر فاذا دثر معنى وجب ان يكون له بدو لان
الدثور غاية وهو احد الحاشيتين ما دل على ان جايبا جابه فقد صح ان الكون حادث لا من شيء و
ان الحامل لها غير ممتنع الذات من قبولها وحمله اياها وهي ذات بدو وغاية يدل على ان حاملة
ذو بدو وغاية وانه حادث لا من شيء ويدل على محدث لا بدو له ولا غاية لان الدثور اخر والاخر
ما كان له اول فلو كانت الجواهر والصور لم يزالا فغير جايز استحالتهما لان الاستحالة دثور
الصورة التي بها كان الشيء وخروج الشيء من حد الى حد ومن حال الى حال يوجب دثور الكيفية
وتردد المستحيل في الكون والفساد يدل على دثوره وحدوث احواله يدل على ابتدائه وابتداء جزو
يدل على بدو كله وواجب ان قيل بعض ما في العالم الكون والفساد ان يكون كل العالم قابلا له
وكان له بدو يقبل الفساد واخر يستحيل الى كون فالبدو والغاية يدلان الى مبدع وقد سئل
بعض الدهرية ارسطاليس وقال اذا كان لم يزل ولا شيء غيره ثم احدث العالم فلم احدثه فقال
له لم غير جائزة عليه لان لم يقتضي علة والعلة محمولة فيما هي علة له من معل فوقه ولا علة فوقه
وليس بمركب فيحتمل ذاته العلل فلم عنه منفية فانما فعل ما فعل لانه جواد فقيل فيجب ان يكون
فاعلا لم يزل لانه جواد لم يزل قال معنى لم يزل ان لا اول وفعل يقتضي اولا واجتماع ان يكون
ما لا اول له وذو اول في القول والذات محال متناقض قيل له فهل يبطل هذا العالم قال
نعم قيل فاذا ابطله بطل الجود قال يبطله ليصوغه الصيغة التي لا تحتمل الفساد لان هذه الصيغة
ذوات الجنس ببعض وفرق بين بعض ذوات الجنس من بعض وقال البارد ما جمع بين ذوات الجنس
وغير ذوات الجنس لان البرودة اذا جمدت الماء حتى صار جليدا اشتملت على الاجناس المختلفة
من الماء والنبات وغيرهما قال والرطب العسير الانحصار من نفسه اليسير الانحصار من ذات غيره
واليابس اليسير الانحصار من ذاته العسير الانحصار من غيره والحدان الاولان يدلان على الفعل
والاخران يدلان على الانفعال ونقل ارسطاليس عن جماعة من الفلاسفة ان مبادي الاشياء
هي العناصر الاربعة وعن بعضهم ان المبدا الاول هو ظلمة وهاوية وفتره بفضاء وخلاء
وعماية وقد اثبت قوم من النصارى تلك الظلمة وسموها الظلمة الخارجة ومما خالف

تحتمل الفساد تم كلامه و
يعزى هذا الفصل الى
سقراطيس قاله لبقراطيس
وهو بكلام القدماء اشبه
ومما نقل عن ارسطاليس
تحديد العناصر الاربعة
قال الحار ما خلط بعض
صح

ارسطاليس

ارسطاليس استاده افلاطون ان قال افلاطون من الناس من يكون طبعه مهيا لشيء لا يتعداه
فخالفه فقال اذا كان الطبع سليما صلح لكل شيء فكان افلاطون يعتقد ان النفوس الانسانية
يتهيا كل نوع لشيء ما لا يتعداه وارسطاليس يعتقد ان النفوس الانسانية نوع واحد اذا تهيا صنف
لشيء تهيا له كل النوع ومن تلك حكم الاسكندر الرومي وهو ذو القرنين
الملك وليس هو المذكور في القران بل هو ابن فيلقوس الملك وكان مولده في السنة السادسة
عشر من ملك دارا الاكبر سلمه ابوه الى ارسطاليس الحكيم المقيم بمدينة اينياس فاقام عنده خمس
سنين يتعلم منه الحكمة والاداب حتى بلغ احسن المبالغ ونال من الفلسفة ما لم ينله سائر
تلامذته واسترده والده حين استشعر من نفسه علة خاف منها فلما وصل اليه جدد العهد له
واقبل عليه واستولت العلة فتوفي منها واستقل الاسكندر باعباء الملك فمن حكمه انه سئله
معلمه وهو في المكتب ان اقضي عليك هذا الامر يوما ما اين تضعني قال حيث تضعك طاعتك
في ذلك الوقت وقيل له انك تعظم مؤدبك اكثر من تعظيمك والدك قال لان ابي كان
سبب حيوتي الفانية ومؤدبي سبب حيوتي الباقية وفي رواية لان ابي سبب كوني ومؤدبي سبب تجويد
حياتي وفي رواية لان ابي كان سبب كوني ومؤدبي كان سبب نطقي وقال ابو زكريا الصيمري لو قيل لي
هذا لقلت لان ابي قضى وطرا بالطبيعة التي اختلف بالكون والفساد ومؤدبي افادني العقل
الذي به انطلقت الى ما ليس فيه الكون والفساد وجلس الاسكندر يوما فلم يسئله احد حاجة فقال
لاصحابه والله ما اعد هذا اليوم من ايام عمري في ملكي قيل ولم ايها الملك قال لان الملك
لا يوجد التلذذ به الا بالجود على السائل واغاثة الملهوف ومكافاة المحسن والا بانالة الراغب
واسعاف الطالب وكتب اليه ارسطاليس في كلام طويل اجمع في سياستك بين بدار لا حدة فيه
وريث لا غفلة معه وامزج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة وعزة عن ضده حتى يتميز لك بصورته
الاحسان وضع الاساءة في موضعها واظهر لاهلك انك منهم ولاصحابك انك بهم ولرعيتك انك
لهم وشاور الحكماء في ان يسجدوا له اجلالا وتعظيما فقال لا سجود لغير الباري الكل بل يحق له السجود
على من كساه بهجة الفضائل واغلظ له رجل من اهل ايثنية فقام اليه بعض قواده ليقابله بالواجب
فقال له الاسكندر دعه لا تنحط الى دناءته ولكن ارفعه الى شرفك وقال من كنت تحب الحياة لاجله فلا
تستعظم الموت بسببه وقيل ان روشنك امراة ابنة دارا الملك وهي من اجمل النساء فلو
قربتها الى نفسك فقال اكره ان يقال غلب الاسكندر دارا وغلبت روشنك الاسكندر.

وصن وعدك من الخلف فانه
شين وشب وعيدك بالعفو
فانه زين وكن عبد الحق فان
عبد الحق حر وليكن وكدك الا
حسان الى جميع الخلق ومن

وقال

Digitized by Google

وقال من الواجب على اهل الحكمة ان يسرعوا الى قبول اعذار المذنبين وان يبطؤا عن العقوبة وقال
ليس الموت بالرأس للنفس بل للجسد وقال سلطان العقل على باطن العاقل اشد تحكما من سلطان
السيف على ظاهر الاحمق وقال الذى يريد ان ينظر الى افعال الله مجردة فليعف عن الشهوات
وقال ان نظم جميع ما فى الارض شبيه بالنظم السماوى لانها امثال له يحق وقال العقل لا يأتى
فى طلب معرفة الاشياء بل الجسد بسام وبالهوى وقال النظر فى المرآة يرى رسم الوجه وفى قاويل الحكما
يرى رسم النفس ووجدت فى عضده صحيفة فيها فلة الاسترسال الى الدنيا اسلم والاتكال على
النقد اربح وعند حسن الظن تقر العين ولا ينفع ما هو واقع التوقى واخذ يوما تفاحة فقال ما
الطف قبول هذه الهيولى الشخصية لصورتها وانفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الاصباغ الروحانية
من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل
ولو قبل والطف منها قبول هذه النفس الانسانية لصورتها العقلية وانفعالها لما تؤثر النفس الكلى
فيها من العلوم الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها وكل ذلك دليل على
ابداع مبدع الكل وسأله اطوسايس الكلبى ان يعطيه ثلث حبات فقال الاسكندر ليس هذه عطية ملك
فقال الكلبى اعطنى مائة رطل من الذهب فقال ولا هذه مسئلة كلبى وقال بعضهم كما عند شبر المنجم
اذ وصل الينا انهاء الملك فاقامنا فى جوف الليل وادخلنا بستانا له ليرينا النجوم فجعل شبر يشير
اليها بيده ويسير حتى سقط فى بئر فقال من تعاطى علم ما فوقه بل يجهل ما تحته وقال السعيد من لا يعرفنا
ولا نعرفه لانا اذا عرفناه اطلنا بؤسه واطرنا نومه وقال استقلل كثيرا ما تعطى واستكثر
قليلا ما تأخذ فان قرة عين الكريم فيما يعطى ومسرة اللئيم فيما يأخذ ولا يجعل الشحيح امينا ولا
الكذاب صفيا فانه لا عفة مع شح ولا امانة مع كذب وقال الظفر بالحزم والحزم باجالة
الرأى واجالة الرأى بتحصين الاسرار ولما توفى الاسكندر برومية المداين وضعوه فى تابوت
من ذهب وحملوه الى الاسكندرية وكان قد عاش اثنين وثلثين سنة وملك اثنتى عشرة سنة
وندبر جماعة من الحكماء لتربيته فقال بيثموس هذا يوم عظيم العبرة اقبل من شره ما كان مدبرا و
ادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من قد زال ملكه فليبكه وقال ميلاطوس خرجنا
الى الدنيا جاهلين واقمنا فيها غافلين وفارقناها كارهين وقال زيتون الاصغر يا عظيم
الشأن ما كنت الا ظل سحاب اضمحل فلما اظل فما تحتى لم يكن اثرا ولا تعرف له خبرا وقال افلاطن
الثانى ايها الشاء المتعصب جمعت ما خذلك وتوليت على ما تولى عنك فلن تملك اوزاره وعلى غيرك مصاقه

النفس

وقاره

وثمارة فوطس الا يخجون ممن لم يعطنا الخيار احق وعظنا بنفسه اضطرارا وقال مطور فيه وقال
كنا بالامس نقدر على الاستماع ولا نقدر على القول واليوم نقدر على القول فهل نقدر على الاستماع
وقال قاون انظروا الى حلم النائم كيف انقضى والى ظل الغمام كيف انجلى وقال موسكم قد امات
هذا الشخص لئلا يموت فمات فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت وقال حكيم طوى الارض العريضة
فلم يشبع حتى طوى منها في ذراعين وقال اخر ما سافر الا سكندر سفرا بلا اعوان ولا آلة ولا عدة غير سفره
هذا وقال اخر ما ارغبنا فيما فارقنا واغفلنا عما غابنا وقال اخر لم يؤدبنا بكلامه كما ادبنا
بسكونه وقال اخر من هذا الشخص فليتق وليعلم ان الديون هكذا تقضاها وقال اخر قد كان بالامس
طلعته علينا حياة واليوم النظر اليه سقم وقال اخر قد كان يسئل عما قبله ولا يسئل عما بعده وقال
اخر من شدة حرصه على الارتفاع انحط كله وقال اخر الا ان نضطر الا قاليم لان مسكنها قد سكن

ومن ذلك

حكم ديوجانس الكلبي وكان حكيما فاضلا متقشفا لا يقتنى شيئا
ولا يأوي الى منزل وكان من قدرته الفائقة انه لما يوجد في مذاهب كلامه من الميل الى القدر وقال
ليس الله تعالى علة الشرور بل الله علة الخيرات والفضائل والعقل والجود جعلها بين خلقه فمن كسبها
وتمسك بها نالها لانه لا يملك الخيرات الا بها سئله الاسكندر يوما فقال باي شيء يكتسب الثواب قال بالفعال
الخيرات وانك لتقدر ايها الملك ان تكتسب في يوم واحد ما لا تقدر الرعية ان تكتسبه في دهرها وسئله
عصبة من اهل الجهل ما غذاؤك قال ما عضتم يعني الحكمة قالوا فما عفت قال ما استطعتم يعني الجهل
قالوا كم عبيدك قال اربابكم يعني الغضب والشهوة والاخلاق الردية الناشئة منهما قالوا فما
اقبح صورتك قال لم املك الخلقة الذميمة فالام عليها ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها
واما ما صار في ملكي واتى عليه تدبيري فقد استكملت تزيينه وتحسينه بغاية الطوق وقاصيه
الجهل واستكملتم شيئين ما في ملككم قالوا فما الذي في الملك من التزيين والتحسين قال اما التزيين
فضمان الذهن بالحكمة وجلاء العقل بالادب ومنع الشهوات بالعفاف وردع الغضب بالحلم وقطع الحرص
بالقنوع واماتة الحسد بالزهد وتذليل المزاج بالسكون ورياضة النفس حتى تصير مضيئة فذاقت
فتصرفت حيث صرفها فارسها في طلب العليات وهجر الدنيات ومن التحسين تفضيل الذهن من
الحكمة وتوشيح العقل بضياع الادب واثارة الشهوة باتباع الهوى واضرام الغضب بالانتقام و
لهذا الحرص بالكلب وقدم اليه رجل طعاما وقال له استكثر منه فقال عليك بتقديمه الاكلة اعيانا
باستعمال العدل وقال زمام العافية سد البلاء ودواء السلامة تحت جناح العطب وبالامن

ما استطعتم

مستود

مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الثلاث غير متوقع لضدها وقيل له ما لك لا تغضب قال
غضب الانسانية فقد اغضبه واما غضب البهيمية فاني تركته لترك الشهوة البهيمية و
استدعا الملك الاسكندر الى مجلسه يوما فقال للرسول قل له ان الذي منعك من المصير
الينا منعنا من المصير اليك منعك عني استغناؤك عني بسلطانك ومنعني عنك استغنائي
عنك بقناعتي والسنة اليونانية بقبح الوجه وذمامة الصورة فقال منظر الرجل بعد المخبر
ومخبر النساء بعد المنظر فخجلت وتابت ووقف عليه الاسكندر يوما فقال له ما تخافني قال انت
خير ام شرير قال خير قال فما لحق بي من الخير معنى بل يجب علي رجاؤه وكان لاهل من يونان صاحب
جيش جبان وطبيب لم يعالج احدا الا قتله فظهر عليهم عدو ففزعوا اليه وقال اجعلوا طبيبكم صاحب
لقاء العدو واجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم وقال اعلم بانك ميت لا محالة فاجهد ان تكون حيا
بعد موتك لئلا يكون لميتتك ميتة ثانية وكما قال ان الاجسام تعظم في العين يوم الضباب
كذلك تعظم الذنوب عند الانسان في حال الغضب ورأى امرأة قد حملها الماء فقال على هذا المعنى
جرى المثل دع الشر يغسله الشر ورأى امرأة تحمل فقال نار على نار وحامل شر من محمول
وسئل عن العشق فقال سوء اختيار صادف نفسا فارغة ورأى غلاما معه سراج فقال له تعلم
من ان تجيء هذه النار فقال له الغلام ان اخبرتني الى اين تذهب اخبرتك من اين تجيء وافحمه
بعد ان لم يقوى عليه احد ورأى امرأة متزينة في ملعب فقال هذه لم تخرج لترى ولكن لترى ورأى
نساء يتشاورن فقال على هذا جرى المثل هو ذا الثعبان يستقرض من الافاعي سما ورأى
جارية تعلم الكتابة فقال يسقى هذا السهم سما ليرمى به يوما

حكم ومن تلك

الشيخ اليوناني وله رموز وامثال منها قوله ان امك روم لكنها فقيرة رعناء وان اباك لحدث
لكنه جواد مقدر يعني بالام الهيولى وبالاب الصورة وبالروم انقيادها وبالفقر احتياجها
الى الصورة وبالرعونة قلة ثباتها على ما تحصل عليه واما حداثة الصورة اي هي مشرقة
لك بملابسة الهيولى واما جودها اي النقص لا يعتريها من قبل ذاتها فانها جواد لكن من قبل
الهيولى فانها انما تقبل على تقدير هذا ما فسر به رمزه ولغزه وحمل الام على الهيولى صحيح
مطابق للمعنى وليس حمل الاب على الصورة بذلك الوضوح بل حملها على العقل الفعال
الجواد الواهب للصور على قدر استعدادات القوى بل اظهر وقال لك نسبان نسب الى ابيك ونسب
امك انت باحدهما اشرف وبالاخر اوضع فانتسب في ظاهرك وباطنك الى من انت به اشرف

اشرف وبترا

وتبرأ بالحنك وظاهرك من انت براوضح فان الولد الفشل يحب امه ربما كثيرا ما يحب اباه
وذلك دليل على دخل العرق وفشا الحمد قيل اراد بذلك الهيولى والصورة او البدن والنفس
او الهيولى والعقل الفعال وقال قد ارتفع الليل خصمانك يتنازعان ايهما احدهما تحرى والاخر
مبطل فاحذر ان تقضي بينهما بغير الحق فتهلك انت الخصمان احدهما العقل والثاني الجسم
وقال كما ان البدن الخالي من النفس يفوح منه نتن الجيفة كذلك النفس الخالية من
الادب تحس نفسها بالكلام والافعال وقال الغائب المطلوب في الشاهد الحاضر
وقال ابو سليمان السجزي مفهوم هذا الاطلاق ان كل ما هو عندنا بالحس بين فهو
لنا بالعقل هناك الا ان الذي عندنا ظل ذلك وكان من شان الظل انه كان
كاريك الشيء الذي هو فله مرة فاضلا على ما هو عليه ومرة ناقصا عما هو به
ومرة على قدر عرض الجسم او التوهم وصار امرا حين لليقين والتحقيق فينبغي ان
يكون عنايتنا بطلب البقاء الابدي الوجود السرمدي التام واظهر وابقى وابلغ فيه نحو
ما كان الغائب في الشاهد وبتصفح هذا الشاهد يصح ذلك الغائب وقال
الشيخ اليوناني النفس جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت على مركز هما غير انها
دائرة لا بعد لها ومركزها هو العقل وكذلك للعقل دائرة استدارت على مركزها
وهو الخير الاول المحض فهذان النفس والعقل كانا دائرتين لكن دائرة العقل لا تتحرك
ابدا بل هي ساكنة دائمة مشبهة بمركزها واما دائرة النفس فانها تتحرك على مركزها
وهو العقل حركة الاستكمال وعلى ان دائرة العقل وان كان دائرة شبيهة بمركزها
لكنها تتحرك حركة الاشتياق لانها تشتاق الى مركزها وهو الخير الاول واما دائرة
العالم السفلي فانها دائرة تدور حول النفس وايها تشتاق وانما تتحرك بهذه الحركة
الذاتية الى شوق النفس كشوق النفس الى العقل وشوق العقل الى الخير المحض الاول
ولان دائرة هذا العالم جرم والجرم يشتاق الى الشيء الخارج منه ويحرص الى ان يصير
اليه فيغاذيه فلذلك يتحرك الجرم الاقصى الشريف حركة مستديرة لانه يطلب النفس
من جميع النواحي لينالها فيستريح اليها ويسكن عندها وقال ليس للمبدع
الاول جل وعلا صورة ولا حلية مثل صور الاشياء الفانية ولا مثل صور الاشياء
الثابتة ولا له قوة مثل قواها لكنه فوق كل صورة وحلية وقوة لانه مبدعها ومنشئها

Digitized by Google

العقل وقال المبدع الحق ليس شيئا من الاشياء وهو جميع الاشياء لان الاشيا
منه وقد صدق الافاضل الاوائل في قولهم ما لك الاشياء كلها هو الاشيا
كلها اذ هو علة كونها بانه فقط وعلة شوقها اليه وهو خلاف الاشياء كلها
وليس فيه شيء مما ابدعه ولا يشبه شيئا منه ولو كان ذلك لما كان علة الاشيا
كلها واذا كان العقل واحدا من الاشياء فليس فيه عقل ولا صورة ولا
حلية ابدع الاشياء بانه فقط وبانه يعلمها ويحفظها ويدبرها لا بصفة من
الصفات وانما وصفناه بالحسنات والفضائل لانه علتها وانه الذي جعلها
في الصور فهو مبدعها وقال انما تفاضلت الجواهر العالية العقلية
لاختلاف قبولها من النور الاول جل وعز فلذلك صارت ذوات مراتب شتى
فمنها ما هو اول في المرتبة ومنها ما هو ثان ومنها ما هو ثالث واختلفت
الاشياء بالمراتب والفصول لا بالمواضع والاماكن وكذلك الحواس تختلف
بامكانها على ان القوى الخاصة فانها معا لا يفترق بمفارقة الالة وقال
المبدع ليس بمتناه لانه جثة بسيطة وانما هو عظم جوهره بالقوة والقدرة
لا بالكمية والمقدار فليس للاول صورة ولا حلية ولا شكل ولذا صار
محبوبا معشوقا لتشاقه الصور العالية والسافلة وانما تشتاق اليه
جميع الاشياء لانه مبدعها وكنا ما من جوده حلية الوجود وهو قديم
دائم على حاله لا يتغير والعاشق يحرص على ان يصير اليه ويكون معه والمعشوق الاول
عشاق كثيرون وقد يغيض عليهم كلهم من نوره من غير ان ينقص منه شيء لانه ثابت قائم بذاته ولا
يتجزأ واما المنطق الجزوي فانه لا يعرف الشيء الا معرفة جزوية وشوق العقل الاول الى المبدع الاول
اشد من شوق سائر الاشيا لان الاشياء كلها تحته واذا اشتاق اليه
العقل لم يقل للعقل لم صرت مشتاقا الى الاول اذ العشق لا علة له فاما المنطق
الذي يختص بالنفس فيفحص عن ذلك ويقول ان الاول هو المبدع الحق وهو
الذي لا صورة له وهو مبدع الصور فالصور كلها تحتاج اليه فتشتاق اليه لذلك
ان كل صورة تطلب مصورها وتتشوق اليه وقال ان الفاعل الاول ابدع الاشيا كلها بغاية الحكمة

Digitized by Google

لا يقدر احد ان ينال علل كونها ولم كانت على الحال التي هي الان عليها ولا ان يعرفها كنه معرفتها ولم
صارت الارض في الوسط ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة الا ان يقول ان
الباري تعالى صيرها كذلك وانما كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة وكل فاعل يفعل برؤية وفكرة
لا بانيته فقط بل يفضل منه فلذلك يكون فعله لا بغاية الثقافة والاحكام والفاعل الاول جل و
عز لا يحتاج في ابداع الاشيا الى رؤية وفكرة وذلك انه ينال العلل بلا قياس بل يبدع الاشيا
ويعلم عللها قبل والرؤية والفكر والعلل والبرهان والعلم والقنوع وسائر ما اشبه ذلك انما كانت
اجزاء وهو الذي ابدعها وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد ومن تلك حكم ثاوفرسطس
كان الرجل من تلامذة ارسطاليس وكبار اصحابه واستخلفه على كرسي حكمته بعد وفاته فكانت
المتفلسفة تختلف اليه وتقتبس منه وله كتب وشروح كثيرة والتصانيف المعتبرة خصوصا
في موسيقا فمما يؤثر عنه انه قال الالهية لا تتحرك ومعناه لا تتغير ولا تتبدل لا في الذات ولا في
شبه الافعال وقال السماء مسكن الكواكب والارض مسكن الناس على انهم مثل وشبه لما في السما
فهم الاباء والمدبرون ولهم نفوس وعقول مميزة وليس لها انفس نباتية فلذلك لا يقبل الزيادة
والنقصان وقال الغناء فضيلة في المنطق اشكلت على النفس وقصرت عن تبيين كنهها
فابرزتها لحونا واثارت بها شجونا واضمرت في عرضها فنونا وفتونا وقال الغناء شيء يخص
النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما ان لذة الماكول والمشروب شيء يخص الجسم دون
النفس وقال ان النفس الى اللحون اذا كانت محجبة اشد اصغاء منها الى ما قد تبين لها وظهر
معناه عندها وقال العقل نحوان احدهما مطبوع والاخر مسموع فالمطبوع منها كالارض
والمسموع كالبذر والماء فلا يخلص للعقل المطبوع عمل دون ان يرد عليه العقل المسموع
فينبهه من نومه ويطلقه من وثاقه ويقلقه من مكانه كما يستخرج البذر والماء من قعر
الارض وقال الحكمة غنى النفس والمال غنى البدن وطلب غنى النفس اولى لانها اذا غنيت
بقيت والبدن اذا غنى فني وغنى النفس ممدود وغنى البدن محدود وقال ينبغي للعاقل
ان يداري الزمان مداراة رجل لا يسبح اذا وقع في الماء الجاري وقال لا تغبطن بسلطان من غير
عدل ولا بغنى من غير حسن تدبير ولا ببلاغة في غير صدق منطق ولا بجود في غير اصابة موضع
ولا بادب من غير اصابة راي ولا بحسن عمل في غير حسنة ومن تلك شبه برقلس
في قدم العالم ان القول في قدم العالم وازلية الحركات بعد اثبات الصانع والقول

بالعلة الاولى انما ظهر بعد ارسطاليس لانه خالف القدماء صريحا فابدع هذه المقالة على
قياسات ظنها حجة وبرهانا فنسج على منواله من كان من تلامذته وصرحوا القول فيه مثل
الاسكندر الافرودوسي وثامسطيوس وفرفوريوس وصنف برقلس المنتسب الى افلاطن
في هذه المسئلة كتابا واورد فيه هذه الشبه الا فالقدماء انما ابدوا فيه ما نقلناه
سالفا الشبهة الاولى قال الباري تعالى جواد بذاته وعلة وجود العالم جوده وجوده قديم
لم يزل فيلزم ذلك ان يكون وجود العالم قديما لم يزل وقال لا يجوز ان يكون مرة جوادا ومرة
غير جواد فانه يوجب التغير فهو جواد لذاته لم يزل قال ولا مانع من فيض جوده اذ لو كان مانع لما كان
من ذاته بل من غيره وليس لواجب الوجود لذاته حامل على شيء ولا مانع من شيء الثانية قال ليس يخلو
الصانع من ان يكون لم يزل صانعا بالقوة بان يقدر ان يفعل ولا يفعل فان كان الاول فالمصنوع
معلول لم يزل وان كان الثاني فما بالقوة لا يخرج الى الفعل الا بمخرج ومخرج الشيء من القوة الى
الفعل غير ذات الشيء فيجب ان يكون له مخرج من خارج مؤثر فيه وذلك ينافي كونه صانعا مطلقا
لا يتاثر ولا يتغير الثالثة قال كل علة لا يجوز عليها التحرك والاستحالة فانما تكون علة
من جهة ذاته لا من جهة الانتقال من غير فعل الى فعل وكل علة من جهة ذاته فمعلولها من جهة ذاتها
واذا كان ذاتها لم تزل فمعلولها لم يزل الرابعة ان كان الزمان لا يكون موجودا الا مع الفلك
والفلك الا مع الزمان لان الزمان هو المعاد لحركات الفلك ثم لا جايز ان يقال متى وقبل الاين
يكون الزمان ومتى وقبل ابدي فحركات الفلك ابدية فالفلك ابدي الخامسة قال ان العالم حسن
النظام كامل القوام وصانعه جواد خير ولا ينقص الجيد الحسن الا شرير وصانعه ليس بشرير
وليس يقدر على نقضه غيره فليس ينتقض ابدا وما لا ينتقض ابدا كان سرمدا السادسة
لما كان الكائن لا يفسد الا بشيء غريب يعرض له ولم يكن شيء غير العالم خارجا منه يجوز ان
يعرض فيفسد ثبت انه لا يفسد وما لا يتطرق اليه الفساد لا يتطرق اليه الكون والحدوث
فان كل كائن فاسد السابعة قال ان الاشياء التي هي في المكان الطبيعي لا تتغير ولا تتكون ولا
تفسد وانما تتغير وتتكون وتفسد اذا كانت في اماكن غريبة فتتجاذب الى اماكنها كالنار التي
هي في اجسادنا تحاول الانفصال الى مركزها فتنحل الرباط فيفسد فاذا الكون والفساد انما
يتطرق الى المركبات لا الى البسائط التي هي الاركان في اماكنها ولكنها هي بحالة واحدة وما هو
بحال واحد فهو ازلي الثامنة قال العقل والنفس والافلاك تتحرك على الاستدارة والطبائع

في ذاته م

بالفعل او لم يزل صانعا بالقوة م

موجودا م

Digitized by Google

تتحرك اما على الوسط واما الى الوسط على استقامة واذا كان كذلك كان التفاسد في العناصر انما هو لتضاد
حركاتها والحركة الدورية لا ضد لها فلم يقع فيها فساد قال وكليات العناصر انما تتحرك على استدارة
وان كانت الاجزاء منها تتحرك على الاستقامة فالفلك وكليات العناصر لا تفسد واذا لم يجز ان يفسد
العالم لم يجز ان يتكون وهذه الشبهات هي التي يمكن ان يقال فتنقض وفي كل واحدة منها نوع مغالطة
واكثرها محكمات وقد افردت لها كتابا واوردت فيه شبهات ارسطاليس وهذه تقريرات ابي علي بن
سينا ونقضتها على قوانين منطقية فليطلب ذلك ومن المتعصبين لبرقلس من مهد له عذرا
في ذكر هذه الشبهات وقال انه كان يناطق الناس منطقين احدهما روحاني بسيط والاخر جسماني
مركب وكان اهل زمانه الذين يناطقونه جسمانيين وانما دعاه الى ذكر هذه الاقوال مقاومتهم اياه
فخرج من طريق الحكمة والفلسفة من هذه الجهة لان من الواجب على الحكيم ان يظهر العلم على طرق
كثيرة يتصرف فيها كل ناظر بحسب نظره ويستفيد فيها بحسب فكره واستعداده فلا يجدوا على قوله
مساغا ولا يصيبوا مقالا ولا مطعنا لان برقلس لما كان يقول بدهر هذا العالم وانه باق لا
يدثر وضع كتابا في هذا المعنى فطالعه من لم يعرف طريقته ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانيته
فنقضوه على مذهب الدهرية وفي هذا الكتاب يقول لما اتصلت العالم بعضها ببعض وحدثت
القوى الواصلة فيها وحدثت المركبات من العناصر حدثت قشور واستبطنت لبوب فا
لقشور داثرة واللبوب قائمة دائمة ولا يجوز الفساد عليها لانها بسيطة وحيدة القوى فانقسم العالم
الى عالمين عالم الصفوة واللب وعالم الكدورة والقشر فاتصل بعضه ببعض وكان اخر هذا العالم
من بدو ذلك العالم فمن وجه لم يكن بينهما فرق فلم يكن هذا العالم داثرا اذا كان متصلا بما
ليس يدثر ومن وجه دثرت القشور وزالت الكدورة فكيف تكون القشور غير داثرة ولا مضمحلة
وما لم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية وايضا فان هذا العالم مركب والعالم الاعلى
بسيط وكل مركب ينحل حتى يرجع الى البسيط الذي تركب منه وكل بسيط باق دائما غير مضمحل
ولا متغير قال الذي يذب عن برقلس هذا الذي نقل عنه هو المقول عن مثله بل الذي اضاف اليه
هذا القول الاول لا يخ من احد امرين اما ان لم يقف على مرامه للعلة التي ذكرنا فيما سلف واما
لانه كان محسودا عند اهل زمانه لكونه بسيط الفكر واسع النظر سائر القوى وكانوا اولئك
اصحاب اوهام وخيالات فانه يقول في موضع من كتابه ان الاوايل منها تكونت العوالم وهي باقية
لا تدثر ولا تضمحل وهي لازمة الدهر ماسكة له الا انها من اول واحد لا يوصف بصفة ولا يدرك

بعد

بنعت ونطق لان صور الاشياء كلها منه وتحته وهو الغاية والمنتهى التي ليس فوقها جوهر هو اعظم
منها الا الاول الواحد وهو الاحد الذي قوته اخرجت هذه الاوائل وقدرته ابدعت هذه المبادي
وقال ايضا ان الحق لا يحتاج الى ان يعرف ذاته لانه حق حقا بلا حق وكل حق حقا فهو تحته انما هو حق حقا
حققه الموجب له الحق فالحق هو الجوهر الممد لطباع الحيوة والبقاء وهو افاد هذا العالم بدوا
وبقاء بعد دثور قشوره وزكى البسيط الباطل من الدنس الذي كان فيه قد علق به وقال ان هذا
العالم اذا اضمحلت قشوره وذهب دنسه صار بسيطا روحانيا بقي بما فيه من الجواهر الصافية
النورانية في حد المراتب الروحانية مثل العوالم العلوية التي بلا نهاية وكان هذا واحدا منها
وبقي جوهر كله قشر ودنس وخبث ويكون له اهل يلبسه لانه غير جائز ان تكون الانفس الطاهرة
التي لا تلبس الادناس والقشور مع الانفس الكثيرة القشور في عالم واحد وانما يذهب من هذا العالم
ما ليس من جهة المتوسطات الروحانية وما كان القشر والدنس عليه اغلب واما ما كان من الباري
تعالى بلا متوسط او كان من متوسط بلا قشر فانه لا يضمحل قال وانما يدخل القشر على الشيء من غير
المتوسطات فيدخل عليه بالعرض لا بالذات وذلك اذا كثرت المتوسطات وبعد الشيء عن
الابداع الاول لانه حيث ما قلت المتوسطات في الشيء كان انور واقل قشورا ودنسا وكلما
قلت القشور والدنس كانت الجوهر اصفى والاشياء ابقى وما نقل عن ابرقلس انه قال ان الباري تعالى
عالم بالاشياء كلها اجناسها واشخاصها وخالف بذلك ارسطاليس فانه قال يعلم اجناسها
وانواعها دون اشخاصها الكائنة الفاسدة فان علمه يتعلق بالكليات دون الجزئيات كما
ذكرنا ومما ينقل عنه في قدم العالم قوله لن يتوهم حدوث العالم الا بعد ان يتوهم انه لم يكن فابدعه
الباري تعالى وفي الحالة التي لم تكن لم يخ من حالات ثلث اما ان الباري تعالى لم يكن قادرا
فصار قادرا وذلك محال لانه قادر لم يزل واما انه لم يرد فاراد وذلك محال ايضا لانه
مريد لم يزل واما انه لم يقتض الحكمة وذلك محال ايضا لان الوجود اشرف من العدم على الاطلاق
فاذا بطلت هذه الجهات الثلث تشابها في الصفة الخاصة وهي القدم على اصل المتكلم او كان
القدم بالذات له دون غيره وان كانا معا في الوجود

رأي ثامسطيوس ومن تلك

وهو الشارح لكلام ارسطاليس وانما يعتمد شرحه اذ كان اهدى القوم الى اشاراته ورموزه
وهو على راي ارسطاليس في جميع ما ذكرنا من اثبات العلة الاولى واختار من المذاهب في المبادي
قول من قال ان المبادي ثلثة اهيولى والصورة والعدم وفرق بين العدم المطلق والعدم الخاص

الباطن
ن د

والله الموفق

فاعلم

فان عدم صورة بعينها عن مادة تقبلها مثل عدم السيفية عن الحديد ليس كعدم السيفية عن الصوف
فان هذه المادة لا تقبل هذه الصورة اصلا وقال ان الافلاك حصلت من العناصر الاربعة الا ان
العناصر حصلت من الافلاك ففيها نارية وهوائية ومائية وارضية الا ان الغالب على الافلاك
النارية كما ان الغالب على المركبات السفلية هو الارضية والكواكب نيرات مشتعلة حصلت
تراكيبها على وجه لا يتطرق اليها الانحلال لانها لا تقبل الكون والفساد والتغير والاستحالة والا
فالطبايع واحدة والفرق يرجع الى ما ذكرناه ونقل ثامسطيوس عن ارسطاليس وافلاطن و
ثاوفرطيس وفرفوريوس وفلوطرخيس وهو رايه في ان العالم اجمع طبيعة واحدة عامة وكل نوع من
انواع النبات والحيوان مختص بطبيعة خاصة وحدوا الطبيعة العامة انها مبدء الحركة في الاشيا
والسكون فيها على الامر الاول من ذواتها وهي علة الحركة في المتحركات وعلة السكون في
الساكنات زعموا ان الطبيعة هي التي تدبر الاشياء كلها في العالم حيوته ومواته تدبيرا طبيعيا
وليست هي حية ولا قادرة ولا مختارة ولكن لا تفعل الا حكمة وصوابا وعلى نظم صحيح وترتيب محكم
في مقالة اللام ان الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب وان لم تكن حيوانا لانها الهمت عن سبب
هو اكرم منها واومى الى ان السبب هو الله تعالى وقال ايضا ان الطبيعة طبيعتان طبيعة مستعلية
عن الكون والفساد بكليتها وجزئيتها يعني الفلك والنيرات وطبيعة تلحق جزئياتها الكون والفساد
ولا يلحق كلياتها ويريد بالجزئيات الاشخاص وبالكليات الاسطقسات **راي الاسكندر**
الافروديسي وهو من كبار الحكماء رايا وعلما وكلامه امتن ومقالته ارصن وافق ارسطاليس في
جميع ارائه وزاد عليه في الاحتجاج على ان الباري عالم بالاشياء جزئياتها وكلياتها
على نسق واحد وهو عالم بما كان وبما سيكون ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ولا يتكثر بتكثره
ومما انفرد به ان قال كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحرك من غيره
اصلا بل انما يتحرك بطبعه واختياره الا ان حركاته لا تختلف لانها دورية وقال لما كان الفلك
محيطا بما دونه وكان الزمان جاريا عليه لان الزمان هو العاد للحركات وهو عدد الحركات فلما لم يكن
يحيط بالفلك شيء اخر ولا كان الزمان جاريا عليه لم يجز ان يفسد الفلك ويكون فلم يكن قابلا
للكون والفساد وما لا يقبل الكون والفساد كان قديما ازليا وقال في كتابه في النفس ان الصناعة
تقبل الصناعة وقال للطبيعة لطف وقوة وان افعالها تفوق في البراعة واللطف كل
اعجوبة يتلطف فيها بصناعة من الصناعات وقال في ذلك الكتاب لا فعل للنفس دون مشاركة

قال ثامسطيوس
قال ارسطاليس صح

الطبيعة وان الطبيعة
لا تقبل

البدن

البدن حتى التصور بالعقل فانه مشترك بينهما واومى الى انه لا يبقى للنفس بعد مفارقتها قوة اصلا
حتى القوة العقلية وخالف استاذه ارسطاليس فانه قال الذي يبقى مع النفس من جميع ما لها من
القوى هي القوة العقلية فقط ولذتها في ذلك العالم مقصورة على اللذات العقلية فقط اذ
لا قوة لها دون ذلك فتحس وتلذ بها والمتاخرون يثبتون بقاءها على هيئة اخلاقية مستفادة
من مشاركة البدن فتستعد بها لقبول هيئات ملكية في ذلك العالم **راى فرفوريوس** ومن تلك
وهو ايضا راى ارسطاليس في جميع ما ذهب اليه ويدعي ان الذي يحكى عن افلاطن من القول بحدوث
العالم غير صحيح قال في رسالته الى اثاوو واما ما قذف به افلاطن عندكم من انه يضع العالم ابتداء
زمانيا فدعوى كاذبة وذلك ان افلاطن ليس يرى ان للعالم ابتداء زمانيا لكن ابتداء على جهة
العلة ويزعم ان علة كونه ابتداؤه وقد ارى ان المتوهم عليه في قوله ان العالم مخلوق وانه حدث
لا من شيء وانه خرج من لا نظام الى نظام فقد اخطأ وغلط وذلك انه لا يصح دائما ان كل عدم اقدم
من الوجود فيما علة وجوده شيء اخر غيره ولا كل سوء نظام اقدم من النظام وانما يعني افلاطن ان
الخالق اظهر العالم من العدم الى الوجود وان وجد انه لم يكن من ذاته لكن سبب وجوده من الخالق
قال وقال في الهيولى انها امر قابل للصور وهي صغيرة وكبيرة وهما الموضوع والحد واحد ولم
يبين القدم كما ذكره ارسطاليس الا انه قال الهيولى لا صورة له على سبيل التغير وتفسد بخلو
الصور عنها وزعم فرفوريوس ان من الاصول الثلثة التي هي الهيولى والصورة والعدم ان كل جسم
اما ساكن او متحرك وههنا شيء يكون ما يتكون ويحرك الاجسام وكل ما كان واحدا بسيطا
ففعله واحد بسيط وما كان كثيرا مركبا فافعاله كثيرة مركبة وكل موجود ففعله مثل
طبيعته ففعل الله بذاته فعل واحد بسيط وما في افعاله بمتوسط فمركب وقال كل ما كان موجودا
فله فعله من الافعال مطابق لطبيعته ولما كان الباري تعالى موجودا ففعله الخاص هو
الاجتلاب الى الوجود ففعل فعلا واحدا وحرك حركة واحدة وهو الاجتلاب الى شبهه
يعني الوجود ثم اما ان يقال كان المفعول معدوما يمكن ان يوجد وذلك هو طبيعة الهيولى بعينها
فيجب ان يسبق الوجود طبيعة ما قابلة للوجود واما ان يقال لم يكن معدوما يمكن ان يوجد
بل اوجده عن لا شيء وابدع وجوده من غير توهم شيء سبقه وهو ما يقوله الموحدون قال فاول
فعل فعله هو الجوهر الا ان كونه جوهرا وقع بالحركة وذلك انه ليس للجوهر ان يكون بذاته
بمنزلة الوجود الاول لكن من التشبه بذلك الاول وكل حركة تكون فاما على خط مستقيم

فقد علم ان عدم الصورة في الهيولى وقال ان المكونات كلها انما تكون بالصور صح

فوجب ان يكون بقاؤه جوهرا بالحركة صح

Digitized by Google

واما على الاستدارة فتحرك الجوهر بهاتين الحركتين ولما كان وجود الجوهر بالحركة وجب ان يتحرك الجوهر
في جميع الجهات التي يمكن فيها الحركة فيتحرك جميع الجواهر في جميع الجهات حركة مستقيمة على جميع الخطوط
وهي ثلثة الطول والعرض والعمق الا انه لم يمكن ان يتحرك على هذه الخطوط بلا نهاية اذ ليس يمكن
فيما هو بالفعل ان يكون بلا نهاية فيتحرك الجوهر في هذه الاقطار الثلثة حركة متناهية على خطوط
مستقيمة وصار بذلك جسما وبقي عليه ان يتحرك بالاستدارة على الجهة التي يمكن فيها ان يتحرك
بلا نهاية ولا يسكن في وقت من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة على الاستدارة
لان الدائر يحتاج الى شيء ساكن في وسط منه فعند ذلك انقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة
وسكن بعضه في الوسط قال كل جسم يتحرك فيماس جسما ساكنا في طبيعته قبول التاثير منه حركة
معه فاذا حركه سخن واذا سخن لطف وانحل وخف فكانت النار يلي الفلك والجسم الذي يلي النار
يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فيكون حركته اقل فلا يتحرك لذلك باجمعه لكن جزء منه
فيسخن دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك فهو بارد لسكونه
وحار حرارة يسيرة بمجاورة الهواء الحار وكذلك انحل قليلا واما الجسم الذي في الوسط فلانه بعد في
الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيء ولا قبل منه تاثيرا سكن وبرد وهذه هي الارض و
اذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض اختلطت وتولد عنها اجسام مركبة وهذه
هي الاجسام المحسوسة وقال الطبيعة تفعل بغير فكر ولا عقل ولا ارادة ولكنها ليست تفعل بالبخت
والاتفاق والخبط بل لا تفعل الا ما له نظم وترتيب وحكمة وقد تفعل بشيء من اجل شيء كما يفعل
المبر لغذاء الانسان ويهيئ اعضائه لما يصلح له وقسم فرفوريوس مقالة ارسطو في الطبيعة
خمسة اقسام احدها العنصر والثاني الصورة والثالث المجتمع منهما كالانسان والرابع الحركة الحادثة
في الشيء بمنزلة الحركة النار الكائنة الموجودة فيها الى فوق والخامسة الطبيعة العامة للكل لان
الجزويات لا يتحقق وجودها الا عن كل يشملها ثم اختلفوا في مركزها فمن الحكماء من صار الى انها فوق الكل
وقال آخرون انها دون الكل قالوا اما الدليل على وجود افعالها وقواها المنبثة في العالم الموجبة
للحركات والافعال كذهاب النار والهواء الى فوق وذهاب الماء والارض الى تحت فنعلم يقينا لولا
قوى فيها اوجبت تلك الحركات كانت مبدأ لم يوجد فيها ما يوجد وكذلك ما يوجد في الحيوان والنبات
من قوة الغذاء وقوة النمو والنشو

المتاخرون وما

من فلاسفة الاسلام مثل يعقوب بن اسحق الكندي وحنين بن اسحق ويحيى النحوي وابي الفرج

المفسر وابي سليمان السنجري وابي سليمان محمد بن مسعود المقدسي وابي بكر ثابت بن قرة الحراني
وابي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وابي زيد احمد بن سهل البلخي وابي محارب الحسن بن سهل
بن شعارب القمي واحمد بن طيب السرخسي وطلحة بن محمد النسفي وابي حامد احمد الاسفرايني
وعيسى بن علي الوزير وابي علي احمد بن محمد مسكويه وابي زكريا يحيى بن عدي الضمري و
وابي الحسن العامري وابي نصر محمد بن طرخان الفارابي وغيرهم وانما علامة القوم ابو علي
الحسين بن عبد الله بن سينا فلسلكوا كلهم طريقة ارسطاليس في جميع ما ذهب اليه وانفرد به سوى
كلمات يسيرة ربما راوا فيها رأي افلاطون والمتقدمين ولما كانت طريقة ابن سينا ادق عند الجماعة
ونظره في الحقائق اغوص اخترت نقل طريقته من كتبه على ايجاز واختصار لانها عيون كلامه و
متون مرامه واعرضت عن نقل طرق السابقين وكل صيد في جوف الفرا كلامه في المنطق
قال ابو علي بن عبد الله بن سينا العلم اما تصور واما تصديق والتصور هو العلم الاول وهو ان
تدرك امرا ما ادراكا من غير ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصورنا ماهية الانسان والتصديق
هو ان تدرك امرا وامكنك ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصديقنا بان للكل مبدأ ولكل
واحد من القسمين منه ما هو اولي ومنه ما هو مكتسب فالتصور المكتسب انما يستحصل بالحد وما يجري
مجراه والتصديق المكتسب انما يستحصل بالقياس وما يجري مجراه فالحد والقياس اللذان
بهما تحصل المعلومات التي لم تكن حاصلة فتصير معلومة بالروية وكل واحد منهما منه
ما هو حقيقي ومنه ما هو دون الحقيقي ولكنه نافع منفعته بحسبه ومنه ما هو باطل
مشتبه بالحقيقي والفطرة الانسانية غير كافية في التمييز بين هذه الاصناف الا
ان تكون مؤيدة من عند الله عز وجل فلا بد اذا للناظر من آلة قانونية تعصمه
مراعاتها عن ان يضل في فكره وذلك هو الغرض من المنطق ثم ان كل واحد من الحد و
القياس مؤلف من معان معقولة بتاليف محدود فيكون لهما مادة منها الفت و
صورت بها التاليف والفتا قد تعرض من احدى الجهتين وقد تعرض من جهتيها
معا فالمنطق هو الذي يعرف انه من اي المواد والصور يكون الحد الصحيح والقياس السديد
الذي يوقع يقينا ومن ايهما ما يوقع عقدا شبيها باليقين ومن ايهما ما يوقع ظنا غالبا
ومن ايهما ما يوقع مغالطة وجهلا وهذه فائدة المنطق ثم لما كانت المخاطبات النظرية
بالفاظ موضوعة والافكار العقلية باقوال عقلية فتلك المعاني التي في الذهن من حيث

Digitized by Google

تتادى بها الى غيرها كانت موضوعات المنطق ومعرفة احوال تلك المعاني مسائل علم
المنطق وكان المنطق بالنسبة الى المعقولات على مسائل النحو بالنسبة الى الكلام والعروض
الى الشعر فوجب على المنطقي ان يتكلم في الالفاظ ايضا من حيث تدل على المعاني واللفظ يدل
على المعنى من ثلثة اوجه احدها بالمطابقة والثاني بالتضمن والثالث بالالتزام وهو ينقسم الى
مفرد ومركب فالمفرد ما يدل على المعنى وجزؤه من اجزائه لا يدل على جزء من اجزاء ذلك المعنى بالذات
اي حين هو جزء له والمركب هو الذي يدل على معنى وله اجزاء منها يلتئم مسموعه ومن معانيها يلتئم
معنى الجملة والمفرد ينقسم الى كلي والى جزئي والكلي هو الذي يدل على كثيرين بمعنى واحد متفقين ولا
يمنع نفس مفهومه عن الشركة فيه والجزئي هو الذي يمنع نفس مفهومه عن ذلك ثم الكلي ينقسم الى ذاتي وعرضي و
الذاتي هو الذي تقوم ماهية ما يقال عليه والعرضي هو الذي لا يقوم ماهيته سواء كان غير مفارق في
الوجود والوهم وبين الوجود له ثم الذاتي ينقسم الى ما هو مقول في جواب ما هو وهو للفظ المفرد الذي يتضمن
جميع المعاني الذاتية التي يقوم الشيء بها وفرق بين المقول في جواب ما هو وبين الداخل في جواب ما هو والى
ما هو مقول في جواب اي شيء هو وهو الذي يدل على معنى يتميز به اشياء مشتركة في معنى واحد تميزا
ذاتيا واما العرضي فقد يكون ملازما في الوجود والوهم وبه يقع تميز ايضا لا ذاتيا وقد يكون
مفارقا وفرق بين العرضي وبين العرض الذي هو قسيم الجوهر واما رسوم الالفاظ الخمسة التي
هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس يرسم بانه المقول على كثيرين مختلفين
بالحقائق الذاتية في جواب ما هو والنوع يرسم بانه المقول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب
ما هو اذا كان نوع الانواع واذا كان نوعا متوسطا فهو المقول على كثيرين مختلفين في
جواب ما هو ويقال عليه قول اخر في جواب ما هو بالشركة وينتهي الارتقاء الى جنس لا جنس
فوقه وان قدر فوق الجنس امر اعم منه فيكون العموم بالتشكيك والنزول الى نوع لا نوع تحته
وان قدر دون النوع صنف اخص فيكون الخصوص بالعوارض ويرسم الفصل بانه الكلي
الذاتي الذي يقال به على نوع تحت جنسه بانه اي شيء هو ويرسم الخاصة بانه الكلي الذاتي
الدال على نوع واحد في جواب اي شيء هو لا بالذات ويرسم العرض العام بانه الكلي المفرد الغير
الذاتي ويشترك في معناه كثيرون ووقوع العرض على هذا وعلى الذي هو قسيم الجوهر وقوع
بمعنيين مختلفين في المركبات الشيء اما غير موجود واما صورة ماخوذة
عنه في الذهن ولا يختلفان في النواحي والامم واما لفظة تدل على الصورة التي في الذهن واما

قولا صح

كناية

كتابة دالة على اللفظ ويختلفان في الاسم فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على الصورة في الذهن
وتلك الصورة دالة على الاعيان الموجودة ومبادي القول والكلام اما اسم واما كلمة واما اداة فا
لاسم لفظ مفرد يدل على معنى من غير ان يدل على زمان ما وجود ذلك المعنى والكلمة لفظ مفرد يدل على
معنى وعلى الزمان الذي فيه ذلك المعنى الموضوع ما غير معين والاداة لفظ مفرد انما يدل على
معنى يصح ان يوضع او يحمل بعد ان يقرن باسم او كلمة واذا ركب اللفظ تركيبا يؤدي معنى فحينئذ
يسمى قولا ووجوه التركيبات مختلفة وانما يحتاج المنطقي الى تركيب خاص وهو ان يكون يتطرق اليه
التصديق والتكذيب فالقضية هي كل قول فيه نسبة بين شيئين بحيث يتبعه حكم صدق
او كذب والحملية منها كل قضية فيها النسبة المذكورة بين شيئين ليس في كل واحد منهما هذه
النسبة الا بحيث يمكن ان يدل على كل واحد منهما بلفظ مفرد والشرطية منها كل قضية فيها هذه
النسبة بين شيئين فيها هذه النسبة من حيث هي منفصلة والمتصلة من الشرطية هي التي
يوجب او يسلب لزوم قضية لاخرى من القضايا الشرطية والمنفصلة منها ما يوجب او يسلب
عناد قضية لاخرى من القضايا الشرطية والايجاب هو ايقاع هذه النسبة وايجادها وفي
الجملة هو الحكم بوجود محمول الموضوع والسلب هو رفع هذه النسبة الوجودية وبالجملة هو الحكم
بلا وجود محمول الموضوع والمحمول هو المحكوم به والموضوع هو المحكوم عليه والمخصوصة قضية
حملية موضوعها شيء جزئي والمهملة قضية حملية موضوعها كلي ولكن لم يتبين ان الحكم في
كله او بعضه ولا بد انه في البعض وشك انه في الكل فحكمه حكم الجزئي والمحصورة هي التي حكمها
كلي والحكم عليه مبين انه في كله او بعضه وقد تكون موجبة او سالبة والسور هو اللفظ
الذي يدل على مقدار الحصر ككل ولا واحد ولا بعض ولا كل والقضيتان المتقابلتان هما
اللتان تختلفان بالسلب والايجاب وموضوعهما ومحمولهما واحد في المعنى والاضافة والقوة
والفعل والجزء والكل والمكان والزمان والشرط والتناقض وهو التقابل بين القضيتين
في الايجاب والسلب تقابلا يجب عنه لذاته ان يقتسما الصدق والكذب ويجب ان يراعى فيه الشرائط
المذكورة الفعلية القضية البسيطة هي التي موضوعها او محمولها اسم محصل والمعدولة
هي التي موضوعها او محمولها غير محصل كقولنا زيد هو غير بصير والعدمية هي التي محمولها
اسم محصل المقابلين او دل على عدم شيء من شأنه ان يكون للشيء او لنوعه او لجنسه مثل
قولنا زيد جابر ومادة القضايا هي حالة للمحمول بالقياس الى الموضوع يجب بها لا محالة ان يكون

Digitized by Google

لم دائما في كل وقت في ايجاب وسلب او غير دائم له في ايجاب ولا سلب وجهات القضايا الثلثة واجب ويدل
على دوام الوجود وممتنع ويدل على دوام العدم وممكن ويدل على لا دوام وجود ولا عدم والفرق بين
الجهة والمادة ان الجهة لفظة مصرح بها تدل على احد هذه المعاني والمادة حالة للقضية بذاتها
غير مصرح بها وربما تخالفا كقولك زيد يمكن ان يكون حيوانا فالمادة واجبة والجهة ممكنة والممكن
يطلق على معنيين احدهما ما ليس بممتنع وعلى هذا الشيء اما ممكن واما ممتنع وهو الممكن العامي و
الثاني ما ليس بضروري في الحالين اعني الوجود والعدم وعلى هذا الشيء اما واجب واما ممتنع واما
ممكن وهو الممكن الخاصي ثم الواجب والممتنع بينهما غاية الخلاف مع اتفاقهما في معنى الضرورة فان الواجب
هو ضروري الوجود بحيث لو قدر عدمه لزم منه محال والممتنع ضروري الوجود والعدم والحمل الضروري
على ستة اوجه تشترك كلها في الدوام الاول ان يكون الحمل دائما لم يزل ولا يزال والثاني ان يكون
الحمل ما دامت ذات الموضوع موجودة لم تفسد وهذان هما المستعملان والمراد ان اذا قيل ايجاب
او سلب ضروري والثالث ان يكون الحمل ما دام ذات الموضوع موصوفة بالصفة التي جعلت
موضوعة معها والرابع ان يكون الحمل موجودا وليس له ضرورة بلا هذا الشرط والخامس ان يكون
الضرورة وقتا ما معينا لا بد منه والسادس ان يكون الضرورة وقتا ما غير معين ثم ان ذوات
الجهة قد تتلازم طردا وعكسا وقد لا تتلازم فواجب ان يوجد يلزمه ممتنع ان لا يوجد وليس يمكن
بالمعنى العام ان لا يوجد ونقائض هذه متعاكسة وقس عليه سائر الطبقات وكل قضية
فاما ضرورية واما ممكنة واما مطلقة فالضرورية مثل قولنا كل ب ا بالضرورة اي كل
واحد واحد مما يوصف بانه ب دائما بالضرورة او غير دائم فذلك الشيء دائما ما دامت عين ذاته
موجودة توصف بانه ا والممكنة فهي التي حكمها من ايجاب او سلب عنها غير ضروري والمطلقة
فيها رايان احدهما انها التي لم يذكر فيها جهة ضرورة للحكم ولا امكان بل اطلق اطلاقا والثاني
ما يكون الحكم فيها موجودا لا دائما بل وقتا ما وذلك الوقت اما ما دام الموضوع موصوفا بما يوصف
به او ما دام المحمول محكوما به او في وقت معين ضروري او في وقت ضروري غير معين واما العكس فهو
تصيير الموضوع محمولا والمحمول موضوعا مع بقاء السلب والايجاب بحاله والصدق والكذب بحاله
والسالبة الكلية تنعكس مثل نفسها والسالبة الجزوية فلا تنعكس والموجبة الكلية تنعكس
موجبة جزوية والموجبة الجزوية تنعكس مثل نفسها

في القياس

ومباديه واشكاله ونتايجه المقدمة قول يوجب شيئا لشيء او يسلب شيئا عن شيء جعلت

العدم بحيث لو قدر وجوده
لزم منه محال والممكن الخاصي
هو ما ليس ضروري م

جزو قياس والحد ما ينحل اليه المقدمة من جهة ما هي مقدمة والقياس هو قول مؤلف من اقوال
اذا وضعت لزم عنها بذاتها قول اخر غيرها اضطرارا واذا كان بينا لزمه يسمى قياسا كاملا
واذا احتاج الى بيان فهو غير كامل والقياس ينقسم الى اقتراني واستثنائي والاقتراني ان يكون
ما يلزم ليس هو ولا نقيضه معقولا منه بالفعل بوجه والاستثنائي ان يكون ما يلزم هو او نقيضه
معقولا فيه بالفعل والاقتراني انما يكون عن مقدمتين تشتركان في حد وتفترقان في حدين فيكون
الحدود ثلثة ومن شان المشترك فيه ان يزول عن الوسط ويربط ما بين الحدين الاخرين فيكون
ذلك هو اللازم ويسمى نتيجة فالمكرر يسمى حدا اوسط والباقيان طرفين والذي يريد ان يصير
محمول اللازم يسمى الطرف الاكبر والذي ان يكون موضوع اللازم يسمى الطرف الاصغر والمقدمة التي فيها
الطرف الاكبر تسمى الكبرى والتي فيها الطرف الاصغر تسمى الصغرى والتاليف الصغرى والكبرى يسمى قرينة
وهيئة الاقتران تسمى شكلا والقرينة التي يلزم عنها لذاتها قول اخر تسمى قياسا واللازم ما دام لم يلزم
بعد بل يسعى اليه القياس يسمى مطلوبا فاذا لزم يسمى نتيجة والحد الاوسط ان كان محمولا في مقدمة
وموضوعا في الاخرى يسمى ذلك الاقتران شكلا اول وان كان محمولا فيهما يسمى شكلا ثانيا وان كان
موضوعا فيهما يسمى شكلا ثالثا وتشترك الاشكال في انه لا قياس عن جزويتين وتشترك ما خلا
الكائنة عن المكانات في انه لا قياس عن سالبتين ولا عن صغرى سالبة كبراها جزوية والنتيجة
تتبع اخس المقدمتين في الكم والكيف وشريطة الشكل الاول ان تكون كبراه كلية وصغراه
موجبة وشريطة الشكل الثاني ان تكون الكبرى فيه كلية واحد المقدمتين مخالفة للاخرى
في الكيف ولا ينتج اذا كانت المقدمتان ممكنتين او مطلقتين الاطلاق الذي لا ينعكس على نفسه
كليتها وشريطة الشكل الثالث ان تكون الصغرى موجبة ثم لا بد من كلية في كل شكل و
لا يرجع في المختلطات الى تصانيفه واما القياسات الشرطية وقضاياها اعلم ان الايجاب
والسلب ليس يختص بالحمليات بل وفي الاتصال والانفصال فانه كما ان الدلالة على وجود الحمل
ايجاب في الحمل كذلك الدلالة على وجود الاتصال ايجاب في المتصل والدلالة على وجود الانفصال
ايجاب في المنفصل وكذلك السلب وكل سلب هو ابطال الايجاب ورفعه وكذلك يجري فيها الحصر
والاهمال وقد تكون القضايا كثيرة والمقدمة واحدة والاقتران من المتصلات ان يجعل مقدم
احدهما تاليا للاخر فيشتركان في التالي ويشتركان في المقدم وذلك على قياس الاشكال الحملية
والشرائط فيها واحدة والنتيجة شرطية تحصل من اجماع المقدم والتالي اللذين هما كالطرفين

والاقترانيات

والاقترانيات من المنفصلات فلا يكون في جزء تام بل يكون في جزء غير تام وهو جزء التالي
مقدم والاستثنائية مؤلفة من مقدمتين احديهما شرطية والاخرى وضع او رفع لاحد جزئيه
ويجوز ان تكون حملية وشرطية وتسمى المستثناة والمستثناة من قياس شرطية متصلة اما ان يكون
من المقدم فيجب ان يكون عين المقدم لينتج عين التالي وان كان من التالي فيجب ان يكون نقيضه
لينتج نقيض المقدم واستثناء نقيض المقدم وعين التالي لا ينتج شيئا واما اذا كانت الشرطية
منفصلة فان كانت ذات جزئين فقط موجبتين فانهما استثنيت عينه انتج نقيض الآخر والا
وانهما استثنيت نقيضه انتج عين الباقي واما القياسات المركبة فاذا حللت الى افرادها كان ما
ينتج كل واحد منها شيئا اخر الا ان نتائج بعضها مقدمات لبعض وكل نتيجة فانها تستتبع عكسها وعكس
نقيضها وجزويهما وعكس جزويهما ان كان لها عكس والمقدمات الصادقة تنتج نتيجة صادقة ولا تنعكس
فقد تنتج المقدمات الكاذبة نتيجة صادقة والدور ان باخذ النتيجة وعكس احدى المقدمتين فتنتج المقدمة
الثانية وانما يمكن اذا كانت الحدود في المقدمات متعاكسة متساوية وعكس القياس هو ان تاخذ مقابلة
النتيجة بالضد او النقيض وتضيف الى احد المقدمتين فتنتج مقابلة النتيجة الاخرى احتيالا في الجدل
وقياس الخلف هو الذي يبين فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه فيكون هو بالحقيقة مركبا
من قياس اقتراني وقياس استثنائي والصادرة على المطلوب هو ان يجعل المطلوب نفسه مقدمة
في قياس يراد فيه انتاجه وربما يكون في قياس واحد وربما يبين في قياسات وحيثما كان ابعد
كان من القبول اقرب والاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزويات ذلك الكلي اما
كلها او اكثرها والتمثيل هو الحكم على شيء معين لوجود ذلك في شيء اخر معين او اشياء على ان ذلك
الحكم كلي على المتشابه فيكون محكوما عليه في المطلوب منقولا منه الحكم وهو المثال ومعنى
متشابه فيه هو الجامع وحكم الرأي مقدمة محمولة كلية في ان كذا كائن او غير كائن وصواب
ام خطاء الدليل قياس اضماري حده الاوسط شيء اذا وجد للاصغر تبعه وجود شيء اخر للاصغر
دائما كيف كان ذلك التبع والقياس الفراسي شبيه بالدليل من وجه وبالتمثيل من وجه

في مقدمات القياس من جهة ذواتها وشرائط البرهان

المحسوسات هي امور اوقع التصديق فيها الحس المجربات امور اوقع التصديق بها الحس بشركة
من القياس المقبولات اراء اوقع التصديق بها قول من يوثق بصدقه فيها بقول اما لامر ذاتي
يختص به او لرأي وفكر قوي تمهر به او صناعات اراء اوجب اعتقادها قوة الوهم التابعة للحس الذاتيات

Digitized by Google

آراء مشهورة محمودة اوجب التصديق بها شهادة الكل المظنونات اراء يقع التصديق بها لا على
الثبات بل يخطر امكان نقيضها بالبال ولكن الذهن يكون اليها اميل المخيلات هي مقدمات
ليست تقال لتصدق بها بل ليخيل شيئا على انه شيء اخر على سبيل المحاكات الاولیات هي قضايا
تحدث في الانسان من جهة قوته العقلية من غير سبب اوجب التصديق بها البرهان قياس مؤلف من
يقينيات لانتاج يقيني واليقينيات اما اولیات وما جمع منها واما تجربيات واما محسوسات وبرهان
لم هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الوجود وفي الذهن جميعا وبرهان ان هو الذي
يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق به والمطالب هل مطلقا هو تعرف
حال الشيء في الوجود او العدم مطلقا وهل مقيدا وهو تعرف وجود الشيء على حال ما او لم
ما يعرف التصور وهو اما بحسب الاسم اي ما المراد باسم كذا وهذا يتقدم كل مطلب واما بحسب الذات
اي ما الشيء في وجوده وهو يعرف حقيقة الذات ويتقدمه هل المطلق لم يعرف بجواب العلة هل
وهو اما علة التصديق فقط واما علة نفس الوجود واي فهو داخل بالقوة في الحد المركب المقيد
وانما يطلب به التميز اما بالصفات الذاتية واما بالخواص والامور التي يلتئم منها امر البراهين بلشه
موضوعات ومسائل ومقدمات فالموضوعات ما يبرهن فيها والمسائل يبرهن عليها والمقدمات يبرهن
بها ويجب ان تكون صادقة يقينية ذاتية وتنتهي الى مقدمات اولية مقولة على الكل كلية
وقد تكون ضرورية لا على الامور المتغيرة التي هي في الاكثر على حكم ما فتكون اكثرية وتكون علة
لوجود النتيجة فتكون مناسبة الحمل الذاتي يقال على وجهين احدهما ان يكون المحمول ماخوذا
في حد الموضوع والثاني ان يكون الموضوع ماخوذا في حد المحمول المقدمة الاولية على وجهين احدهما
ان التصديق بها حاصل في اول العقل والثاني من جهة ان الايجاب والسلب لا يقال على ما هو اعم
من الموضوع قولا كليا المناسب هو ان لا يكون المقدمات فيه من علم غريب الموضوعات هي التي توضع
في العلوم فيبرهن على اعراضها الذاتية المسائل هي القضايا الخاصة يعلم علم المشكوك فيها
المطلوب برهانا والبرهان يعطي اليقين الدائم وليس في شيء من الفاسدات عقد دائم فلا
برهان عليها ولا برهان ايضا على الحد لانه لا بد حينئذ من حد وسط مساو للطرفين لان
الحد والمحدود متساويان وذلك الاوسط لا يخ اما ان يكون حدا آخر او يكون رسما وخاصة فاما
الحد الاخر فان السؤال في اكتسابه ثابت فان اكتسب بحد ثالث فالامر ذاهب الى غير النهاية وان اكتسب
بالحد الاول فذلك دور وان اكتسب بوجه اخر غير البرهان فلم لا يكتسب به هذا الحد وعلى انه

Digitized by Google

لا يجوز ان يكون لشيء واحد حدان تامان على ما سيوضح بعد وان كانت الواسطة غير حد فكيف صار ما
ليس بحد اعرف وجودا للمحدود من الامر الذاتي المقوم له وهو الحد وايضا فان الحد لا يكتسب بالقسمة
فان القسمة تضع اقساما ولا تحمل من الاقسام شيئا بعينه الا ان يوضع وضعا من غير ان يكون للقسمة
فيه مدخل واما استثناء نقيض قسم ليبقى القسم الداخل في الحد فهو ابانة الشيء بما هو مثل
له او اخفى منه فانك اذا قلت لكن ليس الانسان غير ناطق فهو اذا ناطق لم يكن احدث في الاستثناء
شيئا اعرف من النتيجة وايضا فان الحد لا يكتسب من حد الضد فليس لكل محدود ضد ولا ايضا
حد احد الضدين اولى بذلك من حد الضد الاخر والاستقراء لا يفيد علما كليا فكيف يفيد
الحد لكن الحد يقتنص بالتركيب وذلك بان تعمد الى الاشخاص التي لا تنقسم وتنظر من اي جنس هي
من العشرة فتاخذ جميع المحمولات المقومة لها التي في ذلك الجنس وتجمع العدة منها بعد ان تعرف
ايها الاول وايها الثاني فاذا جمعنا هذه المحمولات ووجدنا منها شيئا مساويا للمحدود من وجهين
فهو الحد احدهما المساواة في الحمل والثاني المساواة في المعنى وهو ان يكون دالا على كمال حقيقة
ذاته لا يشذ منه شيء فان كثيرا مما يتميز بالذات يكون قد اخل ببعض الاجناس او ببعض الفصول
فيكون مساويا في الحمل ولا يكون مساويا في المعنى وبالعكس ولا يلتفت في الحد الى ان يكون وجيزا
بل ينبغي ان يضع الجنس القريب باسمه او بحده ثم تاتي بجميع الفصول الذاتية وانك اذا تركت بعض
الفصول فقد تركت بعض الذات والحد عنوان للذات وبيان له فيجب ان يقوم في النفس صورة
معقولة مساوية للصورة الموجودة بتمامها فحينئذ يعرض ان يتميز ايضا المحدود ولا حد بالحقيقة
لما لا وجود له وانما ذلك قول يشرح الاسم فالحد اذا قول دال على الماهية والقسمة معينة في الحد
خصوصا اذا كانت بالذاتيات ولا يجوز تعريف الشيء بما هو اخفى منه ولا بما هو مثله في الجلاء
والخفاء ولا بما لا يعرف الشيء الا به في الاجناس العشرة الجوهر كل ما وجود ذاته ليس في موضوع
اي في محل قريب قد قام بنفسه دونه بالفعل لا بتقويمه الكم هو الذي يقبل لذاته المساواة و
اللامساواة والتجزي وهو اما ان يكون متصلا اذ يوجد لاجزائه بالقوة حد مشترك يتلاقى
عنده ويتحد به كالنقطة للخط واما ان يكون منفصلا لا يوجد لاجزائه ذلك لا بالقوة
ولا بالفعل والمتصل قد يكون ذا وضع وقد يكون عديم الوضع وذو الوضع هو الذي يوجد
لاجزائه اتصال وثبات وامكان ان يشار الى كل واحد منها انه اين هو من الاخر فمن ذلك ما يقبل
في جهتين متقاطعتين على قوائم وهو السطح ومنه ما يقبل في ثلث جهات قائم بعضها على

القسمة في جهة واحدة وهو الخط ومنه ما يقبل صح

يعني

بعض وهو الجسم والمكان ايضا ذو وضع لانه السطح الباطن من الحاوي واما الزمان فهو مقدار للحركة
الا انه ليس له وضع اذ لا يوجد اجزاؤه معا وان كان له اتصال اذ ماضيه ومستقبله يتحدان بطرف
الان واما العدد فهو بالحقيقة الكم المنفصل ومن المقولات العشر الاضافية وهو المعنى الذي
وجوده بالقياس الى شيء اخر وليس له وجود غيره مثل الابوة بالقياس الى البنوة لا كالاب فان
له وجودا يخصه كالانسانية **واما الكيف** فهو كل هيئة قارة
في جسم لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة للجسم الى خارج ولا نسبة واقعة في اجزائه ولا بالجملة
اعتبارا يكون به ذا جزء مثل البياض والسواد وهو اما ان يكون مختصا به لا بالكم من جهة ما هو كم
بالسطح والاستقامة بالخط والفردية بالعدد واما ان لا يكون مختصا وغير المختص به اما ان يكون
محسوسا ينفعل عنه الحواس ويوجد بانفعال الممتزجات فالراسخ منه مثل صفرة الذهب و
حلاوة العسل يسمى كيفيات انفعاليات وسريع الزوال منه وان كان كيفية بالحقيقة
فلا يسمى كيفية بل انفعالات لسرعة استبدالها مثل حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه ما لا
يكون محسوسا فاما ان يكون استعدادات انما يتصور في النفس بالقياس الى كمالات فان كان استعدادا
للمقاومة واباء الانفعال سمي قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة وان كان استعدادا لسرعة
الاذعان والانفعال سمي لا قوة طبيعية مثل المراضية واللين واما ان يكون في انفسها
كمالات لا يتصور انها استعدادات لكمالات اخرى وتكون مع ذلك غير محسوسة بذاتها فما كان
منها ثابتا يسمى ملكة مثل العلم والصحة وما كان سريع الزوال سمي حالا مثل غضب الحليم ومرض
المصحاح وفرق بين الصحة والمصحاحية فان المصحاح قد لا يكون صحيحا والمراض قد يكون صحيحا ومن
جملة العشرة الاين وهو كون الجوهر في مكانه الذي يكون فيه ككون زيد في السوق ومتى وهو كون
الجوهر في زمانه الذي يكون فيه مثل كون هذا الامر امس والوضع وهو كون الجسم محدثا بحيث
يكون لاجزائه بعضها الى بعض نسبة في الانحراف والموازات والجهات واجزاء المكان ان كان
في مكان مثل القيام والقعود وهو في المعنى غير الوضع المذكور في باب الكم والملك ولست احصله
ويشبه ان يكون كون الجوهر في جوهر يشمله وينتقل بانتقاله مثل التلبس والتسلح والفعل وهو
نسبة الجوهر الى امر موجود منه في غيره غير قار الذات بل لا يزال يتجدد وينصرم كالتسخين
والتبريد والانفعال وهو نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة مثل التقطع والتسخن
والعلل اربع يقال علة للفاعل ومبدأ الحركة مثل النجار للكرسي ويقال علة للمادة وما يحتاج

كالتربيع صح

ان يكون حتى يقبل ماهية الشئ مثل الخشب ويقال علة للصورة في كل شئ يكون فانه ما لم يقترن الصورة
بالمادة لم يتكون ويقال علة للغاية والشئ الذي نحوه ولاجله الشئ مثل السكنى للبيت وكل واحد
اما قريبة واما بعيدة واما بالقوة واما بالفعل واما بالذات واما بالعرض واما خاصة واما
عامة والعلل الاربع قد تقع حدودا وسطى في البراهين لانتاج قضايا محمولاتها اعراض ذاتية و
اما العلة الفاعلية والقابلية فلا يجب من وضعهما وضع المعلول وانتاجه ما لم يقترن بذلك ما يدل
على ضرورتها علة بالفعل **في تفسير الفاظ** يحتاج اليها المنطقي الظن الحق هو رأي في شئ
انه كذا ويمكن ان لا يكون كذا العلم اعتقاد بان الشئ كذا وانه لا يمكن ان لا يكون كذا بواسطة وجه
والشئ كذلك في ذاته وقد يقال علم لتصور الماهية بتحديد العقل اعتقاد بان الشئ كذا وانه لا يمكن ان لا
يكون كذا طبعا بلا واسطة كاعتقاد البديهي الاول للبراهين وقد يقال عقل لتصور الماهية بذاتها
بلا تحديد كتصور البديهي الاول للحد والذهن قوة للنفس معدة نحو اكتساب العلم والذكاء قوة استعداد
للحدس والحدس حركة النفس الى اصابة الحد الاوسط اذا وضع المطلوب او اصابة الحد الاكبر اذا اصيب الاوسط
وبالجملة سرعة انتقال من معلوم الى مجهول والحس انما يدرك الجزئيات الشخصية والذكر والخيال يحفظان ما يورده
الحس على شخصيته اما الخيال فيحفظ الصور واما الذكر فيحفظ المعنى الماخوذ واذا تكرر الحس كان ذكرا واذا تكرر
الذكر كان تجربة والفكر حركة ذهن الانسان نحو المبادي ليصير منها الى المطالب والصناعة ملكة نفسانية
يصدر عنها افعال ارادية بغير روية والحكمة خروج النفس الانساني الى الكمال الممكن في جزوي العلم والعمل اما في
جانب العلم فان يكون متصورا للموجودات كما هي ومصدقا للقضايا كما هي واما في جانب العمل فان يكون قد
حصل له الخلق الذي يسمى العدالة والملكة الفاضلة والفكر العقلي ينال الكليات بمجرده والحس والخيال
والذكر ينال الجزئيات فالحس يعرض على الخيال امورا مخلطة والخيال على العقل ثم العقل بفعل التمييز
ولكل واحد من هذه المعاني موضوعة في صواحبها في قسمي التصور والتصديق **في الالهيات**
يجب ان نحصي المسائل التي تخص هذا العلم في عشر مسائل **الاولى** منها في موضوع هذا العلم وجملة
ما ينظر فيه والتنبيه على الوجود واقسامه ان لكل علم موضوعا ينظر فيه فيبحث عن احواله وموضوع
العلم الالهي هو الوجود المطلق ولواحقه التي له لذاته ومباديه ينتهي في التفصيل الى حيث يبتدئ
منه سائر العلوم وفيه بيان مباديها وجملة ما ينظر فيه هذا العلم هو اقسام الوجود وهو الواحد الكثير
ولواحقهما والعلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة وتحقيق المقولات
انقسامها بالفصول وانقسامها الى الواحد والكثير ولواحقهما انقسامها بالاعراض والوجود يشمل الكل شمولا با
لتشكيك لا بالتواطؤ ولهذا لم يصح ان يكون جنسا فانه في بعضها اولى واول وفي بعضها لا اولى ولا

العشرون يشبه ان يكون اقسام الوجود الى المقولات

اول

Digitized by Google

اول وهو اشهر من ان يحد او يرسم ولا يمكن ان يشرح بغير الاسم لانه مبدأ اول لكل شيء فلا شرح له
بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء وينقسم نوعا من القسمة الى واجب بذاته وممكن بذاته واما اذا اعتبر ذاته فقط
وجب وجوده والممكن بذاته ما اذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده واذا فرض غير موجود لم يلزمه منه محال ثم اذا عرض على
القسمين عرضا جليا الواحد الكثير كان الواحد اولى بالواجب والكثير اولى بالجائز وكذلك العلة والمعلول
والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة والغني والفقير كان احق الاسماء اولى بالواجب بذاته
ولما لم يتطرق اليه الكثرة بوجه فلم يتطرق اليه التقسيم بل يتوجه الى الممكن بذاته فانقسم الى جوهر وعرض وقد
عرفناهما بوجهيهما وانما نسبة احدهما الى الاخر فهو ان الجوهر محل مستغن في قوامه على الحال فيه والعرض حال
فيه غير مستغن في قوامه عنه فكل ذات لم تكن في موضوع ولا قوامه به فهو جوهر وكل ذات قوامه في موضوع
فهو عرض وقد يكون الشيء في المحل ويكون مع ذلك جوهرا لانه موضوع اذا كان المحل القريب الذي هو فيه
متقوما بذاته ثم مقوما له وتسميه صورة وهو الفرق بينها وبين العرض وكل جوهر ليس في موضوع
فلا يخ اما ان لا يكون في محل اصلا او يكون في محل لا يستغني في القوام عنه ذلك المحل فان كان في محل يحدد
الصفة فانا نسميه صورة مادية وان لم يكن في محل اصلا فاما ان يكون محلا بنفسه لا مركبا فيه او لا يكون فان كان محلا
بنفسه فانا نسميه الهيولى المطلقة وان لم يكن فاما ان يكون مركبا مثل اجسامنا المركبة من مادة وصورة جسمية
واما ان لا يكون وما ليس بمركب فلا يخ اما ان يكون له تعلق ما بالاجسام او لم يكن له تعلق فما له تعلق نسميه نفسا
وما لا

المسئلة الثانية

في تحقيق الجوهر الجسماني وما يتركب منه وان المادة الجسمانية لا تنفك عن الصورة
وان الصورة متقدمة على المادة في مرتبة الوجود اعلم ان الوجود ليس جسما بانه فيه ابعاد ثلثة بالفعل فانه ليس بان
يكون في كل جسم نقط او خطوط بالفعل وانت تعلم ان الكرة لا تقطع فيها بالفعل النقط والخطوط تقطع بل الجسم انما
هو جسم لانه بحيث يصلح ان يفرض فيه ابعاد ثلثة كل واحد منها قائم على الاخر ولا يمكن ان يكون فوق ثلثة فالذي يفرض
فيه لا هو الطول والقائم عليه العرض والقائم عليهما في الحد المشترك هو العمق وهذا المعنى منه صورة الجسمية واما الابعاد
المحدودة التي تقع فيه فليست صورة له بل هي من باب الكم وهي لواحق مفصلة ولا يجب ان يثبت شيء منها له بل مع
كل تشكيل يتجدد عليه بطل كل تشكيل كان فيه وكما ان الشكل لاحق فكذلك ما يتجدد بالشكل وكما ان الشكل لا يدخل في تحديد جسميته كذلك الابعاد التي تحدث
ربما اتفق في بعض الاجسام فالصورة الجسمية موضوعة لصناعة الطبيعيين او داخلة فيها والابعاد المحدودة موضوعة لصناعة التعاليم او داخلة
ان يكون لا ذهنية له لا فيها ثم الصورة الجسمية طبيعية وراء الاتصال يلزمها الاتصال وهي بعينها قابلة للانفصال ومن المعلوم ان
تفارق ملازمة اشكالها قابل الاتصال والانفصال امر وراء الاتصال والانفصال فان القابل يجب ان يكون احد الاتصال لا بعد ما
الانفصال وظاهر ان فيها جوهرا غير الصورة الجسمية هي الهيولى التي تعرض لها الانفصال والاتصال معا وهي تقارن
الصورة الجسمية فهي التي تقبل الاتحاد بالصورة الجسمية فتصير جسما واحدا بما يقومها فاذن لك هو الهيولى

وممكن بذاته واجب بذاته

والمادة ولا يجوز ان يفارق الصورة الجسمية وتقوم موجودة بالفعل والدليل عليه من وجهين
احدهما انا لو قدرنا مجردة لا وضع لها ولا حيز ولا انها تقبل الانقسام فان هذه كلها صورة ثم قدرنا
ان الصورة صادفتها فاما ان صادفتها دفعة اعني ان المقدار المحصل يحل فيها دفعة لا على تدريج
او تحرك اليها المقدار والاتصال على تدريج فان حل فيها دفعة ففي اتصال المقدار بها يكون
قد صادفها حيث انضاف اليها فيكون لا محالة صادفها وهو في الحيز الذي هو فيه فيكون ذلك الجوهر
متحيزا البتة وهذا خلف ولا يجوز ان يكون التحيز قد حصل له دفعة مع قبول المقدار يوافيه في حيز
مخصوص وان حل فيها المقدار والاتصال على انبساط وتدريج وكل ما من شانه ان ينبسط فله جهات
وكل ما له جهات فهو ذو وضع وقد فرض غير ذي وضع البتة وهذا خلف فتعين ان المادة لن تتعرى عن
الصورة فقط وان الفصل بينهما فصل بالعقل والدليل الثاني انا لو قدرنا للمادة وجودا خاصا
متقوما غير ذي كم ولا جزء باعتبار نفسه ثم يعرض عليه الكم فيكون ما هو متقوم بانه لا جزء له ولا كم
يعرض ان يبطل عنه ما يتقوم به بالفعل لورود عارض عليه فيكون ح للمادة صورة عارضة بها
تكون واحدة بالقوة والفعل وصورة اخرى بها تكون غير واحدة فيكون بين الامرين شيء مشترك
هو القابل للامرين من شانه ان يصير مرة ليس في قوته ان ينقسم ومرة في قوته ان ينقسم فلنفرض الآن هذا
الجوهر قد صار بالفعل اثنين ثم صار اشياء واحدا بان خلعا صورة الاثنينية فلا يخ اما ان اتحدا
وكل واحد منهما موجود فهما اثنان لا واحد وان اتحدا واحدهما معدوم والآخر موجود فالمعدوم كيف
يكون متحدا بالموجود وان عدما جميعا بالاتحاد وحدث شيء ثالث فهما غير متحدين بل فاسدين وبينهما
وبين الثالثة مادة مشتركة وكلامنا في نفس المادة لا في شيء ذي مادة فالمادة الجسمية لا توجد
مفارقة للصورة وانها انما تقوم بالفعل بالصورة ولا يجوز ان يقال ان الصورة بنفسها موجودة
بالقوة وانما يصير بالفعل بالمادة لان جوهر الصورة هو الفعل وما بالقوة محله والصورة وان كانت
لا تفارق الهيولى فليست تتقوم بالهيولى بل بالعلة المفيدة لها الهيولى فكيف يتصور تقوم الصورة
بالهيولى وقد اثبت انها علتها ولعله لا يتقوم بالمعلول وفرق بين الذي يتقوم به الشيء وبين الذي
لا يفارقه فان المعلول لا يفارق العلة وليس علة لها فما يقوم الصورة امر مباين لها مفيد وما
يقوم الهيولى امر ملاق وهو الصورة فاول الموجودات في استحقاق الوجود الجوهر المفارق الغير الجسم
الذي يعطي صورة الجسم وصورة كل موجود ثم الصورة ثم الجسم ثم الهيولى وهي وان كانت سببا للجسم فانها
ليست بسبب يعطي الوجود بل بسبب يقبل الوجود فانه محل لنيل الوجود وللجسم وجودها وزيادة

يكون صح

متحيزا وقد فرض غير صح

لان المقدار صح

بالفعل صح

وجود

Digitized by Google

وجود الصورة فيه التي هي اكمل منها ثم العرض اولى بالوجود فان اولى الاشياء بالوجود هو الجوهر ثم الاعراض
ثم ترتيب في الوجود ايضا **المسئلة الثالثة** في اقسام العلل واحوالها وفي القوة
والفعل واثبات الكيفيات في الكمية وان الكيفيات اعراض لا جواهر قد بينا في المنطق ان العلل اربع
وتحقيق وجوها ههنا ان نقول المبدأ والعلة يقال لكل ما يكون قد استمر له وجوده في نفسه ثم
حصل منه وجود شيء اخر ويقوم به ثم لا يخ ذلك اما ان يكون كالجزء ولما هو معلول له وهذا
على وجهين اما ان يكون جزء ليس يجب عن حصوله بالفعل ان يكون ما هو معلول له موجودا بالفعل
وهذا هو العنصر ومثاله الخشب للسرير فانك تتوهم الخشب موجودا ولا يلزم من وجوده وحده
ان يحصل السرير بالفعل بل المعلول موجود فيه بالقوة واما ان يكون جزء يجب عن حصوله بالفعل
وجود المعلول له وهذا هو الصورة ومثاله الشكل والتأليف للسرير وان لم يكن كالجزء ولما هو
معلوله فاما ان يكون مباينا او ملاقيا لذات المعلول والملاقي فاما ان ينبعث به المعلول واما
ان ينبعث بالمعلول وهذان هما في حكم الصورة والهيولى وان كان مباينا فاما ان يكون الذي منه الوجود
وليس الوجود لاجله وهو الفاعل واما ان لا يكون منه الوجود بل لاجله الوجود وهو الغاية ثم تتاخر
في حصول الموجود وتتقدم سائر العلل في التسمية وفرق بين التسمية في الوجود وفي الاعيان فان المعنى
له وجود في الاعيان ووجود في النفس وامر مشترك وذلك المشترك هو التسمية فالغاية بما هو شيء
فانها تتقدم وهي علة العلل وانها علل وبما هي موجودة في الاعيان قد تتاخر واذا لم تكن العلة
الفاعلية هي بعينها الغاية كان الفاعل متاخرا في التسمية عن الغاية ويشبه ان يكون
الحاصل عند التمييز هو ان الفاعل الاول والمحرك الاول لكل شيء هو الغاية وان كانت العلة الفاعلية
هي الغاية بعينها استغنى عن تحريك الغاية فكان نفس ما هو فاعل نفس ما هو محرك من غير توسط
واما سائر العلل فان الفاعل والقابل قد يتقدمان المعلول بالزمان واما الصورة فلا تتقدم
بالزمان البتة بل بالرتبة والشرف لان القابل ابدا مستفيد والفاعل مفيد وقد يكون العلة
علة بالذات وقد تكون بالعرض وقد تكون علة قريبة وقد تكون علة بعيدة وقد تكون علة
لوجود الشيء فقط وقد تكون علة لوجوده ولدوام وجوده فانه انما احتاج الى الفاعل لوجوده وفي حال
وجوده لا لعدمه السابق وفي حال عدمه فتكون الموجود انما يكون موجدا للموجود والموجود هو الذي
يوصف بانه موجد فكما انه في حال ما هو موجود يوصف بانه موجد كذلك الحال في كل حال فكل موجد
محتاج الى موجد مقسم لوجوده لولاه لعدم واما القوة والفعل القوة يقال لمبدأ التغير في اخر من حيث انه اخر وهو

وفي الاعراض

بالفعل

والغاية

في تغيرها

القوة ح

في غيرها مما يستوي فيه الاضداد وهذه القوة ليست هي التي يقابلها الفعل فان هذه تبقى موجودة
عند ما يفعل والثانية انما تكون موجودة مع عدم الفعل وكل جسم صدر عنه فعل ليس بالعرض
ولا بالقسر فانه يفعل بقوة ما فيه اما الذي بالارادة والاختيار واما الذي ليس بالاختيار فلا يخ اما

نظامه

ان يصدر عن ذاته بما هو ذاته او عن قوة في ذاته او عن شيء مباين فان صدر عن ذاته بما هو جسم فيجب ان
يشاركه سائر الاجسام وان تميز عنها بصدور ذلك الفعل عنه فلم يخف في ذاته زائدا على الجسمية
وان صدر عن شيء مباين فلا يخ اما ان يكون جسما او غيره فان كان جسما فالفعل منه بقسر لا محالة وقد
فرض بلا قسر هذا خلف وان لم يكن جسما فتأثير الجسم عن ذلك المفارق اما ان يكون بكونه جسما فيعين
انه لقوة فيه هي مبدأ صدور ذلك الفعل عنه وذلك هو الذي نسميه القوة الطبيعية وهي التي

جسما او لقوة فيه ولا يجوز ان يكون بكونه ح

تصدر عنها الافاعيل الجسمانية من التحريك الى اماكنها والتشكلات الطبيعية واذا خليت
وطباعها لم يجز ان يحدث منها زوايا مختلفة بل الازاوية فيجب ان يكون كرة واذا صح وجود الكرة
صح وجود الدائرة **المسئلة الرابعة** في المتقدم والمتأخر والقديم والحادث واثبات
المادة لكل متكون التقدم قد يقال بالطبع وهو ان يوجد الشيء وليس الآخر بموجود ولا يوجد
الآخر الا وهو موجود كالواحد والاثنين ويقال بالزمان كتقدم الاب على الابن ويقال في
المرتبة وهو الاقرب الى المبدأ الذي عينه كالمتقدم في الصف الاول الا ان يكون اقرب الى الامام ويقال
في الكمال والشرف كتقدم العالم على الجاهل ويقال بالعلية لان للعلية استحقاقا للوجود
قبل المعلول وهما بهما ذاتان ليس يلزم فيهما خاصية التقدم والتأخر ولا خاصية المعية ولكن
بما هما متضايفان وعلة ومعلول وان احدهما لم يستفد الوجود من الآخر والآخر استفاد الوجود
منه فلا محالة كان المفيد متقدما والمستفيد متأخرا بالذات واذا ارتفعت العلة ارتفع
المعلول لا محالة وليس اذا ارتفعت المعلول ارتفع بارتفاع العلة بل ان صح فقد كانت العلة
ارتفعت او لعلة اخرى ارتفعت او لا لعلة اخرى حتى ارتفع المعلول واعلم ان الشيء كما يكون
محدثا بحسب الزمان كذلك قد يكون محدثا بحسب الذات فان الشيء اذا كان له في ذاته ان لا يجب وجوده
قبل الذي بل هو باعتبار ذاته ممكن الوجود مستحق العدم لولا علته والذي بالذات يجب وجوده
قبل الذي من غير الذات فيكون لكل معلول في ذاته اولا انه ليس ثم عن العلة وثانيا انه ليس فيكون
كل معلول محدثا اي مستفيد الوجود من غيره وان كان مثلا في جميع الزمان موجودا مستفيدا
لذلك الوجود عن موجد فهو محدث لان وجوده من بعد لا وجوده بعدية بالذات وليس حدوثه

انما هو

Digitized by Google

انما هو في ان من الزمان فقط بل هو محدث في الدهر كله ولا يمكن ان يكون حادث بعد ما لم يكن في زمان
الا وقد تقدمته المادة فانه قبل وجوده ممكن الوجود وامكان الوجود اما ان يكون معنى معدوما او معنى
موجودا ومحال ان يكون معدوما فان المعدوم قبل والمعدوم مع واحد وهو قد سبقه الامكان و
القبل المعدوم موجود مع وجوده فهو اذا معنى موجود وكل معنى موجود فاما قائم لا في موضوع
او قائم في موضوع وكل ما هو قائم لا في موضوع فله وجود خاص لا يجب ان يكون مضافا وامكان
الوجود انما هو ما هو بالاضافة الى ما كان هو امكان وجود له فهو اذا معنى في موضوع وعارض لموضوع
ونحن نسميه قوة الوجود ويسمى حامل قوة الوجود الذي فيه قوة وجود الشيء موضوعا وهيولى و
مادة وغير ذلك فاذا كل حادث فقد تقدمته المادة كما تقدمه الزمان **المسئلة الخامسة**
في الكلي والواحد ولواحقهما قال المعنى الكلي بما هو طبيعة ومعنى كالانسان بما هو انسان شيء
وبما هو واحد او كثير خاص او عام شيء بل هذه المعاني عوارض تلزمه لا من حيث هو انسان بل من حيث
هو في الذهن او في الخارج واذا عرفت ذلك فقد يقال كلي للانسانية بلا شرط الاعتبار موجود
بالفعل في الاشياء وهو المحمول على كل واحد لا على انه واحد بالذات ولا على انه كثير وقد يقال كلي
للانسانية بشرط انها مقولة على كثيرين وهو بهذا الاعتبار ليس موجودا بالفعل في الاشياء
فبين ظاهرا ان الانسان الذي اكتنفته الاعراض المشخصة لم يكتنفه اعراض شخص اخر حتى يكون
ذلك بعينه في شخص زيد وعمرو فلا كلي عام في الوجود بل الكلي العام بالفعل انما هو في العقل وهو
الصورة التي في العقل كنقش واحد ينطبق عليه صورة وصورة ثم الواحد يقال لما هو غير منقسم
من الجهة التي قيل انه واحد ومنه ما لا ينقسم في الجنس ومنه ما لا ينقسم في النوع ومنه ما لا ينقسم با
لعرض العام كالغراب والقير في السواد ومنه ما لا ينقسم في الحد والواحد بالعدد اما ان يكون فيه
كثرة بالفعل فيكون واحدا بالتركيب والاجتماع واما ان لا يكون ولكن فيه كثرة بالقوة فيكون واحدا
بالاتصال وان لم يكن فيه ذلك فهو الواحد بالعدد على الاطلاق والكثير يكون على الاطلاق وهو
العدد الذي بازاء الواحد مما ذكرنا والكثير بالاضافة هو الذي يترتب بازائه القليل فاقل العدد
اثنان واما لواحق الواحد فالمشابهة هو اتحاد في الكيفية والمساواة اتحاد في الكمية والمجانسة
اتحاد في الجنس والمشاكلة اتحاد في النوع والموازاة اتحاد في وضع الاجزاء والمطابقة اتحاد في
الاطراف والهو هو حال بين اثنين جعلا اثنين في الوضع يصير بها بينهما اتحاد بنوع ما وتقابل
كل واحد منهما من باب الكثير متقابل **المسئلة السادسة** في تعريف واجب الوجود بذاته وفي

وهو بهذا م

ومنه ما لا ينقسم بالمناسبة كنسبة العقل الى النفس واحدة ومنه ما لا ينقسم في العدد ع

Digitized by Google

اثبات واجب الوجود بذاته وانه لا يكون بذاته وبغيره معا وانه لا كثرة له في ذاته بوجه وانه خير محض
وحق محض وانه واحد من وجوه شتى ولا يجوز ان يكون اثنان واجبي الوجود قال واجب الوجود معنا
انه ضروري الوجود وممكن الوجود معناه انه ليس فيه ضرورة لا في وجوده ولا في عدمه ثم ان واجب الوجود
قد يكون بذاته وقد لا يكون بذاته والقسم الاول هو الذي وجوده لذاته لا لشيء آخر والثاني هو الذي
وجوده لشيء آخر اي شيء كان ولو وضع ذلك الشيء نفسا واجب الوجود مثل الاربعة واجبة الوجود لا بذاتها
ولكن عند وضع اثنين اثنين ولا يجوز ان يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معا فانه
ان رفع ذلك الغير لم يخ اما ان يبقى وجوب وجوده او لم يبق فان بقي فلا يكون واجبا بغيره
وان لم يبق فلا يكون واجبا بذاته فكل ما هو واجب الوجود بغيره فهو ممكن الوجود بذاته فان وجوب
وجوده تابع لنسبته ما وهي اعتبار غير اعتبار نفس ذات الشيء فاعتبار الذات وحدها اما ان يكون
مقتضيا لوجوب الوجود وقد ابطلناه واما ان يكون مقتضيا لامتناع الوجود وما امتنع
بذاته لم يوجد بغيره واما ان يكون مقتضيا لامكان الوجود وهو المطلوب وذلك انما يجب وجوده
بغيره لانه ان لم يجب كان بعد ممكن الوجود لم يترجح وجوده على عدمه ولا يكون بين هذه الحالة و
الاولى فرق وان قيل بحدوث حالة فالسؤال عنها كان ثم واجب الوجود بذاته مباد تجتمع فتقوم
منها واجب الوجود لا اجزاء كمية ولا اجزاء حد سواء كانت كالمادة والصورة او كانت على وجه
اخر بان يكون اجزاء القول الشارح لمعنى اسم يدل كل واحد منها على شيء هو في الوجود غير الاخر
بذاته وذلك لان كل ما هذا صفته فذات كل جزء منه ليس هو ذات الاخر ولا ذات المجتمع وقد
وضح ان الاجزاء بالذات اقدم من الكل فتكون العلة الموجبة للوجود علة الاجزاء ثم للكل ولا
يكون شيء منها بواجب الوجود وليس يمكننا ان نقول ان الكل اقدم بالذات من الاجزاء فهو اما متاخر
واما معا فقد اتضح ان واجب الوجود ليس بجسم ولا مادة في جسم ولا صورة في جسم ولا مادة معقولة
لقبول صورة معقولة ولا صورة معقولة في مادة معقولة ولا قسمة له لا في الكم ولا في المبادي
ولا في القول فهو واجب الوجود من جميع جهاته اذ هو واحد من كل وجه وجهة وايضا فان قد
ان يكون واجبا من جهة ممكنا من جهة كان امكانه متعلقا بواجب فلم يكن واجب الوجود بذاته
مطلقا فينبغي ان يفطن من هذا ان واجب الوجود لا يتاخر عن وجوده وجود له منتظر بل كل ما
هو ممكن له فهو واجب له فلا له ارادة منتظرة ولا علم منتظر ولا طبيعة ولا صفة من الصفات
التي تكون لذاته منتظرة وهو خير محض وكمال محض والخير بالجملة هو ما يشوقه كل شيء ويتم به وجود

وفي اثبات واجب الوجود بذاته ٣

لا يجوز ان يكون لذاته ٣

فلا جهة ٣

لا شيء

كل شيء والشر لا ذات له بل هو اما عدم جوهر او عدم صلاح حال الجوهر فالوجود خير به وكمال
الخير به والوجود الله لا يقارنه عدم لا عدم جوهر ولا عدم حال الجوهر بل هو دائم بالفعل فهو خير محض
والممكن بذاته ليس خيرا محضا لان ذاته يحتمل العدم وواجب الوجود هو خير محض لان حقيقة كل شيء
خصوصية وجوده الله يثبت له فلا احق اذا من واجب الوجود لغير ذاته لان وجود نوعه له
بعينه اما ان يقتضيه ذات نوعه او لا يقتضيه ذات نوعه بل يقتضيه علة فان كان وجوده مقتضى
ذات نوعه لم يوجد الا له وان كان لعلة فهو معلول فهو اذا تام في وحدانيته وواحد من جهة
تمامية وجوده وواحد من جهة ان لا حد له وواحد من جهة انه لا ينقسم لا بالكم ولا بالمبادي المقومة
له ولا باجزاء الحد وواحد من جهة ان لكل شيء وحدة محضة وبها كمال حقيقة الذاتية وواحد
من جهة ان مرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس الا له فلا يجوز اذن ان يكون اثنان كل واحد
منهما واجب الوجود بذاته فيكون وجوب الوجود مشتركا فيه على ان يكون جنسا او عارضا ويقع
الفصل بشيء آخر اذ يلزم التركيب في ذات واحد منهما بل لا نظن انه موجود وله ماهية وراء الوجود
كطبيعة الحيوان واللون مثلا الجنسين الذين يحتاجان الى فصل وفصل حتى يتقرر في وجودهما
لان تلك الطبائع معلولة وانما يحتاجان لا في نفس الحيوانية واللونية المشتركة بل في الوجود
وههنا فوجوب الوجود هو الماهية وهو مكان الحيوانية التي لا يحتاج الى فصل في ان يكون
حيوانا بل في ان يكون موجودا ولا يظن ان واجبي الوجود لا يشتركان في شيء ما كيف وهما مشتركان
في البراءة عن الموضوع فان كان واجب الوجود يقال عليهما بالاشتراك فكلامنا ليس في منع كثرة
اللفظ والاسم بل في معنى هي معنى واحد ذلك الاسم وان كان بالتواطؤ فقد حصل معنى عام عموم
لازم او عموم جنس وقد بينا استحالة هذا وكيف يكون عموم وجوب الوجود لشيئين على
سبيل اللوازم التي تعرض من خارج واللوازم معلولة واما اثبات واجب الوجود فليس يمكن
الا ببرهان وهو الاستدلال بالممكن على الواجب فنقول كل جملة من آحادها جملة سواء كانت متناهية
او غير متناهية اذا كانت مركبة من ممكنات فانها لا تخ اما ان كانت واجبة بذاتها او ممكنة
بذاتها فان كانت واجبة الوجود بذاتها وكل واحد منها ممكن الوجود يكون واجب الوجود
بتقوم بممكنات الوجود هذا خلف وان كانت ممكنة الوجود بذاتها فالجملة محتاجة في الوجود
الى مفيد للوجود فاما ان يكون المفيد عنها خارجا او داخلا فيها فان كان داخلا فيها واجب الوجود
وكان كل واحد منها ممكن الوجود هف فتعين ان المفيد يكون خارجا عنها وذلك هو المطلوب

الوجود كمال م

وقد يقال الحق ايضا انما يكون الاشتقاق لوجوده صادقا فلا احق بهذه الصفة مما يكون الاشتقاق لوجوده صادقا ومع صدقه دائما ومع دوام لذاته لا لغيره وهو واحد محض لانه لا يجوز ان يكون نوع واجب الوجود م

في وجوب الوجود مشتركان م

ويكون واحد منها م

يجب ان م

Digitized by Google

المسئلة السابعة في ان واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول وانه يعقل ذاته والاشياء
وصفاته الايجابية والسلبية لا توجب كثرة في ذاته وكيفية صدور الافعال عنه قال العقل
يقال على كل مجرد عن المادة واذا كان مجردا بذاته فهو عقل لذاته وواجب الوجود مجرد بذاته عن
المادة فهو عقل لذاته ومما يعتبر له ان هويته المجردة لذاته فهو معقول لذاته ومما يعتبر له ان ذاته
له هوية مجردة فهو عاقل ذاته وكونه عاقلا ومعقولا لا يوجب ان يكون اثنين في الذات ولا
اثنين في الاعتبار فانه ليس يحصل الامران الا ان له ماهية مجردة وانه ماهية مجردة ذاته له وههنا
تقديم وتاخير في ترتيب المعاني في عقولنا والغرض المحصل هو شيء واحد وكذلك عقلنا لذاتنا هو نفس
الذات واذا عقلنا شيئا فلسنا نعقل ان نعقل بعقل اخر لان ذلك يؤدي الى التسلسل ثم لما
لم يكن جمال وبهاء فوق ان يكون الماهية عقلية صرفة وخيرية محضة بريئة عن المواد وانحاء النقص واحدة
من كل جهة ولم يسلم ذلك بكنهه الا لواجب الوجود فهو الجمال المحض والبهاء المحض وكل جمال وبهاء وملائم
وخير فهو محبوب معشوق وكلما كان الادراك اشد اكتناها والمدرك اجمل ذاتا فحب القوة المدركة
له وعشقها له والتذاذها به كان اشد واكثر فهو افضل مدرك بافضل ادراك لافضل مدرك
وهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته عشق من غيره او لم يعشق وانت تعلم ان ادراك العقل للمعقول
اقوى من ادراك الحس للمحسوس لان العقل انما يدرك الامر الباقي ويتحد له ويصير هو هو ويدركه بكنهه
لا بظاهره ولا كذلك الحس واللذة التي لنا بان نعقل فوق التي بان نحس لكنه قد يعرض ان يكون القوة
الدراكة لا تستلذ بالملائم لعوارض كالممرور يستمر العسل لعارض واعلم ان واجب الوجود
ليس يجوز ان يعقل الاشياء من الاشياء والا فذاته اما متقومة بما يعقل او عارض لها ان يعقل و
ذلك مح بل كما انه مبدأ كل وجود فيعقل من ذاته ما هو مبدأ له وهو مبدأ للموجودات التامة
باعيانها والموجودات الكائنة الفاسدة بانواعها اولا ويتوسط ذلك اشخاصها ولا يجوز ان يكون
عاقلا لهذه المتغيرات مع تغيرها حتى يكون تارة يعقل منها انها موجودة غير معدومة وتارة
معدومة غير موجودة ولكل واحد من الامرين صورة عقلية على حدة ولا واحد من الصورتين يبقى
مع الثانية فيكون واجب الوجود متغير الذات بل واجب الوجود انما يعقل كل شيء على نحو فعلي كلي ومع
ذلك فلا يعزب عنه شيء شخصي فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض واما كيفية ذلك فلانه
اذا عقل ذاته وعقل انه مبدأ كل موجود عقل اوايل الموجودات وما يتولد عنها ولا شيء من الاشياء
يوجد الا وقد صار من جهة ما يكون واجبا بسببه فتكون الاسباب بمصادماتها تتادى الى ان

المحض مع

يعزب مع

Digitized by Google

يوجد عنها الامور الجزوية فالاول يعلم الاسباب ومطابقاتها فيعلم ضرورة ما يتادى اليه وما بينها من
الازمنة وما لها من العودات فيكون مدركا للامور الجزوية من حيث هي كلية اعني من حيث لها
صفات وان تخصصت بها شخصا فبالاضافة الى زمان متشخص او حال متشخصة ويعقل ذاته ونظام
الخير الموجود في الكل ونفس مدركة من الكل هو سبب لوجود الكل ومبدأ له وابداع وايجاد ولا
يستبعد هذا فان الصورة المعقولة التي تحدث فينا تصير سببا للصورة الموجودة الصناعية ولو كانت
بنفس وجودها كافية لان يتكون منها الصور الصناعية دون آلات واسباب لكان المعقول
عندنا هو بعينه الارادة والقدرة وهو العقل المقتضي لوجوده فواجب الوجود ليس ارادته وقدرته
مغايرة لعلمه لكن القدرة التي له هي كون ذاته عاقلة للكل هو مبدأ الكل لا ماخوذا عن الكل ومبدأ
بذاته لا متوقفا على غرض وذلك هو ارادته وجواد بذاته وذلك هو بعينه علمه وارادته وقدرته
فالصفات منها ما هو بهذه الصفة انه موجود مع هذه الاضافة ومنها هذا الوجود مع سلب كمن
لم يتحاش عن اطلاق لفظ الجوهر لم يعن به الا هذا الوجود مع سلب الكون في موضوع وهو واحد
اي مسلوب عنه القسمة بالكم او القول والمسلوب عنه الشريك وهو عقل وعاقل ومعقول اي مسلوب
عنه جواز مخالطة المادة وعلائقها مع اعتبار اضافة ما وهو اول اي مسلوب عنه الحدوث مع
اضافة وجوده الى الكل وهو مريد اي واجب الوجود مع عقليته اي سلب المادة عنه مبدأ لنظام
الخير كله وجواد اي هو بهذه الصفة بزيادة سلب اي لا يخو عرضا لذاته فصفاته اما اضافية محضة
واما سلبية محضة واما مؤلفة من اضافة وسلب وذلك لا يوجب تكثرا في ذاته قال واذا عرفت
انه واجب الوجود وانه مبدأ لكل موجود فما يجوز ان يوجد عنه يجب ان يوجد وذلك ان الجائز ان
يوجد وان لا يوجد اذا تخصص بالوجود احتاج الى مرجح بجانب الوجود والمرجح اذا كان على الحال التي
كان قبل الترجيح ولم يعرض البتة شيء فيه ولا مباين عنه يقتضي الترجيح في هذا الوقت دون وقت
قبله او بعده وكان الامر على ما كان لم يكن مرجحا اذ كان التعطل عن الفعل والفعل عنده كان بمثابة واحدة
فلا بد وان يعرض له شيء وذلك لا يخ اما ان يعرض في ذاته وذلك يوجب التغير وقد قدمنا ان واجب
الوجود لا يتغير ولا يتكثر واما ان يعرض مباينا عن ذاته والكلام في ذلك المباين كالكلام في
ساير الافعال قال والعقل الصريح الذي لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة اذا كانت من جميع
جهاتها واحدة وهي كما كانت وكان لا يوجد عنها شيء فاذا صار الان يوجد منها شيء فقد حدث
امر لا محالة من قصد او ارادة او طبع او قدرة او تمكن او غرض ولان الممكن ان يوجد وان لا يوجد

عقلا م

فيما قبل وهي الان كذلك فالان لا يوجد عنها شيء م

لا يخ

لا يخرج الى الفعل ولا يترجح لها ان يوجد الا بسبب واذا كانت هذه الذات موجودة ولا ترجح ولا يجب
عنها الترجيح ثم رجح فلا بد من حادث موجب للترجيح في هذه الذات والا كانت نسبتها الى ذلك
الممكن على ما كان قبل ولم تحدث لها نسبة اخرى فيكون الامر بحاله ويكون الامكان امكانا صرفا محالا
واذا احدثت لها نسبة فقد حدث ولا بد من ان يحدث في ذاته او مباينا عن ذاته وقد بينا
استحالة ذلك وبالجملة فانا نطلب النسبة الموقتة لوجود كل حادث في ذاته او مباينا عن ذاته
ولا نسبة اصلا فيلزم ان لا يحدث شيء اصلا وقد حدث فعلم انه انما حدث بايجاب من ذاته وانه
سبقه لا بزمان او وقت ولا تقدير زمان بل سبقا ذاتيا من حيث الواجب لذاته وكل ممكن بذاته
فهو محتاج الى الواجب لذاته فالممكن مسبوق بالواجب من حيث انه الواجب هو فقط والمبدع
مسبوق بالمبدع فقط لا بالزمان **المسئلة الثامنة** في ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد
وفي ترتيب وجود العقول والنفوس والاجرام العلوية وان المحرك القريب للسماويات نفس والمبدأ
الا بعد عقل وحال تكون الاسطقسات عن العلل اذا صح ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع
جهاته فلا يجوز ان يصدر عنه الا واحد ولو لزم عنه شيئان متباينان بالذات والحقيقة لزوما
معا فانما يلزمان عن جهتين مختلفتين في ذاته ولو كانت الجهتان اللازمتين لذاته فالسؤال في لزومهما
ثابت حتى يكونا من ذاته فيكون ذاته منقسما بالمعنى وقد نفيناه وبينا فساده فتبين ان اول
الموجودات عن الاول واحد بالعدد وذاته وماهيته وحده لا في مادة وقد بينا ان كل ذات لا في
مادة فهو عقل وانت تعلم ان في الموجودات اجساما وكل جسم ممكن الوجود في حيز نفسه وانه يجب
بغيره وعلمت انه لا سبيل الى ان يكون عن الاول بغير واسطة وعلمت ان الواسطة واحدة فما
ان يكون عنها المبدأ الثانية والثالثة وغيرها بسبب اثنينية فيها ضرورة فالمعلول الاول
ممكن الوجود بذاته وواجب الوجود بالاول ووجوب وجوده بانه عقل وهو يعقل ذاته ويعقل
الاول ضرورة وليست هذه الكثرة له من الاول فان امكان وجوده له بذاته لا بسبب الاول بل
له من الاول وجوب وجوده ثم كثرة انه يعقل الاول كثرة لازمة لوجوب وجوده عن الاول وهذه كثرة
اضافية ليست في اول وجوده وداخلة في مبدأ قوامه ولولا هذه الكثرة لكان لا يمكن ان يوجد
منها الا واحد ولكان يتسلسل الوجود من واحدات فقط فما يوجد جسم فالعقل الاول يلزم عنه
بما يعقل الاول وجود عقل تحته وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك وكماله وهي النفس وطبيعة
امكان الوجود الخاصية المندرجة فيما يعقله لذاته وجود جرمية الفلك الاعلى المندرجة في

يعقل ذاته مع

جملة ذات الفلك الاعلى موضوعه وهو الامر المشارك للقوة فيما يعقل الاول يلزم عنه عقل وبما
يختص بذاته على جهة الكرة الاولى بجزئيها اعني المادة والصورة والمادة بتوسط الصورة او مشاركتها
كما ان الامكان الوجود يخرج الى العقل بالفعل الذي يحاذي صورة الفلك وكذلك الحال في عقل
عقل وفلك فلك الى ان ينتهي الى العقل الفعال الذي هو مدبر انفسنا وليس يجب ان يذهب
هذا المعنى الى غير النهاية حتى يكون كل مفارق مفارق فانه ان لزم كثرة عن العقول فنسبة المعاني
التي فيها من الكثرة وقولنا هذا ليس بمنعكس حتى يكون كل عقل فيه هذه الكثرة فيلزم كثرة هذه
المعلولات ولا هذه العقول متفقة الانواع حتى يكون مقتضى معانيها متفقا ومن المعلوم
ان الافلاك كثيرة فوق العدد الذي في المعلول الاول فليس يجوز ان يكون مبدؤها واحدا هو المعلول
الاول ولا ايضا يجوز ان يكون كل جرم متقدم منها علة للمتاخر لان الجرم بما هو جرم مركب من مادة
وصورة فلو كان علة لجرم لكان بمشاركة المادة والمادة لها طبيعة عدمية والعدم ليس مبدأ
للوجود ولا يجوز ان يكون مبدؤها فوق نفسانية هي صورة الجرم وكماله اذ كل نفس لكل فلك فهو كماله
اذ كل نفس لكل فلك فهو كماله وصورته ليس جوهرا مفارقا والا كان عقلا وانفس الافلاك انما يصدر عنها
افعالها في اجسام اخرى بواسطة اجسامها وفي مشاركتها قد بينا ان الجسم من حيث هو جسم لا يكون مبدأ
لجسم ولا يكون متوسطا بين نفس ونفس ولو ان نفسا كانت مبدأ لنفس بغير توسط الجسم فلها انفراد
قوام دون الجسم وليست النفس الفلكية كذلك فلا تفعل نفسا او تفعل جسما فان النفس متقدمة
على الجسم في المرتبة والكمال فتعين ان الافلاك مبادئ غير جرمانية وغير صور للاجرام والجميع يشترك
في مبدأ واحد وهو الذي نسميه المعلول الاول والعقل المجرد ويختص كل فلك بمبدأ خاص فيه ويلزم
دائما عقل عن عقل حتى يتكون الافلاك باجرامها ونفوسها وعقولها وينتهي بالفلك الاخير
ويقف حيث يمكن ان يحدث الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد تكثر الاسباب فكل عقل
هو اعلى في المرتبة فانه يعقل فيه وهو انه بما يعقل الاول يجب عنه وجود عقل آخر دونه وبما يعقل
ذاته يجب عنه فلك بنفسه فاما جرم الفلك فمن حيث انه يعقل بذاته الممكن بذاته واما نفس الفلك
فمن حيث ان يعقل ذاته الواجب بغيره ويستبقي الجرم بتوسط النفس الفلكية فان كل صورة فهي علة
لكون مادتها بالفعل والمادة بنفسها لا قوام لها كما ان الامكان نفسه لا وجود له واذا استوفت الكرات
السماوية عددها لزم بعدها وجود الاسطقسات ولما كانت الاجسام الاسطقسية كائنة فاسدة
وجب ان يكون مباديها متغيرة فلا يكون ما هو عقل محض وحده سببا لوجودها ولما كانت لها مادة

فلا يجوز ان يكون جرم مبدأ لجرم مع

Digitized by Google

مشتركة وصور مختلفة فيها وجب ان يكون اختلاف صورها مما تعين فيه اختلاف احوال الافلاك و
اتفاق مادتها مما تعين فيه اتفاق احوال الافلاك فالافلاك لما اتفقت في طبيعة اقتضى
الحركة المستديرة كما تبين كان مقتضاها وجود المادة ولما اختلفت في انواع الحركات كان مقتضاها
هو المادة للصور المختلفة ثم العقول المفارقة آخرها الذي يلينا هو الذي يفيض عنه بمشاركة
الحركات السماوية شيء منه صور العالم الاسفل من جهة الانفعال كما ان في ذلك العقل رسم الصور على
جهة الفعل ثم يفيض منه الصور فيها بالتخصيص بمشاركة الاجرام السماوية فيكون اذا اختص هذا الشيء
بتاثير من التاثيرات السماوية بلا واسطة جرم عنصري او بواسطة جرم عنصري او بواسطة تجعله على
استعداد خاص بعد العام الذي كان في جوهره فاض عن هذا المفارق صورة خاصة وارتسمت
في تلك المادة واذ تقرر ان الواحد لا يختص الواحد من حيث كل واحد منهما بامر دون امر يكون له الا ان
يكون هناك مخصصات مختلفة وهي معدات المادة والمعد هو الذي يحدث منه في المستعد امر
ما يصير مناسبة لشيء بعينه اولى من مناسبة لشيء آخر ويكون هذا الاعداد مرجحا لوجود ما هو اولى
من الاوايل الواهبة للصور وكانت المادة على النحو الاول تشابهت نسبتها الى الضدين فلا يجب ان
يختص بصورة دون صورة قال والاشبه ان يقال ان المادة التي تحدث بالشركة يفيض اليها من
الاجرام السماوية اما عن اربعة اجرام او عن عدد منحصر في اربع او عن جرم واحد تكون له نسب مختلفة
انفسا ما من الاسباب منحصر في اربع فيحدث منها العناصر الاربعة وانقسام الخفة والثقل فالخفيف
المطلق قبوله الى الفوق وما هو الثقيل المطلق قبوله الى الاسفل وما هو الخفيف والثقيل با
لاضافة فيهما واما وجود المركبات من العناصر فبتوسط الحركات السماوية وسنذكر اقسامها
وتوابعها واما وجود الانفس الانسانية التي تحدث مع حدوث الابدان ولا تفسد فانها كثيرة مع
وحدة النوع والمعلول بالذات فيه معان متكثرة بها تصدر عنه العقول والنفوس كما ذكرنا ولا يجوز
ان يكون تلك المعاني متكثرة متفقة النوع والحقايق حتى صدر عنها كثرة متفقة النوع فانه يلزم
ان يكون فيه مادة تشترك فيها صور تخالف وتتكثر بل فيه معان مختلفة الحقايق يقتضي
كل منها شيئا غير ما يقتضيه الآخر في النوع فلم يلزم كل واحد منهما ما يلزم الآخر فالنفوس الارضية
كاينة عن المعلول الاول بتوسط علة او علل اخرى واسباب من الارجية والمواد وهي غاية ما ينتهي
اليه الابداع ونبتدئ القول في الحركات واسبابها ولوازمها فاعلم ان الحركة لا تكون طبيعة للجسم
والجسم على حالته الطبيعية وكل حركة بالطبع فلها المفارقة للطبع غير طبيعية اذ لو كان شيء

الاول للواحد

من الحركات

من الحركات مقتضى طبيعة الشئ لما كان باطل الذات مع بقاء الطبيعة بل الحركة
انما يقتضيها الطبيعة لوجود حال غير طبيعية اما في الكيف واما في الكم واما
في المكان واما في الوضع واما مقولة اخرى والعلة في تجدد حركة بعد حركة
تجدد الحال الغير الطبيعية وتقدير البعد عن الغاية فاذا كان الامر كذلك لم
يكن حركة مستديرة عن طبيعة والا كانت عن حال غير طبيعية اذا وصلت اليها
سكنت ولم يجز ان يكون فيها بعينها قصد الى تلك الحالة الغير الطبيعية
لان الطبيعة ليست تفعل باختيار بل على سبيل التسخير وان كانت الطبيعة
تحرك على الاستدارة فهي تحرك لا محالة اما عن اين غير طبيعي او وضع
غير طبيعي هربا طبيعيا عنه وكل هرب طبيعي عن شئ فمحال ان يكون
هو بعينه قصدا طبيعيا اليه والحركة المستديرة ليست تهرب عن شئ
الا وتقصده فليست ذا طبيعة الا انها قد تكون بالطبع وان لم تكن قوة
طبيعية كان شبيها بالطبع وانما تحرك بتوسط الميل الذي فيه ونقول
ان الحركة معنى متجدد النسب كل شطر منه مختص بنسبته وانه لا ثبات له ولا
يجوز ان يكون عن معنى ثابت البتة وحده ولو كان فيجب ان يلحقه ضرب من
تبدل الاحوال والثابت من جهة ما هو ثابت لا يكون عنه الا ثابت فان الارادة
العقلية الواحدة لا يوجب البتة حركة فانها مجردة عن جميع اصناف التغير والقوة
العقلية حاضرة المعقول دائما ولا تفرض فيها الانتقال من معقول الى معقول
لا مشاركا للتخيل والحس فلا بد للحركة من مبدا قريب والحركة المستديرة
مبدأها القريب نفس في الفلك متحدة بتصوراتها وارادتها
وهي كمال لجسم الفلك وصورتها ولو كانت قائمة بنفسها
من كل وجه لكانت عقلا محضا ولا يتغير ولا ينتقل ولا يخالط بالقوة
بل نسبتها الى الفلك نسبة النفس الحيوانية التي لنا الينا الا ان لها
ان تعقل بوجه ما تعقلا مشوبا بالمادة وبالجملة اوهاما او ما يشبه
الاوهام صادقة وتخيلا انها حقيقة كالعقل العملي فينا والمحرك الاول لها
غير مادية اصلا وانما تحركت عن قوة غير متناهية والقوة التي للنفس متناهية

لكنها

Digitized by Google

لكنها بما يعقل الاول فيسيح عليه نوره دائما صارت قوتها غير متناهية وكانت الحركات
المستديرة ايضا غير متناهية والاجرام السماوية لما لم يبق في جواهرها امر ما بالقوة اعني في
كمها وكيفها تركب صورتها في مادتها على وجه لا يقبل التحليل ولكن عرض لها في وضعها و
اينها ما بالقوة اذ ليس شيء من اجزاء مدار الفلك او كوكب اولى بان يكون ملاقيا له او لجزء
من جزء اخر فمتى كان في جزء بالفعل فهو في جزء اخر بالقوة والتشبه بالخير الاقصى يوجب البقاء على
اكمل كمال ولم يكن هذا ممكنا للجرم السماوي بالعدد فحفظ بالنوع والتعاقب فصارت الحركة
حافظة لما يكون من هذا الكمال ومبدؤها الشوق الى التشبه بالخير الاقصى في البقاء على الكمال
ومبدأ الشوق هو ما يعقل منه فنفس الشوق الى التشبه بالاول من حيث هو بالفعل يصدر عنه
الحركة الفلكية صدور الشيء عن التصور الموجب له وان كان غير مقصود في ذاته بالقصد الاول لان
ذلك تصور لما بالفعل فيحدث عنه طلب لما هو بالفعل ولا يمكن لما بالشخص فيكون بالتعاقب
ثم يتبع ذلك التصور تصورات جزوية على سبيل الانبعاث لا المقصود ويتبع تلك التصورات
الحركات المنتقل بها في الاوضاع وهي كانها عبادة ملكية او فلكية وليس من شرط الحركة
الارادية ان تكون مقصودة في نفسها بل اذا كانت القوة الشوقية تشتاق نحو امر يسيح منها
تاثير يحرك له الاعضاء فتارة يتحرك على النحو الذي يوصل به الى الغرض وتارة على نحو آخر
متشابه واذا بلغ الالتذاذ بتعقل المبدأ الاول وبما يدرك منه على نحو عقلي او نفساني
شغل ذلك عن كل شيء ولكن ينبعث منه ما هو دون منه مرتبة وهو الشوق الى الاشبه به
بقدر الامكان فقد عرفت ان الفلك يتحرك بطبعه ويتحرك بالنفس ويتحرك بقوة عقلية
غير متناهية وتميز عندك كل حركة عن صاحبتها وعرفت ان المحرك الاول لجملة السماء
واحد ولكل كرة من كرات السماء محرك قريب منه يخصه ومتشوق ومعشوق يخصه فاول
المفارقات الخاصة محرك الكرة الاولى وهي قول من تقدم بطلميوس كرة الثوابت وعلى
قول بطلميوس كرة خارجة محيطة بها غير مكوكبة وبعد ذلك محرك الكرة التي تلي الاولى
ولكل مبدأ خاص وللكل مبدأ فلذلك تشترك الافلاك في دوام الحركة وفي الاستدارة
ولا يجوز ان يكون منها شيء لاجل الكائنات السافلة لا قصد حركة ولا قصد جهة حركة ولا بتقدير
سرعة وتطويل ولا قصد فعل العلة لاجلها وذلك ان كل قصد يجوز من اجل المقصود ان يكون انقص
وجودا من المقصود لان كل ما لاجله شيء آخر فهو اتم وجودا من الآخر ولا يجوز ان يستفاد الوجود الاكمل

الاول ح

واحد ح

من شيء

يجوز ان صح ٢٤٤

من الشيء الاخس فلا يكون البتة الى معلول قصد صادق الا كان القصد معطيا ومفيدا لوجود
ما هو اكمل وانما يقصد بالواجب شيء يكون القصد مهيئا له ومفيد وجوده شيء آخر وكل قصد
ليس عبثا فانه يفيد كمالا ما لقاصد لو لم يقصد لم يكن ذلك الكمال ومحال ان يكون المعلول
المستكمل وجوده بالعلة يفيد العلة كمالا لم يكن فالعالي اذا لا يريد امر الاجل السافل وانما
يريد لما هو اعلى منه وهو التشبه بالاول بقدر الامكان ولا يجوز ان يكون الغرض تشبها
بجسم من الاجسام السماوية وان كان تشبه السافل بالعالي اذ لو كان كذلك لكانت الحركة من نوع
حركة ذلك الجسم ولم يكن مخالفا له واسرع في كثير من المواضع ولا يجوز ان يكون الغرض شيئا يوصل
اليه بالحركة بل شيئا مباينا غير جواهر الافلاك من موادها وانفسها وبقي ان يكون لكل واحد
من الافلاك شوق تشبه بجوهر عقلي مفارق يخصه ويختلف الحركات واحوالها اختلافها
الذي لها لاجل ذلك وان كنا لا نعرف كيفيتها وكميتها ويكون العلة الاولى متشوق
الجميع بالاشتراك وهذا معنى قول القدماء ان للكل محركا واحدا معشوقا ولكل كرة محركا يخصها
ومعشوقا يخصها فاذن لكل فلك نفس محركة تعقل الخير ولها بسبب الجسم تخيل او تصور للجزئيات
وارادة لها ثم يلزمها حركات ما دونها لزوما لا بالقصد الاول حتى ينتهي الى حركة الفلك الذي
يلينا ومدبرها العقل الفعال ويلزم الحركات السماوية حركات العناصر على مثال تناسب حركات
الافلاك وتعد تلك الحركات موادها بالقبول الفيض من العقل الفعال فيعطيها صورها
على قدر استعداداتها كما قررنا وقد بينا لك اسباب الحركات ولوازمها وستعلم بواقيها
في الطبيعيات **المسئلة التاسعة** في العناية الازلية وبيان دخول الشر في القضاء
قال العناية هي كون الاول عالما لذاته بما عليه الوجود في نظام الخير وعلة لذاته بالخير والكمال
بحسب الامكان وراضيا به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على الوجه الابلغ في الامكان فيفيض
منه ما يعقله نظاما وخيرا على الوجه الابلغ الذي يعقله فيضانا على اتم تادية الى النظام بحسب
الامكان فهذا هو معنى الغاية والخير يدخل في القضاء الالهي دخولا بالذات لا بالعرض والشر
بالعكس منه وهو على وجوه فيقال شر لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلقة
ويقال شر لمثل الالم والغم ويقال شر لمثل الشرك والظلم والزنا وبالجملة الشر بالذات هو العدم و
لا كل عدم بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته والشر بالعرض هو العدم
والحابس للكمال عن مستحقه والشر بالذات ليس بامر حاصل الا ان يخبر عن لفظه ولو كان له حصول ما لكان

الشر العام

الشر العام وهذا الشر يقابله الوجود على كماله الاقصى ان يكون بالفعل ولا يبقى بالقوة اصلا فلا يحصل
شر واما الشر بالعرض فله وجود ما وانما يلحق ما في طباعه امر ما بالقوة وذلك لاجل المادة يلحقها لا
بعرض لها في نفسها او لوجودها هيئة من الهيئات المانعة لاستعدادها الخاص للكمال الذي توجهت
اليه فتجعله اردأ رجحا واعصى جوهر القبول للتخطيط والتشكيل والتقويم فتشوهت الخلقة
وانتقضت البنية لا لان الفاعل قد حرم بل لان المنفعل لم يقبل واما الامر الطارئ من الخارج فاحد
شيئين اما مانع للكمل واما مصادم لحق الكمال مثال الاول وقوع سحب كثيرة وتراكمها واظلال الجبال
شاهقة تمنع تاثير الشمس في الثمار على الكمال ومثال الثاني حر البرد للنبات المصيب لكماله في وقته
حتى يفسد الاستعداد الخاص ويقال شر للافعال المذمومة ويقال شر لمباديها من الاخلاق مثال
الاول الظلم والزنا ومثال الثاني الحقد والحسد ويقال شر للالام والغموم ويقال شر فيما كل شيء
والضابط لكله امام عدم وجود واما عدم كمال فيقول الامور اذا لوحظت موجودة فاما ان يمتنع
ان يكون خيرا على الاطلاق او شرا على الاطلاق او خيرا من وجه وشرا من وجه وهذا القسم اما ان يتساوى
فيه الخير والشر او الغالب فيه احدهما اما الخير المطلق الذي لا شر فيه فقد جعله الطباع لخلقه
واما الشر الذي لا خير فيه او الغالب فيه او المساوي فلا وجود له اصلا فيبقى ما الغالب في وجوده الخير
وليس بخال عن شر فالاحرى به ان يوجد فان لكونه اعظم شرا من كونه فواجب ان يفيض وجوده من حيث يفيض
منه الوجود لئلا يفوت الخير الكلي لوجود الشر الجزوي وايضا فلو امتنع وجود ذلك القليل من الشر
امتنع وجود اسبابه التي تؤدي الى الشر بالعرض فكان فيه اعظم خلل في نظام الخير الكلي بل وان لم يفض
الى ذلك وصرفنا التفاتنا الى ما ينقسم اليه الامكان في الوجود من اصناف الموجودات المختلفة في
احوالها وكان الوجود المبرا من الشر من كل وجه قد حصل وبقي نمط من الوجود انما يكون على سبيل
ان لا يوجد الا ويتبعه ضرر وشر مثل النار فان الكون انما يتم بان يكون فيه نار ولن يتصور حصولها
الا على وجه تحرق وتنحف ولم يكن بد من اصطدامات الحادثة ان تصاف النار ثوب فقير ناسك فيحترق
والامر الدائم او الاكثري حصول الخير من النار فاما الدائم فلان انواعا كثيرة لا تستحفظ على الدوام
الا بوجود النار واما الاكثر فان اكثر انواع الاشخاص وكنف السلامة من الاحراق فما كان يحسن ان
يترك المنافع الاكثرية والدائمة لاعراض شريرة اقلية فلذلك ربيت الخيرات الكائنة من مثل هذه الاشياء
ويؤيد الشر ايضا على الوجه الذي بالعرض فالخير مقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر
فالحاصل ان الكل انما رتب فيها القوى الفعالة والمنفعلة السماوية والارضية الطبيعية والنفسانية

المطلق صح

الا استعداد صح

Digitized by Google

بحيث يؤدي الى النظام الكلي مع استحالته ان يكون هي على ما هي عليه ولا تؤدي الى شرور فيلزم من احوال
العالم بعضها بالقياس الى بعض ان تحدث في نفس صورة اعتقاد ردي او كفر او شر آخر ويحدث في بدن
صورة قبيحة لو لم يكن كذلك لم يكن النظام الكلي يثبت فلم يعبأ ولم يلتفت الى اللوازم الفاسدة التي
تعرض بالضرورة وقيل خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي وكل ميسر لما خلق له

مشوهة ع

المسئلة العاشرة في المعاد واثبات سعادات دائمة للنفوس واثبات النبوة

واشارة الى

وكيفية الوحي والالهام ولنقدم على الخوض فيها اصولا ثلثة الاصل الاول ان لكل قوة
نفسانية لذة وخيرا يخصها واذى وشرا يخصها وحيث ما كان المدرك اشد ادراكا وافضل ذاتا
وادوم ثباتا فاللذة ابلغ وادوم واوفر الاصل الثاني انه قد يكون الخروج الى الفعل في كمال
ما بحيث يعلم ان المدرك لذيذ ولكن لا يتصور كيفيته ولا يشعر به فلم يشتق اليه ولم يفزع نحوه فيكون
حال المدرك حال الاصم والاعمى المتيقنين برطوبة اللحم وملاحة الوجه من غير شعور وتصور وادراك
الاصل الثالث ان الكمال والامر الملائم قد يتيسر للقوة المدركة الدراكة وهناك مانع او
شاغل للنفس فتكرهه وتؤثر ضده وتكون القوة المميزة الممنوعة بضد ما هو كمالها فلا يحس به كالمريض والممرور فاذا زال العائق عاد الى واجبه في طبعه فصدقت شهوته واشتهت طبيعته وحصل
له كمال اللذة فنقول بعد تمهيد الاصول ان النفس الناطقة كمالها الخاص بها ان يصير عالما
عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض من واهب الصور على الكل
مبتدأ من المبدأ الى سالكا الى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعا ما
بالابدان ثم الاجسام العلوية بهيئاتها وقواها ثم كذلك حتى يستوفي نفسها هيئة الوجود كله
فيصير عالما معقولا موازيا للعالم الموجود كله مشاهدا لما هو الحسن المطلق والخير والبهاء الحق
ومتحدا به ومنتقشا بمثاله ومنخرطا في سلكه وصائرا من جوهره فهذا الكمال لا يقاس بسائر
الكمالات وجودا ودواما ولذة وسعادة بل هذه اللذة اعلى من اللذات الحسية واعلى من
الكمالات الجسمانية بل لا مناسبة بينهما في الشرف والكمال وهذه السعادة لا يتم له الا باصلاح
الجزء العلمي من النفس وتهذيب الاخلاق والخلق ملكة يصدر بها عن النفس افعال ما بسهولة من غير
تقدم روية وذلك باستعمال التوسط بين الخلقين المتضادين لا بان تفعل افعال التوسط بل
ان تحصل ملكة التوسط فيحصل في القوى الحيوانية هيئة الاذعان وفي القوة الناطقة
هيئة الاستعلاء ومعلوم ان ملكة الافراط والتفريط مقتضيا لقوى الحيوانية فاذا قويت

والمدرك اكمل موجودا واشرف ذاتا ع

Digitized by Google

حدثت في النفس الناطقة هيئة اذعانية قد رسخت فيها من شانها ان تجعلها قوى العلاقة
مع البدن والانصراف اليه واما ملكة التوسط فهي من مقتضيات الناطقة واذا قويت قطعت العلاقة
من البدن فسعدت سعادة الكبرى ثم ان للنفوس مراتب في اكتساب ما بين القوتين اعني العلمية والعملية
والتقصير فيهما فلم ينبغي ان يحصل الانسان من تصور المعقولات والتخلق بالاخلاق الحسنة حتى تجاوز
الحد الذي في مثله يقع في الشقاوة الابدية واي تصور وخلق يوجب له الشقاء المؤبد واي تصور
وخلق يوجب له الشقاء الموقت وقال فليس يمكنني ان انص عليه الا بالتقريب وليته سكت عنه
وقيل فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد قال واظن ان يتصور نفس الانسان
المبادي المفارقة تصورا حقيقيا وتصدق بها تصديقا يقينيا لوجودها عنده بالبرهان
ليعرف العلل الغائية للامور الواقعة في الحركات الكلية دون الجزوية التي لا تتناهى وتتقرر
عنده هيئة الكل ونسب اجزائه بعضها الى بعض والنظام الاخذ من المبدا الاول الى اقصى الموجودات
الواقعة في ترتيبه وتصور الغاية وكيفيتها ويتحقق ان الذات المتقدمة للكل اي وجود يخصها
واية وحدة يخصها وانه كيف يعرف حتى لا يلحقها تكثر وتغير بوجه وكيف ترتيب نسبة الموجودات
اليها وكلما ازداد استبصارا وعقلا ازداد للسعادة استعدادا وكانه ليس يتبرأ الانسان في هذا
العالم وعلايقه الا ان يكون اكد العلايق مع ذلك العالم فصار له شوق وعشق الى ما هنالك
يصده عن الالتفات الى ما خلفه جملة ثم ان النفوس والقوى الساذجة التي لم تكتسب هذا الشوق
ولا تصورت هذه التصورات فان كانت بقيت على ساذجيتها او استقرت فيها هيئات صحيحة اقناعية
وملكات حسنة خلقية سعدت بقدر ما اكتسبت اما اذا كان الامر بالضد من ذلك او حصلت اوائل
الملكة العلمية وحصل لها شوق قد تبع رايا مكتسبا الى كمال حالها فصدها عن ذلك عائق
مضاد فقد شقي شقاوة ابدية فهؤلاء اما مقصرون في السعي لتحصيل الكمال واما معاندون
متعصبون للاراء الفاسدة المضادة للاراء الحقيقية والجاحدون اسوء حالا والنفوس البلهة
ادنى خلاصا من فطانة بترا لكن النفوس اذ فارقت وقد رسخ فيها نحو من الاعتقاد في العاقبة
على مثل ما يخاطب به العامة ولم يكن لهم معنى جاذب الى الجهة التي فوقهم لا كمال فتسعد تلك
السعادة ولا عدم كمال فتشقى الشقاوة بل جميع هيئاتهم النفسانية متوجهة نحو الاسفل منجذبة
الى الاجسام ولا بد لها من تخيل ولا بد للتخيل من الاجسام قال فلا بد لها من اجرام سماوية
تقوم بها القوة المتخيلة فتشاهد ما قيل لها في الدنيا من احوال البعث والقبر والخيرات

عند نفس م

الانساني م

تلك م

الاخروية

Digitized by Google

الاخروية وتكون الانفس الردية ايضا تشاهد العقاب المصور لهم في الدنيا وتقاسيه فان الصور
الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد تاثيرا كما تشاهد في المنام وهذه هي السعادة والشقاوة
بالقياس الى الانفس الخسيسة واما الانفس المقدسة فانها تبعد عن مثل هذه الاحوال وتتصل
بكمالها بالذات وتنغمس في اللذة الحقيقية ولو كان بقي فيها اثر من ذلك اعتقادي او خلقي تاذت به و
تخلفت عن درجة عليين الى ان ينفسخ قال والدرجة الاعلى فيما ذكرناه لمن له النبوة اذ في النفسانية
خصائص ثلث نذكرها في الطبيعيات فيها يسمع كلام الله عز وجل ويرى ملائكته المقربين وقد تحولت
على صورة يراها وكما ان الكائنات ابتدات من الاشرف فالاشرف حتى ترقت في الصعود الى العقل
الاول ونزلت في الانحطاط الى المادة وهي الاخس كذلك ابتدات من الاخس حتى بلغت النفس
الناطقة وترقت الى درجة النبوة ومن المعلوم ان نوع الانسان محتاج الى اجتماع ومشاركة في ضروريات
حاجاته مكفيا في اخر من نوعه تكون ذلك الاخر ايضا مكفيا ولا يتم تلك الشركة بينهما الا بمعاملة
ومعاوضة تجريان بينهما يفزع كل واحد منهما عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير ولا بد
في المعاملة من سنة وعدل ولا بد من سان من ان يكون بحيث يخاطب الناس ويلزمهم السنة ولا بد
من ان يكون انسانا ولا يجوز ان يترك الناس وارائهم في ذلك فيختلفون ويرى كل واحد منهم ما له عدلا
وما عليه جورا وظلما فالحاجة الى هذا الانسان في ان يبقى نوع الانسان اشد من الحاجة الى انبات الشعر
على الاشفار والحاجبين ولا يجوز ان تكون العناية الاولى يقتضي امثال تلك المنافع ولا يقتضي هذه
التي هي اثبتها ولا ان يكون المبدا الاول والملائكة التي بعده تعلم تلك ولا تعلم هذا ولا ان
يكون ما يعمله في نظام الامر الممكن وجوده الضروري حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد بل كيف يجوز
ان لا يوجد وما هو متعلق بوجوده مبني على وجوده فلا بد اذا من نبي هو انسان متميز من بين سائر
الناس بايات تدل على انها من عند الله تعالى يدعوهم الى التوحيد ويمنعهم عن الشرك ويسن لهم
الشرايع والاحكام ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن التباغض والتحاسد ويرغبهم
في الاخرة وثوابها ويضرب للسعادة والشقاوة امثالا تسكن اليها نفوسهم واما الحق فلا يلوح
لهم الا امرا مجملا وهو ان ذلك شيء لا عين راته ولا اذن سمعته ثم يكرر عليهم العبادات ليحصل
لهم بعده تذكر المعبود بالتكرير والمذكرات اما حركات واما اعدام حركات يفضي الى حركات
فالحركات كالصلاة وما في معناها واعدام الحركات كالصيام ونحوه فان لم يكن لهم هذه
المذكرات تناسوا جميع ما دعاهم اليه مع انقراض قرن بعد قرن وذلك ينفعهم ايضا في المعاد

القوة م

الاخرة م

صاحبه م

معدل لا بد م

منفعة

Digitized by Google

منفعة عظيمة فان السعادة في الاخرة بتنزيه النفس عن الاخلاق الردية والملكات الفاسدة فيقرر
لها بذلك هيئة الانزعاج عن البدن ويحصل لها ملكة التسلط عليه فلا تنفعل عنه ويستفيد
ملكة الالتفات الى جهة الحق والاعراض عن الباطل ويصير شديد الاستعداد للتخلص الى السعادة
بعد المفارقة البدنية وهذه الافعال لو فعلها فاعل ولم يعتقد انها فريضة من عند الله تعالى
وكان مع اعتقاده ذلك يلزمه في كل فعل ان يتذكر الله تعالى ويعرض عن غيره لكان جديرا بان يفوز من
هذا الزكاء بحظ فكيف اذا استعملها من يعلم ان النبي من عند الله تعالى وبارساله وواجب في الحكمة
الالهية ارساله وان جميع ما سنه فانما هو واجب من عند الله تعالى ان يسنه وانه متميز من سائر الناس
بخصائص الهية واجب الطاعة بآيات ومنجزات دلت على صدقه وسيأتي شرح ذلك في الطبيعيات
لكنك تحدس مما سلف آنفا ان الله تعالى رتب النظام في الموجودات وكيف سخر الهيولى مطيعة للنفوس
بازالة صورة واثبات صورة وحيثما كانت النفس الانسانية اشد مناسبة للنفوس الفلكية
وللعقل الفعال كان تأثيرها في الهيولى اشد واقرب وقد تصفو النفس صفاء شديدا لاستعدادها
للاتصال بالعقول المفارقة فيفيض عليها من العلوم ما لا يصل اليه من هو في نوعه بالفكر والقياس
فبالقوة الاولى يتصرف في الاجرام بالتقليب والاحالة من حال الى حال وبالقوة الثانية يخبر عن
الغيب ويكلمه ملك فيكون ما للانبياء عليهم السلم وحيا وما للاولياء الهاما وها نحن نبتدي
القول

في الطبيعيات

قال ابو علي بن سينا ان للعلم الطبيعي
موضوعا فيه ينظر وفي لواحقه كسائر العلوم وموضوعه الاجسام الموجودة بما هي واقعة في
التغير وبما هي موصوفة بانحاء الحركات والسكنات واما مبادي هذا العلم فمثل تركب
الاجسام عن المادة والصورة والقول في حقيقتهما ونسبة كل واحد منهما الى الاخر وقد ذكرنا في
العلم الالهي والذي يختص من ذلك التركب بالعلم الطبيعي هو ان تعلم ان الاجسام الطبيعية
منها اجسام مركبة من اجسام اما متشابهة الصورة كالسرير واما مختلفتها كبدن الانسان
ومنها اجسام مفردة والاجسام المركبة لها اجزاء موجودة بالفعل متناهية وهي تلك
الاجسام المفردة التي منها تركبت واما الاجسام المفردة فليس في الحال لها جزء بالفعل
وفي قوتها ان تتجزى اجزاء غير متناهية كل واحد منها اصغر من الاخر والتجزي اما بتفريق
الاتصال واما باختصاص العرض ببعض منه واما بالتوهم واذا لم يكن احد هذه الثلثة فالجسم
المفرد لا جزء له بالفعل قال ومن اثبت الجسم مركبا من اجزاء لا يتجزى بالفعل فبطلانه

كيف صح

في الطبيعيات المنقولة عن ابي علي ابن سينا

بان كل جزء

Digitized by Google

بان كل جزء مس جزءا فقد شغله بالمس وكل ما شغل شيئا بالمس فاما ان يدع فارغا عن شغله لجهة او لا
يدع فان ترك فارغا فقد تجزى المحسوس فان لم يترك فلا يتاتى ان يماسه اخر غير مماس الاول وقد
ماسه آخر هذا خلف فكذلك في جزء موضوع على جزء متصل وغيره من تركيب المربعات منها
المساواة الاقطار والاضلاع ومن جهة مسامتات الظل والشمس دلائل على ان الجزء الذي لا يتجزى
البتة محال وجوده فنتكلم بعد هذه المقدمة في مسائل هذا العلم ونحصرها في مقالات

فارغا

المقالة الاولى في لواحق الاجسام الطبيعية مثل الحركة

والسكون والزمان والمكان والخلاء والتناهي والجهات والتماس والالتحام والاتصال والتتالي
اما الحركة فيقال على تبدل حال قارة في الجسم يسيرا يسيرا على سبيل الاتجاه نحو شيء والوصول
اليه هو بالقوة او بالفعل فيجب من هذا ان تكون الحركة مفارقة الحال ويجب ان يقبل الحال
التنقص والتزيد ويكون باقيا غير متشابه الحال في نفسه وذلك مثل البياض والسواد والحرارة
والبرودة والطول والقصر والقرب والبعد وكبر الحجم وصغره فالجسم اذا كان في مكان فتحرك
فقد حصل فيه كمال وفعل اول به يتوصل الى كمال وفعل ثان هو الوصول فهو في المكان الاول بالفعل
وفي المكان الثاني بالقوة فالحركة كمال اول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة ولا يكون وجودها الا
في زمان بين القوة المحضة والفعل المحض وليست الامور التي تحصل بالفعل حصولا قارا مستكملا
وقد ظهر انها في كل امر تقبل التنقص والتزيد وليس شيء من الجواهر كذلك فاذا لا شيء من الحركات
في الجوهر وكون الجوهر وفساده ليس بحركة بل هو امر يكون دفعة واما الكمية فلانها تقبل
التنقص والتزيد فحقيق ان يكون فيها حركة كالنمو والذبول والتخلخل والتكاثف واما الكيفية
فما يقبل منها التنقص والتزيد والاشتداد كالتبيض والتسود فيوجد فيه الحركة واما المضاف
فانه اعراض لمقولة من البواقي في قبول التنقص والتزيد فاذا اضيف اليه حركة فذلك بالحقيقة
لتلك المقولة واما الاين فان وجود الحركة فيه ظاهر وهو النقلة واما متى فان وجوده للجسم بتوسط
الحركة فكيف يكون فيه الحركة ولو كان كذلك لكان لمتى متى واما الوضع فان فيه حركة على واينا
خاصة كحركة الجسم المستدير على نفسه اذ لو توهم المكان المطيف به معدوما لما امتنع كونه متحركا
فلو قدر ذلك في الحركة المكانية لامتنع ومثاله في الموجودات الجرم الاقصى الذي ليس وراءه جسم
جسم والوضع يقبل التنقص والاشتداد فيقال انكص وانصب واما الملك فان تبدل
الحال فيه تبدل اولا في الاين فاذن الحركة فيه بالعرض واما ان يفعل فتبدل الحال فيه

بالقوة

Digitized by Google

بالقوة او العزيمة او الآلة فكانت الحركة في قوة الفاعل او عزيمته او آلته والقوة اولا وفي الفعل
بالعرض على ان الحركة ان كان خروجا عن هيئة فهي عن هيئة قارة وليس شيء من الافعال كذلك فاذا
لا حركة بالذات الا في الكم والكيف والاين والوضع وهو كون الشيء بحيث لا يجوز ان يكون على ما هو
عليه من اينه وكمه وكيفه ووضعه قبل ذلك ولا بعده والسكون هو عدم هذه الصورة
فيما من شانه ان يوجد فيه وهذا العدم له معنى ما ويمكن ان يرسم وفرق بين عدم القرينين في الانسان
وهو سلب المطلق عقلا وقولا وبين عدم المشي له فهو حالة مقابلة للمشي توجد عند ارتفاع علة
المشي وله وجود ما بنحو من الانحاء وله علة بنحو والمشي علة بالعرض لذلك العدم فالعدم معلول
بالعرض فموجود بالعرض ثم اعلم ان كل حركة توجد في الجسم فانما توجد لعلة محركة اذ لو تحرك بذاته
وبما هو جسم لكان كل جسم متحركا فيجب ان يكون المحرك معنى زائدا على هيولى الجسمية وصورتها ولا
يخ اما ان يكون ذلك المعنى في الجسم واما ان لا يكون فان كان المحرك مفارقا فلا بد لتحريكه من معنى
في الجسم قابل لجهة التحريك والتغير ثم يكون المتحرك لمعنى في ذاته يسمى متحركا لذاته وذلك اما ان يكون
العلة الموجودة فيه يصح عنه ان يحرك تارة ولا يحرك اخرى فيسمى متحركا بالطبع والمتحرك بالطبع
لا يجوز ان يتحرك وهو على حالته الطبيعية لان كل ما اقتضاه طبيعة الشيء لذاته لم يمكن له ان يفارقه
الا والطبيعة قد فسدت وكل حركة يتعين في الجسم فانما يمكن ان تفارق والطبيعة لم تبطل لكن
الطبيعة انما تقتضي الحركة للعود الى حالتها الطبيعية فاذا عادت ارتفع الموجب للحركة فامتنع
ان يتحرك فيكون مقدار الحركة على مقدار البعد من الحالة الطبيعية وهذه الحركة ينبغي ان
تكون مستقيمة ان كانت في المكان فانها لا تكون الا لميل طبيعي وكل ميل طبيعي فعلى اقرب المسافة
وكل ما هو على اقرب المسافة فهو على خط مستقيم فالحركة المكانية المستديرة ليست طبيعية ولا الحركة
الوضعية فان كل حركة طبيعية فانها تهرب عن حالة غير طبيعية ولا يجوز ان يكون فيه قصد
طبيعي بالعود الى ما فارقه بالهرب اذ لا اختيار لها وقد تحقق العود فهي اذن غير اختيار او ارادة ولو
كانت عن قسر فلا بد وان ترجع الى الطبع او الاختيار واما الحركات في انفسها فيتطرق اليها الشدة
والضعف فيتطرق اليها السرعة والبطؤ لا بتخلل سكنات وهي قد تكون واحدة بالجنس اذا وقعت
في مقولة واحدة او في جنس واحد من الاجناس التي تحت تلك المقولة وقد تكون واحدة بالنوع
وذلك اذا كانت ذات جهة مفروضة عن جهة واحدة الى جهة واحدة في نوع واحد وفي زمان مساو
مثل تبيض بالتبيض ما وقد تكون واحدة بالشخص وذلك عن متحرك واحد بالشخص في زمان

متحركا بالاختيار واما ان لا يصح فليسمى صح

طبيعية فهي اذا عن صح

اذا كانت صح

واحد وحدتهما بوجود الاتصال فيهما والحركات المتفقة في النوع لا تتضاد واما تطابق الحركات فمعنى
بها التي يجوز ان يبقى لبعضها اسرع من بعض او ابطأ او مساو والاسرع هو الذي يقطع شيئا مساويا
لما يقطعه الاخر في زمان اقصر وضده الابطأ والمساوي معلوم وقد يكون التطابق بالقوة وقد
يكون بالفعل واما تضاد الحركات فان الضدين هما اللذان موضعهما واحد وهما ذاتان يستحيل
ان يجتمعا فيه وبينهما غاية الخلاف فتضاد الحركات ليس لتضاد المتحركين ولا بالزمان ولا لتضاد
ما يتحرك فيه بل لتضادهما بتضاد الاطراف والجهات فعلى هذا لا تضاد بين الحركة المستقيمة
والحركة المستديرة المكانية لانهما لا يتضادان في الجهات بل المستديرة لا جهة فيها بالفعل لانه
متصل واحد فالتضاد في الحركات المكانية المستقيمة يتصور فالحابطة ضد الصاعدة والمتيامنة
ضد المتياسرة واما التقابل بين الحركة والسكون فهو كتقابل العدم والملكة وقد بينا ان
ليس كل عدم هو السكون بل هو عدم ما من شانه ان يتحرك ويختص ذلك بالمكان الذي شانه فيه الحركة
والسكون في المكان المقابل انما يقابل الحركة عنه لا الحركة اليه بل انما كان هذا السكون استكمالا
لها واذا عرفت ما ذكرناه سهل عليك معرفة الزمان بان تقول كل حركة تفرض في مسافة على مقدار
من السرعة واخرى معها على مقدارها وابتدأتا معا فانهما يقطعان المسافة معا وان ابتدأ احدهما
ولم يبتدئ الاخر ولكن تركا الحركة معا فان احدهما يقطع دون ما يقطع الاخر وان ابتدأ معا بطي
واتفقا في الاخذ والترك وجد البطي قد قطع اقل والسريع اكثر فكان بين اخذ السريع الاول و
تركه امكان قطع مسافة معينة لسرعة معينة واقل منها ببطؤ معين وبين اخذ السريع الثاني
وتركه امكان اقل من ذلك بتلك السرعة المعينة يكون هذا الامكان قد طابق جزءا من الاول
ولم يطابق جزءا مقتضيا وكان من شان هذا الامكان التقضي لانه لو ثبت هذه الحركات بحال واحدة
بعينها لكان يقطع المتفقات في السرعة اي وقت ابتدأت وتركت مسافة بعينها واحدة وكما كان امكان
اقل من امكان فوجد في هذا الامكان زيادة ونقصان يتعينان فكان ذا مقدار مطابق للحركة فاذا
فههنا مقدار الحركات مطابق لها وكل ما طابق الحركات فهو بها متصل ويقتضي الاتصال
بحدوده وهو الذي نسميه الزمان ثم هو لا بد وان يكون في مادة ومادته الحركة واذا قدرت وقوع
حركتين مختلفتين في العدم فكان هناك امكانان مختلفان بل مقداران مختلفان وقد
سبق ان الامكان والمقدار لا يتصور الا في موضوع فليس الزمان محدثا احدوثا زمانيا بحيث يسبقه
زمان لان كلامنا في ذلك الزمان بعينه فانما احدوثه حدوث ابداعي لا يسبقه الا مبدعه وكذلك

فهو مقدار الحركة
ح

Digitized by Google

ما يتعلق الزمان ويطابقه فالزمان متصل يتهيأ ان ينقسم بالوهم واذا انقسم ينبث منه آنات وانقسم
الى الماضي والمستقبل وكونهما فيه ككون اقسام العدد في العدد والدهر هو المحيط بالزمان واقسام
الزمان مفصل منه بالوهم كالساعات والايام والشهور والاعوام واما المكان فيقال مكان الشيء
يكون محيطا بالجسم ويقال شيء يعتمد عليه الجسم والاول هو الذي يتكلم فيه الطبيعي وهو حاو للمتمكن
مفارق له عند الحركة ومساو له وليس شيئا في المتمكن وهو كل هيولى وصورة فهو في المتمكن فليس
المكان اذا هيولى وصورة ولا الابعاد التي يدعى انها مجردة عن المادة قائمة بمكان الجسم المتمكن لا مع
امتناع خلوها كما يراه قوم ولا مع جواز خلوها كما يظنه مثبتو الخلاء ونقول في نفي الخلاء ان
فرض خلاء خال فليس هو لا شيئا محضا بل هو ذات ما له كم لان كل خلاء يفرض فقد يوجد خلاء آخر
اقل منه او اكثر ويقبل التجزي في ذاته والمعدوم واللاشيء ليس يوجد هكذا فليس الخلاء لا شيء فهو
ذو كم وكل كم فاما متصل واما منفصل والمنفصل لذاته عديم الحد المشترك بين اجزائه وقد تقدم
في الخلاء حد مشترك فهو اذا متصل الاجزاء متحازها في جهات فهو اذا كم ذو وضع قابل للابعاد
الثلثة كالجسم الذي يطابقه وكانه جسم تعليمي مفارق للمادة فنقول الخلاء المقدر اما ان يكون
موضوعا لذلك المقدار او يكون الوضع والمقدار جزئين من الخلاء والاول باطل فانه اذا رفع المقدار
في التوهم كان الخلاء وحده بلا مقدار وقد فرض انه ذو مقدار فهو خلف وان بقي مقدرا بنفسه
فهو مقدار بنفسه لا لمقدار حله وان كان الخلاء مجموع مادة ومقدار فالخلاء اذا جسم فهو ملاء وايضا
كل شيء يقبل الاتصال والانفصال فهو ذو مادة مشتركة قابلة كما قدمنا والخلاء لا مادة له فان الخلاء يقبل الاتصال
فلا يجوز عليه الانفصال والاتصال ونقول ان التماس محسوس بين الجسمين وليس التماس هو من حيث هو والانفصال من
المادة لان المادة من حيث انها مادة لا انحياز لها عن الاخر وانما ينحاز الجسم عن الجسم لاجل
صورة البعد فطباع الابعاد تابى التداخل وتوجب المقاومة والتنحي وايضا فان بعد الداخل
بعدا فاما ان يكون جميعا موجودين او معدومين او احدهما موجودا والاخر معدوما فان وجدا
جميعا فهما ازيد من الواحد وكل ما هو عظيم وهو ازيد فهو اعظم فان عدما جميعا او وجد احدهما
وعدم الاخر فليس بداخلة فاذا قيل جسم في خلاء فيكون بعدا في بعد وذلك محال ونقول
في نفي النهاية عن الجسم ان كل موجود الذات ذو وضع وترتيب فهو متناه اذ فاما ان يكون
غير متناه من الاطراف كلها او غير متناه من طرف فان كان غير متناه من طرف امكن ان يفصل
منه من الطرف المتناهي جزء بالتوهم فيوجد ذلك المقدار مع ذلك الجزء شيئا على حدة

وكون الاول منه كالواحد في العدد وكون المتحركات في العدد كما كون العدد ذات في العدد مع

لو كان غير متناه

وما نقول

وبانفراده شيئا على حدة ثم يطبق بين الطرفين المتناهيين في التوهم فلا يخلو اما ان يكونا بحيث يمتدان
معا متطابقين في الامتداد فيكون الزايد والناقص متساويين وهذا محال واما ان لا يمتد بل
يقصر عنه فيكون متناهيا والفصل ايضا كان متناهيا فيكون المجموع متناهيا فالاصل متناه
واما اذا كان غير متناه من جميع الاطراف فلا يبعد ان يفرض ذا مقطع يتلاقى عليه الاجزاء ويكون
طرفا ونهاية ويكون الكلام في الاجزاء والجزوين كالكلام في الاول وبهذا يتاتى البرهان على ان
العدد المترتب لذات الموجود بالفعل متناه وان ما لا يتناهى بهذا الوجه هو الذي اذا وجد وفرض
انه يحتمل زيادة ونقصانا وجب ان يلزم ذلك محال واما اذا كانت اجزاء لا تتناهى وليست معا
وكانت في الماضي والمستقبل فغير ممتنع وجودها واحدا قبل آخر او بعده لا معا او كانت ذات عدد
غير مترتب في الوضع ولا الطبع فلا مانع عن وجوده معا وذلك ان ما لا ترتيب له في الوضع او الطبع
فلن يحتمل الانطباق وما لا وجود له معا ففيه ابعد ويقول في اثبات التناهي للقوى الجسمانية
ونفي التناهي عن القوى الغير الجسمانية ان الاشياء التي تمتنع فيها وجود الغير المتناهي بالفعل
فليس يمتنع فيها من جميع الوجوه فان العدد لا يتناهى اي بالقوة وكذلك الحركات لا تتناهى بالقوة
لا القوة التي تخرج الى الفعل بل بمعنى ان الاعداد يتاتى ان تتزايد فلا يقف عند نهاية اخيرة واعلم
ان القوى تختلف في الزيادة والنقصان بالاضافة الى شدة ظهور الفعل عنها او الى عدة ما يظهر عنها
او الى مدة بقاء الفعل وبينهما فرقان بعيد لان كل ما يكون زايدا بنوع الشدة يكون ناقصا بنوع
المدة وكل قوة حركتها اشد فمدة حركتها اقصر وعدة حركتها اكثر ولا يجوز ان تكون قوة غير متناهية
بحسب اعتبار الشدة لان ما يظهر من الاحوال القابلة بها لا يخلو اما ان يقبل الزيادة على ما ظهر فتكون
متناهية عليه زائدة في ماخذه واما ان لا يقبل فهو النهاية في الشدة فتلك قوة جسمانية بتجزية
ومتناهية واما الكلام في الجهات فمن المعلوم انا لو فرضنا خلاء فقط او ابعادا او جسما غير متناه
فلا يمكن ان يكون للجهات المختلفة بالنوع وجود البتة ولا يكون فوق وسفل ويمين ويسار
وخلف وقدام فالجهات انما يتصور في اجسام متناهية فتكون ايضا متناهية ولذلك يتحقق
اليها اشارة ولذاتها اختصاص وانفراد عن جهة اخرى واذا كانت الاجسام كرية فيكون تحدد الجهات
على سبيل المحيط والمحاط والتضاد فيها على سبيل المركز والمحيط واذا كان الجسم المحدد محيطا كفى
لتحديد الطرفين لان الاحاطة تثبت المركز فتثبت غاية البعد منه وغاية القرب منه من غير حاجة الى
جسم اخر واما ان فرض محاطا لم يتحدد به وحده الجهات لان القرب يتحدد به والبعد منه يتحدد بجسم

الجهات مع

اخر

آخر الاخلاء فيه وذلك لا ينتهي لاستحالة الى محيط ويجب ان يكون الاجسام المستقيمة الحركة لا
يتاخر عنها وجود الجهات لامكنتها وحركاتها بل الجهات تحصل بحركاتها فيجب ان يكون الجسم الذي
يتحدد الجهات اليه جسما متقدما عليها وتكون احدى الجهات بالطبع غاية القرب منه وهو الفوق
ويقابله غاية البعد منه وهو السفل وهذان بالطبع وساير الجهات لا تكون واجبة في الاجسام
بما هي اجسام بل بما هي حيوانات فيعتبر فيها جهة القدام الذي اليه الحركة الاختيارية واليمين الذي منه
مبدأ القوة والفوق اما بقياس فوق العالم واما الذي اليه اول حركة النشوء ومقابلاتها الخلف
واليسار محدودان بطرف البعد الذي الاولى ان يسمى طولا واليمين واليسار بما الاولى ان يسمى عرضا
والقدام والخلف بما الاولى ان يسمى عمقا

المقالة الثانية

المعلوم ان الاجسام تنقسم الى بسيط ومركب وان لكل جسم جزءا ما ضرورة فلا يخلو اما ان يكون كل جزء له
طبيعيا او منافيا الطبيعة او لا طبيعيا ولا منافيا او بعضه طبيعيا وبعضه منافيا يبطل ان
يكون جزء له طبيعيا لانه يلزم منه ان يكون مفارقة كل مكان لخارجا عن طبعه او التوجه الى كل مكان
له ملائما الطبعه وليس الامر كذلك فهو خلف ويبطل ان يكون كل جزء منافيا الطبعه لانه يلزم منه
ان لا يسكن جسم البتة بالطبع ولا يتحرك ابدا وكيف يسكن او يتحرك بالطبع وكل مكان منافي الطبعه
ويبطل ان يكون كل مكان لا طبيعيا ولا منافيا لانا اذا اعتبرنا الجسم على حالته وقدر ان نفي عنه
القواسر والعوارض فحينئذ لا بد له من جزء يختص به ويتميز اليه وذلك هو جزءه الطبيعي فلا يزال عنه
الا بقاسر وتبين القسم الرابع ان بعض الاجزاء طبيعي وبعضها غير طبيعي وكذلك نقول في الشكل
ان لكل جسم شكلا ما بالضرورة لستناهي حدوده وكل شكل فاما طبيعي له او بقسر قاسر واذا رفعت
القواسر بالتوهم واعتبرت الجسم من حيث هو جسم وكان في نفسه متشابه الاجزاء فلا بد ان يكون شكله
كريا لان فعل الطبيعة في المادة واحد متشابه فلا يمكن ان يفعل في جزء زاوية وفي جزء خطا مستقيما
او منحنيا فينبغي ان يتشابه الاجزاء فيجب ان يكون الشكل كريا واما المركبات فقد يكون اشكالها
غير كرية لاختلاف اجزائها فالاجسام السماوية كلها كرية واذا تشابهت اجزاؤها وقوة ما كان
جزءها الطبيعي وجمعها بالجملة فلا يتصور ارتفاع في مطين في عالمين ولا ناران في اقليمين بل لا تصور
عالمان لانه قد ثبت ان العالم باسره كري الشكل فلو قدرنا كريان احدهما يحيط بالاخر كان بينهما
خلاء ولا يتصل لان الاجزاء واحد لا ينقسم وقد تقدم استحالة الخلاء واما الحركة فمن المعلوم ان كل جسم

الفوق والسفل

اعتبر ذاته

متحركا واما ان يكون

من بعض

اعتبر فانه من غير عارض بل من حيث هو جسم في حيز فهو اما ان يكون ساكنا وذلك ما نعنيه بالحركة
الطبيعية والسكون الطبيعي فيقول ان كان الجسم بسيطا كانت اجزاؤه متشابهة واجزاؤه ما
يلاقيه واجزاء مكانه كذلك فلم يكن بعض الاجزاء اولى بان يختص ببعض اجزاء المكان فلم يجب ان يكون شيء
منها الطبيعيا فلا يمتنع ان يكون على غير ذلك الوضع بل في طباعه ان يزول عن ذلك الوضع اما لا
بالقوة وكل جسم لا ميل له في طبعه فلا يقبل الحركة عن سبب خارج فبالضرورة في طباعه حركة ما اما
لكله واما لاجزائه حتى يكون متحركا في الوضع بحركة الاجزاء واذا صح ان كل مائل يتحرك فيه مبدأ فيه
ميل ثم لا يخ اما ان يكون على الاستقامة او على الاستدارة والاجسام السماوية لا تقبل الحركة
المستقيمة كما سبق فهي متحركة على الاستدارة وقد بينا استدعاء حركاتها الى مباديها واما الكيف
فيقول اولا ان الاجسام السماوية ليست موادها مشتركة بل هي مختلفة بالطبع كما ان صورها
مختلفة ومادة الواحد منها لا يصلح ان يتصور بصورة الاخرى ولو امكن ذلك لقبلت الحركة
المستقيمة وهو يخ فلها طبيعة خامسة مختلفة بالنوع بخلاف طبائع العناصر فان مادتها
مشتركة وصورها مختلفة وهي تنقسم الى حار يابس كالنار والى حار رطب كالهواء والى بارد رطب كالماء
والى بارد يابس كالارض وهذه اعراض فيها لا صور وتقبل الاستحالة بعضها الى بعض اما احتاج الى
ويقبل النمو والذبول وتقبل الآثار من الاجسام السماوية **اما الكيفيات**
فالحرارة والبرودة فاعلتان فالحار هو الذي يغير جسما اخر بالتحليل والتخلخل بحيث يولم
الحاس منه والبارد هو الذي يغير جسما بالتعقيد والتكثيف بحيث يولم الحاس منه واما الرطوبة
واليبوسة فمنفعلتان فالرطب هو سهل القبول للتفريق والجمع والتشكيل والدفع
واليابس هو عسر القبول لذلك فبسائط الاجسام المركبة تختلف وتتمايز بهذه القوى
الاربع ولا يوجد شيء منها عديما لواحدة من هذه وليست هذه صورا مقومة للاجسام لكنها
اذا تركت طباعها ولم يمانعها مانع من خارج ظهر منها في اجرامها حرارة او برودة او رطوبة
او يبس كما انها اذا تركت وطباعها ولم يمنعها مانع ظهر منها اما سكون او ميل او حركة فلذلك
قيل قوة طبيعية وقيل النار حارة بالطبع والسماء متحركة بالطبع فاذا عرفت الاجسام
الطبيعية والاشكال الطبيعية والحركات الطبيعية والكيفيات الطبيعية وعرفت ان
اطلاق الطبيعة عليها باي وجه فيقول بعد ذلك ان العناصر قابلة للاستحالة والتغير
وبينهما مادة مشتركة والاعتبار في ذلك بالمشاهدة فانا نرى الماء العذب ينعقد حجرا

كذلك

Digitized by Google

جلدا والحجر يكلس فيعود رمادا وتدام الحيلة حتى يصير ماء فالمادة مشتركة بين الماء والارض ونشاهد
هواء صحوا يغلظ دفعة فيستحيل اكثره او كله ماء وبردا وثلجا وتضع الجمد في الكوز الصفر وتجد من الماء
المجتمع على سطحه كالقطر ولا يمكن ان يكون ذلك بالترشح لانه ربما كان ذلك حيث لا يماسه الجمد فكان فوق
مكانه ثم لا تجد مثله اذا كان حارا والكوز مملوا ويجتمع مثل ذلك داخل الكوز حيث لا يماسه الجمد وقد
يدفن القدح في جمد محفور حفرا معهدا عليه ويسد راسه فيجتمع فيه ماء كثير ولو وضع في الماء الحار
الذي يغلي مدة ويسد راسه لم يجتمع فيه شيء وليس ذلك الا لان الهواء الخارج او الداخل قد استحال ماء
فيتبين ان بين الماء والهواء مادة مشتركة وقد يستحيل الهواء نارا وهو ما نشاهد من آلات حاقنة
مع تحريك شديد على صورة المنافخ فيكون ذلك الهواء بحيث يشتعل في الخشب وغيره وليس ذلك
على طريق الانجذاب لان النار لا يتحرك الا على الاستقامة الى العلو ولا على طريق الكمون اذ يستحيل
ان يكون في ذلك الخشب من النار الكامنة ما له ذلك القدر الذي في الجمرة ولا يحرق الكمون اجمع لها
والمنتشر اضعف تاثيرا من المجتمع فتعين الهواء والنار مادة مشتركة ويقول ان العناصر قابلة للصغر
والكبر والتكاثف والتخلخل فيصير جسما اكبر من جسم من غير زيادة من خارج ويصير اصغر من غير نقصان
فبين الصغر والكبر مادة مشتركة اذ قد تحقق ان المقدار عرض في الهيولى والكبر والصغر اعراض في
الكميات وقد يشاهد ذلك اذا اغلي الماء تنفخ وتخلخل والخمر ينتفخ في الدن حتى يتصدع عند
الغليان وكذلك القمقمة الصياحة وهي اذا كانت مسدودة الراس مملوة بالماء فلو قدرت النار
تحتها انكسرت وتصدعت ولا سبب له الا ان الماء صار اكبر مما كان ولا جايز ان يقال ان النار
طلبت جهة الفوق بطبعها فانه كان ينبغي ان ترفع الاناء ويطيره لا ان تكسره واذا كان الاناء
صلبا خفيفا كان رفعه اسهل من كسره فتعين ان السبب انبساط الماء في جميع الجوانب ودفعه
سطح الاناء الجوانب فيفتق الموضع الذي كان اضعف وله امثلة اخرى تدل على ان المقدار يزيد
وينقص ويقول ان العناصر قابلة للتاثيرات السماوية اما آثارا محسوسة مثل الفواكه ومد البحار واظهرها
الضوء والحرارة بواسطة الضوء والتحريك الى فوق بتوسط الحرارة والشمس ليست بحارة ولا متحركة
الى فوق وانما تاثيراتها معدات للمادة في قبول الصورة من واهب الصور عز اسمه وجل ثناؤه وقد
للقوى الفلكية تاثيرات خارجة من العناصر والا فكيف يبرد الافيون اكثر مما يبرد الماء والجزء
البارد فيه مغلوب بالتركيب مع الاضداد فكيف يفعل ضوء الشمس في عيون العشب والنبات بادنى
تسخين ما لا تفعله النار بتسخين يكون فوقه فتبين ان العناصر كيف قبلت الاستحالة والتغير

انه هواء اشتعل نارا فبين صح

يكون صح

والتاثر

والنار وبين ما لها بالعنصر والجوهر **المقالة الثالثة في المركبات**

والآثار العلوية قال ان العناصر الاربعة عناصر لا توجد كلها صرفة بل يكون فيها اختلاط وهيهنا ابن سينا

ان يكون النار ابسطها في موضعها ثم الارض يا النار فلان ما يخالطها يستحيل اليها الفوقانية واما الا

فلان نفوذ قوى ما يحيط بها في كليتها باسرها كالقليل وعسى ان يكون باطنها القريب من المركز بقرب

من البساطة ثم الارض على طبقات الطبقة القريبة من المركز والثانية الطين والثالثة بعضه ماء

وبعضه طين جففته الشمس وهو البر والسبخي ان الماء غير محيط بالارض ان الارض تنقلب ما يحصل

وهدة والماء يستحيل ارضا فيحصل ربوة والارض صلب ليس يسيل كالماء والهواء حتى ينصب

بعض ويتشكل بالاستدارة واما الهواء فهو اربع طبقات طبقة تلي الارض فيها ما ثبته من البخار و بعض اجزائه الى

حرارة لان الارض تقبل الضوء من الشمس فيحمى فينعكس الحرارة ما يجاورها وطبقة لا تخلو عن رطوبة

بخارية ولكن اقل حرارة وطبقة هواء صرف صاف وطبقة دخانية لان الادخنة ترتفع الى الهواء

وتقصد مركز النار فانها طبقة واحدة فيكون كالمنتشر في السطح الاعلى من الهواء الى ان يصعد

فتحترق واما النار فانها طبقة واحدة ولا ضوء لها بل هي كالهواء المشف الذي لا لون له فان ذا

لون النار فهي بما يخالطها من الدخان صبغات ذات لون ثم فوق النار الاجرام العالية الفلكية

والعناصر طبقاتها طوعها والكائنات الفاسدات تولد من تاثيرها والفلك وان لم يكن

حارا ولا باردا فانه ينبعث منه في الاجرام السفلية حرارة وبرودة بقوى يفيض منه اليها وشاهد

هذا من احراق شعاعه المنعكس من المرائي ولو كان سبب الاحراق حرارة الشمس دون شعاعها لكان كل

ما هو اقرب الى العلو اسخن بل سبب الاحراق التفاف شعاع الشمس المسخن لما يلتف به فيفيض

الهواء فالفلك اذ هيج باسخانه الحرارة يحمر من الاجسام المائية ودخن من الاجسام الارضية

واثار شبيها بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية والبخار اقل صعودا من الدخان

لان الماء اذا سخن كان حارا رطبا والاجزاء الارضية اذا سخنت ولطفت كانت حارة يابسة والحار

الرطب اقرب الى طبيعة الهواء والحار اليابس اقرب الى طبيعة النار والبخار لا يجاوز مركز الهواء بل ان

وافى منقطع تاثير الشعاع برد وكثف والدخان فانه ينعكس جزء الهواء حتى يوافي نجوم النار واذا جمعها

حدث كاينات اخر فالدخان اذا وافى جزء النار اشتعل واذا اشتعل فربما سعى فيه الاشتعال

فرؤي كانه كوكب يشتعل وربما احترق وثبت فيه الاحتراق فرؤيت العلامات الهابلة الحمر

والسود وربما كان غليظا ممتدا وثبت فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار الدائرة

بدوران الفلك وكان ذنبا له وربما كان عريضا فرؤي كانه لحية كوكب وربما حميت الادخنة في
برد الهواء للتعاقب المذكور فانضغطت مشتعلة وان بقي شيء من الدخان في تضاعيف الغيم وبرد صار
ريحا وسط الغيم فتحرك عنه بشدة ويحصل منه صوت يسمى الرعد وان قويت حركته وتحريكه
اشتعل من حرارة الحركة والهواء والدخان فصار نارا مضيئة يسمى البرق وان كان المشتعل كثيفا
ثقيلا محرقا اندفع بمصادمات الغيم الى جهة الارض فيسمى صاعقة ولكنها نار لطيفة تنفذ في
الثياب والاشياء الرخوة ويتصدم بالاشياء الصلبة كالذهب والحديد فتذيبه حتى يذيب
الذهب في الكيس ولا تحرق الكيس وتذيب ذهب المراكب ولا تحرق السير ولا يخلو برق عن رعد لانهما
جميعا عن الحركة ولكن البصر احد فقد يرى البرق ولا ينتهي الصوت الى السمع وقد يرى متقدما
ويسمع متاخرا واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا ويتراكم ويكثر مدته في اقصى الهواء
عند المنقطع الشعاع فيبرد ويكثف ويقطر ويكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه
ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا وينزل كما يوافيه برد الليل سريعا قبل ان يتراكم سحابا
وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني السحاب فينزل ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم
في الاعالي اعني مادة الطل فنزل وكان صقيعا وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء فكان
بردا وانما كان جموده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن
خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء واجمده شدة البرودة وربما
يتكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا ثم ربما وقع على صقيل الظاهر
من السحاب صور النيرات كما يقع في المرائي والجدران الثقيلة فيرى زلت على احوال مختلفة
بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وبعدها من الراي وصفائها وكدرها واستوائها ورشها
وكثرتها وقلتها فيرى هالة وقوس قزح وشموسا وشهبا فالهالة تحدث عن انعكاس البصر عن الرش
المطيف بالنير الى حيث يكون الغمام المتوسط لا يخفى النير فيرى دائرة كانه منطقة محورها
الخط الواصل بين الناظر وبين النير وما في داخلها ينفذ عنه البصر الى النير ويريه غالبا على اجزاء
الرش يجعلها كانها غير موجودة وكان الغالب هناك هواء شفاف واما القوس فان الغمام يكون في خلاف
جهة النير فتنعكس الزوايا عن الرش الى النير بل الناظر اقرب الى النير منه من الناظر الى المراة فتقع
الدائرة التي هي كالمنطقة ابعد من الناظر الى النير فان كانت الشمس على الافق كان الخط المار
بالناظر على بسيط الافق وهو المحور فيوجب ان يكون سطح الافق يقسم المنطقة بنصفين فيرى

وكان صح

واضوائها صح

لا بين الناظر والنير صح

Digitized by Google

القوس نصف دائرة فان ارتفعت الشمس انحفظ الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة الموهومة
اقل من نصف دائرة وانما تحصل الالوان على الجهة الشافية فانه لم يستبن لي بعد والسحب ربما تفرقت
وذابت فصارت ضبابا وربما اندفعت بعد التلطف الى اسفل فصارت رياحا وربما هاجت
الرياح لاندفاع فيضها من جانب الى جهة وربما هاج لانبساط الهواء بالتخلخل عند جهة واندفاعه الى اخرى
واكثر ما يهيج لبرد الدخان المتصعد المجتمع الكثير ونزوله فان مبادي الرياح فوقانية وربما
عطفها مقاومة الحركة الدورية التي تتبع الهواء العالي فانقطعت رياحا والسموم ما كان منها محترقا
واما الابخرة داخل الارض فتميل الى جهة فتبرد فتستحيل ماء فتصعد بالمد فتخرج عيونا وان
لم تدعها السخونة تبرد وكثرت وغلظت فلم تنفذ في مجاري مستحصفة فاجتمعت واندفعت بمرة
فتزلزلت الارض فخسفت وقد تحدث الزلزلة من تساقط اعالي وهدة في باطن الارض فيموج
بها الهواء المحتقن واذا احتبست الابخرة في باطن الجبال والكهوف يتولد منها الجواهر اذا وصل اليها
من سخونة الشمس وتاثير الكواكب حظ وذلك بحسب اختلاف المواضع والازمان والمواد فمن الجواهر
ما هو قابل للاذابة والطرق كالذهب والفضة ويكون قبل ان يصلب زيبقا ونفطا وانطراقها
لحيوة رطوبتها ولعصيانها الجمود التام ومنها لا يقبل ذلك وقد يكون من العناصر اكوان ايضا
بسبب القوى الفلكية اذا امتزجت العناصر امتزاجا اكثر اعتدالا من المعادن فيحصل في المركب
قوة غاذية وقوة نامية وقوة مولدة وهذه القوى متمايزة بخصايصها **المقالة**
الرابعة في النفوس وقواها اعلم ان النفس كجنس واحد ينقسم ثلثة اقسام احدها
النباتية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد ويربو ويغتذي والغذاء جسم من شانه ان
يتشبه بطبيعة الجسم الذي قيل انه غذاؤه ويزيد فيه مقدار ما يتحلل او اكثر او اقل والثاني النفس
الحيوانية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزويات ويتحرك بالارادة والثالث
النفس الانسانية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار
الفكري والانبساط والاستنباط بالراي ومن جهة ما يدرك الامور الكلية وللنفس النباتية قوى
ثلث الغاذية وهي القوة التي تحيل جسما اخر الى مشاكلة الجسم الذي هي فيه فيلصقه به بدل ما
يتحلل عنه والقوة المنمية وهي قوة تزيد في الجسم الذي هي فيه بالجسم المتشبه زيادة في اقطاره
طولا وعرضا وعمقا بقدر الواجب ليبلغ به كماله في النشو والقوة المولدة وهي التي تاخذ من الجسم الذي
هي فيه جزؤ هو شبيه له بالقوة فيفعل فيه باستمداد اجسام اخر يتشبه به من التخليق والتمزيج

Digitized by Google

ما يصير شبيها به بالفعل فللنفس النباتية ثلث قوى وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة و
المحركة على قسمين اما محركة بانها باعثة واما محركة بانها فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية الشوقية
وهي القوة التي اذا ارتسمت في التخيل بعد صورة مطلوبة او مهروب عنها حملت القوة التي تدركها
على التحريك ولها شعبتان شعبة تسمى شهوانية وهي قوة تبعث على تحريك يقرب به من الاشيا
المتخيلة ضرورية او نافعة طلبا للذة وشعبة تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك يدفع
به الشيء المتخيل ضارا او مفسدا طلبا للغلبة واما القوة على انها فاعلة فهي قوة تنبعث في الاعصاب
والعضلات من شانها ان تشنج العضلات فتجذب الاوتار والرباطات الى جهة المبدا او تراخيها
او تمددها طولا فتصير الاوتار والرباطات الى خلاف جهة المبدا واما القوة المدركة فينقسم قسمين
احدهما قوة تدرك من خارج وهي الحواس الخمس او الثمانية فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة
تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام من ذوات اللون المتادية في الاجسام الشفافة
بالفعل الى سطوح الاجسام الصقيلة ومنها السمع وهي قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ
تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوما له انضغاطا بعنف
يحدث منه تموج فاعل للصوت يتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ وبموجه يشكل
نفسه وتماس امواج تلك الحركة العصبية فيسمع ومنها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ
الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك ما يؤدي اليه من الهواء المستنشق من الرائحة المخالطة لبخار الدماغ
او المنطبع فيه بالاستحالة من جرم ذي رائحة ومنها الذوق وهو قوة مرتبة في العصب المفروش على
جرم اللسان تدرك الطعوم المتحللة من الاجسام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي فيه
فتخيله ومنها اللمس وهي قوة منبثة في جلد البدن كله ولحمه فاشية فيه والاعصاب تدرك ما تماسه
ويؤثر فيه بالمضادة ويغيره في المزاج او الهيئة ويشبه ان تكون هذه القوة لا نوعا بل جنسا لاربع
قوى منبثة معا في الجلد كله حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد والثانية حاكمة في التضاد الذي
بين الصلب واللين والثالثة حاكمة في التضاد الذي بين الرطب واليابس والرابعة حاكمة في التضاد الذي
بين الخشن والاملس الا ان اجتماعها معا في آلة واحدة توهم تاحدها في الذات والمحسوسات كلها تتادى
الى آلات الحس وتنطبع فيها فتدركها القوة الحاسة والقسم الثاني قوى تدرك من باطن فمنها ما
يدرك صور المحسوسات ومنها ما يدرك معاني المحسوسات والفرق بين القسمين هو ان الصورة هو الشيء
الذي تدركه النفس الناطقة والحس الظاهر معا ولكن الحس يدركه اولا ويؤدي الى النفس مثل ادراك

الشاة صورة الذئب واما المعنى فهو الشيء الذي تدركه النفس من المحسوس من غير ان يدركه الحس اولا مثل
ادراك الشاة المعنى المضاد في الذئب الموجب لخوفها منه وهربها عنه ومن المدركات الباطنة
ما يدرك ويفعل ومنها ما يدرك ولا يفعل والفرق بين القسمين ان الفعل هو ان تركب بعض الصور
والمعاني المدركة بعضها مع بعض وتفصله عن بعض فيكون ادراك وفعل ايضا فيما ادرك والادراك لا مع
الفعل هو ان تكون الصورة او المعنى ترتسم في القوة فقط من غير ان يكون لها فعل وتصرف فيه ومن
المدركات الباطنة ما يدرك اولا ومنها ما يدرك ثانيا والفرق بين القسمين ان ادراك الاول هو ان
يكون حصول الصورة على نحو ما من الحصول قد وقع للشيء من نفسه والادراك الثاني هو ان يكون
حصولها من جهة شيء اخر ادى اليها ثم القوة الباطنة المدركة الحيوانية قوة بنطاسيا وهو الحس المشترك
وهي قوة مرتبة في التجويف الاول من مقدم الدماغ تحفظ ما قبله تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة
في الحواس الخمس متادية اليه ثم الخيال والمصورة وهي قوة مرتبة في آخر التجويف المقدم من الدماغ
تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس ويبقى فيها ما بعد غيبة المحسوسات والقوة التي تسمى متخيلة
بالقياس الى النفس الانسانية فهي قوة مرتبة في التجويف الاوسط من الدماغ عند الدودة
من شانها ان تركب بعض ما في الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ثم القوة الوهمية
وهي قوة مرتبة في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الغير المحسوسة الموجودة
في المحسوسات الجزوية كالقوة الحاكمة بان الذئب مهروب عنه وان الولد معطوف عليه ثم القوة
الحافظة الذاكرة وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية
من المعاني الغير المحسوسات ونسبة الحافظة الى الوهمية كنسبة الخيال الى الحس المشترك الا ان
ذلك في المعاني وهذا في الصور فهذه خمس قوى الحيوانية واما النفس الناطقة فتنقسم قواها
ايضا الى قوة عالمة وقوة عاملة وكل واحدة من القوتين يسمى عقلا باشتراك الاسم فا
لعاملة هي قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الافاعيل الجزئية الخاصة بالروية على
مقتضى آراء يخصها اصطلاحية ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية و
اعتبار بالقياس الى نفسها وقياسها الى النزوعية ان يحدث منها فيها صفات تخص الانسان
بتهيئتها لسرعة فعل وانفعال ~~الى القوة المتخيلة والمتوهمة واعتبار بالقياس~~ مثل الخجل
والحياء والضحك والبكاء وقياسها الى المتخيلة والمتوهمة واعتبار هو ان يستعملها في
استنباط التدابير في الامور الكائنة الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية

الى النفس الحيوانية و
تسمى مفكرة بالقياس
م

المحسوسة في م

القوة المتخيلة والمتوهمة
واعتبار بالقياس م

Digitized by Google

وقياسها الى نفسها ان فيما بينها وبين العقل يتولد الاراء الذايعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح والصدق
حسن وهذه القوى التي يجب ان تسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توجبه احكام القوة العاقلة
حتى لا ينفعل عنها البتة بل تنفعل عنه فلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة
من الامور الطبيعية وهي التي تسمى اخلاقا رذيلة بل يحدث في القوى البدنية هيئات انقيادية لها
وتكون متسلطة عليها واما القوة العالمة النظرية فهي قوة من شانها ان تنطبع بالصور الكلية
المجردة عن المادة فان كانت مجردة بذاتها فذاك وان لم تكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها حتى
لا يبقى فيها من علايق المادة شيء ثم لها الى هذه الصور نسب وذلك ان الشيء الذي من شانه ان يقبل
شيئا قد يكون بالقوة قابلا له وقد يكون بالفعل والقوة على ثلثة اوجه قوة مطلقة هيولانية
وهو الاستعداد المطلق من غير فعل ما كقوة الطفل على الكتابة وقوة ممكنة وهو استعداد مع
فعل ما كقوة الطفل بعد ما تعلم بسايط الحروف وقوة تسمى ملكة وهي قوة لهذا الاستعداد
اذا تم بالآلة وقد يكون له ان يفعل متى شاء بلا حاجة الى اكتساب فالقوة النظرية قد تكون نسبتها
الى الصور نسبة الاستعداد المطلق وتسمى عقلا هيولانيا واذا حصل فيها من المعقولات الاولى
التي يتوصل بها الى المعقولات الثانية فتسمى عقلا بالفعل فاذا حصل فيها من المعقولات الثانية
المكتسبة وصارت مخزونة له بالفعل متى شاء طالعها فان كانت حاضرة عنده بالفعل تسمى
عقلا مستفادا وان كانت مخزونة تسمى عقلا بالملكة وههنا ينتهي النوع الانساني ويتشبه
بالمبادي الاول للوجود كله وللناس مراتب في هذا الاستعداد فقد يكون عقلا شديد الاستعداد
حتى لا يحتاج في ان يتصل بالعقل الفعال الى كثير شيء من تخريج وتعليم حتى كانه يعلم كل شيء من نفسه
لا تقليدا بل بترتيب يشتمل على حدود وسطى فيه اما دفعة في زمان واحد واما دفعات في ازمنة
شتى وهي القوة القدسية التي تناسب روح القدس فيفيض عليها منه جميع المعقولات او ما
يحتاج اليه في تكميل القوة العملية فالدرجة العليا منها النبوة وربما يفيض عليها وعلى المتخيلة
من روح القدس معقول تحاكيه المتخيلة بامثلة محسوسة او بكلمات مسموعة فيعبر عن الصورة
بملك في صورة رجل وعن الكلام بوحي في صورة عبارة

المقالة الخامسة

في ان النفس الانسانية جوهر ليس بجسم ولا قائم بجسم وان ادراكها قد يكون بآلات وقد يكون
بذاتها وانها واحدة وقواها كثيرة وقد يكون ادراكها بذاتها وانها حادثة مع حدوث البدن
وباقية بعد فنائه اما البرهان على ان النفس ليس بجسم هو انا نحس من ذواتنا ادراكا معقولا مجردا

اياها صح

لا بالات صح

Digitized by Google

عن المواد وعوارضها اعني الكم والاين والوضع اما الان المدرك لذاته كذلك كالعلم بالوحدة والعلم
بالوجود مطلقا واما الان العقل جرده عن العوارض كالانسان مطلقا فيجب ان ينظر في ذات هذه الصور
المجردة كيف هي في تجردها اما بالقياس الى شيء ماخوذ عنه ام بالقياس الى مجرد الاخذ ولا شك انها با
لقياس الى الماخوذ عنه ليست مجردة فبقي انها مجردة عن الوضع والاين عند وجودها في العقل والجسم
ذو وضع واين وما لا وضع له لا يحل بما له وضع واين وهذه الطريقة اقوى الطرق فان الشيء با
لمعقول الواحد الذات المجردة عن المادة لا يخ اما ان يكون له نسبة الى بعض الاجزاء دون بعض فيحل في
جهة دون جهة حتى يكون متيامنا او متياسرا بالنسبة الى المحل او يكون نسبته الى الكل نسبة واحدة
او لا يكون لها نسبة اليه ولا له الى جميع الاجزاء فان ارتفعت النسبة من كل وجه ارتفع الحلول في جملة
الجسم او في جزء من اجزائه وان تحققت النسبة صار الشيء المعقول ذا وضع وقد وضع غير ذي وضع وهذا
خلف وبرهان ان الصور المنطبعة في المادة لا تكون الا اشباحا لامور جزوية منقسمة ولكل جزء
منها نسبة بالفعل او بالقوة الى جزء منها وايضا فان الشيء المتكثر في اجزاء الحد له من جهة التمام وحدة
هو بها لا ينقسم فثلث الوحدة بما هي وحدة كيف ترتسم في منقسم وايضا من شان القوة الناطقة
ان تعقل بالفعل واحدا واحدا من المعقولات غير متناهية بالقوة ليس واحد اولى من الاخر وقد صح
لنا ان الشيء الذي يقوى على امور غير متناهية بالقوة لا يجوز ان يكون محله جسما ولا قوة في جسم
ومن الدليل القاطع على ان محل المعقولات ليس بجسم ان الجسم ينقسم بالقوة بالضرورة وما لا ينقسم
لا يحل في منقسم والمعقول غير منقسم فلا يحل المنقسم اما ان الجسم منقسم فقد دللنا عليه واما ان
المعقول المجرد لا ينقسم فقد فرغنا عنه واما ان ما لا ينقسم لا يحل منقسما فانا لو قسمنا المحل فلم يخ
اما ان يبطل الحال فيه وهذا كذب او لا يبطل ولا يخ اما ان يبقى حالا في بعضه كما كان حالا في
كله وهذا محال فانه يجب ان يكون حكم البعض حكم الكل واما ان ينقسم بانقسام محله وقد فرض غير منقسم
ثم لو فرض انقسام الحال فيه لا يخ اما ان يكون اجزاؤه متشابهة كالشكل المعقول والعدد وليس
كل صورة معقولة شكل وتكون الصورة المعقولة خيالية لا عقلية صرفة واظهر من ذلك انه
ليس يمكن ان يقال ان كل واحد من الجزءين هو بعينه الكل في المعنى وان كانا غير متشابهين مثل اجزاء
الحد من الجنس والفصل فيلزم منه محالات منها ان كل جزء من الجسم ينقسم ايضا فيجب ان يكون الفصول
والاجناس غير متناهية وهذا باطل وايضا فانه ان وقع الجنس في جانب والفصل في جانب ثم
لو قسمنا الجسم ثانيا لكان يجب ان يقع نصف الجنس في جانب ونصف الفصل وهو محال ثم ليس احد

في جانبه

Digitized by Google

الجزئين ليس اولى بقبول الجنس منه لقبول الفصل وايضا ليس كل معقول يمكن ان ينقسم الى معقولات ابسط
فان ههنا معقولات هي ابسط المعقولات ومبادئ التركيبات في سائر المعقولات وليس لها الجنس
ولا فصول ولا انقسام في الكم ولا في المعنى فتبين بهذه الجملة ان محل المعقولات ليس بجسم ولا قوة في جسم
فهو اذن جوهر معقول علاقته مع البدن لا علاقة حلول ولا علاقة انطباع بل علاقة التدبير والتصرف
وعلاقته من جهة العلم الحواس الباطنة المذكورة وعلاقته من جهة العمل القوى الحيوانية المذكورة
فيتصرف في البدن وله فضل خاص يستغني به عن البدن وقواه فان من شأن هذا الجوهر ان يعقل ذاته و
يعقل انه عقل ذاته وليس بينه وبين ذاته علاقة ولا بينه وبين آلته آلة فان ادراك الشيء لا
يكون الا بحصول صورته حاضرة فيه وما يقدر آلته من قلب او دماغ لا يخلو اما ان تكون صورته بعينها
حاصلة للعقل حاضرة واما ان صورة غيرها بالعدد حاصلة وباطل ان يكون صورة الآلة حاضرة
بعينها فانها في نفسها حاصلة ابدا فيجب ان يكون ادراك العقل لها حاصلا ابدا وليس الامر كذلك
فانه تارة يعقل وتارة يعرض عن الادراك والاعراض عن الحاضر محال وباطل ان يكون الصورة غيرها الا
بالعدد فانها اما ان تحل في نفس القوة من غير مشاركة الجسم فيدل ذلك على قائمة بنفسها وليست في
الجسم واما بمشاركة الجسم حتى يكون هذه الصورة المغايرة في نفس القوة العقلية وفي الجسم الذي هو الآلة
فيؤدي الى اجتماع صورتين متماثلتين في جسم واحد وهو محال والمغايرة بين اشياء تدخل في حد واحد
اما لاختلاف المواد او لاختلاف ما بين الكلي والجزئي وليس هذان الوجهان فيثبت انه لا يجوز ان
يدرك المدرك آلته هي آلته في الادراك ولا يختص ذلك بالعقل فان الحس انما يحس شيئا خارجا ويحس
ذاته ولا آلته ولا احساسه فكذلك الخيال لا يتخيل ذاته ولا فصله ولا آلته ولهذا ان القوة
الدراكة بانطباع الصور في الآلات يعرض لها الكلال من ادامة العمل والامور القوية الشاقة
الادراك توهنها وربما تفسدها كالضوء الشديد للبصر والرعد القوي للسمع وكذلك عند
ادراك القوي لا تقوى على ادراك الضعيف والامر في القوة العقلية بالعكس فان ادامتها للفعل
وتصورها الامور الاقوى يكسبها قوة وسهولة وان عرض لها كلال وملال فلاستعانة العقل
بالخيال على ان القوة الجسمانية الحيوانية ربما تعين النفس الناطقة في اشياء منها ان يورد الحس
عليها جزئيات الامور فيحدث لها امور اربعة احدها انتزاع النفس الكليات المفردة عن الجزئيات
على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائقها ولواحقها ومراعاة المشترك فيه والمتباين في الذاتي
وجوده والعرضي فيحدث للنفس من ذلك مبادئ التصور وذلك بمعاونة استعمال الخيال والوهم

فلا يتوهم منها الجزء
متشابهة

والثاني ايقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثال سلب وايجاب فما كان التأليف
منها بسلب وايجاب ذاتيا بينا لنفسه اخذه وما كان ليس كذلك تركه الى ان يصادف الواسطة والثالث
تحصيل المقدمات التجربية بان يوجد بالحس محمول لازم الحكم لموضوع او تالي لازم لمقدم فيحصل
له اعتقاد مستفاد من حس وقياس ما والرابع الاخبار التي يقع بها التصديق لشدة التواتر
فالنفس الانسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادي للتصور والتصديق واما اذا استكملت
النفس وقويت فانها تنفرد بافاعيلها على الاطلاق وتكون القوى الحسية والخيالية وغيرها
صارفة لها من فعلها وربما تصير الوسايط والاسباب عوائق قال واما الدليل على ان النفس
الانسانية حادثة مع حدوث البدن انها متفقة في النوع والمعنى فان وجدت قبل البدن فاما ان
تكون متكثرة الذوات او تكون ذاتا واحدة ومحال ان تكون متكثرة الذوات فان تكثرها اما
ان تكون من جهة المهية والصورة واما ان تكون من جهة النسبة الى العنصر والمادة وبطل الاول لان
صورتها واحدة وهي متفقة في النوع والمهية لا يقبل اختلافا ذاتيا وبطل الثاني لان
البدن والعنصر فرض غير موجود قال ومحال ان تكون واحدة الذات لانه اذا حصل بدنان حصلت
فيهما نفسان فاما ان يكونا قسمي تلك النفس الواحدة وهو مح لان ما ليس له عظم وحجم لا يكون منقسما
واما ان تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين وهذا لا يحتاج الى كثير تكلف في ابطاله فقد صح ان النفس
تحدث كما يحدث البدن الصالح لاستعماله اياه وقد يكون البدن الحادث مملكته والته ويكون
في هيئة جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن استحقه نزاع طبيعي الى الاشتغال به واستعماله
والاهتمام باحواله والانجذاب اليه يخصه ويصرفه عن كل الاجسام غيره بالطبع الا بواسطته واما
بعد مفارقة البدن فان الانفس قد وجد كل واحد منها ذاتا متفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف
ازمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التي بحسب ابدانها المختلفة لا محالة باحوالها ولانها لا تموت
بموت البدن لان كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق فاما ان يكون تعلقه
به تعلق المكافي في الوجود وكل واحد منهما جوهر قائم بنفسه فلا تؤثر المكافات في الوجود في فساد
احدهما بفساد الثاني لانه امر اضافي وفساد احدهما يبطل الاضافة لا الذات واما ان يكون تعلقه به
تعلق المتاخر في الوجود فالبدن علة للنفس والعلل اربع فلا يجوز ان يكون علة فاعلية فان
الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئا الا بقواه والقوى الجسمانية اما اعراض او صور مادية فمحال ان
يفيد امر قائم بالمادة وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادة ولا يجوز ان تكون علة قابلية فقد

منها ذاتا مع

Digitized by Google

بينا ان النفس ليست منطبعة في البدن ولا يجوز ان تكون علة صورية او كالية فاذن الاولى ان يكون
الامر بالعكس فاذا تعلق النفس بالبدن ليس تعلقا على انه علة ذاتية لها ثم البدن والمزاج علة بالعرض
للنفس فانه اذا حدث بدن يصلح ان يكون آلة النفس ومملكة لها احدث العلل المفارقة للنفس الجزئية
فان احداثها بلا سبب يخصص احداث واحد دون واحد يمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ولان
كل كائن بعد ما لم يكن يستدعي ان يتقدمه مادة يكون مادة فيها تهيؤ قبوله او تهيؤ نسبته اليه
كما تبين ولانه لو كان يجوز ان يكون النفس الجزئية تحدث ولم يحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل
لكانت معطلة الوجود ولا شيء معطل في الطبيعة ولكن اذا حدث التهيؤ والاستعداد في الآلة
حدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس اذا وجب حدوث شيء من حدوث شيء وجب ان
يبطل مع بطلانه واما القسم الثالث مما ذكرناه هو ان تعلق النفس بالجسم تعلق التقدم فما
المتقدم ان كان بالزمان فيستحيل ان يتعلق وجوده به وقد تقدمه في الزمان وان كان بالذات
فليس فرض عدم المتاخر يوجب عدم المتقدم على ان فساد البدن بامر يخصه من تغير المزاج والتركيب
ليس ذلك مما يتعلق بالنفس فبطلان البدن لا يقتضي بطلان النفس ويقول ان شيئا اخر لا
تفسد النفس ايضا بل هي في ذاتها لا تقبل الفساد لان كل شيء من شانه ان يفسد بامر ما ففيه
قوة ان يفسد وفعل ان يبقى تهيؤ للفساد شيء وفعله البقاء شيء اخر فالاشياء المركبة يجوز
ان يجتمع فيها الامران لوجهين اما البسيط فلا يجوز ان يجتمع فيها ومن الدليل على ذلك ان كل
شيء يبقى وله قوة ان يفسد فله قوة ان يبقى ايضا لان بقائه ليس بواجب ضرورة واذا لم يكن
واجبا كان ممكنا والامكان هو طبيعة القوة فاذن يكون له في جوهره قوة ان يبقى فيكون بفعل
ان يبقى منه امرا يعرض للشيء الذي له قوة ان يبقى فذلك الشيء الذي له القوة على البقاء وفعل
البقاء امر مشترك له فعل البقاء كالصورة وقوة البقاء كالمادة مركبا من مادة وصورة وقد
فرضناه واحدا فرذا هو خلف فتبين ان كل امر بسيط فغير مركب فيه قوة ان يعدم باعتبار ذاته
والفساد لا يتطرق الا الى المركبات واذا تقرر ان البدن اذا تهيأ واستعد استحق من واهب
الصور نفسا مدبرة ولا يختص هذا ببدن دون بدن بل كل بدن حكمه كذلك فاذا استحق النفس
وقارنته في الوجود فلا يجوز ان يتعلق به نفس اخرى لانه يؤدي الى ان يكون لبدن واحد نفسان
وهو محال فالتناسخ اذا باطل

وقبل الفساد فيه فعل ان يبقى ومحال ان يكون من جهة واحدة في شيء واحد قوة ان يفسد

فيكون مع ان يبقى وفعل ان يبقى بل ليس فيه قوة

المقالة السادسة

في وجه خروج الخارج العقل النظري من القوة الى الفعل واحوال خاصة بالنفس الانسانية

من الرؤيا الصادقة والكاذبة وادراكها علم الغيب ومشاهدتها صورا لا وجود لها من خارج من تلك
الوجوه ومعنى النبوة والمعجزات وخصائصها التي تتميز بها عن الخارق اما الاول قال قد بينا
ان النفس الانسانية لها قوة هيولانية اي استعداد لقبول المعقولات بالفعل وكل ما خرج من
القوة الى الفعل فلا بد له من سبب يخرجه الى الفعل وذلك السبب يجب ان يكون موجودا بالفعل
فانه لو كان موجودا بالقوة لاحتاج الى مخرج اخر فاما ان يتسلسل او ينتهي الى مخرج هو موجود بالفعل
لا قوة فيه فلا يجوز ان يكون ذلك جسما لان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة امر بالقوة
فهو اذا جوهر مجرد عن المادة وهو العقل الفعال وانما سمي فعالا بازاء كون العقول الهيولانية
منفعلة وقد سبق اثباته في الالهيات من وجه اخر وليس يختص فعله بالعقول والنفوس بل
وكل صورة تحدث في العالم فانما هي من فيضه العام فيعطي كل قابل ما استعد له من الصور واعلم
ان الجسم قوة في جسم لا يوجد شيئا فان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة طبيعتها عدمية
فلو اثر الجسم لاثر بمشاركة المادة وهي عدم والعدم لا يؤثر في الوجود فالعقل الفعال هو المجرد
عن المادة عن كل قوة فهو بالفعل من كل وجه واما الثاني من الاحوال الخاصة بالنفس النوم والرؤيا
فالنوم غور القوى الظاهرة في اعماق البدن وانحناس الارواح من الظاهر الى الباطن بمعنى
بالارواح ههنا اجساما لطيفة مركبة في بخار الاخلاط التي منبعها القلب وهي مراكب القوى
النفسانية والحيوانية ولهذا اذا وقعت سدة في مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس
وحصل الصرع والسكتة فاذا ركدت الحواس وقدت بسبب من الاسباب بقيت النفس فارغة
عن شغل الحواس لانها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما يورد الحواس عليها فاذا وجدت فرصة الفراغ و
ارتفع عنها المانع استعدت لابصار الجواهر الروحانية الشريفة العقلية التي فيها نقش الموجودات
كلها فانطبع في النفس ما في تلك الجواهر من صور الاشياء لا سيما ما يناسب اغراض الرائي ويكون
انطباع تلك الصور في النفس كانطباع صورة في مرآة من مرآة فان كانت الصور جزئية
وقعت من النفس في المصورة وحفظتها الحافظة على وجهها من غير تصرف المتخيلة صدقت
الرؤيا ولا يحتاج الى تعبير وان وقعت في المتخيلة حاكت ما يناسبها من الصور المحسوسة
وهذه تحتاج الى تعبير وتاويل ولما لم تكن تصرفات الخيال مضبوطة واختلفت باختلاف
الاشخاص والاحوال اختلف التعبير واذا خيلت تحركت المتخيلة المتحركة منصرفة عن عالم
العقل الى عالم الحس اختلطت تصرفاتها كانت الرؤيا اضغاث احلام لا تعبير لها وكذلك

Digitized by Google

لو غلبت على المزاج احدى الكيفيات الاربع راى في المنام احوالا مختلطة واما الثالث في ادراك علم
الغيب في اليقظة ان بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس ولا تمتنع بل يتسع بقوته للنظر
الى عالم العقل والحس جميعا فيطلع الى عالم الغيب فيظهر له بعض الامور مثل البرق الخاطف ويبقى
المتصور المدرك في الحافظة بعينه وكان ذلك وحيا صريحا وان وقع في المتخيلة واشتغلت
بطبيعة المحاكات كان ذلك مفتقرا الى التاويل واما الرابع في مشاهدة النفس صورا محسوسا
لا وجود لها وذلك ان النفس تدرك الامور الغائبة ادراكا قويا فيبقى عين ما ادركته في الحفظ
وقد يقبله قبولا ضعيفا فتستولي عليه المتخيلة فتحاكيه بصورة محسوسة واستتبعت
الحس المشترك وانطبعت الصورة في الحس المشترك سراية اليه من المصورة والمتخيلة والابصار
وهو وقوع صورة في الحس المشترك فسواء وقع فيه امر من خارج بواسطة البصر او وقع فيه امر من
داخل بواسطة الخيال كان ذلك محسوسا فمنه ما يكون من قوة النفس وقوة آلات الادراك
ومنه ما يكون من ضعف النفس والآلات واما الخامس فالمعجزات والكرامات قال خصائص
المعجزات ثلث خاصية في قوة النفس وجوهرها لتؤثر في هيولى العالم بازالة صورة وايجاد صورة
وذلك ان الهيولى منقادة لها لتاثير النفوس الشريفة المفارقة مطيعة لقواها السارية
في العالم وقد تبلغ نفس انسانية في الشرف الى حد يناسب تلك النفوس فتفعل فعلها وتقوى
على ما قويت هي فيزيل جبلا عن مكانه وتذيب جوهرا مائيا فيستحيل ماء وتجمد جسما سائلا
فيستحيل حجرا ونسبة هذه النفوس الى تلك النفوس كنسبة السراج الى الشمس فكما ان الشمس
تؤثر في الاشياء تسخينا بالاضائة فكذلك السراج يؤثر بقدره وانت تعلم ان للنفس تاثيرات
جزوية في البدن فانه اذا حدثت في النفس صورة الغلبة والغضب حمي المزاج واحمر الوجه
واذا حدثت صورة مشتهاة فيها حدثت في اوعية المني حرارة بنخرة مهيجة للريح حتى تمتلي
عروق آلة الوقاع فتستعد له والمؤثر ههنا مجرد التصور لا غير والخاصية الثانية ان تصفو
النفس صفاء يكون شديد الاستعداد للاتصال بالعقل الفعال حتى تفيض عليها العلوم
فانا قد ذكرنا حال القوة القدسية التي تحصل لبعض النفوس حتى تستغني في اكثر احواله
عن التفكر والتعلم والشريف البالغ منه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار والخاصية
الثالثة للقوة المتخيلة بان تقوى النفس وتتصل في اليقظة بعالم الغيب كما سبق وتحاكي
المتخيلة ما ادرك النفس بصورة جميلة واصوات منظومة فيرى في اليقظة ويسمع فيكون

نور على نور صح

الصورة المحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة في غاية الحسن وهو الملك الذي براه النبي صلى الله
عليه ويكون المعارف التي يتصل بالنفس من اتصالها بالجواهر الشريفة بمثل بالكلام الحسن
المنظوم الواقع في الحسن المشترك فيكون مسموعا قال والنفوس وان اتفقت في النوع الا انها تتمايز
بخواص وتختلف افاعيلها اختلافات عجيبة وفي الطبيعة اسرار ولاتصالات العلويات
بالسفليات عجائب وجل جناب الحق عن ان يكون شريعته لكل وارد وان يرد عليه الا واحد بعد واحد
فما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل عبرة للمحصل فمن تسمعه فاشمأز عنه فليتهم نفسه
لعلها لا تناسبه وكل ميسر لما خلق له

آراء العرب ومن ذلك

في الجاهلية قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد واجملنا
القول فيه حيث كانت المقاربة بين الفريقين والمقاربة بين الامتين مقصورة على اعتبار
خواص من الاشياء والحكم باحكام الماهيات والغالب عليهم الفطرة والطبع وان الروم والعجم
يتقاربان على مذهب واحد حيث كانت المقاربة مقصورة على اعتبار كيفيات الاشياء و
الحكم باحكام الطبائع والغالب عليهم الاكتساب والجهد والآن نذكر اقاويل العرب في الجاهلية
ونعقبها بذكر اقاويل الهند وقبل ان نشرع في مذاهبهم نريد ان نذكر حكم البيت العتيق حرسه
الله ونصل بذلك حكم البيوت المبنية في العالم فان منها ما بني على الدين الحق قبلة للناس
ومنها ما بني على الرأي الباطل فتنة للناس وقد ورد في التنزيل ان اول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين اختلفت الروايات في اول من بناه قيل ان آدم ع لما اهبط
الى الارض وقع الى سرنديب من ارض الهند وكان يتردد في الارض متحيرا بين فقدان زوجته
ووجدان توبته حتى وافى حوا عليها السلام بجبل الرحمة من عرفات وعرفها وصار الى مكة
ودعا وتضرع الى الله تعالى حتى يأذن له في بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافا لعباداته كما كان
قد عهد في السماء البيت المعمور الذي هو مطاف الملائكة ومزار الروحانيين فانزل الله تعالى
عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت وكان يتوجه اليه
ويطوف به كما توفي في تولي وصيه شيث بناء البيت من الحجر والطين على الشكل المذكور
حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ثم خرب ذلك بطوفان نوح ع وامتد الزمان حتى غيض
الماء وقضي الامر وانتهت النوبة الى الخليل ابرهيم ع وحمله هاجر الى الموضع المبارك وولده
اسمعيل ع هناك ونشوه وتربيته ثم وعود ابرهيم ع اليه واجتماعه في بناء البيت وذلك

ارض م

قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل فرفعا قواعد البيت على مقتضى اشارة الوحي
مرعيا فيه جميع المناسبات التي بينها وبين البيت المعمور وشرعا المناسك والمشاعر محفوظا فيها
جميع المناسبات التي بينها وبين الشرع الاخير وتقبل الله ذلك منهما وبقي الشرف والتعظيم الى
زماننا والى يوم القيامة دلالة على حسن القبول فاختلفت آراء العرب في ذلك واول من وضع فيه
الاصنام عمرو بن لحي لما ساد قومه بمكة واستولى على امر البيت ثم صار الى مدينة البلقاء بالشام
فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه ارباب اتخذناها على شكل الهياكل
العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقي فنسقى فاعجبه ذلك فطلب منهم
صنما من اصنامهم فدفعوا اليه هبل فصار به الى مكة ووضعه في الكعبة وكان معه اساف و
نايلة على شكل زوجين فدعى الناس الى تعظيمها والتقرب اليها والتوسل بها الى الله تعالى
فكان ذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف الى ان اظهر الله تعالى الاسلام فاخرجت وابطلت
وبهذا يعرف كذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه البناء الاول على طوالع
معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم
له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر اكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان الاول
كان مستندا الى الوحي على يدي اصحاب الوحي ثم اعلم ان البيوت ينقسم الى بيوت الاصنام وبيوت
النيران وقد ذكرنا المواضع التي كانت بيوت النيران ثمة في مقالات المجوس فاما بيوت الاصنام
التي كانت العرب والهند تعظمها فهي البيوت السبعة المعروفة المشهورة المبنية على السبع
الكواكب فمنها كانت فيها اصنام فحولت الى النيران ومنها ما لم تحول ولقد كان بين اصحاب الاصنام
واصحاب النيران مخالفات كثيرة والامر دول ما بينهم فكان كل من استولى وقهر غير البيت الى
مشاعر مذهبه ودينه فمنها بيت فارس على راس جبل باصفهان على ثلث فراسخ كانت فيه اصنام
الى ان اخرجها بشتاسب الملك لما تمجس وجعله بيت نار ومنها البيت الذي بمولتان من ارض
الهند فيه اصنام لم يتغير ولم يبدل ومنها بيت سدوسان من ارض الهند ايضا وفيه اصنام
كثيرة العجب والهند ياتون البيتين في اوقات من السنة حجا وقصدا اليهما ومنها النوبهار
الذي بناه منوجهر بمدينة بلخ على اسم القمر فلما ظهر الاسلام خربه اهل البلخ ومنها بيت غمدان
الذي بمدينة صنعاء اليمن بناه الضحاك على اسم الزهرة وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه ومنها
بيت كاووسان بناه كاووس الملك بناء عجيبا على اسم الشمس بمدينة فرغانة وخربه المعتصم واعلم

البناء صح

كبيرة صح

Digitized by Google

ان العرب اصناف شتى فمنهم معطلة العرب ومنهم محصلة نوع محصل منها

معطلة

العرب اصناف فصنف انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا الطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى اشارة الى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي وقصر الموت والحيوة على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وايات فطرية في كم آتيكم سورة فنا العمر من قائل اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وقال اولم ينظروا الى ما خلق الله وقال انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم فثبت الدلالة بالضرورية من الخلق على الخالق وانه قادر على الكمال ابدا وعادة وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث والاعادة وهم الذين اخبر عنهم القرآن وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فاستدل عليهم بالنشاة الاولى اذا اعترفوا بالخلق الاول وقال عز ذكره قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقال افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرموا وهم الذين اخبر عنهم التنزيل وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا فاستدل عليهم بان المرسلين كانوا كذلك فقال عز ذكره وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين احديهما انكار البعث بعث الاجساد والثانية جحد البعث بعث الرسل فعلى الاولى قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون الى امثالها من الايات وعبروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم اترك لذة الصهباء يوما لما وعدوه من لبن وخمر حبوب ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمرو ولبعضهم في مرثية اهل بدر من المشركين فاذا ابا الفليت قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام يخبرنا الرسول بان سنحيى وكيف حياة اصداء وهام وفي العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصبت طيرا

ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا مع

وهم الدهرية من العرب الاشرية منهم نذكرهم مع

Digitized by Google

هامة الى راس القبر كل مائة سنة و لهذا انكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لا هامة فيرجع
ولا عدوى ولا صفر واما على الشبهة الثانية كان انكارهم لبعث الرسول في صورة البشرية اشد
واصرارهم على ذلك ابلغ واخبر التنزيل عنهم بقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا ابشر يهدوننا فمن كان يعترف بالملئكة كان يريد ان ياتي ملك
من السماء وقالوا لولا انزل عليه ملك ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا
الى الله تعالى هو الاصنام المنصوبة اما الامر والشريعة من الله تعالى الينا فهو المنكر فيعبدون
الاصنام التي هي الوسايل ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وكان ود لكلب وهو بدومة
الجندل وسواع لهذيل وكانوا يحجون اليه وينحرون له ويغوث لمذحج ولقبايل من اليمن
ونسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمدان واما اللات فكانت لثقيف بالطائف والعزى
لقريش وجميع بني كنانة وقوم من بني سليم ومنات للاوس والخزرج وغسان وهبل اعظم اصنامها
عندهم وكان على ظهر الكعبة واساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحي وكان
يذبح عليهما تجاه الكعبة وزعموا انهما كانا من جرهم اساف بن عمرو ونايلة بنت سهل ففجرا
في الكعبة فمسخا حجرين وقيل لا بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحي فوضعهما على الصفا وكان
لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذي يقول فيه قائلهم اتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعو لغي ولا رشد
وكانت العرب اذا لبت وهللت قالت لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو
لك تملكه وما ملك ومن العرب من كان يميل الى اليهودية ومنهم من كان يميل الى النصرانية
ومنهم من يصبو الى الصابية ويعتقد في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك
ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا ومنهم من يصبو الى الملئكة
فيعبدهم بل كانوا يعبدون الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله تعالى

ومنها

المحصلة

من العرب اعلم ان العرب في الجاهلية كانت على ثلثة انواع من العلوم احدها علم الانساب
والتواريخ والاديان ويعدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة انساب اجداد الرسول صلى الله عليه
وسلم والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلب ابرهيم الى اسمعيل عليهما السلم وتواصله في
ذريته الى ان ظهر بعض الظهور في اسارير عبد المطلب سيد الوادي شيبة الحمد وسجد له الفيل سني المجد

الاعظم

الاعظم وعلى قصة اصحاب الفيل وبركة ذلك النور دفع الله شر ابرهة وارسل عليهم طيرا
ابابيل وبركة ذلك النور وفي تلك الرؤيا في تعريف موضع زمزم ووجدان الغزالة والسيوف
التي دفنها جرهم وبركة ذلك النور الهم عبد المطلب المنذر الذي نذر في ذبح العاشر من اولاده وبه
افتخر النبي ص حين قال انا ابن الذبيحين اراد بالذبيح الاول اسمعيل وهو اول من انحدر اليه النور
فاختفى وبالذبيح الثاني عبد الله بن عبد المطلب وهو اخر من انحدر اليه النور فظهر كل الظهور
وبركة ذلك النور كان عبد المطلب يأمر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق
وينهاهم عن دنيات الامور وبركة ذلك النور كان قد سلم اليه النظر في حكومات العرب والحكم
في خصومات المتخاصمين فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة وينظر في
حكومات القوم وبركة ذلك النور قال الابرهة ان هذا البيت له رب يذب عنه ويحفظه وفيه
قال وقد صعد جبل ابي قبيس لاهم ان المرء يمنع حله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك وبركة ذلك النور كان يقول في
وصاياه انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه ويصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم
حتف انفه لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك فتفكر وقال والله وان وراء هذه الدار
دار الجزاء فيها يثاب المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته ومما يدل على اثبات المعاد والمبدأ انه كان
يضرب بالقداح على عبد الله ابنه ويقول يا رب انت الملك المحمود وانت ربي المبدئ المعيد
من عندك الطارف والتليد ومما يدل على معرفته بحال الرسل وشرف النبوة ان اهل مكة
لما اصابهم ذلك الجدب العظيم وامسك السحاب عليهم سنتين امرا ابا طالب ابنه ان يحضر
المصطفى صلوات الله عليه وهو رضيع في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه
الى السماء وقال يا رب بحق هذا الغلام ثم رماه ثانيا وثالثا وكان يقول بحق هذا الغلام
اسقنا غيثا مغيثا دائما هطلا فلم يلبث ساعة ان اطبق السحاب وجه السماء وامطر حتى
خافوا على المسجد وانشا ابو طالب في ذلك الشعر اللائي منه الذي وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل يطيف به الهلال من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزي محمد ولما نطاعن دونه ونناضل ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابنائنا والحلائل وميزان حق لا يخيس شعيرة ووزان عدل وزنه غير عائل
وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في النبي صلى الله عليه وسلم قصيدة منها من قبلها

Digitized by Google

طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر آنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن في خندف علياء تحتها النطق وانت لما ظهرت اشرقت الارض وضاءت بنورك
الافق فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق واما النوع الثاني من العلوم وهو علم
الرؤيا كان ابو بكر رضي الله عنه والنوع الثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة
منهم وعن هذا قال النبي ص من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن العرب من يؤمن
بالله تعالى واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع قد ذكرناها لانها نوع تحصيل
فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر ويعتقد الدين الحنيفي وينتظر المقدم النبوي زيد بن
عمرو بن نفيل كان يسند ظهره الى الكعبة ثم يقول ايها الناس هلموا الي فانه لم يبق على دين
ابرهيم احد غيري وسمع منه امية بن ابي الصلت يوما ينشد

كل دين يوم القيمة عند الله الا دين الحنيفي زور فقال له زيد صدقت وقال زيد ايضا فلن يكون
لنفسي منك واقية يوم القيمة اذا ما يجمع البشر وممن كان يعتقد التوحيد ويؤمن بيوم الحساب قس
بن ساعدة الايادي قال في موعظة كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد ولين ذهب ليعودن يوما وقال
ايضا كلا بل هو الله الواحد ليس بمولود ولا والد واعاد وابدا واليه المآب غدا وانشا في معنى الاعادة
يا ايها الموت الاموات في جدث عليهم من بقايا ثوبهم خرق دعهم فان لهم يوما يصاح بهم
كما ينبه من نوماته الصعق حتى يجيئوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق ومنهم عامر بن الظرب العدواني
كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصية طويلة يقول في آخرها اني ما رايت شيئا قط خلق نفسه
ولا رايت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان يموت الناس الداء لاحياهم الدواء
ثم قال اني ارى امورا تشتى وحتى قيل له وما حتى قال حتى يرجع الميت حيا ويعود لا يشتى شيئا ولذلك
خلقت السماوات والارض فتولوا عنه ذاهبين وقيل انها نصيحة لو كان من يقبلها وكان عامر قد حرم
الخمر على نفسه فمن حرمتها وقال فيه من اشرب الخمر اشربها للذتها وان ادعها فاني مات قالي
لولا اللذاذة والقيان لمارها ولا ارى الامن مكثر العالي سلا ابة للفتى ما كان في يده
ذهابه يعقل القوم والمال تورث القوم اضغانا بلا احن ومن ربا للفتى ذي النجدة المالي
اقسمت بالله اسقيها واشربها حتى تفرق ترب الارض او صالي ومن كان قد حرم الخمر في

ممن يعبر الرؤيا في الجاهلية ويصيب فيرجعون اليه ويستخبرون عنه مع

Digitized by Google

في الجاهلية بشر بن عاصم التميمي وصفوان بن أمية بن محرز الكناني وعفيف بن معدي كرب الكندي
وقالوا انها استعادا وقال للاسلام اليا الى وقد حرم الزنا والخمر سالمت قومي بعد طول مناصبة
والسلم ابقى في الامور واعرف وتركت شرب الراح وهي اميرة والموبقات وترك ذلك اشرف
وعففت عنه بالاسم تكرما وكذلك يفعل ذي الحجى المتعفف وهو كان يؤمن بالخالق عز وجل و
بخلق آدم عبد الطابخة بن ثعلب وبره من قضاعة وقال فيه ادعوك يا رب بما انت اهله
دعاء غريق قد تشبث بالعصم لانك اهل الخير والحمد كله وذو الطول لم يجعل لبسطه ولم تلم
وانت الذي لم يجعل الدهر ثابتا ولم يعد منك صالح وجم وانت القديم الماجد الاول الذي
شددت بالانسان في نفس العدم وانت الذي احللت في غيب ظلمة الى ظلمة من صلب ادم في ظلم
ومن هؤلاء زهير بن ابي سلمى وكان يؤمن بالقضاء وقد اورد بعد بيت فيقول لولا ان تشنى العرب
لامنت ان الذي احياك بعد بيت سحق العظام وهي رميم ثم امن بعد ذلك وقال في قصيدة التي اولها
امن ام اوفى بوحزن في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينقم ومنهم علاف بن شهاب التميمي كان
يؤمن بالله تعالى ويوم الحساب وفيه قال ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة فاخذت منه حظة المفتال
وعلمت ان الله جازيه بيوم الحساب باحسن الاعمال وكان بعض العرب اذا حضره الموت يقول لولده
ادفنوا معي راحلتي حتى احشر عليها فان لم تفعلوا احشرت على راحلتي وقال الجريبة بن الاشيم الاسدي
في الجاهلية وحضره الموت يوصي ابنه سعدا يا سعد اما اهلكن فانني اوصيك اذا حضر الوصا
الاقرب لا تتركن اباك يعثر راجلا في المحشر يصرع للبدين ويكبب ولحمل اباك على بعير صالح
وتوق الخطيئة انه هو اهرب ولعل لي فيما تركت مطية في القبر اركبها اذا قيل اركبوا
وقال عمرو بن زيد التميمي يوصي ابنه عند موته ابني زودني اذا قاربت في القبر راحلة رحل قائر
للبعث اركبها اذا قيل اركبوا مستوسقين مع الحشر الحاشر من لا يوافيه على عثرته فالخلق
بين مدفع او عاثر وكانوا يربطون الناقة معكوسة الى مؤخرها ما يلي ظهرها او ما يلي كلكلها
وبطنها ويأخذون وليه فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى
تموت عند القبر ويسمون الناقة بليه وقال بعضهم يشبه رجالا في بليه كالبلايا في اعناقها
الولايا قال محمد بن سايب الكلبي كانت العرب في جاهليتها تحرم اشياء قبل ان ينزل القرآن بتحريمها
كانوا لا ينكحون الامهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات وكانوا يقبحون ما يصنع الرجل ان
يجمع بين الاختين او يخلف امرأة ابيه كانوا يعدون من فضل ذلك الضيزن قال اوس بن حجر التميمي يعتبر

شعراء

الراس

Digitized by Google

قوما من بني قيس بن ثعلبة تنادوا على امراة ايهم ثلثة ولحد بعد اخر فنكحوا فكهنة واشتملوا فيها
نكاحكم لابيه ضبة بن سلف وكان اول من جمع بين الاختين من قريش ابو احمد سعيد بن العاص
جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال وكان الرجل من العرب اذا مات
عن المراة او طلقها قام اكبر بنيه فان كان لم فيها حاجة طرح ثوبه عليها وان لم تكن حاجة تزوجها بعض
اخوته بمهر جديد قال وكانوا يخطبون المراة الى ابيها او اخيها او عمها او بعض بني عمها وكان يخطب
الكفو الى الكفو فان كان احدهما اشرف في النسب من الاخر رغب له وان كان هجينا خطب الى هجين فزوجه
هجينة مثله ويقول الخاطب اذا اتاهم انعموا صباحا ثم يقول نحن اكفاؤكم ونظراؤكم فان زوجتموها
فذا صبنا رغبة واصبتموها وكنا نصهركم حامدين وان رددتموها لعلة نعرفها رجعنا عاذرين
فان كان قريب القرابة من قومه قال لها ابوها او اخوها اذا حملت اليه اشربي واذكري ولا انثي
جعل الله منك عددا وعزا وخلدا احسني خلقك واكرمي زوجك وليكن طيبك الماء واذا
زوجت في غربة قال لا اشربي واذكري فانك تدنين البعداء وتلدين الاعداء احسني خلقك
وتحببي الى احمائك فان لهم عينا ناظرة عليك واذنا سامعة وليكن طيبك الماء وكانوا يطلقون
ثلثا على التفريق قال عبد الله بن عباس رض اول من طلق ثلثا اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام
بثلث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو احق الناس بها حتى اذا استوفى الثلث
انقطع السبيل عنها ومنه قول الاعشى حين تزوج امراة فرغب بها عنه فاتاه قومها فهددوه
بالضرب او يطلقها اياها جاريتي بيني فانك طالقه كذاك امور الناس غاد وطارق فقالوا
منه فقال وبيني فان البين خير من العصا وان لا تزالي فوق راسك بارقه فقالوا ثلث
فقال وبيني حصن الفرج غير ذميمة وموموقة قد كنت فينا وامعه قالوا وكان امر الجاهلية
في نكاح النساء على اربع يخطب فيتزوج وامراة يكون لها يختلف اليها فان ولدت قالت
هو لفلان فيتزوجها بعد هذا وامراة ذات راية يختلف اليها النفر وكلهم يواقعها في طهر واحد
فاذا ولدت الزمت ولدها احدهم وهذه تدعى المقسمة قال وكانوا يحجون البيت ويعتمرون
ويحرمون قال ذهب وكم بالفتان من محل ومحرم قال ويطوفون البيت اسبوعا ويحجون الحجر و
يسعون بين الصفا والمروة فقال ابو طالب واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة
وتماثيل وكانوا يلبون الا ان بعضهم كان يشرك في تلبيته فقوله الا شريك هو لك
تملكه وما ملك ويقفون المواقف كلها قال العدوي واقسم بالبيت الذي حجت له قريش

في المال

اثبت

خليل

وموقف الحجيج على الآل وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الاشهر الحرم فلا يغزون
ولا يقاتلون فيها الا طي وخثعم وبعض بني الحرث بن كعب فانهم لم يكونوا يحجون ولا يعتمرون
ولا يحرمون الاشهر الحرم ولا البلد الحرام وانما سمت قريش الحرب التي كانت بينها وبين غيرها
عام الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم فلما قاتلوا فيها قالوا فجرنا فلذلك سموها عام الفجار وكانوا
يكرهون الظلم في الحرم وقالت امراة منهم تنهى ابنها عن الظلم ابني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
ابني من يظلم بمكة يلق اطراف الشرور وكان منهم من ينسى الشهور وكانوا يكبسون في كل عامين شهرا
وفي كل ثلثة اعوام شهرا وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة لم يخطوا ان يجعلوا يوم التروية
ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذي الحجة حتى يكون يوم النحر يوم العاشر من ذلك
الشهر ويقيمون بمنى فلا يبيعون في يوم عرفة ولا في ايام منى وفيهم انزلت انما النسيء زيادة
في الكفر وكانوا اذا ذبحوا للاصنام لطخوها بدماء الهدايا يلتمسون بذلك الزيادة في اموالهم و
كان قصي بن كلاب ينهى عن عبادة غير الله من الاصنام وهو القائل اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقيل هو
لزيد بن عمرو بن نفيل وقال للملتمس بن امية الكناني يخطب للعرب بفناء الكعبة اطيعوني
ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم قد تفردتم بالهة شتى واني لاعلم ما الله قاض به وان الله رب
هذه الالهة وانه ليحب ان يعبد وحده قال فتفرقت عنه العرب حين قال ذلك وتجنبت عنه
طاعته وزعمت انه على دين بني تميم قال وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم قال الاوذي
الاوذي الا عللاني واعلما ابني غرر فما قلت ينجيني الشقاق ولا الحذر وما قلت
يبحديني ثوابي اذا بدت مفاصل اوصالي وقد شخص البصر وجاؤا بماء بارد يغسلونني
فيا لك من غسل سيتبعه غبر قال وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم اذا
مات الرجل وحمل على سريره يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يدفن ثم يقول
عليك رحمة الله وقال رجل من كليب في الجاهلية لابن ابن له شعرا اعمرو ان هلكت وكنت حيا
فاني مكثر لك من صلاتي واجعل نصف مالي لابن سام حياتي ان حييت وفي مماتي
قال وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التي ابتلى ابرهيم بها وهي الكلمات العشر
فاتمهن خمس في الراس وخمس في الجسد فاما اللواتي في الراس فالمضمضة والاستنشاق و
قص الشارب والفرق والسواك واما اللواتي في الجسد فالاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف

الايطو وطوق لعانة والحسن فلما جاء الاسلام فرقها سنة من السنن وكانوا يقطعون يد السارق اذا اليمين
سرق وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق وكانوا يوفون بالعهود بالعقود
ويكرمون الجار ويكرمون الضيف قال حاتم الطائي لقد كان في الرمال للناس اسوة كان لم
يسبق جحش بعيرا ولا حمر وكانوا اناسا موقنين بربهم بكل مكان فيهم عابد بكر وقال ايضا
الهم ربي وربي الهم فما فمت لا ارسو ولا اتقدر

اراء الهند

ومن ذلك
قد ذكرنا ان الهند امة كثيرة وملة عظيمة وآراؤهم مختلفة فمنهم البراهمة المنكرون للنبوات
اصلا ومنهم من يميل الى الدهرية ومنهم من يميل الى مذهب الثنوية ويقول بملة ابرهيم وأكثر هم
على مذهب الصابئة ومنهاجها فمن قائل بالروحانيات ومن قائل بالهياكل ومن قائل بالاصنام
الا انهم مختلفون في شكل المسالك التي ابتدعوها وكيفية اشكال وضعوها ومنهم حكماء
على طريق اليونانيين علما وعملا فمن كانت طريقته على منهاج الدهرية والثنوية والصابئة
فقد اغنانا حكاية مذاهبهم ومن انفرد عنهم بمقالة ورأى فهم خمس فرق البراهمة واصحاب عن حكاية مذهبه
الروحانيات واصحاب الهياكل وعبدة الاصنام والحكماء ونحن نذكر مقالات هؤلاء كما
وجدنا في كتبهم المشهورة

البراهمة

ما
من الناس من قال انهم سموا براهمة لانتسابهم الى ابرهيم الخليل عليه السلام وذلك خطاء فان
هؤلاء القوم المخصوصين بنفي النبوات اصلا ورأسا فكيف يقولون بابرهيم والقوم الذين
اعتقدوا نبوة ابرهيم من اهل الهند الثنوية فمنهم القائلون بالنور والظلام على مذهب اصحاب
الاثنين وقد ذكرنا مذاهبهم الا ان هؤلاء البراهمة انتسبوا الى رجل منهم يقال له برهام وقد
لهم نفي النبوات اصلا وفرأسها لذلك في العقول بوجوه منها ان قال ان الذي يأتي به الرسول
لم يخل من احد امرين اما ان يكون معقولا فقد كفانا العقل التام بادراكه والوصول اليه فاي حاجة واما ان لا يكون معقولا
لنا الى الرسول وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الانسانية فان كان معقولا
ودخول في حريم البهيمية ومنها ان قال قد دل دلائل العقل على ان الله حكيم والحكيم لا يتعبد
لخلق الا بما تدل عليه عقولهم وقد دلت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعا عالما قادرا حكيما
وانه انعم على عباده نعما توجب الشكر فنظرنا في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا واذا
عرفناه وشكرناه استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرناه استوجبنا عقابه فما بالنا نتبع بشرا
مثلنا فانه ان كان يأمرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بعقولنا وان كان يأمرنا

Digitized by Google

مما يخالف ذلك كان قوله دليلا ظاهرا على كذبه ومنها ان قال قد دل العقل على ان للعالم صانعا حكيما
والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم وقد وردت اصحاب الشرايع بالمستقبحات من حيث العقل من
التوجه الى بيت مخصوص في العبادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل
الحجر الاسود وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك
كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول ومنها ان اكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل هو مثلك
في الصورة والنفس والعقل ياكل مما تاكل ويشرب مما تشرب حتى تكون بالنسبة اليه كجماد يتصرف
فيك رفعا ووضعا او كحيوان يصرفك اماما وخلفا او كعبد يتقدم اليك امرا ونهيا فباي
تمييز عليك وباية فضيلة اوجبت استخدامك وما دليله على صدق دعواه فان اغتررتم
بمجرد قوله فلا تمييز لقول على قول وان انحسرتم بحجته ومعجزته فعندنا من خصايص الجواهر والاجسام
ما لا يحصى كثرة ومن المخبرين عن المغيبات من الامور من لا يساوي خبره قالت لهم رسلهم ان نحن الا
بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فاذا اعترفتم بان للعالم صانعا خالقا حكيما فاعترفوا
بانه امرنا هي حاكم على خلقه وله في جميع ما ناتي ونذر ونعلم حكم وامر وليس كل عقل انساني على استعداد
ما يعقل عنه امره ولا كل نفس بشري بمثابة من يقبل عنه حكمه بل اوجبت منه ترتيبا في العقول و
النفوس واقتضت قسمته ان يرفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة
ربك خير مما يجمعون فرحمة الله الكبرى هي النبوة والرسالة وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختالة
ثم ان البراهمة تفرقوا اصنافا فمنهم اصحاب البددة ومنهم اصحاب الفكرة ومنهم اصحاب التناسخ

اصحاب البددة

ومن ذلك ومعنى البدد عندهم الشخص
في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت واول بدد ظهر
في العالم اسمه ساكيمن وتفسيره السيد الشريف ومن وقت ظهوره الى وقت الهجرة خمسة
الاف سنة قالوا ودون مرتبة البدد مرتبة البود يسعيه ومعناها الانسان الطالب سبيل
الحق وانما يصل الى تلك المرتبة بالصبر والعطية وبالرغبة فيما يجب ان يرغب فيه وبالامتناع
والتخلي عن الدنيا والعروض عن شهواتها ولذاتها والعفة عن محارمها والرحمة على جميع الخلق
والاجتناب عن الذنوب العشرة قتل كل ذي روح واستحلال اموال الناس والنميمة والشتم والبذي
وشناعة الالقاب والسفه والجحد لجزاء الاخرة وباستكمال عشر خصال احديها الجود والكرم
والثانية العفو عن المسيء ودفع الغضب بالحلم والثالثة عن الشهوات الدنيوية والرابعة الفكرة

ان يكون صح

ونفكر صح

شاكين نخ

والزناء والكذب صح

التعفف صح

في التخلص

في التخلص الى ذلك العالم الدائم الوجود من هذا العالم الفاني والخامسة رياضة العقل بالعلم
والادب وكثرة النظر في عواقب الامور والسادسة القوة على تصريف النفس في طلب العليات السابعة
لين القول وطيب الكلام مع كل احد الثامنة حسن المعاشرة مع الاخوان اما بايثار اختيارهم على اختيار
نفسه التاسعة الاعراض عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق بالكلية العاشرة بذل الروح شوقا
الى الحق ووصولا الى جناب الحق وزعموا ان البددة اتوهم على عدد نهر الكيل واعطوهم العلوم وظهروا
لهم في اجناس واشخاص شتى ولم يكن يظهرون الا في بيوت الملوك لشرف جواهرهم وقالوا لم يكن بينهم
اختلاف فيما ذكر عنهم من ازلية العالم وقولهم في الجزاء على ما ذكرنا وانما اختص ظهور البددة
بارض الهند لكثرة ما فيها من خصايص البرية والاقليم ومن فيها من اهل الرياضة والاجتهاد وليس
يشبه البدد على ما وصفوه ان صدقوا في ذلك الا بالخضر الذي يثبته اهل الاسلام عليه السلم

اصحاب ومن تلك

الفكرة والوهم وهم اهل العلم منهم بالفلك والنجوم واحكامها المنسوبة اليه وللهند طريقة
تخالف طريقة منجمي الروم والعجم وذلك انهم يحكمون اكثر الاحكام باتصالات الثوابت دون السيارات
وينشئون الاحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها ويعدون زحل السعد الاكبر وذلك
لرفعة مكانه وعظم جرمه وهو الذي يعطي العطايا الكلية من السعادة والجزوية من النحوسة وكذلك
ساير الكواكب لها طبايع وخواص فالروم يحكمون من الطبايع والهند يحكمون من الخواص وكذلك
طبهم انهم لا يعتبرون خواص الادوية طبايعها والروم تخالفهم في ذلك وهؤلاء اصحاب الفكرة دون صح
يعظمون امر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول فالصور من المحسوسات ترد
عليه والحقايق من المعقولات ترد عليه ايضا فهو مورد العلمين من العالمين فيجتهدون كل الجهد
حتى يصرفوا الوهم عن المحسوسات بالرياضات البليغة والاجتهادات المجهدة حتى اذا تجرد الفكر والفكر صح
عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم فربما يخبرون عن مغيبات الاحوال وربما يقوى على حبس الامطار
وربما يوقع الوهم على رجل حي فيقتله في الحال ولا يستبعد ذلك فان للوهم اثرا عجيبا في تصريف
الاجسام والتصرف في النفوس اليس الاحتلام في النوم تصرف الوهم على الجسم اليس اصابة العين
تصرف الوهم في الشخص اليس الرجل يمشي على جدار مرتفع فيسقط في الحال ولا ياخذ من عرض المسافة
في خطواته سوى ما اخذه على الارض المستوية والوهم اذا تجرد عمل اعمالا عجيبة ولهذا كانت الهند
تغمض عينها لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات ومع التجرد اذا اقترن به وهم آخر اشتركا

Digitized by Google

في العمل خصوصا اذا كانا متفقين غاية الاتفاق ولهذا كانت عادتهم اذا دهمهم امر ان يجتمع اربعون
رجلا من المهذبين المخلصين على راي واحد في الاصابة فيتجلى لهم المهم الذي يهضمهم حمله ويندفع عنهم
البلاء الملم الذي يكادهم ثقله ومنهم البكرنتينية يعني المصفدين بالحديد وسنتهم حلق الرؤس
واللحى وتعرية الاجساد ما خلا العورة وتصفيد البدن من اوساطهم الى صدورهم لئلا تنشق بطونهم
من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر ولعلهم راوا في الحديد خاصية تناسب الاوهام والا فا
لحديد كيف يمنع انشقاق البطن وكثرة العلم كيف توجب ذلك

المتفقين صح

اصحاب ومن تلك

التناسخ قد ذكرنا مذاهب التناسخية وما من ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ وانما
تختلف طرقهم في تقرير ذلك واما تناسخية الهند فاشد اعتقادا لذلك لما عاينوا من طير
يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه
فتبرق منه نارا تلتهب فتحرق الطير ويسيل منه دهن يجتمع في اصل الشجرة في مغارة ثم
اذا حال الحول وحان وقت ظهوره يخلق من هذا الدهن طيرا مثله فيطير فيقع على الشجرة
وهو ابدا كذلك قالوا فما مثل الدنيا واهلها في الادوار والاكوار الا كذلك قالوا واذا
كانت حركات الافلاك دورية فلا محالة يصل راس البركار الى ما بدا ودار دورة ثانية على
الخط الاول فاذا لا محالة ما افاد الدور الاول اذ لم يكن اختلاف بين الدورتين حتى يتصور
اختلاف بين الاثرين فان المؤثرات عادت كما بدات والنجوم والافلاك دارت على المركز
الاول وما اختلفت ابعادها واتصالها ومناظراتها ومناسباتها بوجه فيجب ان لا يختلف
المتاثرات البادئات فيها بوجه وهذا هو تناسخ الادوار والاكوار ولهم اختلاف في الدورة
الكبرى كم هي من السنين واكثرهم على ثلثين الف سنة وبعضهم على ثلثمائة الف سنة وانما
يعتبرون في تلك الادوار سير الثوابت لا السيارات وعند اكثر الهند ان الفلك مركب من
الماء والنار والريح وان الكواكب فيها نارية هوائية فلم تعدم الموجودات العلوية الا العنصر
الارضي فحسب

اصحاب وما

الروحانيات من
اهل الهند جماعة اثبتوا متوسطات روحانية ياتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل في صورة
البشر من غير كتاب فيامرهم باشياء وينهاهم عن اشياء ويسر لهم الشرائع ويبين لهم الحدود وانما
يعرفون صدقه بتنزهه عن حطام الدنيا واستغنائه عن [illegible] رب والبغال

Digitized by Google

الباسوية ومن ذلك

زعموا ان رسولهم ملك روحاني نزل من السماء على صورة بشر فامرهم بتعظيم النار وان يتقربوا اليها بالعطر
والطيب والادهان والذبايح ونهاهم عن القتل والذبح الا ما كان للنار وسن لهم ان يتوشحوا بخيط
يعقدونه من مناكبهم الايامن الى تحت شمائلهم ونهاهم ايضا عن الكذب وشرب الخمر وان لا ياكلون
من اطعمة غير ملتهم ولا من ذبايحهم واباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل وامرهم ان يتخذوا على مثاله صنما
يتقربون اليه ويعبدونه ويطوفون حوله في كل يوم ثلث مرات بالمعازف والتبخير والغناء و
الرقص وامرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث راوها ويفزعوا في التوبة الى التمسح بها وامرهم ان لا يجوزوا نهر الكنك مع

الباهودية ومن ذلك

زعموا ان رسولهم ملك روحاني على صورة بشر واسمه باهودية اتاهم وهو راكب على ثور وعلى راسه
اكليل مكلل بعظام الموتى من عظام الرؤس ومتقلد من ذلك بقلادة باحدى يديه قحف انسان
وبالاخرى مزراق ذو ثلث شعب يامرهم بعبادة الخالق عز وجل وبعبادته معه وان يتخذوا على
مثاله صنما يعبدونه وان لا يعافوا شيئا وان يكون الاشياء كلها في طريقة واحدة لانها جميعا
صنع الخالق وان يتخذوا من عظام الناس قلائد يتقلدونها واكاليل يضعونها على رؤسهم
وان يمسحوا اجسادهم ورؤسهم بالرماد وحرم عليهم الذبايح والنكاح وجمع الاموال وامرهم
برفض الدنيا ولا معاش لهم الا من الصدقة

الكابلية ومن ذلك

زعموا ان رسولهم ملك روحاني يقال له شب اتاهم في صورة بشر متمسح بالرماد على راسه قلنسوة
من لبود حمراء طولها ثلثة اشبار مخيط عليها صفايح من قحف الناس متقلد بقلادة من اعظم
ما يكون متمنطق من ذلك بمنطقة متسور منها باسورة متخلخل منها بخلخال وهو عريان فامرهم
ان يتزينوا بزينته ويتزيوا بزيه وسن لهم شرايع وحدودا

البهادونية ومن ذلك

قالوا ان بهادون كان ملكا عظيما اتانا في صورة انسان عظيم وكان له اخوان قتلاه وعملا
من جلدته الارض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحر وقيل هذا رمز والا فحال صورة البشر لا
تبلغ الى هذه الدرجة وصورة بهادون راكب دابة كثير الشعر قد اسبله على وجهه وقد قسم
الشعر على جوانب راسه قسمة مستوية واسبله كذلك على نواحي الراس قفا ووجها وامرهم
ان يفعلوا كذلك وسن لهم ان لا يشربوا الخمر واذا راوا امراة هربوا منها وان يحجوا الى جبل
يدعى جورعن وعليه بيت عظيم فيه صورة بهادون ولذلك سدنة لا يكون المفتاح

Digitized by Google

الا بايديهم فلا يدخلون الا باذنهم واذا فتحوا الباب سدوا افواههم حتى لا تصل انفاسهم الى الصنم
ويذبحون له الذبائح ويقربون له القرابين ويهدون له الهدايا فاذا انصرفوا عن هيكله لم يدخلوا
العمران في طريقهم ولم ينظروا الى محرم ولم يصلوا الى احد بسوء من قول او فعل

عبادة الكواكب ولم ينقل للهند مذهب في عبادة الكواكب الا
فرقتان توجهتا الى التبرين الشمس والقمر ومذهبهم في ذلك مذهب الصابئة في توجههم الى
الهياكل السماوية دون قصر الربوبية والالهية عليها

عبادة من قال الشمس زعموا ان الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل وبها نور الكواكب وضياء العالم بها
وتكون الموجودات السفلية وهي ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتسبيح والدعاء وهؤلاء
يسمون الدينكيتية اي عباد الشمس ومن سننهم ان اتخذوا لها اصناما بيد جوهر على لون النار وله
بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا وقرايا وله سدنة وقوام فيأتون البيت ويصلون
ثلث كرات ويأتيه اصحاب العلل والامراض فيصومون له ويصلون ويستشفون به ويدعون

عبادة ومن قال القمر زعموا ان القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم
والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلي والامور الجزوية فيه ومنه تصلح الاشياء المتكونة
واتصالها الى كمالها وبزيادته ونقصانه تعرف الزمان والاوقات والساعات وهؤلاء الشمس
وقرينها ومنها نوره وبالنظر اليها زيادته ونقصانه وهؤلاء يسمون الجندريكية اي عباد القمر
ومن سننهم ان يتخذوا اصناما على صورة عجل وبيد الصنم جوهر ومن دينهم ان يسجدوا له
ويعبدوه وان يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام
والشراب واللبن ثم يرغبون اليه وينظرون الى القمر ويسئلونه حوائجهم فاذا استهل الشهر علوا
السطوح واوقدوا الدخن ودعوا عنده وقبله ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام
والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنة وفي نصف الشهر اذا فرغوا من الافطار
اخذوا في الرقص واللعب بالمعارف بين يدي الصنم والقمر

عبادة وما الاصنام اعلم ان الاصناف التي ذكرنا مذاهبهم يرجعون اخر الامر الى عبادة الاصنام اذ كان
لا يستقر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويعكفون عليه وعن هذا اتخذت اصحاب الروحانيات
والكواكب اصنامها وزعموا انها على صورتها وبالجملة وضع الاصنام حيث ما قدر انما هو على معبود
غائب حتى يكون الصنم المعمول على صورته وشكله وهيئاته نائبا منابه قائما مقامه والا

Digitized by Google

فنعلم قطعا ان عاقلا ما لا ينحت بيده صورة خشبا ثم يعتقد انه الهه وخالقه واله الكل اذ كان وجوده
مسبوقا بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته لكن القوم لما عكفوا على التوجه اليها وربطوا
حوائجهم بها من غير اذن وحجة وبرهان وسلطان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك عبادة لها وطلبهم
الحوائج منها اثبات الهية لها وعن هذا كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلو
كانوا مقتصرين على صورها في اعتقادهم الربوبية والالهية لما تعدوا عنها الى رب الارباب

المهاكالية ومن تلك

لهم صنم يقال له مهاكال له اربعة ايدي كثير شعر الراس سبطه وباحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه
وبالاخرى عصا وبالثالثة راس انسان وبالرابعة قد دفعها وفي اذنيه حيتان كالقرطين وعلى
جسده ثعبانان عظيمان قد التفا عليه وعلى راسه اكليل من عظام القحف وعليه من ذلك
قلادة يزعمون انه عفريت يستحق العبادة لعظمة قدره واستحقاقه الخصال المحمودة المحبوبة والمذمومة
من الاعطاء والمنع والاحسان والاساءة وانه المفزع لهم في حاجاتهم وله بيوت عظام بارض الهند
ياتونها اهل ملته في كل يوم ثلث مرات ويسجدون له ويطوفون به ولهم موضع يقال له اخبر فيه
صنم عظيم على صورة هذا الصنم ياتونه من كل موضع ويسجدون له هناك ويطلبون حاجات
الدنيا حتى ان الرجل يقول له فيما يسئل زوجني فلانة واعطني كذا ومنهم من ياتيه فيقيم عنده الايام
والليالي لا يذوق شيئا يتضرع اليه ويسئله الحاجة حتى ربما يتفق

البركسهيكية ومن تلك

من سنتهم ان يتخذوا لانفسهم صنما يعبدونه ويقربون له الهدايا وموضع تعبدهم له ان ينظروا
الى باسق الشجر وملتفه مثل الشجر الذي يكون في الجبال فيلتمسون منها احسنها واطولها فيجعلون ذلك
الموضع موضع تعبدهم ثم ياخذون ذلك الصنم فياتون شجرة عظيمة من تلك الاشجار فينقرون
فيها موضعا يركبونه فيها فيكون سجودهم وطوافهم نحو تلك الشجرة

الدهكينية ومن تلك

من سنتهم ان يتخذوا صنما على صورة امراة فوق راسه تاج وله ايدي كثيرة ولهم عيد في يوم من السنة
عند استواء الليل والنهار ودخول الشمس الميزان فيتخذون في ذلك اليوم عريشا عظيما بين
يدي ذلك الصنم ويقربون اليه قرابين من الغنم وغيرها ولا يذبحونها ولكن يضربون اعناقها
بين يديه بالسيوف ويقتلون من اصابوا من الناس قربانا بالغيلة حتى ينقضي عيدهم وهم
مسيئون عند عامة اهل الهند بسبب الغيلة

الجلهكية ومن تلك

اي عباد الماء يزعمون ان الماء ملك ومعه ملائكة وانه اصل كل شيء وبه ولادة كل شيء ونمو ونشو

لها لما فيه من صح

Digitized by Google

وبقاء وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا الا ويحتاج الى الماء فاذا اراد الرجل عبادته تجرد وستر عورته
ثم دخل الماء حتى وصل الى وسطه فيقيم ساعتين او اكثر ويأخذ ما امكنه من الرياحين فيقطعها
صغارا يلقي فيه بعضها بعد بعض وهو يسبح ويقرأ واذا اراد الانصراف حرك الماء بيده ثم اخذ
منه فيقطر به راسه ووجهه وسائر جسده خارجا ثم سجد وانصرف **الاكنواطرية**
اي عباد النار وزعموا ان النار اعظم العناصر جرما واوسعها حيزا واعلاها مكانا واشرفها
جوهرا وانورها ضياء واشراقا والطفها جسما وكيانا والاحتياج اليه اكثر من الاحتياج الى سائر
الطبايع ولا نور في العالم الا بها ولا حيوة ولا نمو ولا انعقاد الا بممازجتها وانما عبادتهم لها
ان يحفروا اخدودا مربعا في الارض ويؤججوا النار فيه ثم لا يدعون طعاما لذيذا ولا شرابا لطيفا
ولا ثوبا فاخرا ولا جوهرا نفيسا ولا عطرا فايحا الا طرحوها فيه تقربا اليها وتبركا بها وحرموا
القاء النفوس فيها واحراق الابدان بها خلافا لجماعة اخرى من زهاد الهند وعلى هذا المذهب
اكثر ملوك الهند وعظمائها يعظمون النار لجوهرها تعظيما بالغا ويقدمونها على الموجودات
كلها ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين يسدون منافسهم حتى لا يصل اليها
من انفاسهم نفس صدر عن صدر محرم وسنتهم الحث على الاخلاق الحسنة والمنع من اضدادها
وهي الكذب والحسد والحقد واللجاج والبغي والحرص والبطر فاذا تجرد الانسان عنها قرب
من النار وتقرب اليها **حكماء** الهند كان
لفيثاغورس الحكيم اليوناني تلميذ يدعى قلانوس قد تلقى الحكمة منه وتتلمذ ثم صار الى
مدينة من مداين الهند واشاع فيها راي فيثاغورس وكان برحمنن وجلا جيد الذهن ناقد
البصر صائب الفكر راغبا في معرفة العوالم العلوي قد اخذ من قلانوس حكمته واستفاد منه
علمه وصنعته فلما توفي قلانوس تراس برحمنن على الهند كلهم فرغب الناس في تلطيف الابدان
وتهذيب الانفس وكان يقول اي امرء هذب نفسه واسرع في الخروج عن هذا العالم الدنس وطهر
بدنه عن اوساخ هذا العالم ظهر له كل شيء وعاين كل غائب وقدر على كل متعذر وكان مسرورا
محبورا ملتذا عاشقا لا يمل ولا يكل ولا يمسه نصب ولا لغوب فلما نهج لهم الطريق واحتج عليهم
بالحجج المقنعة اجتهدوا اجتهادا شديدا وكان يقول ايضا ان ترك لذات هذا العالم هو الذي يلحقكم
بذلك العالم حتى تتصلوا به وتنخرطوا في سلكه وتخلدوا في لذاته ونعيمه فدرس اهل الهند
هذا القول ورسخ في قلوبهم ثم توفي عنهم برحمنن وقد تجسم القول في عقولهم لشدة الحرص والعجلة

ساعة او ع

الحكيم

Digitized by Google

في الحلق بذلك العالم افترقوا فرقتين ففرقة قالت ان التناسل في هذا العالم هو الخطاء الذي
لا خطاء بين منه اذ هو نتيجة اللذات الجسدانية وثمرة النطفة الشهوانية فهو حرام وما يؤدي اليه
من الطعام والشراب الصافي وكل ما يهيج الشهوة وينشط النفوس البهيمية فحرام ايضا فاكتفوا
بالقليل من الغذاء على قدر ما تثبت به ابدانهم ومنهم من كان لا يرى ذلك القليل ايضا ليكون
لحاقه بذلك العالم الاعلى اسرع ومنهم من اذا راى عمره قد تدنس القى نفسه في النار تزكية لنفسه
وتطهيرا لبدنه وتخليصا لروحه ومنهم من يجمع ملاذ الدنيا من الطعام والشراب والكسوة فيمثلها
نصب عينيه لكي يراها البصر ويتحرك نفسه البهيمية اليها فيشتاقها ويشتهيها فيمنع نفسه عنها
بقوة النفس المنطقية حتى يذبل البدن وتضعف النفس وتفارق لضعف الرباط الذي كان
يربطها به واما الفريق الاخر فانهم كانوا يرون التناسل والطعام والشراب وسائر اللذات
بقدر الذي هو طريق الحق حلالا وقليل منهم من يتعدى عن الطريق ويطلب الزيادة فكان قوم
من الفريقين سلكوا مذهب فيثاغورس من الحكم والعلم فتلطفوا حتى صاروا يظهرون على
ما في انفس اصحابهم من الخير والشر ويخبرون بذلك فيزيدهم بذلك حرصا على رياضة الفكر
وقهر النفس الامارة بالسوء واللحوق بما لحق به اصحابهم ومذهبهم في الباري تعالى انه نور محض
الا انه لابس جسدا ما يستتر به لئلا يراه الا من استاهل رؤيته واستحقها كالذي يلبس في
هذا العالم جلد حيوان فاذا خلعه نظر اليه من وقع بصره عليه واذا لم يلبسه لم يقدر احد
على النظر اليه ويزعمون انهم كالسبايا في هذا العالم فان من حارب النفس الشهوانية حتى
منعها عن ملاذها فهو الناجي من دنيات العالم السفلي ومن لم يمنعها بقي اسيرا في يدها والذي
يريد محاربتها فانما يقدر على محاربتها بنفي التجبر والعجب وتسكين الشهوة والحرص والبعد عما
يدل عليها ويوصل اليها ولما وصل الاسكندر ~~يحارب هذا~~ اجمع الى تلك الديار واراد
محاربتهم صعب عليه افتتاح مدينة احد الفريقين وهم الذين كانوا يرون استعمال اللذات
في هذا العالم بقدر القصد الذي لا يخرج الى فساد البدن فجهد حتى افتتحها وقتل منهم جماعة
من اهل الحكمة فكانوا يرون جثث قتلاهم مطرحة كانها جثث السمك الصافية النقية التي
في الماء الصافي فلما راوا ذلك ندموا على فعلهم وامسكوا عن الباقين والفريق الثاني الذين
زعموا ان لا خير في اتخاذ النساء والرغبة في النسل ولا في شيء من الشهوات الجسدانية كتبوا الى
الاسكندر كتابا مدحوه فيه على حب الحكمة وملابسة العلم وتعظيم اهل الراي والعقل والتمسوا

اللذيذ صح

منه حكيما يناظرهم فنفذ اليهم واحدا من الحكماء فنضلوه بالنظر وفضلوه بالعمل فانصرف الاسكندر
عنهم ووصلهم بجوائز سنية وهدايا كريمة فقالوا اذا كانت الحكمة تفعل بالملوك هذا الفعل
في هذا العالم فكيف اذا البسناها على ما يجب لباسها واتصلت بنا غاية الاتصال ومناظراتهم مذكورة
في كتب ارسطاليس ومن سنتهم اذا نظروا الى الشمس قد اشرقت سجدوا لها وقالوا ما احسنك من نور
وما ابهاك وما انورك لا تقدر الابصار ان تلتذ بالنظر اليك فان كنت انت النور الاول
الذي لا نور فوقك فلك المجد والتسبيح واياك نطلب واليك نسعى لندرك السكنى بقربك
وننظر الى ابداعك الاعلى وان كان فوقك واعلى منك نور اخر انت معلول له فهذا التسبيح والمجد له
وانما سعينا وتركنا جميع لذات الدنيا هذا العالم لنصير مثلك ونلحق بعالمك ونتصل
بمساكنك اذا كان المعلول كنت بهذا البهاء والجلال فكيف يكون بهاء العلة
وجلالها ومجدها وكمالها فحق لكل طالب ان يهجر جميع اللذات فيظفر
بالجوار بقربه ويدخل في غمار جنده وحزبه هذا اخر ما وجدته
من مقالات اهل العالم ونقلته على ما وجدته فمن
صادف فيه خللا في النقل فاصلحه اصلح الله تعالى
حاله وسدد اقواله وافعاله والحمد
لله وحده وصلى الله على
سيدنا واله اجمعين
كتبه العبد المذنب كلب علي قزويني عفى الله عنه وعن والديه
بمحمد واله الطاهرين في سنة ١٢٨٨